المَنَاهِجُ العَلِيَّةُ

لأَهْلِ الصُّوفِيَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الْمَنَاهِجُ الْعَلِيَّةُ لأهْلِ الصُّوفِيَّةِ

رِحْلَةٌ فِي أعْمَاقِ الْمَنْهَجِ الصُّوفِيّ

لِلإمَامِ الْعَلاَّمَةِ

سيدي نور الدين علي جمعة المصري الشافعي

شَيْخِ الطَّرِيقَةِ الصِّدِّيقِيَّةِ الشَّاذِلِيَّةِ

ملحق به

الأمانة في ترجمة الإمام العلامة

خاضها

د. موسى شومان

مقدم الطريقة الصديقية الشاذلية

المَنَاهِجُ العَلِيّةُ
لأَهْلِ الصُّوفِيّةِ

ص: ١٧×٢٤

عدد الصَّفحات: 552

رقم الإيداع:

٢٧٢١٦/٢٠٢٢م

الترقيم الدولي:

١-٣٩-٦٨٠٢-٩٧٧-٩٧٨

مراجعة وتدقيق:

د. موسى شومان

الطَّبعة الأولى

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م

التصميم الطِّباعي والاخراج الفنى:

أمين أحمد زكريا

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر

الدكتور موسى شومان/ المناهج العلية لأهل الصوفية
رحلة في أعماق المنهج الصوفي للإمام العلامة علي
جمعة محمد الشافعي المصري شيخ الطرقة الصديقية الشاذلية.
ط1-القاهرة: الوابل الصيب، 2022م.
تدمك: 1-39-6802-977-978
1-التصوف الإسلامي.
2-الطريقة الصديقية الشاذلية
3-سيدي الإمام نور الدين علي جمعة الشاذلي.

إهْـداء

إلَى مَـنْ كَانَ لِي نُـورَ الْحَيَاةِ

كَمَا هُوَ نُـورُ الدِّيـنِ وَالدُّنْيَا

إلَى شَيْخِي مُرَبِّي الأرْوَاح وَالأشْبَاح

إلَى فَقِيـهِ الْعَصْـرِ وَعَالِمِ مِصْرَ

إلَى سِرِّ الْوُصُـولِ وَبَابِ الْقَبُـولِ

الإمَـامِ الْعَلَّامَةِ سَيِّـدِي عَلي جُمْعَة

أطْمَـعُ فِي كَرَمِكُم الَّذِي عَـوَّدتَنَا

أنْ تَقْبَلَ هَـذَا الْعَمَـلَ الْمُتَوَاضِعَ

مَحَبَّـةً خَالِصَـةً وَحُبًّا مُتَـدَفِّقًا

ابنكم ومحبكم موسى شومـان



تَمْهِيد

يقولون: (المُعَاصَرَةُ حِجَاب)، فالمعاصرة بين اثنين لا تتيح لكل منهما أن يعرف الآخر كما ينبغي؛ وذلك لأن الصورة الذهنية التي تتكون عند كل واحد منهما عن الآخر تكون ناقصة، وعلى ذلك فإن الاختلاف الناشئ بين اثنين من قبيل الرأي هو اختلاف نسبي قد يتغير والموقف الذي حمل الشخص على القدح في زميله قابل للتبدل والانتهاء، وخاصة بين الفقهاء، وهذا صواب ولكن ليس على إطلاقه، فصاحب السيرة هو العَلَم، والكاتب لا يرقى حتى إلى درجة التلميذ، إلا أنه قد تربى على يد صاحب السيرة سنوات وسنوات والحمد لله أتاحت له الوقوف على الكثير مما لم يتيسر للآخرين، فنهل من أنواره ما به اشتد عوده.

فالعلاقة ليست علاقة أقران، أو أنداد، أو منافسين، حتى تكون المعاصرة حجاب، بل علاقة رحمة يظللها الحب الإلهي، متوجةً بتجريد علمي أكاديمي وثائقي واضح ومحدد اتخذه الكاتب منهجا وأسلوبا عندما اتجهت النية للكتابة عن إمامه وشيخه وأستاذه وأبيه الروحي حتى لا يجد من يريد الطعن في الكتاب والاتهام بالانحياز أي ثغرة أو سقطة أو قدر أنملة من الميل، بل كانت سيرة مسطورة Written Biography مجردة Objective لا يتدخل فيها الكاتب بآرائه الشخصية أو انطباعاته أو تجربته الأدبية، وليست سيرة تفاعلية، أو تطبيقية Biography Subjective تظهر فيها شخصية الكاتب وتفاعلاته الوجدانية والفكرية، فكانت الأمانة، رجوى عند الله ترتجى، والحمد لله رب العالمين.


الشيخ المراد الخادم
قضايا صوفية في حياة الإمام
يقينه الراسخ بالله
في حل مشاكل الأمة
مع سيدنا رسول الله ﷺ
السر في السيرة
مع آل البيت عليهم السلام
التصوف والتشيع
مشايخ مولانا ومشاربهم
مولانا في عيون أهل الله
مواقف في حياة الإمام
مولانا في عيون العالم
الحب والنشأة الصوفية
الجانب الصوفي والتجربة الوجدانية
الملامح العلمية والعملية الصوفية
التصوف علم وعمل
الإطار العام لمنهج الشيخ
علاقة عقدية أخلاقية تكاملية
منهج تربية المريدين
نصائح ووصايا الإمام
المناهج العلية لأهل الصوفية

مقدمات

مقدمة المؤلف

اعتاد التاريخ دوما أن يستقبل شخصيات ارتأت الأمم والحضارات ألا تمر عليها السنوات والأعوام والشهور والدهور والأزمان إلا ولهم في كل شخصية من هذه الشخصيات موقفا سلبيا كان أو إيجابيا، لِمَا أحدثته هذه الشخصيات من أثر في كل مفصل من مفاصل الزمان وكل منعطف من منعطفاته: نقلةً، أو وقفةً، أو عقبةً، حيث تزهو الأمم وتزدهر بهذه التجارب المتجسدة في ملامح ووجوه وعقول وأفكار عصارة تجارب حياة هؤلاء الذين حفروا وصنعوا التاريخ وأَثَّرُوا فيه.

ويتحدث التاريخ المنصف والمؤرخون العدول عن هؤلاء الأعلام في حياتهم، أو بعد انتقالهم، بما يستحقونه، فيُكْرَمُ ويُكَرَّمُ أو يُطْعَنُ فيه، والكل أمام مرآة التاريخ سواء، فالتاريخ خير صادق.

ولما كانت المُعاصَرةُ حِجَابًا على مدار التاريخ السابق -حيث لا يُعْتَدُّ بآراء المعاصرين في الأغلب الأعم طعنا أو مدحا -إلا أن العصر الحالي لا يكاد يعترف بهذه القاعدة إلى حد كبير حيث لم يعد التاريخ الحديث يرحم أحدا في نقده، أو يُهادن، فالكلُّ صارَ مكشوفًا غيرَ قادر على الصناعة والتزييف مهما أُوتِي من مهارات وقدرات، حتى صار الأعداء أكثر من يشهد لأصحاب الصفاء والنقاء وإن كانوا معهم على اختلاف.

ومن هنا جاءت التجربة الحالية بالكتابة عن واحد من أعلام العصر الحديث في مصر والعالم الإسلامي، بل والعالم قاطبة، على غير استحياء من مفهوم المعاصرة المُقَيِّد، حيث شهد الأعداء قبل الأصدقاء، وأقرَّ غير المسلمين قبل المسلمين، واعترف المفكرون قبل السطحيين، بما لهذه الشخصية من أثر إيجابي عظيم ليس فقط على المسلمين، أو الصوفيين منهم، بل على الحياة في كل عصر ومصر.

هذه الشخصية الفريدة المتفردة التي وصفها الكبار والعظماء بأوصاف ملأت الكراريس والمجلدات، هو الإمام العلامة نور الدين علي جمعة، مفتي العصر وصاحب مصر، عالي القدر، ومربي الجَمْع والفَرْد، عالم الأمة الإسلامية، ومفجر الطاقات الروحية، الذي تحقق بالشريعة، وسَبَرَ أغوار الحقيقة، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف منارة الدنيا، ومفتي الديار المصرية المشرفة السابق، وشيخ الطريقة العلية الصديقية الشاذلية.

ولما كان لكل شخصية - ممن تلتف حولهم حضارات الأمم في غير انفكاك كالدوامة -مِفتاحٌ يصنَع منها رؤية تعيد صناعة التاريخ والحضارة، نجد أن مولانا الإمام العلامة لا يقيده مفتاح، بل له مفاتيح تعمل في كل اتجاه مما يجعل الحديث عن هذه الشخصية من الصعوبة بمكان، فكيف بالثَّرَى من الثُّرَيَّا. كذلك فإن لكل مفتاح من مفاتيح شخصية مولانا أسرار وأدوار تحتاج إلى مجلدات ومجلدات لبيان بعض منها، ومن ثم صار الأمر بالفتح وسار.

فأردت أن أكتب عنه قُدِّس سرُّه باستخدام كلماته التي هي أقصر الطرق وأيسرها في التعبير عن مراداته، وفكره وآرائه، وقواعده ونظرياته، ولم يبقَ إلا وضع كل كلمة في داخل إطار يناسبها وضمن موضوع يحتويها في محاولة قاسية صعبة لتقييد أفكاره تحت عناوين محددة، فالمرونة في العنوان لمثل هذه الكلمات شيء صعب المنال.

ولقد حاول بعض الباحثين خلال العِقد الحالي الكتابة عن فضيلة مولانا، أو تناوُل بعض محاوره في رسائل علمية، أو مقالات وأبحاث، إلا أن المحاولات السابقة - بالطبع - لم تشمل إلا اليسير جدا مما كان يصبو إليه القارئ، مع الاعتراف الصريح بالعجز الواضح عن تناول فضيلة مولانا تحت أي عنوان من العناوين.

وكذلك جاءت المحاولة الحالية لتمثل أيضا قطرة من بحر مولانا الإمام وفيوضاته، في واحد من أدق وأصعب المجالات في الحديث أو التعبير عن فضيلة مولانا، ألا وهي التجربة الصوفية، وهو ما يحاول هذا البحث أن يتلمس بعض المفاتيح في منهج هذا المتفرد والذي لمسه المؤلف خلال رحلة طويلة من الأعوام تحت ظلال هذا العالم الرباني، عسى أن يكون هذا الإصدار لبنة في تَجْلِيَةِ بعض محاور منهج الإمام العلامة في التصوف، والذي يتطور بصورة ربانية ملحوظة، كلما عشتها تَلَمَّسْت عمقها، وعجزت عن سبر أغوارها، وكذلك أحببتها وعشقتها، فهو دائم التجدد والتجديد مع الحفاظ على الأصول والتقاليد، في نسق عجيب، فعندما تراه لا تملك إلا أنك تقول: رأيتُ رجلا من الصدر الأول بلباس عصري مُتْقِن، يُمسِك بالزمام الحديث الجديد من غير انفلات للتراث المجيد، جمعا بين الأصالة والمعاصرة.

وحتى لا يطول المقام، فالكلام عن مولانا لا يفي بحقه، ولا عُشر معشار حقه، نعرض لجوهر بحثنا الحالي، حيث جاء الاسم العام تحت عنوان: (**الْمَنَاهِجُ الْعَلِيَّةُ لأَهْلِ الصُّوفِيَّةِ**)، ثم خُصِّص بالإشارة إلى الغرض الدقيق منه تحت عنوان: (**رِحْلَةٌ فِي أَعْمَاقِ الْمَنْهَجِ الصُّوفِيّ للإِمامِ الْعَلاَّمَةِ**)، فمنهج الإمام عليّ عليٌّ[1].

وهو منهج يُصْلِح كل صوفي، ويَصْلُح لكل ربانِيّ، فيشمل كل محمدي، إلا أن المريد الذي يريد أن يرتقي في مدارج العبودية عند رب البرية، عليه أن يرتحل من دنياه ويتعرف إلى نفس الأمر بعمق كافٍ من أعماق الروح والسِّر، فَمن ذاق عرَف.

ويتكون المؤَلَّف الذي بين أيدينا من خمسة كتب، وخاتمة:

---

(1) فمنهج الإمام عليٍّ (علي جمعة) عليٌّ (من العلو).

أما الكتاب الأول: فيحتوي على نظرة عامة على مجموعة من محاور حياة هذا الإمام، بعد مقدمة تأخذ بيد القارئ إلى مراد البحث من رحلته في أعماق منهج الإمام.

وجاء الكتاب الثاني في بابين:

الأول: يلقي الضوء على الإطار العام لمنهج الشيخ، مستوضحا العلاقة العَقَدِيَّة الأخلاقية، والتربية التكاملية الجامعة، وصولا إلى نشأة الطريقة الصديقية وعلاقتها بالطرق الأخرى ومبينا لأهدافها وأصولها، والإشارة إلى عالمية منهج الشيخ ودعوته الربانية، مما يستدعي إلقاء الضوء على ملامح المشروع العليّ لإحياء القلب الصوفي، كمقدمة للباب الثاني.

والثاني: يكشف عن بعض المناهج التربوية عند الإمام، واستخلاص مجموعة من نصائحه ووصاياه، كخطوة مهمة نحو **الكتاب الثالث**.

أما الكتاب الثالث : فيتلمس على استحياء ما تيسر من الجانب الصوفي في حياة مولانا، كتجربة وجدانية بنشأة صوفية روحية، مغلفة بالحب، مستجلِبة لمجموعة من الإشراقات والمبشرات والكرامات وكيفية التعامل معها، من غير إخلال بالمبادئ الصوفية العميقة، جنبا إلى جنب، مع بيان كيف أن منهج الإمام يعتمد التصوف كعلم وعمل، في خصوصية من المصطلحات كشأن أي فن، وارتباط ذلك بالتكنولوجيا ومتغيرات العصر والوعي الجمعي وأثر ذلك على المريد ودقائق الذكر والفكر واضعا أصول التعامل وأسسها مع المُجَرَّبَاتِ، وتصوف الفتن، والفوائد، وثمرة علاج النفوس.

أما الكتاب الرابع: فعبارة عن مبحث دقيق عميق عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وآل بيته الكرام في حياة مولانا الإمام، وكيف يتناول مولانا الإمام

السيرة، والكشف، والصلاة على سيدنا، ومحبته، ودلائلها، في إضافة علمية روحية عن مذهب مولانا الإمام في علاقة التصوف بآل البيت، ودوره في التقريب بين الشيعة وأهل السنة والجماعة مع الاحتفاظ بكون التصوف لا علاقة له بالتشيع.

ثم أتى **الكتاب الخامس**: ببيان بعض القضايا الصوفية الدقيقة في حياة مولانا الإمام، كان صالحا لأن يكون **مسك الختام**، فتعرضت فيه للمحة سريعة عن يقينه الراسخ بالله في حل مشاكل الأمة، في غير إهمال لمكونات السير في الطريق وملامحه ومعالمه، والتي تنبثق من كون فضيلته مرادا لا مريدا يحمل هموم الأمة تشرفا بخدمة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم، ومما يتطلب كشف بعض جوانب همة الشيخ وعزيمته شارحا معنى القلوب الضارعة، والتفصيل في موضع التصوف الفلسفي.

وحتى لا نترك الأمر من غير **نهاية مناسبة للبحث**، اقتضى الأمر الحديث عن تراجم بعض المشايخ الذين اجتمع بهم مولانا الإمام وأخذ عنهم، وكذلك بعض كلمات من أبناء مولانا من كل مكان، وبعض الآراء والكلمات التي قيلت عن فضيلته من مشاهير العالم، بالإضافة إلى بعض المواقف المختارة من حياة مولانا والتي تعبر بصدق عن منهجه الصوفي الصافي في الحياة، وإلقاء الضوء على مجموعة محدودة من كراماته، ختاما بترجمة مختصرة لمولانا الإمام العلامة بعنوان **(الأمانة في ترجمة الإمام العلامة)** تمهيدا لإصدار مجموعة كاملة متخصصة عن مولانا في كافة المجالات مثل : الإمام أصوليا، والإمام فقيها، مولانا مفسرا، مولانا محدثا، مولانا أديبا، مولانا فيلسوفا، مولانا مربيا، وغير ذلك، والله ولي التوفيق.

منهج الدراسة

يشير مصطلح المنهج إلى طريقة البحث، والخطة المرسومة المنظمة لمعالجة مسألة أو أكثر للوصول إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، وبشكل أكثر دقة: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

والمنهج من مكونات العقل المسلم، فهو الطريق الذي يوصل إلى الله، ولذلك قال فضيلة مولانا الإمام العلامة: «المنهج هو رؤية كلية ينبثق عنها نظام».

وتتعدد أنواع وأقسام المناهج المستخدمة في الدراسات البحثية، حتى أصبح من الضروري على الباحث في قضية ما، أو مسألة بعينها أن يعلن ويبين للقارئ المنهج الذي اتخذه واتبعه في هذه الدراسة.

والمتأمل في أقسام مناهج البحث يمكن أن يتفق مع اختيار الدراسة الحالية لمنهجها في كونه منهجا تكامليا يأخذ من أكثر من منهج من المناهج المتعارف عليها مثل المنهج الوصفي، والاستقرائي، والتحليلي، بصفة أساسية، بالإضافة إلى المنهج المقارن، والتاريخي بصورة تكميلية، وذلك على النحو الآتي:

* المنهج الوصفي: بدراسة واستقراء الظاهرة كما توجد في الواقع، وهي ما يقصده البحث الحالي في بيان منهج مولانا الإمام العلامة الدكتور علي جمعة في التصوف، أو بمعنى آخر المنهج الصوفي للشيخ علي جمعة، مع وصفه بالعقل والموضوعية والتعبير عنه كيفيا أو كميا، قدر الإمكان. فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها، أما التعبير الكمي فيعطيها وصفا رقميا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها أو درجة ارتباطها

مع الظواهر الأخرى. وهذا يعني الوقوف على التفاصيل الواقعية والملابسات الظاهرية المحددة لمنهج الشيخ، وذلك بوصف ما هو كائن، وجمع البيانات عنه، وعرض جميع الآراء التي ذكرها أهل التخصص في هذا الموضوع أو المسائل، حتى يمكن ترجيح رأي على آخر. كما يهتم بتحديد الممارسات الشائعة أو السائدة في هذا المنهج والتعرف على معتقداته، وطرق نموها وتطورها، وتحديد العلاقات بين الوقائع المختلفة إثباتا ونفيا لعناصر هذا المنهج. ومن وسائله وأدواته صحائف الاستبيان وأسلوب الاستقصاء، والمقابلات لأفراد المجتمع محل الدراسة، أو لعينات عشوائية أو مختارة منه على أسس علمية تختلف من تخصص لآخر.

* المنهج الاستقرائي: بعرض وتتبع كافة ما ورد عن الشيخ (على قدر الإمكان)، ثم اختيار بعض الجزئيات لدراستها تفصيليا والوصول منها إلى حكم عام ينطبق عليها وعلى غيرها (مثل كتاب فضيلته: محاضرات في الفقه الصوفي للأحكام). ويضاف إلى ذلك ما كتبه الباحثون عن فضيلته، حيث جاءت بعض الدراسات عن سيرته وانتصاراته للتصوف السني المعتدل مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الدراسات لم تنزل إلى بحر هذا المنهج، فلم نتعرف عليه، أو تصفه، ولكنها تساعد في بعض الظواهر المساعدة.

* المنهج التحليلي: وذلك بعزل عناصر الشيء الواحد بعضها عن بعض حتى يمكن إدراكه بوضوح، بمعنى عرض أقوال ومواقف مولانا الإمام العلامة في مناسبات مختلفة وتحليلها واستخلاص الرابط الجامع لها والموضح لإطار منهجه الفكري الصوفي.

* ويمكن إضافة (المنهج المُقارِن) على استحياء للتطرق لوضع مولانا على المستوى الصوفي المحلي والإقليمي والدولي بصفته شخصيا، أو على مستوى الطريقة بوصفه شيخا للطريقة الصديقية الشاذِلية.

* وكذلك إضافة (المنهج التاريخي)، وذلك لتتبع أطوار منهج الإمام العلامة الصوفي، وبخاصة قبل إشهار طريقته الرسمية، وبعدها، أخذا في الاعتبار أنه حتى الآن لم يعلن مولانا الإمام العلامة صراحة عن تفاصيل منهجه في التصوف، فهو بحر زاخر من صدق التوجه إلى الله، تجسيدا لكون التصوف فقه المعرفة بالله.

وختاما لابد من الإشارة إلى أمرين دقيقين:

الأول: هو ما يحرص عليه كل باحث عند تقديمه العمل للمجتمع الإنساني والعلمي والأكاديمي، ألا وهو تفصيل المراجع، والتخريج، والعزو، وما إلى ذلك من فنون الصنعة البحثية، إلا أن الدراسة الحالية أخذت اتجاها آخرا، بالاختصار قدر الإمكان في هذا المضمار، فجُل ما ورد في هذه الدراسة إنما هو مما صدر عن فضيلة مولانا الإمام العلامة، إما مكتوبا، أو مسموعا، أو مشاهَدا، في تنوع فريد، وما كان جهد البحث إلا في أقل القليل، والترتيب والتنسيق مساعدة على وصول الفكرة إلى القارئ ببعض التصرف اليسير.

الثاني: هو الارتكاز في الكلام على النصوص الواردة عن فضيلته مباشرة وبخاصة في دروسه الأخيرة بعد إنشاء طريقته العلية وبشكل أكثر تحديدا: الدروس الشاذلية، وطريقنا، ورب لترضى (جزأين)، وبرنامج والله أعلم، وبرنامج من مصر، وغيرها من دروسه وبرامجه على الميديا بأنواعها، والمرفوعة على شبكة الانترنت، ويتم بيان ذلك في أثناء البحث بكل سهولة ويسر، باستخدام لفظ القول نقلا عن فضيلة مولانا الإمام العلامة، وغير ذلك إنما تم نقله بتصرف يسير بيانا لفهم الباحث لكلام فضيلة مولانا، أو اختصارا له حتى لا يطول المقام، أو استنباطا لمفاهيم أرساها فضيلته، وغير ذلك مما يتصرف فيه الباحثون كعادتهم، وعلى من يطلب تفصيل المراجع، وما

يتعلق بها، مراجعتها في مظانها من إنتاج مولانا الإمام العلامة، والله ولي التوفيق.

وختاما: ما كان في هذا البحث من كمال فهو من توفيق الله تعالى ومدد سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وبركات شيخنا وإمامنا، وما كان فيه من تقصير فهو من أنفسنا، وعدم درايتنا بحقيقة مولانا الإمام، ومرة أخرى أين الثرى من الثريا.

ونسأل المولى جل في علاه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، ثم تعبيرا عن حبنا لمولانا وشيخنا الإمام العلامة سيدي نور الدين علي جمعة.

القاهرة في: أكتوبر 2020

د. موسى محمود شومان

الكتاب الأول
محاور من حياة الإمام

الكتاب الأول
محاور في حياة الإمام

المحور الأول:

- نظرة عامة على مجموعة من محاور حياة هذا الإمام

المحور الثاني:

- مقدمة تأخذ بيد القارئ إلى مراد البحث من رحلته في أعماق منهج الإمام

الكتاب الأول

للتصوف ثوابت دينية راسخة في التاريخ تنطلق من مقام الإحسان، فهو مقيد بالكتاب والسنة، مرتكز على تجارب الصالحين المتواترة، وهذه الثوابت نتداول اليوم أيضا لدى العامة، إلا أن التغبيش الحاصل على مدار التاريخ قد أثر تأثيرا بالغا على الأمة الإسلامية وجعل الناس في بعض الأزمنة والأماكن تستحي حتى من كلمة التصوف، بل وتحاول استخدام كلمة غيرها في مفرداتهم اليومية.

ولقد تعرض التصوف السُنِّي الذي يقوم على التمسك بالكتاب والسنة طريقا وسلوكا إلى هجمة شرسة من النابتة خلال قرن من الزمان في محاولة شرسة لهدم مقام الإحسان الذي بينه سيدنا رسول الله ﷺ في حديث الصحيحين: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، فهبّ علماء التصوف وشيوخه الأجلاء كلٌ يسعى على قدر جهده للتصدي لهذه الهجمة الشرسة، في تكامل وتنوع بين هؤلاء الأشياخ كلٌ في مجاله، وبما يناسب البيئة التي يتواجد فيها، فنجح هؤلاء العلماء كل في مجاله.

حتى إذا ما استفحل الأمر، وبانت خطط النابتة ومراوغاتهم الفجة لهدم التصوف بصورة كاملة شاملة، استلزم الأمر ظهور قطب زمانه، ومجدد عصره، وعالم العلماء، وشيخ الشيوخ، لِصَد هذا الهجوم الشامل، فهو شيخ الإسلام، ومفتي الديار، وحامي الذِّمار[1]، الإمام العلامة سيدي نور الدين علي جمعة عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، ومفتي الديار المصرية السابق، وشيخ الطريقة العلية الصديقية الشاذلية للذَّوْدِ عن التصوف، بل عن الدين، فالتصوف ما هو إلا جوهر الدين، فجمع الله تعالى له

---

(1) الذِّمار : ما ينبغي حياطَتُه والذَّوْدُ عنه، كالأهل والعِرْض. ويقال: هو حامي الذِّمار .(المعجم الوسيط). [ذ م ر]

جملة من علوم الدين والدنيا، انصهرت في قلبه، وشربت منها روحه، على أيدي مشايخه وأساتذته، فكان أنموذجا فريدا لعالم متكامل قادر على التعامل مع أي مستوى من مستويات النابتة، وخرافاتهم وبغضهم وزيفهم.

ولعل أبرز ما يقال في هذا سنده في التصوف، الذي كان على يد العالم المجتهد الأصولي إمام زمانه السيد أبي الفضل عبد الله بن الصديق الغماري، والعالم التقي النقي الورع المحدِّث مجدد التصوف سيدي الإمام الرائد محمد زكي إبراهيم رائد ومؤسس العشيرة المحمدية، الشاعر المثقف والمفكر، أحد قِلاع الذَّوْدِ عن التصوف، وسيدي العلامة الحسيب النسيب الدكتور حسن عباس زكي عضو مجمع البحوث الإسلامية، وعالم الاقتصاد الفذ، ووزير الاقتصاد الأسبق ومنفذ قرار تأميم قناة السويس، وكأنّ الله تعالى جمع له من هذه الأسانيد الثلاثة مشربا وطريقا خاصا متكاملا، إذا ما أضيف إليه ما ورثه من حال شيخه سيدي الشيخ أحمد مرسي (الذي كان أحد الرجال السبعة للشيخ محمد أمين البغدادي النقشبندي)، والذي كان بمثابة رُمَّانَة ميزانِ الطبقات الراقية في عصره، وكان وجوده حافظا وعاصما لكثير منهم من الكفر، وغير ذلك من الأقطاب الربانيين تفاعلا معهم كان سببا في نورانية خاصة وُضِعت في سرّ مولانا الإمام العلامة، فظهر على وجهه فكان من الّذِينَ إذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللّهُ، وقالوا: (الله).

وهذه الكوكبة التي تربى الشيخ علي جمعة في أحضانها، جنبا إلى جنب مع أساتذته الأعلام في العلوم الشرعية والمحاسبية والاقتصادية، وغيرها يراها العارفون حافظةً لقلبه من الزيغ، وعاصمة لعقله من الشطط، وممسكة عليه لسانه إلا بالخير.

ومن هنا جاء هذا البحث ليلقي الضوء على هذا الشيخ الجليل في محاولة للتعرف على بعض الجوانب الموجزة للمنهج الذي اتخذه فضيلته في تصوفه مقيدا بالكتاب

والسنة، ومطبقا واعيا لتجارب الصالحين من قبله، عسى أن يكون هذا البحث نواة صالحة لما ينبغي أن يعرفه الناس عن منهج هذا العلامة الأستاذ الدكتور علي جمعة محمد الشافعي الأزهري الأشعري الصِدِّيقِيّ الشاذِلِيّ المصري، في قناعة تامة لكل من ساهم في هذا الكتاب أنه لم يقدم ولو عشر معشار حقيقة فضيلة مولانا الإمام العلامة، أو أن يصل إلى مقدار حبة من منهجه، فسبحان من ستر سِرَّ الخصوصية بظهور البشرية، وقد قسمت هذا الكتاب إلى محورين:

الأول: نظرة عامة على مجموعة من محاور حياة هذا الإمام.

الثاني: مقدمة تأخذ بيد القارئ إلى مراد البحث من رحلته في أعماق منهج الإمام.

المحور الأول: نظرة عامة على مجموعة من محاور حياة هذا الإمام

بزغ نجم الإمام العلامة منذ عقود، قبل وبعد التحاقه بالأزهر الشريف عام 1979م، ولم يكن ذلك بعيدا عن أعين الكبار في ذلك العصر من علماء الدين جنبا إلى جنب مع العلوم الأخرى غير الشرعية، مثل الشيخ المجتهد عبد الله بن الصديق الغماري (وكان يحفظ أكثر من خمسين ألف حديث بأسانيدها)، والشيخ العارف بالله أحمد مرسي النقشبندي (من تلامذة الولي محمد أمين البغدادي النقشبندي)، والشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة، والشيخ الأصولي أبو النور زُهير، والشيخ جاد الحق، والشيخ جاد الرب رمضان (الشافعي الصغير، وعميد كلية الشريعة والقانون بالقاهرة)، والشيخ العارف بالله محمد الحافظ التيجاني، والشيخ إسماعيل صادق العدوي، والشيخ محمد علوي المالكي، والشيخ صالح الجعفري، والشيخ أحمد حمادة، والإمام الرائد محمد زكي إبراهيم مؤسس العشيرة المحمدية، والشيخ عبد العزيز الزيات شيخ قراء العصر، والشيخ محمد إسماعيل الهمداني من أئمة القراءات، والشيخ الحسيني يوسف الشيخ، وكبار علماء الاقتصاد والمحاسبة كالدكتور عيسى إبراهيم، والدكتور علي لطفي، والدكتور يحيي عويس، والدكتور الجزيري، والقانونيين مثل الدكتور سامي مذكور، والدكتور حسين النوري، وعلماء الإدارة مثل الدكتور ماهر عليش، وعلماء الرياضيات العليا كالدكتور فتحي محمد علي، وغيرهم الكثير والكثير، حيث شاهدوا بأعينهم ثمرتهم تنمو وتنضج بين أحضان الشريعة والحقيقة، وتَدرُّجَهُ في الشهادات العلمية من ماجستير (عام 1985)، ودكتوراه (عام 1988)، ومَنْحَهُ الدكتوراه الفخرية من جهات عالمية عديدة، مثل ليفربول (عام 2011، باعتباره أحد أهم الشخصيات العالمية في نشر

التسامح والتفاهم بين الأديان على مستوى العالم)، وجامعة أسيوط (عام 2012)، وجامعة بني سويف (عام 2012)، إلى أن تم اختياره ضمن أكثر خمسين شخصية مسلمة تأثيرًا في العالم لأعوام متتالية عديدة منذ 2009 وحتى تاريخ تسطير هذا الكتاب حسب تقييم المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية بعمّان في الأردن)، وتقلده العديد من المناصب التي يصعب حصرها، والتي كان تاجها مفتي الديار المصرية التي سجلت إنجازات لفضيلته لم يسبقه إليها أحد قبله، وعضو هيئة كبار العلماء، ورئيس مجلس أمناء مصر الخير، ومشاركته في عشرات الأنشطة الاجتماعية وإنشاء المؤسسات، وكذلك المشاركة الإعلامية حيث سخّر وقته لنشر القيم والأخلاق والدين الوسطي بما يزيد عن أكثر من 3000 ساعة تسجيل.

وشاهد العالم بأسره إشرافه على عشرات الرسائل العلمية، ومناقشته لها، والإشراف على إعداد وإنتاج الموسوعات، وإسهاماته العلمية في شتى المجالات بعشرات المؤلفات والأبحاث، والمشاركة في تحرير المجلات العلمية، والاشتراك في وضع مناهج العديد من الكليات في مصر وخارجها، ومشاركته في عشرات المؤتمرات العلمية، إلى أن جاءت دُرَّةُ التاج حيث قام بإحياء دروس العلم في الجامع الأزهر على الطريقة القديمة (المشيخية)، وأن كل هذا كان يرتكز في كل تفاصيله على المنهج الأزهري، حيث يفرق فضيلة مولانا بين علم الدين، وبين التدين، ويقول فضيلته إن من أراد العلم الديني فلابد له من أن يذهب إلى الأزهر أي يسلك المنهج العلمي الأكاديمي الأزهري، فإن المستشار مؤتمن، وإلا سوف يكون خائنا إذا سلك غير هذا الطريق، نعم سيكون خائنا من لم يدخل بطريقة علمية صحيحة أكاديمية كما يقولون؛ فلابد من الذهاب إلى طريق العلم الشرعي الشريف.

وما يوضح الجانب التطبيقي لهذا المنهج الفكري لمولانا أنه جمع بين أصالة الفكر ومعاصرة الواقع والموازنة فيما بينهما بما لا يخل بالثوابت والقيم، وساعد على ذلك عقليته التحليلية ومنهجه العلمي في فهم أصول التراث وتحليله ثم الرؤية الدقيقة لتفاصيل الواقع المعيش ليكون بعد ذلك الاجتهاد وفق معايير محددة. والمُتابع لمدرسته الفكرية المعاصرة يجد أنه مفكرٌ منهجي وأن منهجه لا يقف عند حدود العلوم الشرعية والإفتاء، بل يتجاوز إلى مرتبة الإحسان، وعلوم التصوف، ومعايشته جمعا بين النص والواقع، وبين الوحي والكون.

ومن فضل الله تعالى على الإمام العلامة أن نال العديد من الجوائز، والأوسمة، والتكريم من مختلف الجهات المحلية والعالمية.

ولم يقف الإمام العلامة على هذا الحد بل تجاوزه إلى الدعوة إلى التجديد في العديد من القضايا، حتى أشادت به العديد من الجهات العالمية، وزار العديد من دول العالم شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا، وحصل على أعلى الأسانيد في العلوم الشرعية وإجازات من أفاضل العلماء في العلوم الشرعية في الفقه والحديث والأصول وعلوم العربية، وصارت قريحته قادرة بوضوح على توليد العلوم، وتنظير المناهج وتشغيلها، حتى وصفه مشايخه وأساتذته وشيوخه، وكذلك علماء العالم، فقالوا:

- مجدد العصر.
- فقيه العصر وصاحب مصر.
- عالم متبحر في شتى مسائل العلم بالله وبرسوله الكريم، وهو فقيه العصر ومفتي كنانة الله في أرضه مصر، الذي استكمل كل دروب العلم والحكمة.
- الإمام العلامة الحبر البحر الفهامة مفتي الثقلين وصاحب البحرين - بحر

الشريعة وبحر الحقيقة.

- شخصية لها وجاهتها واحترامها ليس فقط في بلده مصر، ولكن كذلك في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي، إنه حقًّا رجل القرن ال 21، لأنه يحترم العلم والمنطق، ولا يحيد عن الأصول الإسلامية الصحيحة، فهو يمزج بين الإيمان والعلم والأخذ بالأسباب والمبادئ الإنسانية التي تساعد جنبًا إلى جنب، في تحقيق الأمان في الأمة الإسلامية والعالم أجمع، وبناء مستقبلهما المشترك.
- الدكتور علي جمعة ظاهرة إنسانية مهمة في حياتنا، تستحق المتابعة.
- يمتاز بالتسامح والوعي الاجتماعي على المستوى الإنساني.
- مؤمن بأن الفتاوى هي مصدر مهم للباحثين في علم الاجتماع، وحوّلها لوسيط إلكتروني، وهو أمر يحدث في المكتبات الكبرى في العالم.
- إحدى الشخصيات النادرة التي تظهر في التاريخ على فترات متباعدة، وأن مصر في مرحلة تحتاج لمثله، فهو يفتي عن علم وعمق يقرِّب لا يُبعد، يوحِّد لا يفرق.
- التاريخ يشهد له والكل يشهد برجاحة العقل والعمل والحرص المستمر على التطوير لدار الإفتاء.
- من نجباء مصر، نعتز به كثيرا، ونرشد الشباب إلى الالتزام بالشيخ علي جمعة كمرشد ومُرَبٍ.
- روى عن شيوخه وقاموا بالرواية عنه، وهي أعظم من شهادة العالمية التي نالها بجدارة.
- قلمُه أفضل من قلمي (الشيخ جاد الرب رمضان).
- قِبلنا الإجازة منك (الشيخ عبد الفتاح أبو غدة).

- الشيخ علي أمّة وحده.
- من نجباء مصر.
- الشيخ الوالد.
- عالم فاضل، كريم الخُلُق.
- هو المفتي الحكيم.
- لو كان الأمر بيدي لأعطيته الأستاذية من مناقشته في أثناء الدرس بالأزهر (الشيخ عبد الجليل القرنشاوي).
- كرّس نفسه للصالح العام، ليس للمسلمين فحسب، ولكن لجميع الإنسانية.
- قيادة دينية لها قبول في العالم أجمع، ويملك قدرات وإمكانيات هائلة للتواصل مع العالم.
- يعمل في صمت مع كتيبة واعية من الشباب والشيوخ.
- قام برصد لواقع المشكلات والتحديات التي تواجه الدولة وأجهزتها التنفيذية، بل ولأوجه تقصير الدولة ووزاراتها، وبدلا من الاكتفاء بنشر تقارير الرصد جعل منها قاعدة بيانات ليصيغ استراتيجيات وخططا قابلة للتنفيذ لرد كل حق مُنتَهَك وتعويض كل تقصير مُتعمّد أو بسبب ضيق ذات يد الحكومة.
- سماحة الشيخ علي جمعة مظهرٌ لسيرة المصطفى ﷺ في أخلاقه وعلمه ودعوته إلى الله ومحاربته البدع واجتناب ما حرّم الله سبحانه وتعالى، وإنه لمرشد عزيزٌ في هذا العصر.
- مجلس فضيلة الدكتور العلامة علي جمعة هو مجلس يشهده أهل السماء قبل أهل الأرض، وهو مجلس متصل بالسند المتصل بذلكم المجلس الذي كان صَدْرُه سيدنا رسول الله ﷺ وكان حُضّارُه سادتنا الصحابة، ونحن في الزمان الذي

نقول فيه: هل هناك من رأى من رأى من رأى سيدنا رسول الله ﷺ؟ والحمد لله أن وجدنا شيخنا د. علي جمعة، بمجلسه الذي هو مدده من الشيخ الأعلى الذي هو حضرة المصطفى ﷺ.

والقارئ لإنتاج مولانا في المجالات كافة، والمُجالِسُ له، والمُشاهِدُ لمواقفه، والمستمع لكلماته، يجد فيه شخصية متقدة متفتحة نبيلة، إنه صاحب همة عالية في كل المجالات، وأنشطة واسعة وخبرة تامة، يأخذ بزمام الأمور، وينفض العلم نفضا كالبحر لما حباه الله تعالى من عقل واسع، وقريحة وقّادة، وذكاء وفطنة، بالإضافة إلى كونه معلِّما وقدوة، ومربيا مخلصا، وأستاذا مفيدا، من الأعْلَام التي يندر أن يأتي بمثلها الزمان، فشهد له مشايخه، ومعاصروه، وأقروا بفضله، حتى قال عنه شيخه السيد عبد الله بن الصديق الغماري: (الشيخ علي أمة وحده، ومات من مات من شيوخ الوقت ممن أدركتُهم وهم عنه راضون، وهذا من علامات التوفيق)، ففضيلة مولانا الإمام العلامة هو خلاصة ما وصل إليه أهل الله الذين سبقوه وثمرات أعمار طويلة تراكمت مع من كان قبلهم لتجتمع فيما أخذه عنهم، فربط الأخذ العلمي بمسلك في التزكية، وأخذ مشربا في التزكية عن المربين المرشدين ليمتزج نور الإقبال على الله مع نور العلم في ذاته وفي نفسه.

ويمكن لمن غاص في بحره يريد استخراج درره، أن يكتشف أن هذه الحصيلة إنما هي وهبية وكسبية، فهي منحة إلهية استودعها قلب هذا الإنسان، فقام برعايتها، وحفظها، ورأى أنه من واجبه ليس فقط العمل بها، وإنما تنميتها، فكان يرى دوما أهمية الأخذ بنصيب وافر من تلك الأنواع من العلوم باحثا دوما عن الحق الذي يطلبه، فعمل على الاطلاع الواسع، واكتساب المعرفة التامة والملكة الواسعة العامرة بغرائب

المصنفات والثقافات، وعجائب المؤلفات، التي تقدر بالآلاف، والإلمام بالاقتصاد والفكر المعاصر والفلسفة والمناهج الفكرية المختلفة، فجاءه الطلاب من كل حدب وصوب ينهلون من علومه.

كل ما سبق وأكثر منه بكثير جدا يشرح وبوضوح خطوات الإمام العلامة والتي تدرجت في شتى العلوم والقضايا على الجانب العلمي، والذي لم يكن يسير فيه كطريق منفرد أوحد، بل تزاوج معه في لُحمة ظاهرة مع جانب الحقيقة، مطبقا لمقام الإحسان، الذي هو التصوف، والمعبر عنه بالتقوى، والتزكية، حيث سلك الإمام العلامة طريق التصوف على أيدي العديد من مشايخ الحقيقة، متضلعا من هذا المعين الذي لا ينضب، فكانت كوكبة المشايخ التي قامت على تربيته في الطريق إلى الله عز وجل من أجل المشايخ وأعرفهم بالله، في وقت عز فيه الرجال، فصارت له تجربته الخاصة الفريدة في التصوف، حتى بات علما من أعلام التصوف، صاحب طريقة خاصة، له تجربة ذوقية متفردة، حيث انتقل وترقى في مدارج العبودية لله تعالى حتى أجمع صوفية عصره على أنه قطب زمانه، وهذا هو جوهر هذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ الكريم، فهيا بنا نحاول الغوص في أعماق هذه التجربة الجريئة عسى أن ننهل منها نهلة مباركة تصحح لنا الطريق، وتكشف لنا من الأسرار ما يتطلع إليه كل صوفي مخلص محب لسيدنا النبي ﷺ ولورثته المحمديين، وإن كنا على ثقة من أن ما أمكن الاطلاع عليه من منهج الإمام إنما هو ومضة بسيطة ولمحة يسيرة من هذا المنهج الكبير والعميق الذي يعجز المرء عن إدراك كافة جوانبه أو محاوره، ولذلك اتسعت حقيقته فضاقت العبارات عن التعبير، وكان العجز واضحا في كلماتنا التي سطرناها في الدراسة الحالية التي بين يديك أيها القارئ الكريم.

ويقول فضيلة مولانا عن رحلته الأزهرية في واحد من اللقاءات التليفزيونية التي تم تسجيلها مع فضيلته:

«أنا أزهري حتى النخاع، فلقد جمعت بين دراستين من أولها إلى آخرها والحمد لله رب العالمين على هذا التوفيق. أكرمني الله ومَكَّنِي من معرفة عدد كبير جدا من المشايخ، كثير جدا من إخواننا الحاليين لا يعرفونهم. كذلك تعلمت الكثير من العلوم فقرأت على المشايخ وزاحمتهم بالرُّكَبِ كثيرا جدا، وغيري لم تُتَح لهم هذه الفرصة ولم تُتَح لهم هذه التهيئة، فأنا أزهري لدرجة أنني عشقت الأزهر والمشايخ واللباس وغير ذلك منذ زمان، وهيأ الله لي هذا وأنا لا أدعي حولا ولا قوة لي. فمثلا فضيلة الإمام الأكبر الشيخ سيد طنطاوي دخل الأزهر وهو يبلغ من العمر ١٦ عاما وأنا دخلت ولي ٢١ عاما ومعي بكالوريوس تجارة، ولذلك فإن عدد السنين التي قضاها في الأزهر لو مدَّ الله في عمري إلى عمره أكون مساويا له. وأيضا كان لدينا الدكتور محمد الهواري رئيس قسم الفقه، أصغر رئيس قسم، دخل الأزهر وهو ابن ١٦ أو ١٧ سنة وكانوا يمضون السنوات السابقة في حفظ القرآن، وهذا الذي حدث معي ولكني أخذت التعليم من الابتدائية، إلا أنني عرفتِ كل عمود. عرفت كل شيخ من أجيالنا والأجيال السابقة والأجيال السابقة عليها إلى منتهى تاريخ الأزهر، حيث قرأت في الأزهر ١٥٠ كتابا، ولا أعتقد أن بعض الناس يدرك هذه المعلومة أن الأزهر به ١٥٠ كتابا مطبوعة في تاريخ الأزهر بأروقته وطريقة تدريسه، وكيف كانت، وهكذا إلى آخره والحمد لله مَنَّ الله عليّ بهذا الحفظ ومَنَّ عليّ بهذا التوفيق، ومَنَّ الله عليَّ بصحبة المشايخ؛ فلقد صاحبت الشيخ الحسيني الشيخ والد الشيخ عبد الفتاح، وصاحبتُ الشيخ جاد الرب رمضان ولي علاقة إلى الآن مع أسرته، وصاحبت الشيخ

محمد أبو النور زهير، الذي أملي من ذهنه ٤ مجلدات في أصول الفقه كحاشية على شرح الإسنوي على المنهاج فقرأتها كلها عليه وأجازني بها وأجازني بالتدريس، وصاحبت مصاحبه تامة الشيخ أحمد مرسي لمدة ثلاث سنوات....؛

فالأزهر منهج، والأزهر عقلية، والأزهر نفسية، والأزهري شخصية معينة. ولن تكون أزهريا إلا إذا تلبست بهذه العقلية وتلك النفسية. وهذه والحمد لله مَنَّ الله عليّ بها فشبعت وتشبعت بالعقلية الأزهرية وبالنفسية الأزهرية وبالشخصية الأزهرية. وهنا أقول لمن يظن أني غير أزهري: هذا الأزهر الذي هو جامع عريق وجامعة عريقة كيف يقبل إنسانا لم ينتمِ إليه ثم يضعه في مصافِّ الناجحين، ثم يعطيه التخصص والدكتوراه، ثم تتم ترقيته، وتعيينه مدرسًا ثم أستاذًا مساعدًا ثم أستاذًا للكرسي، ثم يقوم الأزاهرة باختياره ليكون مفتيا للديار! هذا شيء مضحك، وهذا شيء يحاولون به الشخصنة. شخصٌ لا يعرف شيئا ولا يعرفني ولا يعرف الواقع ثم يقول إني لست أزهريا بهذا الشكل! بل أنا أزهري للنخاع».

وختاما لهذا التمهيد نورد فقرة مما كتبه فضيلة مولانا الإمام العلامة، حيث يقول:

«مَنّ الله عليَّ فدَرَستُ من علوم الدنيا والواقع، ثم سافرت عبر الأرض في كل الدول، وشاركت في المؤتمرات والندوات، ودَرّست علوم الشريعة والقانون والاقتصاد، وناقشت أكثر من مئة رسالة علمية، وساهمت في بناء المؤسسات والجامعات، وتوليت المناصب كأستاذ جامعي وعضو لجنة الفتوى وعضو مجمع البحوث الإسلامية وعضو مجمع الفقه التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي ثم مفتيًا للديار المصرية. لقد درستُ في الأزهر الشريف وزاحمت المشايخ بالرّكب حتى عرفت كلّ عمود وكلّ شيخ فيه فأنا أزهريّ حتى النخاع، ومن هذه الرحلة ترسَّخ في نفسي:

1- احترام التراث، وتولد في يقيني نظرية واجب الوقت، وأن السلف الصالح قد بذلوا مجهودهم لحافظوا على الإسلام بتوفيق الله، وبنوا حضارة كبيرة ولابد أن نقوم بواجبنا كما قاموا.

2- احترام الزمان، وأنه دائم التغير، كما ذكرت في كتابي «المدخل»، وأن الاتصالات والمواصلات والتقنيات الحديثة غيرت البرنامج اليومي للإنسان، ولم يعد يعيش أمسه في يومه ولا يومه في غده، فهو إذن يتعامل مع نسبي غاية في النسبية.

3- وإدراك أن الإسلام دين عالمي ودعوة شاملة، وعلى ذلك فلابد من تقديمه بصورته الحقيقية إلى العالم، ولا نكون حائلًا بين الناس والخالق، ولا نكون بسوء فِعالنا وأقوالنا صادين عن سبيل الله بغير علم، وقد حذرنا القرآن من هذه الصفة فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ﴾ **[النحل:88]**، وهذا الشعور مؤثر في الاختيار الفقهي، وذلك بخلاف من حَصَرَ نفسه في مذهب بعينه يريد حمل الناس أطْرًا عليه، ضاربًا بعالمية الإسلام عرض الحائط، ضاربًا بلا مبالاة بل بلا رحمة بالدعوة إلى الله، والتي كان يلزمه أن يجعلها نُصب عينيه، وهو يظن أنه حارس القديم وكاهن التراث، والله يعلم كم يفسد في الأرض بحسن نية، أو بجهل وفساد عقل، وهذا الصنف من الناس كثير.

4- وحاولت أن أضع معايير الاختيار الفقهي ففتشت في الفقه الوسيع مُفَرِّقًا بين الظني والقطعي، فلا أخرج عن إجماع حقيقي ولا أُحَقِّر مجهود السابقين، ولا أقف عنده جامدًا، بل أستأنس به وأفرح بموافقته، وأجتهد رأيي ولا آلو؛ قيامًا بواجب الشهادة التي أمر الله بها الأمة، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ **[البقرة:143]**

5- وأنا أتصور لو أن الأكابر من العلماء عبر العصور قد قاموا في عصرنا لذهبوا ذلك المذهب، ولقد رأينا علماء الشرق والغرب من أهل الإسلام وغير الإسلام يثنون على هذه الطريقة وتلقى قبولًا عامًا، وهكذا كان الحال عبر العصور مع العلماء المسلمين الذين فهموا الإسلام فلم يُفَرِّطُوا فيه ولم يتعصبوا لمذاهبهم، وعلموا أن الإسلام أكبر من المذاهب والأعراف وأكبر من التاريخ والجغرافيا.

المحور الثاني: مقدمة تأخذ بيد القارئ إلى مراد البحث من رحلته في أعماق منهج الإمام.

على رغم الأهمية التي يحتلها التراث الصوفي عالميا، والدور الذي قام به هذا التراث على مستوى الفكر الإسلامي عموما، فإن العناية التي توليها الدراسات المعاصرة لهذا الفكر تبقى نادرة إن لم نقل منعدمة، حيث انبرت الدراسات والأبحاث إلى خدمة التراث الصوفي من جانبه المعرفي الوظيفي أو العملي، بينما ظل الجانب الفكري في هذه الدراسات غُفلا، رغم الأهمية التي يكتسيها البحث في الفكر الصوفي عموما.

وإن الدكتور علي جمعة له أثر واضح في التصوف، كعلم، وتطبيق، وفكر، بل ومعرفة. فعلى الجانب العلمي يتضح أثره من خلال عرضه لمسائل التصوف وقضاياه ومناقشته الآراء، والدارس له سيستفيد كثيرًا في فهم مسائل هذا الفن وغاياته وتصورها، خصوصا وأن الدكتور علي له مجموعة من المؤلفات المكتوبة والتسجيلات المسموعة والمرئية واللقاءات الإعلامية في التصوف، والتي يتناول فيها التصوف بصورة أو بأخرى، والتي عم نفعها الشرق والغرب فكان لزامًا علينا دراسة هذه المؤلفات وإبراز أهميتها ومنهجها للاستفادة منها في تطوير الدراسات الصوفية، ونحن في هذا الوقت بأمس الحاجة إلى دراسات أصولية توسع المدارك وتفتح الأذهان، للوصول إلى عقلية صوفية لوضع حد للفوضى التي تعيشها أمتنا في هذا الشأن، وللبحث عن حكم للمسائل العصرية المستجدة، والتي لا يمكن الاجتهاد في معرفة أحكامها إلا لمتمكِّنٍ من فهم علم الأصول جنبا إلى جنب مع علوم التصوف، للوصول إلى نهضة حضارية شاملة أساسها وقوامها معتمد على ركائز قوية مستنبطة من الكتاب والسنة، وصولا إلى

الصحة والتوثيق، والدقة، والتحقيق أثناء عرض الأقوال ومناقشاتها والردود على المخالفين بمنهج رصين. ولعل محاضرات فضيلته التي ألقاها عن الفقه الصوفي للأحكام الشرعية العملية في عام 1427هـ/2006م بالعشيرة المحمدية، والتي حوَّلها الفقير إلى كتاب انتشر في الآفاق، هو نوع من التأصيل والربط بين الفقه وأصوله وبين التصوف؛ عملا على الرجوع إلى هذا المدخل العظيم الذي كاد يندثر ويذهب للربط بين العلوم وهذه الرؤية الإنسانية التي تفيض حبا وإخلاصا(1).

وعلى الجانب الآخر، وهو الجانب التطبيقي والعملي، فيمكن النظر إليه كجناحين متكاملين أولهما تشكيل التجربة الوجدانية للإمام، من رحمة، وحب وتواضع، وزهد، وتصدق بالعِرْض، ومناجاة وعبادة وكشف ورؤى، وتعظيما لشعائر الله، والمتمثل كله في مواقفه الحياتية، والتي تسير جنبا إلى جنب مع الجناح الثاني وهو التجربة الصوفية الشخصية لفضيلة مولانا الإمام العلامة، وموقع المؤسسات والكيانات الصوفية منها، وصولا إلى إقامته لطريقته العلية الصديقية الشاذلية، محددا لها مجموعة واضحة من الأهداف والرؤى.

أما الجانب الشخصي، فهو جانب ثري خصب يسعى المتعرف عليه إلى أن يعيشه مع فضيلة مولانا الإمام العلامة، حيث إن نشأته الصوفية الروحية لها عظيم الأثر على منهجه في صورة علاقة عقدية أخلاقية، ترسم إطارا عاما لخصائص منهجه المتفرد، موضحا المسار الدعوي الرباني الذي تحلى به فضيلة مولانا الإمام العلامة، فكان سموا للفكر، وضراعة للقلب العارف بالله، وصولا إلى تعلق خاص بسيدنا رسول الله ﷺ.

---

(1) (محاضرات في الفقه الصوفي للأحكام الشرعية العملية)، علي جمعة، العشيرة المحمدية، إعداد وتحقيق وإخراج موسى شومان، 1427هـ/2006م.

ثم يأتي جانب الفكر والمعرفة، وهو من أوضح جوانب فضيلة مولانا الإمام العلامة، فهو بحق من أعلام مدرسة الفكر الصوفي السُّنِّي في عصرنا الحالي، مع عدم التخلي عن مدرسة الزهد، وكذلك مدرسة التصوف الفلسفي، حيث لا يغيب عنه فهم وتطبيق ممارسات كل هذه المدارس، بل هو المُعَلِّم الحالِي والمرجعية المعاصرة الحقة لكل ما يخفى عن أهل التصوف في هذه المدارس، بل وصاحب الشروحات المبسطة للمصطلحات الصوفية التي يراها البعض معقدة، والمبين للتاريخ الحقيقي الأصيل للتصوف عبر التاريخ الإسلامي، جنبا إلى جنب مع تقييمه الخاص الذي يتلقفه جل الصوفية للسياقات التحولية في الفكر الصوفي، دراسة ومقارنة، وترجيحا، مع بيان وتقرير منهج التصحيح اللازم لاستكمال مسيرة التصوف السُّنِّي وإزالة ما يكتنفه من غموض تعبيرات وجدانية ذوقية صارت في احتجاب عن كثير من أهل التصوف.

وبهذا البناء العلمي والفكري، الممتزج بالجانب الروحي والوجداني، في صورة تكاملية نادرة الوجود، استطاع الشيخ أن يعلن عن رؤيته الخاصة لمكونات السير في الطريق إلى الله، وملامحه ومعالمه، في تأصيل لنظريته الفريدة والمتفردة في التصوف، ومعلنا عن رؤيته في مجموعة أكثر من أن يتم حصرها لقضايا صوفية تشغل الأذهان والوجودان لصوفية هذا الزمان، حيث إن فضيلة مولانا الإمام العلامة مُراد لا مريد، خادم لا مخدوم، صاحب همة وعزيمة، وقلب ضارع، مؤسس دستور الخدمة للصوفية في زمن شَحَّ فيه هذا الجانب الأصيل من التصوف والذي كان الابتلاء فيه شديدا بسخرية الناس من أنواع الخدمة، وبخاصة إطعام الطعام، فالصوفي يطير بجناحين: جناح الخدمة، وجناح الذكر والفكر، وما ينتج عن هذين الجناحين من التخلي والتحلي فيثمر التجلي، فتَعْمُر الأكوان، وتُزَكَّى الأنْفُس، في إطار من النسك والعبادات لرب العباد.

كل هذا وغيره الكثير جدا، يستثير فضول الباحثين في مجال التصوف، والباحثين عن الحقيقة، الراغبين في السلوك والوصول، إلى التعرف على منهج هذا الإنسان المعاصر الذي اتخذ الإنسان الكامل ﷺ قدوة له، يسير على نهجه قدر طاقته فكان هذا البحث في محاولة للاطلاع على ما يمكن الاطلاع عليه من منهج فضيلة مولانا الإمام العلامة، وإن كان معروفا مسبقا عجز المرء عن إدراك كامل شامل ولو بعشر معشار هذا المنهج الدقيق وسبر غوره، ولعل ذلك يكمن في مجموعة من الأسباب التي سطر بعضها كوكبة من تلاميذه[1]، منها أن المنهج يُستقرأ بعد وضع المذهب، ومذهب فضيلة مولانا الإمام العلامة يمكن وصفه على مرحلتين، الأولى: المذهب القديم وهو ما قبل إشهار طريقته العلية الصديقية الشاذِلية بمصر[2]، حيث كان فضيلته ينحو فيه نحو التصوف العام، والدفاع عن التصوف بعامة، وشرح كتب الصوفية، وغير ذلك مغلفا بإطار عام لا يتقيد فيه بطريقة محددة، فكان يربي مريديه بطريقة تربوية منتقاة لا تقف عند حدود ورسوم طريقة بعينها، وإن كان يميل إلى الشاذلية في الأغلب الأعم، والمرحلة الثانية هي مذهبه الجديد بعد إشهار طريقته العلية الصديقية الشاذِلية واعتمادها الرسمي كواحدة من الطرق الشرعية الرسمية في مصر، حيث يواجه فيها بعبقرية مشاكل السلوك والتربية للمريد المعاصر بناء على قاعدته ومنهجه

(1) ومنهم فضيلة الدكتور عصام أنس الزفتاوي، أحد مقدمي الطريقة العلية الصديقية الشاذلية، ومدير دار الإفتاء المصرية فرع أسيوط. وهو من قدامى تلاميذ مولانا الإمام العلامة كما أنه تشرف بصحبة سيدي عبد الله بن الصديق الغماري وغيره من الأكابر.

(2) ولعل فكرة المذهب القديم والجديد، إشارة طيبة إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه، ولا غرو ففضيلة مولانا الإمام العلامة هو شافعي عصره، فقها وأصولا وشاذلي زمانه تصوفا.

الصوفي التخييري المستبْطِن لعدة مشارب[1]، المستظهر للطريقة الصديقية الدرقاوية الشاذلية، وهي حالة من التشابك والتعانق في منظومة عجيبة من التناسق المُذَاب في بحار علوم فضيلة الإمام العلامة، وتركيبتها الصوفية العميقة العجيبة المتغلغلة والمتشربة للنقشبندية، والشاذلية بأفرعها المختلفة: صديقية، ومحمدية، وقاضية، وكذلك الجعفرية، والتيجانية، وغير ذلك من الطرق الأصول والفروع.

يضاف إلى ذلك أن فضيلة مولانا الإمام العلامة لم يفرُغ من وضع، أو على الأقل، إعلان وتسطير مذهبه الصوفي الجديد في صياغته النهائية، ومن ثم فمن المبكر الحديث عن هذا الطور من أطوار المنهج الصوفي عند مولانا[2]، فمن طبيعة استقراء المنهج أنه يأتي لاحقا بعد الفراغ من استقرار المذهب، في غير خفاء على المعتني بدراسة فكر فضيلة مولانا الإمام العلامة قدرته الفائقة على توليد العلوم، وتنظير المناهج، وتشغيلها، ومن ذلك التصوف وعلومه، وهو ما ينبغي التأكيد عليه دوما، مما يزيد أمر الحديث عن منهج هذا الإنسان المتفرد صعوبة، فالمدقق يستطيع استنباط الكثير من النظريات والقواعد التي تفرد بها فضيلته، والتي سوف تتضح من خلال رحلة في أعماق منهج فضيلة مولانا الإمام العلامة، ولو على قدر الحبو، فلقد بات هذا الإمام العلامة أعجوبة عصره وزمانه، لا يكتفي من يطمع في الترقي في مدارج العبودية بمجرد النظر إليه، بل يلقي بقلبه في بحار تصوفه، مطمئنا آمنا على نفسه، وعلى سربه، محاولا النهل ولو بقدر يسير من منهجه، طمعا في القرب ممن اصطفاه رب العالمين، وجعله

---

(1) حيث أجاز فضيلةَ مولانا الإمام العلامة شيوخُ النقشبندية، وأفرُع الشاذلية (المحمدية، والقاضية، والصديقية)، بالطريق، والتسليك، والتربية، بالإضافة إلى غيرها من الطرق التي تشربتها روحه من خلال مشايخ عصره.

(2) كما يقرر الدكتور عصام أنس الزفتاوي.

على الخلق العظيم ﷺ، وهو هدف هذه الدراسة التي ما وُضِعت إلا محبة وعشقا لهذا الإنسان الذي تفرد بعشق القلوب في زمن عزَّ فيه الحب.

ولما كان أحد أجزاء هذا المنهج الواسع الرحب - الذي نشير إليه على استحياء في هذا الكتاب – قد وُضِع في قلوب أبنائه من مقدمي طريقته العلية الصديقية الشاذلية، جنبا إلى جنب مع مريديه المنتشرين في ربوع العالم، اتجهت الفكرة وتبلورت في أن يضع بعض من مقدمي الطريقة مجموعة من الكلمات ليرى الناس فضيلة مولانا الإمام العلامة من خلال عيونهم، ويقص المريدون بعض مما يستشعرونه في هذا القلب النقي الصافي، حيث يجد المرء حتما عند أحدهم ما ليس عند الآخر بحسب تجربته مع هذا البحر، فكان جزءا خاصا من هذا الكتاب.

الكتاب الثاني

مرامح المناهج العلية لأهل الصوفية

الكتاب الثاني
ملامح المناهج العلية لأهل الصوفية

الباب الأول: الإطار العام لمنهج الشيخ

- الشَيْخُ والمنهجُ: تقديم
- الشيخُ والمنهجُ: عِلاقةٌ عقَدِيَّةٌ أخْلاقيةٌ
- الشَّيْخُ والْمَنْهَجُ: تربيةٌ تكامليَّةٌ جَامِعةٌ
- الطريقةُ الصديقيَّةُ الشَّاذِلية: النشأةُ والأهدافُ
- عالميّةُ منهجِ الشيخ
- المنهجُ والدعوةُ الرَّبَّانيَّة
- ملامحُ المشروعِ العليّ لإحياء القلبِ الصوفيّ

الباب الثاني: لمحات من منهج تربية المريدين

- المناهجُ التربويَّةُ عندَ الإمامِ
- من نصائحُ الإمَامِ ووصاياه

الباب الأول: الإطار العام لمنهج الشيخ

الشَّيْخُ والمَنْهَجُ: تقديم:

يتناول هذا الباب الإطار العام الذي يمكن للقارئ الكريم أن يطلع فيه على مفهوم المنهج عند الشيخ بصفة عامة، والتفرقة بينه وبين المسائل، وذلك في إشارة إلى الربط بين الشريعة والحقيقة، كنوع من التمهيد الواجب أو كمقدمة ضرورية بين يدي التفصيل في المنهج الصوفي لمولانا الإمام العلامة. ويبدأ الحديث ببعض التعريفات المجردة العامة والمهمة التي يتناولها أهل التخصص في هذا المضمار كمدخل لما نصبو إليه من إلقاء الضوء على منهج مولانا، وذلك على النحو الآتي:

البحث: هو بذل الجهد في موضوع ما، وجمع المسائل التي تصل به (investigation) بهدف اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التأكد من صحتها مستقبلا، وبشكل أكثر دقة: هو استخدام الوسائل العلمية من أفكار وأدوات وفق قواعد المنهج لمعرفة مجهول ما.

ويشير مصطلح الأسلوب العلمي إلى ذلك الإطار الفكري الذي يعمل بداخله عقل الباحث، في حين أن كلمة «منهج البحث» تعني: الخطوات التطبيقية لذلك الإطار الفكري. فالمنهج: طريقة البحث، والخطة المرسومة المنظمة لمعالجة مسألة أو أكثر للوصول إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، وبشكل أكثر دقة: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة. وباختصار: هو الطريقة التي يتبعها

العلماء في وضع قواعد العلم وفي استنتاج معارفه على ضوء تلك القواعد.

ويُلاحَظ أن بعض الفلاسفة عملوا على بناء فكرهم على أساس العقل نظرا لأن التجريبيين اعتمدوا على الحواس، إلا أن مولانا الإمام العلامة يوجه إلى أن المنهج العقلي السليم يعتمد على منهج الشك، الذي يبيح للإنسان أن يعرض كل أمر على العقل حتى لو كان من الدين. فالشك يبيح السؤال، والسؤال مفتاح العلم، فالمطلوب القراءة والتعلم، فالعلم لا يعرف الكلمة الأخيرة، وإنه فوق كل ذي علم عليم، ومن ثم فلابد من سؤال أهل الذكر. والفرق كبير بين الشك والتشكيك؛ أما التشكيك فهو هدم الثوابت وإنكارها، فالشك مسموح به، بل لن نصل إلى اليقين إلا عن طريق الشك، أما التشكيك فهو طرح أسئلة محالة ونحن نعلم أنها محال الإجابة عليها.

ولذلك يشير مولانا الإمام العلامة إلى **مكونات العقل المسلم**(1) التي تميزه عن غيره، وبخاصة عن العلمانيين، والتي يقول المسلم بها إنه مسلم، وهي مُسلمات وبديهيات عند المسلم، والتي يلمح القارئ فيها موقع التصوف ومكانته، فيقول مولانا إن أهم هذه المكونات هي:

1- العقل: وهو نور من الله تعالى (وهو مكوَّن من الدماغ السليمة، والحواس السليمة، والكون المحيط، والمعلومات السابقة)، وهو مناط التكليف وهو الذي يدرك كتاب الله المسطور (القرآن) وكتاب الله المنظور (الأكوان) بكتاب الله المقدور (الإنسان)، ومن ثم اشترطه الإسلام للتكليف.

2- الإيمان بالله: فهناك إله للكون، وأنه حكيم، وأن له الصفات العُلا، وأنه مطلق القدرة، ولا يحدُّه مكان، ولا يحويه زمان، وأنه تعالى يفترق عن هذا

---

(1) راجع كتاب مكونات العقل المسلم لمولانا.

العالم. وهذا الإيمان هو القضية الكبرى التي توَجِّه المسلم في كل تصرفاته، وهذا الإيمان يُعد معيارا يقيس به المؤمن كل شيء.

3- الوحي، حيث إن الله تعالى لم يترك هذا الكون عبثا، بل أنزل الوحي، يُعبِّرُ عن الحقائق الكونية، والأخلاق الإلهية، ويُرَغِّبُ في الخير ويحذِّر من الشر، ويقوم بتكليف المؤمن.

4- وأن هذا العقل يؤمن بالرسل وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ، والكتب وآخرها القرآن، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

5- ويؤمن كذلك بأن الدنيا بُنِيَت على المطلق وهو الأخلاق، وعلى النسبي وهي جهات التغير الأربعة (الزمان، والمكان، والأحوال، والأشخاص)، والتي قد تختلف الفتوى على أساسها.

6- ويؤمن كذلك بالقَداسة كالمصحف، والكعبة، وليلة القدر، وسيدنا النبي ﷺ وأنها قداسة مخلوقية وتعني الاحترام، ومنها مطلقة (كالأمثلة السابقة)، ومنها نسبية (كالزواج)، وأنها غير القداسة الإلهية التي هي للخالق الواحد سبحانه.

7- ويؤمن بالمقاصد وبالمصلحة وأنها كالمنفعة.

8- العلم: والمسلم يسعى لمعرفة معناه - طبيعته - مصادره - أدواته - منهجه - فيما يترتب عليه من فهم للإنسان والكون والحياة، وما قبل ذلك وما بعد ذلك. والعلم لا يعرف الكلمة الأخيرة، وأن العلم في كل المجالات. ومن مصادر العلم: الكون، والوحي، وأنه لا تناقض بينهما. والعلم في الإطلاق العام هو: مطلق الإدراك (تصور وتصديق)، والعلم في الإطلاق الخاص هو: الإدراك الجازم

المطابق للواقع الناشئ عن دليل. والمسلم في أصل تكوين عقله يريد هذا العلم بالإطلاق الخاص، ولذلك لا يلجأ إلى التقليد إلا إذا عجز عن الدليل (والذي هو عمل المجتهد).

9- المنهج/النهج/المنهاج: فهو من مكونات العقل المسلم كذلك، وهو الطريق الذي يوصل إلى الله. والمنهج عند المسلمين، كما قال فضيلة مولانا الإمام العلامة: المنهج هو رؤية كلية ينبثق عنها نظام.

* والرؤية الكلية تعني أن الإنسان محور الكون والحياة، وما قبل ذلك وما بعد ذلك، أي إطار معرفي كبير، وهي التي تجيب عن الأسئلة الكلية التي تدور في فلك النسق المعرفي للمسلم.

* وأن هذا النسق المعرفي نسق مفتوح، وفيه لا يحتكر المعرفة أحد مثل الكهنة، بل إنه ليس لدينا أي مانع من الاستفادة من كل ما وصل إليه الذهن البشري.

* والنظام أي الأداة التي بها نستطيع أن نتعامل بها مع الأمور عند البحث والتفكير وتنظيم العقل المسلم في البحث والتفكير والتقويم والاستنتاج، وهي واضحة في أصول الفقه:

(أ) معرفة دلائل الفقه إجمالا: أي مصادر البحث من القرآن ومن الأكوان،

(ب) وكيفية الاستفادة منها: من خلال برامج وعلوم تتطور لدراسة الأكوان والقرآن،

(ج) وحال المستفيد: أي شروط الباحث، فكل علم له طريقته في البحث ومصطلحاته ورموزه وطريقته المعتمدة وطريقة استجلاب المعلومات وتوثيقها والتأكد منها وربطها معا والقيام بالاستنتاج والبناء على هذا الاستنتاج.

10- الإيمان بالمطلق والنسبي معا: فهي من قضايا العقل المسلم ومكوناته. والمطلق هو الله، والنسبي يرتبط بالزمان والمكان والأشخاص والأحوال. والإطلاق مثل النُّظم الأخلاقية، والنسبي مثل اختلاف الآراء فيما هو ظنِّي. وهنا يبرز عنده مفهوم «ظاهر الأمر» والذي جاءت به الشريعة، ومفهوم «نفس الأمر» وهو للخواص وخواص الخواص.

11- والعقل المسلم يؤمن باللغة، وأنها تعبر عما في ذهن المتكلم حتى يصل إلى أذن السامع فيفهمه، فيحدث التفاهم البشري بين الناس، ويحدث التواصل، ومنها نشأت المصطلحات. وأن اللفظ يحمل العديد من المعاني، فاللفظ وِعاء المعنى، والألفاظ محدودة، والمعاني غير محدودة.

والمدقق فيما يقرره مولانا الإمام العلامة يُدرك بوضوح موقع كل من النسق المعرفي للمسلم، وكذلك موقع الأخلاق من هذه القضايا.

وأن هذا النسق المعرفي يعمل به فكر (الإنسان) الذي هو كتاب الله المقدور ارتكازا على لغته العربية ومن خلال كتاب الله المسطور (القرآن) وكتاب الله المنظور (الكون) كجناحين يُحلِّق بهما الإنسان جاعلا القلب فوق العقل، والعقل فوق السلوك، في طريق الله قاصدا المولى جل في علاه، حيث يطمئن القلب فيرضى الرب، فيرتقي في درجات المعرفة بالرحمة في نظام أخلاقي يدور حول الأسماء الحسنى والصفات العلا كالدوامة تأسيا بالقدوة والأسوة الحسنة سيدنا رسول الله ﷺ، مُعَلِّمين الغير كيف يفكرون وهم مدركون الواقع المعيش إدراكا مناسبا من خلال مناهج التفكير السليم ترتيبا لأفكار العقل المحدود وتجاوزا للأزمة المعرفية التي تعصف بنا في عصرنا والتي انفصل الغرب بها عن الدين وصولا إلى الإنسان الكامل الذي يؤمن بالرحمن

ويؤمن بقيمة الإنسان ويعمل على رعاية الأكوان التي يعيش فيها، ذلك لأن الإنسان قبل البنيان، والوعي قبل السعي، والساجد قبل المساجد، فيكون السلوك كاشفا : إما ظلمة سوداء، وإمَّا نور وضياء. ولقد قدَّم مولانا الإمام العلامة كل ذلك من خلال شرح آليات التفكير السليم بما يصل بالمرء إلى مستوى أرقى في التفكير وبيان بعض أنماط التفكير بهدف رفع وعي الإنسان لإدراك دوره في هذا الكون تحقيقا للخلافة المنشودة وإعمالا لحمل الأمانة المطلوبة، فكان بذلك مولانا الإمام العلامة مجدد العصر، وراعي المعرفة وأستاذ العارفين، فهو صاحب الفقه والفكر، شارح الواقع بالبيان الرائع، مُراعي المآلات لمستقبل آت، بلا نزاع، وبلا صدام، بل بكل حب ورحمة.

ويوضح مولانا الإمام العلامة في جل رسالاته للعالم أن أسس النسق المعرفي الإسلامي جاءت لتجيب على الأسئلة الكبرى (الكلية) التي حيرت الفلاسفة والعلمانيين، ويمكن بيان هذه الأسس على النحو التالي:

أسس النسق المعرفي الإسلامي

الأسئلة التي يثيرها العقل بالتسلسل	أين؟	متى؟	مَن؟	لماذا؟	كيف؟
	المكان	الزمان	الصانع	تبحث عن السبب	تبحث عن الماهية
الأسئلة الكلية	من أين نحن (وجِدْنَا) (الماضي)	ماذا نصنع الآن (الحاضر)			ماذا سوف يكون غدا (المستقبل)
الإجابة (متوائمة مع نفسية الإنسان)	الذي أوجدنا هو الله (وهو المتسق مع الفطرة السوية)	أوحى الله بالتكليف (افعل ولا تفعل) أي التشريع فآمن الإنسان بالآتي:			هناك يوم آخر سنرجع فيه إلى ربنا للعقاب أو الثواب أي للحساب
		الأنبياء والرسل	الوحي	الكتب	
المعنى	خلق اللهُ الإنسانَ من هذه الأرض فأنتم سواسية	ينبغي علينا أن ندرك الحق والباطل، والخير والشر حيث آمنت بالمطلق			لن يدعنا الله هملا أو يدعنا عبثا نفسد كما نريد أو نصلح كما نريد
الثمرة	عدم العرقية أو التفاخر بالقبائل وهكذا	أن نقوم بفعل ما أراده الله، وبالانتهاء عما أراده الله			جعل على الفساد عقابا، وجعل على الصلاح ثوابا، وهو أحد مفاتيح تغيير السلوك البشري
التطبيق	فانظر إلى عملك وانظر إلى نفعك كيف يكون. فالله سبحانه وتعالى هو الهادي				
نتيجة المنكرين	التَّنَاسُخ: دخول روح إنسان بعد خروجها في إنسان آخر				
	التَّرَاسُخ: تُوضَع الروح التي تخرج من الإنسان في جماد كالشجرة وغيرها				
	التَّفَاسُخ: دخول روح الإنسان بعد خروجها في حيوان				

ومن ثم فإن العلمانية، مصطلح لإزاء مفهوم وارد لنا من الغرب، ومن أخطر المشا كل التي واجهته هو ترجمة هذا المصطلح، سواء كان عَلْمَانية، أو عِلْمَانية، أو عالَمانية، وغير ذلك، فهي ليس من إنتاجنا أو حضارتنا أو اشتقاقاتنا، ولذلك فعلينا أن نفهم ما يريدون به، حتى نحكم على هذا المصطلح من حيث موافقته للإسلام أو مخالفته له، كما يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة، ويشير فضيلة مولانا كذلك إلى كتاب مهم جدا ، وهو من أمتع الكتب في هذا الصدد، وهو كتاب «العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية» للمرحوم عبد الوهاب المسيري، وخلاصة القضية التي بيننا وبين العلمانية، وكذلك الفلاسفة هي في الإجابة عن الأسئلة الكلية والتي نسميها في حضارتنا الأسئلة الكبرى، وهي الواردة في الجدول السابق (الماضي، والحاضر، والمستقبل)، والتي أجاب عنها ديننا بالتفصيل، بينما تدخل العلمانية مدخلا آخر، بتبني مفهوم البحث في هذه القضايا، فمثلا يبحث هل هناك إله أم لا، وهل خلقنا أم لا، وهل كلفنا أم لا، وهكذا، ومن ثم فهذا أول خلاف بيننا وبينهم، بمعنى أن الإجابة عن هذه الأسئلة تحتاج إلى علم بحثي تجريبي مادي، فتكون علمانية من هذا المنطلق، وهي بذلك تسقط التكليف وتُرْجِع الأخلاق والمعاملات إلى أفكار البشر دون مرجعية، فيفعل كل منا ما يراه، أما نحن فننادي بالمُطلق. وبذلك يتبين أن الإسلام يختلف تماما في نموذجه المعرفي عن العلمانية، وبالرجوع إلى ما تم بيانه من بعض عناصر هذا النموذج المعرفي نجد أن الإجابات بين الإسلام والعلمانية مختلفة تماما، ومن هنا نقول إنه لا يمكن أن يوجد مسلم علماني، وبالطبع لا يوجد صوفي علماني، لأن التصوف أو التزكية والأخلاق بمرجعية المطلق عند المسلمين لا وجود لها عند العلمانيين. كذلك فإن التقدم والتخلف له ارتباط بمفاهيم وقواعد أخرى، غير موضوع العلمانية، فلا يحتج أحد بأن العلمانية سبب التقدم للمجتمعات والإسلام سبب تأخرها. وهذا الأمر تتناوله الدراسة الحالية في موضوع الهمة والعزيمة بشيء من التفصيل.

(تكامل النسَّق المعرفي الإسلامي مع الأخلاق)

وعلى الجانب الآخر، وهو تكامل مع النسق المعرفي، وهو جانب الأخلاق، فهو المراد من علم التصوف، والذي هو التحقق بمقام الإحسان، فيكون المرء صوفي التوجه والأخلاق، أي متوجها إلى مرتبة الإحسان، فيما سُمي بعد ذلك بالقيم والأخلاق والإحسان، وهو التصوف فيربط المرءُ الخشوعَ بالصلاة مثلا، ولا يكذب، أي أنه يعيش مع سيدنا رسول الله ﷺ، فثمرة التصوف هي القلوب الضارعة، تحليًّا بشمائل الأخلاق والنبوة، فيرث النَّفَس العالي في المعرفة بالله ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:119] بسرِّ ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم:6]، فالحديث عن علوم بناء الإنسان من فرائد مولانا الإمام العلامة، حيث بين أن هذه العلوم يدخل فيها علم الفقه (لأتعلم كيف أتصرف في كل حركةٍ وسَكَنةٍ؛ لأبين حكم الشرع فيها في كل الأفعال والسَّكَنات)، وعلم الأخلاق (الذي يربي في الإنسان الأدب والإيثار والرحمة والتواضع واللين والإنابة، ويعلم الإنسان كيف يتنزه عن الكبر والحقد والعُجب والحسد وغير ذلك)، فربط بذلك بين الشريعة والحقيقة، تحقيقا للنظام الأخلاقي، الذي يبين لنا أن 97% من النصوص المقدسة (كتاب وسنة) تتحدث عن الأخلاق، وكلها مردها إلى العقيدة، وأن الباقي إنما هو في مجال الأحكام (الحلال والحرام)، في خلاصة أن نظام الدين الإسلامي حتى يرضى عنك الله هو أن تنتبه فلا تغفل عن تلك النسبة التي تمثل الأخلاق والتزكية (التصوف) وهي نسبة الـ 97% والتي تمثل أعمال القلوب، تحقيقا لثمرة واضحة تتضح بها الخريطة بالمعرفة وأصولها وشروطها وضوابطها، وليس بالهوى والرغبات، إعمالا للتخلية مع التحلية، فإن الذكر والتدبر يؤثِّر في أخلاقنا

تأثيرًا إيجابيًا خيِّرا وحَسَنًا، يجعلنا نستحي أن نكذب، ونستحيي أن نقصر في أعمالنا، ونستحي أن نرتكب المعصية، أو أن نعتدي على أموال الناس، ونستحي أن نعتدي على خلق الله، فيظهر الحب وتظهر الرحمة وتظهر السكينة والأمن والأمان في طريقنا إلى الله سبحانه وتعالى من جراء هذا الذكر وهذا التدبر وهذه العبادة والطاعة التي هي خالصة لوجه الله لا نريد شيئا من حطام الدنيا، فالتصوف هو: قضية العقل والفكر، وهو مِلاك العقيدة، وهو: قضية القلوب والأرواح، وهو أسس العبادة، وهو: قضية الأخلاق والأدب، فهو دستور المعاملة، وهو: قضية الاستقامة والإنسانية، ودعوة الإصلاح، والتصوف بلغة بسيطة هو مجموعة من الأخلاق النبوية المحمدية المصطفوية، ومنها الانتقال إلى الأشواق، ثم إلى الأذواق، وهو بيد الله تعالى، إلا أنه يجب علينا أن نتخلق بخُلُقِه ﷺ الكريم، فنشتاق إليه، فتحدث لنا الأذواق، فيحدث لنا الكتم، ونتحقق بحديث الديلمي «مَن عشق فعفّ، فكتَمَ فمات فهو شَهيد»(1).

ومن الأمثلة التطبيقية التي يضعها فضيلة مولانا الإمام العلامة بين يدي السالكين، ارتباط معاني الذكر في العَشَرَةِ الطَّيِّبَةِ(2) بالأخلاق، فهي تُفيد عقيدةً، وبها نصل إلى منظومة أخلاقية تنشئ سعادة الإنسان وهدوء باله واستقرار حاله، فتجعله مستجاب الدعاء وتجعله عبدًا ربانيًا، وأنك تثبت الحول والقوة لله وحده، وبذلك تكون قد توكلت عليه توكلا صحيحا، والتوكل ينشأ منه التسليم، والتسليم ينشأ منه الرضا، وهذه كلها مَعَانٍ أخلاقية عالية، وإن كانت أحد معالم أزمة عصرنا أن الأخلاق أصبحت نسبية، فلم تعد هنا كمنظومة أخلاقية، بل أصبحنا وكأننا من

(1) أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب، ح: 106.

(2) سبحان الله. الحمد لله. لا إله إلا الله. الله أكبر. لا حول ولا قوة إلا بالله. أستغفر الله. حسبنا الله ونعم الوكيل. إنا لله وإنا إليه راجعون. توكلت على الله. والصلاة على النبي ﷺ.

يعمل على إنشاء الأخلاق، حتى وصل الأمر بالأولاد الأناركية الفوضوية إلى إنكار الأخلاق جملة، سعيا إلى تهارُج الاجتماع البشري، وتفككه، ومنهم من قام بالنشر على وسائل التواصل الاجتماعي بأن الكذب ينفع، وقام باستبيان، ليرى الرأي المعاكس، فوجد من يعينه حتى وصلت النسبة إلى 70% ! وهذا عين الخطأ، فالأخلاق لا تخضع لاستبيان، أو للرأي والرأي المعاكس، بل هي مطلقة، أي أنها متجاوزة للزمان والمكان، الكذب كذب، والصدق صدق، والكذب شينة، والصدق طيب.

إلا أن فضيلة مولانا الإمام العلامة يلفت النظر في كل مناسبة إلى الفارق بين اللغة، والشعور بالحال، فشعورٌ أمام رجل كريم وأنه لا يتصف بالبخل لا يلزم منه دخوله الجنة، فلقد قال سيدنا ﷺ لسَفَّانَة[1] أخت عدي بنت حاتم الطائي المشهور بالكرم عند العرب: "إن أباكِ كان يحب مكارم الأخلاق"، فطمعت البنت فقالت: أهو في الجنة يا رسول الله؟، وهنا كان لابد من وقفة لسيدنا ﷺ فالحديث اتجه إلى مسار آخر، وهو الجنة، وهي ليست بيده، ولا بيد أحد من المسلمين، بل بيد الله وحده، ولا دخل لنا بذلك، يفعل ما يريد سبحانه، فقال سيدنا: "إن أباك طلب شيئا فأصابه"، أي الشهرة والذِكر، "فلم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين، إنما كان يفعل ذلك لسمعة يتسمعها"، كمن هو في عصرنا يسعى للحصول على جائزة عالمية للشهرة، مثل جائزة فولبرايت مثلا، أو نوبل، ويريد أن يكتب الناس اسمه ويشتهر، ولا يقوم بذلك لوجه الله.

ومن مهمات الأمور ومعاليها ما يوجه إليه فضيلة مولانا الإمام العلامة أن الأسماء

---

(1) اسم علم مؤنث عربي، معناه: اللؤلؤة، الريح التي تهبُّ على وجه الأرض، من الفعل سفَنَتِ الريحُ: هبت على وجه الأرض. وسَفَّانَةُ بنتُ حَاتِمِ الطَّائِي. قاموس الأسماء والمعاني.

الحسنى منظومة تربوية أخلاقية قِيَمِيَّة مؤداها وهدفها الإحسان، وأنها محور المنظومة الأخلاقية والقِيَمِيَّة، أي أن الأسماء الحسنى هي التي تقوم بتشغيل منظومة القيم فهي روحها التي تجعل لها فاعلية إن صح التعبير، وأن الأسماء الحسنى لها مَجْلًى، ومعناه أن هذا الكون المحيط بنا هو مَجْلَى أسماء الله، فظهرت فيه، فنحن لا نرى ربنا بأعيننا لأنه ليس تحت الحس، إلا أنه تعالى له أسماء وصفات، وهذه الأسماء والصفات قد تجلت أي انعكست فظهر أثرها على تلك الأكوان، وهذا الشعور هو مَجْلَى تلك الأسماء، وأنه عند الحديث عن الأسماء الحسنى فنُقدم الكمال لأن شأنه تعالى الكمال، فنقول الكمال والجمال والجلال، ولكن عند التفصيل في قسم ما فنبدأ بالجمال ولا حرج لنتخلق به، والجلال للتعلق به، والكمال للتصديق به.

ولما كان هذا يحتاج إلى ضرب المثال، يأخذ فضيلة مولانا في شرح العديد من الأمثلة، ومن ذلك **صفة الرحمة**، فيبين أن الرحمة في المخلوق نوع من أنواع انعطاف القلب على الآخر، سواء لضعفه أو لحاجته، أو لنوعه، أو لموقفه، أو احتياجه، إلى آخر هذه الأمور، ويسمونها الشفقة، فتكون شفيق الرحمة، وهذه الرحمة هي التي نريد أن نتخلق بها، وهو ما يتطلب أن نتأمل ما حولنا من الكائنات وهي تنقسم أساسا إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول هو أعلاها، وهو الإنسان، والقسم الثاني الحيوان، والقسم الثالث الجماد. وإذا أردنا تشقيق ذلك الجماد، فنقول النبات، لأن النبات ينمو وله حركة، والجماد الذي مثل الحائط، أو الصخر، أو الجبل، أو البحر، أو الباخرة، وهكذا، فليس فيه حركة، أو نمو، فيصير لدينا أربعة عوالم، وعند التأمل نجد أنه لا بد أن تكون رحيما بتلك العوالم الأربعة، فأهل التصوف يقولون إن أول شيء أن تعلم أن الكائنات من حولك تسبح، وأنها تعبد الله، وأنها تبكي، وأنها تسجد لله رب العالمين، واستدلوا بآيات

وأحاديث كثيره فيها هذا المعنى، والطبيب يعالج المريض ويرحمه، ولا يقتله، بل لابد وأن يعالجه، وكذا الأسير الذي كان يريد قتلنا منذ دقائق في أثناء الحرب فأسرناه، وهو جريح وجب علينا أن نعالجه.

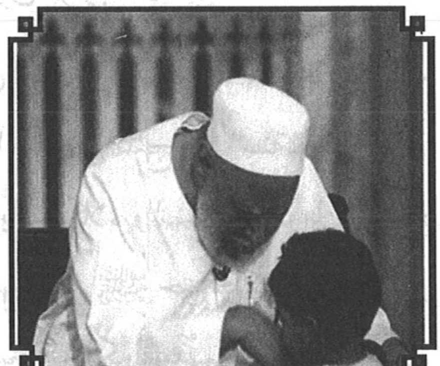
ومن هنا يتكون المنهج الذي يدعو إليه فضيلة مولانا الإمام العلامة، والذي يتضح في الخطوات الآتية:

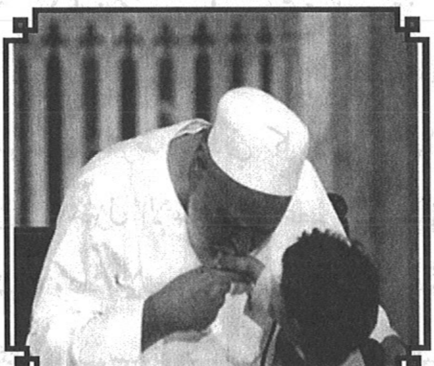
(أ) المعرفة: أي نفهم الرحمة (الاسم، أو الصفة)، ونقرأها ونسأل عنها،

(ب) نمارس الرحمة (الاسم، أو الصفة)،

(ج) نعيش الرحمة (أي تستمر على ذلك، فنتخلق بها، وتملك علينا جوارحنا فتغير السلوك)،

وأن نحفظ الثلاثة مع العفو والمغفرة والتواضع، ومع كل صفة من صفات المولى جل شأنه لابد لنا من فعل ذلك.





وما زال مولانا الإمام العلامة يُحدث الناس عن المنهج، ويوضحه، ويأخذ بيد الناس: عوامهم، وخواصهم، يحملهم على المنهج النبوي الذي لا يرتبط بالمسائل بل بالقضايا، ولا يتقيد بزمان النبي ﷺ، بل بالمنهج النبوي، الذي يتسع ليشمل كل زمان ومكان، ملائما لكل الأشخاص والأحوال، لإقامة منظومة تربويَّة أخلاقيَّة قِيَمِيَّة مؤداها وهدفُها الإحسانُ "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"، مؤكدا على أنه لا شيخ بغير منهج، ولا طريقة صوفية بغير منهج، وأن المنهج الصوفي لا ينفك عن منهج الفقهاء، في وحدة متكاملة هي الدين، بجناحي الشريعة والحقيقة، وأن العلم هو ما يوصل إلى الله عز وجل، وغير ذلك فهو علم لا ينفع والجهل به لا يضر، بل يصير مجموعة من المعلومات. وأن العلم نسق مكون من المعلومات، والمنهج، والأدب، وغير ذلك، وأن العلم الذي لا يشتمل على الأدب لن يوصل إلى الله، فيصير مجموعة من المعلومات المتفرقة غير المترابطة، بينما إذا تم جمعها بطريقة معينة، وأحيطت بالأدب، وأحيطت بالتقوى التي هي من الأدب، تصير علما، قال تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة:282]، فالعلم يأتيك نتيجة التقوى، ونتيجة الأدب.

ودائما ما يشير مولانا الإمام العلامة إلى كون الإسلام نسقا مفتوحا بمعنى أنه ليس من الشرط أن تأتي كل الأمور نصا في السُّنَّة، بل المنهج من السنة، وفرق كبير بين أن نختزل الإسلام في عصر النبي ﷺ زِيًّا وشكلا، والدنيا تتغير دوما وبتسارع كبير، وعالم الاتصالات اتسع فيلزم أن نفكر بمنهج النبي ﷺ حتى نواكب هذه الأمور كلها، وأن سيدنا رسول الله ﷺ قد علمنا منهجية التفكير، وفَهْم النص، وألا نقف عند الوارد فحسب، بل نفكر، ونسن السُّنَن الحسنة، شرط ألا نخالف أصلا، وألا يكرَّ على شيء من الشريعة بالبطلان، فيكون ذلك هو الصراط المستقيم، ومن أمثلته أن

صِيَغ الدعاء مفتوحة وغير موقوفة على ما ورد في الكتاب والسنة فقط، ومن أمثلته أيضا جواز تحديد أعداد للذكر، وجواز الذكر بصيغ لم يأت بها سيدنا ﷺ. وعند مسلم «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»، أي من عمل بها لا ينقص ذلك من أجورهم شيء، وكذلك «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» (1)، وفي رواية «مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» (2)، أما إذا أحدث ما هو منه فلا حرج، بل هو مقبول، كما في حديث سيدنا بلال رضي الله عنه في ركعتي الوضوء، وغير ذلك الكثير، وأنه يكون هو الدين المستقيم وهو الصراط المستقيم، في خلاصة أننا نريد أن نعيش حياة النبي ومنهج النبي ونتخلق بأخلاقه لا عصر النبي ﷺ، فمن يريدنا أن نعيش عصر النبي ﷺ تجد في هذا الإنسان قسوة، بينما نريد نحن منهج النبي ﷺ، ونستفيد من مواقفه ﷺ حيث أحبه الجميع.

وبشيء من التفصيل بين مولانا في العديد من مقالاته، ولقاءاته، أننا لا نستطيع أن نعيش عصر النبوة لأن الزمن يتغير، والإسلام صالح لكل زمان ومكان، ولأن الإسلام باقٍ إلى يوم القيامة، ولأنه منهج حياة، حتى إن سيدنا رسول الله ﷺ ترك لنا نماذج مختلفة نعيش فيها، حيث ترك لنا نموذج الحبشة، ونموذج مكة، ثم المدينة أولا، ونموذج المدينة أخيرا، حتى نعيش في كل مكان وفي كل زمان وبحياته، لا في مكانه فقط، ولا في زمانه فقط، بل مع كل الأجواء، ومع كل الأنظمة، ومع كل

(1) أخرجه البخاري، ح 2697.
(2) أخرجه مسلم (18/1718).

التوجهات، فمن كان يعيش في روسيا الشيوعية التي تحارب الإسلام، يمكنه العمل بنموذج مكة، وإذا كان يعيش في مجتمعات تعترف بالإسلام بل وتطبع المصحف، فنجد الأمر مختلفا، ففي السابق من مائة سنة تقريبا كان الفقهاء يقولون لا تذهب بالمصحف إلى بلاد معينة، حتى لا يحرقوه ويحرقوك معه، فاحتراما للمصحف ومن أجل أمنك لا تذهب به إلى هذه الديار، والآن اختلف الوضع وصارت العديد من الدول لا تمانع من معيشتك فيها ومعهم، وقاموا بطبع المصحف أحسن الطبعات، وعلى أجود ورق، وصارت هناك مراكز إسلامية في العالم، وكذلك مساجد، ومن ثَمَّ سنظل أبد الآبدين مع حياة النبي ﷺ ومنهجه.

وللأسف يقوم النابتة بتعليم الناس أشياء غريبة، منها أن ما لم يفعله النبي ﷺ لا يجوز أن نفعله، والرد سهل وميسور حيث فعل الصحابة أشياء كثيرة من خلال المنهج الذي تعلموه على يد سيدنا النبي ﷺ، وهو ما يتطلب التمييز بين منهج النبي ﷺ ومسائل النبي ﷺ، أو بين ما كان، أي بين ما علمناه النبي ﷺ في التعامل مع الدين، وبين الجزئيات.

ومن ذلك يتبين مجمل القول في علاقة الشيخ بالمنهج، والتي يعبر عنها قائلا:

«نحن ندعو إلى منهج النبي ﷺ، وحياة النبي، وليس إلى مسائل النبي ﷺ. فالفارق أن حياة النبي ﷺ متجاوزة لجهات التغير الأربعة: الزمان، والمكان، والأشخاص، والأحوال. أما النابتة فلا يفهمون ذلك، فهم يريدون أن يعيشوا عصر النبي، وغير قادرين على استيعاب أن يعيشوا حياة النبي، وهم دائما في قلق وفي صراع، أما أهل الله فإنهم يعرفون أنهم بمعيشتهم لحياة النبي يقومون بما عليهم من واجب".

وفي الختام نقرر كم سمعنا فضيلته في دروس الحوزة الصباحية بالأزهر الشريف يقول: «أنا لا أريدكم أن تحفظوا كلام الصحابة فقط، بل أريدكم أن تعيشوا عصركم كما عاش الصحابة عَصْرَهُم، حتَّى تقوموا بواجب وقتكم كما قاموا بواجب وقتهم»[1].

---

(1) فلقد أحيا الله تعالى بمولانا الإمام العلامة العلمَ وحلقاته في الأزهر الشريف بعد طول موات، وكان رضي الله عنه يأتي إلى الأزهر الشريف عقب الشروق بقليل، فيجلس نحوا من ثلاث ساعات أو تزيد، فيلتحق طلاب العلم من الأقطار المختلفة، حتى يمتلئ بهم رواق الأتراك. ولقد أدركنا جميعا، وكل من كان يحضر، ورأينا بأعيننا وشهدنا وشاهدنا بقلوبنا العجب العجاب من سعة علمه، والأعجب من ذلك كله أنه يتغلغل في المبحث العلمي الدقيق، فلا يزال به حتى ينزله على الفكر المعاصر، والنوازل المستجدة، فيتعلم الحاضرون منه كيف يدرس الواقع على ضوء القواعد، وله في ذلك التفرد الذي لا يلحقه فيه أحد من المعاصرين.

الشَّيْخُ والمَنْهَجُ: تَربيةٌ تكامُليَّةٌ جَامعَةٌ

تتناول الدراسة الإطار العام الذي يمكن للقارئ الكريم أن يطلع فيه على مفهوم المنهج عند الشيخ من حيث كونه علاقة تجمع بين العقيدة والأخلاق في تكامل بنَّاء فريد، وهو ما يتطلب إلقاء الضوء على مجموعة من الملامح والخصائص والسمات المكملة لهذا المنهج، وبخاصة الجانب التربوي، من حيث كونه منهجا تكامليا ورؤية جامعة للعديد من المشارب، التمسها فضيلة مولانا الإمام من الوراثة المحمدية التي أهَّلَتْهُ روحيًّا بخصائص فريدة لم يُسْبَق إليها، وهي عبارة عن نسق جمعي منفتح على الطرق التربوية كافة والتي تتبناها الطرق الصوفية منذ الصدر الأول، وهو وإن كان نسقًا جامعًا، إلا أنه في انتقاء دقيق لا يتعلق بتركيبته الروحية الخاصة به فقط، بل يمتد لما يناسب حال المريد، والذي هو على اختلاف مُقْطِعٍ، لكنه لا يخرج عن مشرب الشيخ، فيما ساعد المراقبين والمحققين إلى القول بأنها الوراثة المحمدية الكاملة، وهو ما يمكن أن نلقي الضوء عليه اقتباسا من كلام فضيلة مولانا الإمام العلامة نفسه، حيث بين أن أهل الله جعلوا الشيخ على أنواع ودرجات وأقسام، فقال رضي الله عنه: «جعل أهلُ الله الشيخَ على أنواع ودرجات وأقسام، فهناك الشيخ المرشد، وله درجات، وهناك مشايخ التعليم والتربية والترقية:

فالشيخُ المرشد هو من يَعْلَمُ الطريق، ويَعْلَم المبهرات التي حوله، ويعلم كيف يتجنبها السالك، ويعلم كيف ينصح؟ وكيف يُعَلِّمُ الأدب مع الله؟ لأن الأدب مع الله هو الركن الركين في الطريق، والله هو مقصود الكل، فالشيخ يحاول مع المريد أن يصل به إلى الأدب مع الله، وأول ما يعلمه من أبواب الأدب: الذكر، وثاني ما يُعَلِّمه: عدم الالتفات عن الله الذي هو مقصود الكل، فالشيخ سيعلمك الذكر ويجعلك ترتقي

فيه من مرتبة إلى أخرى، كما أنه سيعلمك الفكر، فيبين لك كيف تفكر، وينحيك عن محظورات التفكير، حيث إن السالك إلى الله قد تطرأ عليه عدة شواغل لا ينجو منها إلا بالشيخ، ومن انشغل بها هلك وضل، وذلك كأن يرى رؤية أو يسمع أشياء من كثرة الذكر، فيذهب ويحكي لشيخه، فيعلِّمه الشيخ بأن الملتفت لا يصل، أي لا تهتم لهذه الأشياء وأنها من قبيل اللوافت والشواغل عن استكمال المسير الصحيح. ومن ذلك أن كثرة الذكر قد تأخذ المريد إلى التفكر في صورة الله تعالى وحاشاه سبحانه أن يكون مُصَوَّرًا، فعندما يحكي ذلك لشيخه ينهاه عن ذلك فيقول له لا تتصور الله ويرشده إلى الذكر بقوله «سبحان الله» حتى يصرف عنه ذلك» اهـ.

وهذا هو ما يلمسه السالك في منهج مولانا الإمام العلامة.

وكذلك نبه فضيلة مولانا الإمام العلامة أنه «لو كان هذا الإنسان دون شيخ واعتقد أنها آثار طيبة من نعمة الله، وأنه قد بلغ منزلة عليا، تطمئن نفسه لذلك فيركن إليها، ويصيبه الغرور، أو الكبر، ويظن أنه مُلْهَم وأنه لا يرى رؤية إلا وتحققت، ويزيد ذلك من شعوره بالأنا، وهذا مما يتنافى مع كونه مريدا سالكا طريق الله، وهذا من خطورة عدم وجود الشيخ ويحدث كثيرًا، ومن المؤسف أن الإنسان يتحول بهذه الشواغل دون أن يشعر ويصعب أن تعيده مرة ثانية للطريق السوي؛ لأنه رأى بعينيه وسمع بأذنيه، وعاش ولكن عاش خطأ وركب القطار ولكن بالخطأ، ولذلك فلن يصل إلى المحطة التي يبغيها، بل سيضل ضلالا بعيدا» اهـ

وهنا نقول بل ونؤكد: ليس له إلا مثل الشيخ عليّ، فهو بإذن الله ومدد سيدنا رسول الله قادر على إعادة هذا الضال إلى الطريق.

ويستكمل فضيلة مولانا الإمام العلامة حديثه، فيقول: «وقد يكون الشيخ مرشدا

تاما، وهو الذي يسمى بالوارث المحمدي، **والوارث المحمدي** يراعي تلاميذه ومريديه حتى على الغيب، فإن الله عز وجل من شدة صفاء ذلك المرشد الكامل، ومن شدة صقل قلبه تنعكس على ذلك القلب الأحوال الحادثة مع المريد، حتى مع نفسه، فرأوا - عن تجربة - أنه إذا ما رأى الشيخُ المريدَ فإن الله يكشف له مساوئ ذلك المريد ونقصه، ومع ذلك لا يتأثر لهذا النقص، ولذلك لا نخاف من أن يظن ظنا سيئا في المريد؛ لأنه يعلم أن النقص قد استولى على جملة البشر إلا من عصمه الله، إنما الغرض من اطلاع الشيخ على هذا هو أن يربي المريد بناء على معرفة تامة بأحواله، وأن يرشده، وأن يدله على الخير، وأن يكمل نقصه، وأن يجذبه مما هو فيه من انحراف - إن كان - وأن يعود به إلى الطريق، وأن يدفعه فيه. فالطريق إذن لا يستلزم دائما وفي كل حال المرشد التام، بل قد يكون هناك مرشد فقط ونكتفي به، فإذا رزقنا الله بالمرشد الكامل كان أولى» اهـ.

وهنا تبرز خصائص فضيلة مولانا الدقيقة في منهجه، حيث رأى الكافة كيف تحققت فيه الوراثة المحمدية، وكيف أنه يراعي تلاميذه ومريديه حتى على الغيب، إلى آخر ما وهبه الله من صفات هي ذاتها السابق بيانها في الأسطر السابقة، بل إن مُنكِري ذلك من النابتة يصرحون بأن مولانا يأتيهم في المنامات.

أما عن نواحي **التعليم والتربية والترقية**، فلقد قال أهل الله على لسان زروق في «قواعد التصوف»: إن المشايخ ثلاثة: شيخ التعليم، وشيخ التربية، وشيخ الترقية. ويجوز تعدد الأول، وتكفي عنه الكتب لمن يعرف موارد العلم، وغيره لا يتعدد، فالعلم مَطالِبُ تأتلف، والسلوك مَشَارِبُ تختلف، فهو أُبوَّة روحيَّة ولا يمكن أن يكون للإنسان إلا أب واحد، وحب الأب لا يمنع حب الأعمام والأخوال، بل هو سبب في حبهم. وشيخ التربية تكفي عنه الصحبة لذي دين عاقل ناصح، وشيخ الترقية يكفي

عنه اللقاء والتبرك. وأمر الوراثة للمشيخة معلوم، فإذا وجد في أسرة الشيخ من هو أهل لحمل عبء الدعوة فلا شك أن الحق أحق وأولى من كل الوجوه، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، أما إذا فُقد شرط الصلاحية والكفاية كان ذلك إقطاعا بشريا لا يعرفه دين الله، ولا يقبله نظام الانضباط الاجتماعي»،

والمدقق في كلام زروق لا يجد إلا أن يشهد لفضيلة مولانا الإمام العلامة بتحقق هذه الأنواع الثلاثة في فضيلته، فكونه من مشايخ **التعليم**، فحدث ولا حرج، علما شرعيا، وعلما صوفيا، وعلوما اقتصادية واجتماعية وإدارية وغيرها، كما سبق بيانه في مقدمة هذه الدراسة بشيء من التفصيل، وكما تحدث عنه الكثير في العديد من مقالاتهم ومؤلفاتهم عن مولانا الإمام العلامة. فالشيخ مُفَجِّرٌ للعلوم ومُوَلِّدٌ لها، وليس مجرد شيخ تعليم كما هو معلوم عند البعض من معنى شيخ التعليم، وحوزته الأزهرية الصباحية لسنوات عديدة تؤكد ذلك، فتلاميذه ما بين عالم أو مشروع عالم، أو طالب علم، وهم معروفون للكافة. أما عن **التربية والترقية**، فلقد صدق من قال إن فضيلة مولانا الشيخ عليّ هو مربي الأقطاب[1]، فكثير من أبنائه يصلح أن يكون شيخ طريقة بنفسه، إلا أن الأدب هم به معروفون. وعن الترقية فحدث ولا حرج، فكم من مريد ترقى على يديه بالنظرة، حتى وإن كان من خلال مُقَدِّمِي طريقته، وهو أمر عجيب أن تكون الترقية بمدد موصول بهذه الطريقة عبر قلوب أبنائه من المقدِّمين حتى إن من هؤلاء المريدين من لم يلتقِ مولانا الإمام العلامة حتى الآن، ورغم ذلك هو في ترقية، وهم شهود على ذلك بأنفسهم، وممن حولهم يلاحظهم، وكيف لا وهو سر الوصول

---

(1) وهي من كلمات الشيخ صدقي العطار، أحد مقدمي طريقتنا العلية الصديقية الشاذلية، وهي كلمة مجازية لها معنى عميق، تشير إلى أن تربيته لأبنائه لابد وأن تُنْتِج من يكون على مستوى القطبية.

وباب القبول إلى حضرة سيدنا الرسول ﷺ.

ومن ناحية أخرى فإن فضيلة مولانا الإمام العلامة يصرح بنوعية أخرى من الأقسام للمشايخ، حيث يقول: «ومراتب الشيوخ ثلاثة: شيخ الخرقة، وشيخ التلقين «الذكر، أو السلوك، أو التربية»، وشيخ الصحبة والاقتداء. والأول والثاني عند البعض شيخ مجازي، والثالث هو الحقيقي. وشيخ الذكر يقوم بتلقين الذكر للمريد، فالذكر هو الذي يمد المريد، والذكر لساني وقلبي، ومنه كذلك بالفعل»[1] اهـ.

وهذا هو ما يقوم به فضيلة مولانا الإمام العلامة من خلال مقدمي طريقته العلية الصديقية الشاذلية، هي أيضا من خصائص فضيلة مولانا الإمام العلامة. ويستكمل فضيلة مولانا الإمام العلامة كلامه فيقول: (وشيخ الصحبة «وهو الشيخ الحقيقي الموصل إلى الله تعالى لعدم الواسطة»، وهو إما صحبة خصوص بمعنى ملازمة للشيخ، وهو أتم وأكمل من شيخ الخرقة وشيخ الذكر، وثمرتها وراثةٌ، وصحبة عموم بمعنى اللقاء والاجتماع بالشيخ ولو مرة واحدة، ونتاجها أدبٌ، وصحبة مجازية بوسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، وغايتها محبة) اهـ بتصرف.

وكل هذا أتاحه وسمح به فضيلة مولانا الإمام العلامة، ويتم تطبيقه بالفعل في الطريقة الصديقية الشاذلية، وحيث أذن فضيلته لأبنائه من المقدمين بهذا الخصوص.

ونسير مع فضيلة مولانا الإمام العلامة، نستكمل البيان لشيوخ الزمان، حيث يقول: (ومنهم من يعتمد على الخرقة تبركا، فالخرقة هي التي تمد المريد، ومنهم من يعدها علامة التفويض والتسليم والتزام المريد تطبيق مقام الإحسان، ومنهم من يعد الصحبة والاقتداء والسلوك والاجتماع هو ما يحصل به النفع من الأعلى إلى الأدنى. والأمر

---

(1) كالمولوية في دورانهم الفلكي مع الانحناء الملكي على تفصيل.

واسع فلا تحجر واسعا. والخرقة لها معنى اصطلاحي، وتسمى كذلك: لباس الفُتُوَّةِ، والمرقعة، وغير ذلك، ويكون من قطعة واحدة أو مرقَّعًا. والخرقة اصطلاحا: هي ما يُلبسه الشيخ للمريد من الثوب الذي يستر به العبدُ بعض بدنه أو كله، ومنها الطاقية، والعمامة، وغطاء الرأس، والعباءة، وغيرها، كناية عن إذنه بأنه أصبح من العارفين بالله وصار بموجب هذا الرمز «المعتبر كالشهادة عند الأكاديميين» مؤهلًا لدلالة الخلق على الله، وقيل بل هو كناية عن إذن الشيخ للمريد بأن يتتلمذ على يديه ليصير من أولياء الله.

وإن من أساليب التلقي والإسناد والأنساب العلمية والروحية ثلاث مراتب:

- **تلقي السلوك والمجاهدة:** وهو من الشيخ الكامل لا يُغَيَّرُ ولا يُنْقَضُ.
- **وتلقي البركة والتيمُّن:** وهو لا يجوز إلا بإذن الشيخ الأول وتوجيهه.
- **وتلقي الصُّحبة والمبادلة:** وهو خاص بكبار الرجال يتبادلون الإذن بالعلوم والأوراد، والصِّيَغ، والأسرار، زيادة في المدد، وتمكنا من الحقائق.

والأخير يمتنع على المريد السعي وراءه إلا أن يأذن له شيخه.

وعليه لا عجب في كثرة أسانيد التَّيَمُّن والبركة، فهو سُنَّة كبار الرجال في العلم والدعوة. والشروط في تعدد التلقي عند القوم هي بلوغ سن الرشد الروحي في خدمة الطريق الأصلي حتى ينال فيه درجة الفتح، ثم إذن الشيخ المربي الأول وتوجيهه بتبادل إذن التبرك، ثم أن يكون الغرض الأول والأخير هو تدعيم الطريقة الأولى بتدعيم روحانية الداعي إليها ما دام أهلا لتجمُّع الإسناد والأمداد، ومضاعفة القدرة على الخدمة. وفتح كل أحد ونوره على حسب فتح متبوعه ونوره). اهـ بتصرف.

وعند الإسقاط على حال الشيخ الإمام العلامة مُربِّي الأقْطاب، وأسلوبه

الخاص في تربية المريدين، وكيف جُمع له الأساليب التربوية السابق الإشارة إليها عاليَهُ، تجدر الإشارة إلى واحدة من المقالات التي سطرها واحد من أبنائه من وقت طويل، دبجتها براعة الصدق، وتوجتها تيجان المحبة، على النحو التالي[1]:

(ولولا أن يقال: أُدَاهِنُ! لقلت فيه وقلت، لكني تحت تربيته منذ سنة 1405هـ فعهدي به أقدم من أي منصب تولاه، بل ولم يحصل بعد على درجة الدكتوراه، وأحق الحق أن تعلن به في موضع يُظن بك أنك تريد غيره، ومن حملك على إرادة غير الحق فإنما يقيسك على نفسه فلينظر كل امرئ نفسه، فلست أبالي، فهو: شيخ الإسلام في هذا الزمان، وأنا أول من لقبه بهذا منذ سنين طوال في أمرٍ طلبه مني فأرسلته مكتوبا لفضيلته ملقِّبًا له بذلك، فانزعج لها واستنكر، فأجبت: «إن من يُلَقِّب بهذا على مر الزمان إنما هو التاريخ، وما التاريخ إلا نحن»، وقد تمت له علوم المقاصد والآلات جميعا، واعتنى بمعارف العصر الحديثة، وما يؤثر منها في الفتوى، مع سعة الاطلاع جدا، وفقه النفس وهي أخص صفات المجتهد كما يقول شيخ الإسلام التقي السبكي، ولست أشبه شيخنا إلا به، مع سلامة القلب، وحسن المقصد، ما رأيته يعمل لغرض في نفسه قط، أما الفضائل والكمالات التي كانت حبيسة الأسطر والأوراق فأحياها تخلُّقا وتحقُّقا ونشرًا فلا يحصيها إلا الله، مع سعة الدائرة في تربية مريديه، فإن عامة المشايخ اليوم يربون على طريقة واحدة قلما تختلف، فربما لم تصادف من المريد موضع العلاج فيظل على آفته، أو يعتمدون على مدد الطريق وبركة السلسلة وحسب، أما

---

(1) وهو فضيلة الدكتور عصام أنس الزفتاوي من أبناء مولانا، ومقدمي طريقته العلية الصديقية الشاذلية، والتي قد سطرها في مقدمة المجلد الأول من الموسوعة العظيمة (جامع الأحاديث)، والذي يشتمل على جمع الجوامع للسيوطي والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوي، والفتح الكبير للنبهاني، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه فريق من الباحثين بإشراف د. على جمعة، وطُبع على نفقة د. حسن عباس زكي، في 13 جزءًا.

شيخنا فشأنه شأن كبار القوم ينوعون للمريد بحسب استعداده وراثةً محمدية، فإنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يعالج كل شخص بما يناسبه، وأصعب ما رأيت من تربية شيخنا أنه يُدخل المريد في الدنيا ويفتحها عليه لتخرج من قلبه، ويصير المريد لا يأبه لها، ولا يبالي إن جرى وراءها أو جرت وراءه أو تدابرا خَصْمَيْنِ، ويصير إن دالت لم يَدُل، وإن زالت عنه لم يَزُل، وما رأيت أكثر عيونًا منه، وهذا من كماله نفعنا الله به، فبينما الناس لا يكادون يبصرون فلا يزال هو يرى الأمر الواحد من جهات كثيرة رضي الله عنه، وما يزال الولي يزداد عيونا كلما زاد كماله حتى يصير كله عيون. وقد رأيت مولانا شيخ الإسلام عبد الله الغماري يُجله إجلالا عظيما، وسمعت شيخنا العلامة الفقيه شيخ الشافعية جاد الرب رمضان الشافعي رحمه الله تعالى يقول: «الشَّيْخُ عَلِيٌّ أُمَّةٌ وَحْدَهُ»، ومات من مات من شيوخ الوقت ممن أدركتهم وهم عنه راضون، وهذا من علامات التوفيق كما يقول العارف الشعراني، فمنهم مولانا شيخ الإسلام عبد الله بن الصديق الغماري، ومولانا شيخ الإسلام ضياء الدين الكردي، ومولانا العلامة المحقق الحسيني الشيخ، ومولانا الشيخ جاد الرب رمضان، ومولانا جاد الحق علي جاد الحق شيخ الجامع الأزهر، ومولانا العارف الكبير أحمد مرسي النقشبندي، وغيرهم. ومن علامات التوفيق أن جمع الله تعالى له من الطلبة والمريدين من صاروا فضلاء وعلماء فعامة من حوله بين عالم ومتعلم فالله يكثر من أمثالهم، وهذا ما لم يحصل لغيره من أكابر الوقت، رضي الله عن الجميع، ولم أر أو أسمع بمثله في القدرة على تربية الرجال وصُنع الكوادر العلمية وإنشاء المؤسسات التي بها ترقى الأمة، فالله يعينه، ويفتح على يديه من الخير والإحياء والحق ما الأمة بحاجة إليه) اهـ.

فالحمد لله على نعمة وجود مولانا بيننا، وأن رزقنا إياه.

الطريقة الصديقية الشاذلية: النشأة والأهداف

يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة في معرض الحديث عن الطرق الصوفية وأصولها، ونشأتها: (إن الطريق نقل واتباع واقتداء، وليس هو بأمر عقلي، ولا مُخْتَرَع، وإن ركيزة التصوف هي السند الصحيح المتصل لحضرة سيدنا رسول الله ﷺ عبر إمام الطريقة في سلسلة مباركة معلومة، ومريدٌ بلا سند مقطوعٌ، حيث تشير سلسة مشايخ الطريقة إلى منابع أصولها، وواضعي منهجها، ومقرري نظرياتها الصوفية، فالطريقة لا تُعَدُّ تعاليما منفصلة عن تعاليم الشريعة بل جوهرها، وإن أول مدرسة للصوفية كانت مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأول فرقة من تلاميذها كانوا هم أهل الصُّفَّة، وعنهم أخذ جمهور المسلمين طبقة بعد طبقة).

ولما كانت قواعد الفقه وهيكل العبادة ـ كالقيام والركوع في الصلاة ـ هي الشريعة، وروح العبادة ومعناها هو الحقيقة ـ كالخشوع والحضور والتبتل والاستغراق في الصلاة ـ، ومن ثم كان تلازم الشريعة والحقيقة في الأمر الكامل تلازم الماء في العود والروح في البدن وهو ما نسميه (الطريقة) وذلك هو قولهم: «شريعة بلا حقيقة عاطلة، وحقيقة بلا شريعة باطلة». وكذلك العقيدة، فعلومها تبحث عن القضايا المنطقية والأدلة الكونية على الكمال والقدسية والتنزيه الإلهي، ووظيفة التصوف هي البحث عن الحقوق القلبية لمستوجب التقديس والسبحانية عز وجل، وكيف يستمتع الموحِّد بإشراق شموس الأسماء والصفات ويتضلع من أنوار الحقيقة فيما وراء المادة؛ فلا تصوف إلا بفقه؛ إذ لا تُعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه، ولا هُمَا إلا بإيمان؛ إذ لا يصح واحد منهما بدونه، فلزم الجميع لتلازمهما في الحُكْم كما قال زروق في قواعده؛ ولذلك قالوا إنه ينبغي لشيخ

الطريقة أن يكون عالما بالإضافة إلى كونه تقيا؛ ليعمل على الربط بين محاسن الشريعة والعقول السليمة، بين الشريعة والحقيقة.

وعن الناحية المصطلحية العلمية والتاريخية، يبين فضيلة مولانا الإمام العلامة أن التصوف كان موجودا على عهد رسول الله ﷺ وذلك في القرآن، وفي السنة، ولكن ليس بنفس الاسم المصطلحي العلمي، كما لم يكن الفقه موجودًا بهذا الاسم أيضا، ولم يكن علم التوحيد موجودًا بهذا الاسم، ولم يكن علم أصول الفقه موجودًا بهذا الاسم، حتى جاء الخطيب البغدادي (ت463هـ) وألف كتابه (الفقيه والمتفقه)؛ ليبين أن كل ما ذهب إليه أهل الأصول كان مرويًّا عن الصحابة الكرام في معناه، إنما العلوم جملة من المصطلحات، وليس بدعة.

أما عن المصطلح في ذاته، فلقد ظهر التصوف كمصطلح في القرن الثاني الهجري، أيام السلف الصالح، والقرون الثلاثة المفضلة، ونجد هذا مكتوبا ومسجلا في كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني (ت430هـ) في ثمانية مجلدات، والتي حوت أكثر من 800 من أهل التصوف، وبخاصة الفضيل بن عياض (107-187هـ)، وإبراهيم بن أدهم (ت162هـ)، وغيرهم، فمن الضلال إذًا أن يقول البعض إن الأئمة الأربعة لم يكونوا متصوفين! حيث كان التصوف سائدًا منذ القرون الأولى، بل إن أئمة القراءات العشر كانوا من أهل التصوف.

ومن الناحية التاريخية يطيب لنا نقل كلام شيخ شيخنا الإمام الرائد محمد زكي إبراهيم، موضحا أن التشكيلات الصوفية لم تُعْرَف كطرق مستقلة إلا في القرن الثاني من الهجرة إذ كان التصوف قَبلا ينتشر كمذهب رباني أخلاقي عام كميراث نبوي عام يسري كالماء في الورد، لا ينقسم إلى قطاعات أو طرق، حتى ظهر الشيخ (علوان

الجداوي) وأسس الطريقة التي عُرفت باسمه في الحجاز حتى توفي عام 145هـ، ودفن بجدة[1]، وكان السبب وراء ذلك أن مطالب النفوس واختلاف البيئات والأذواق والأجواء والملابسات والتربية والوراثة تستوجب خلافا فرعيا تماشى به الشريعة مع السنن الفطرية والواقع الفعلي، وهذا هو سبب اختلاف المذاهب والطرق، فهو اختلاف الفطرة الضرورية في جزئيات فرعية تدور كلها في محيط الأصول الأساسية لا تتعداها فلا تعتبر تفرقا في الدين. فالطريقة الصوفية هي المدرسة التي يتم فيها ذلك التطهير النفسي والتقويم السلوكي وكلها تبدأ بالتوبة وتنتهي بالمعرفة، فالبداية والنهاية فيها واحدة ومستمدة من الشريعة، وإنما الاختلاف في المناهج والأساليب بين وحدة البداية والنهاية ولذلك سميت الطرق بالمسالك، والشيخ هو القَيِّم أو الأستاذ الذي يقوم بذلك مع الطالب أو المريد. وعليه فلقد كان السلف لا يعترفون بطريقة إلا بعد الاستيقان من استكمالها لشخصيتها المعنوية المستقلة، وسلسلة سندها الثابت، حتى وإن كانت فرعا من أصل، وعلى هذا يسير الحال إلى يومنا هذا.

فالطرق الصوفية كما يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة هي عبارة عن مدارس مختلفة لتطبيق هذا التصوف، حيث قام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بتعليم هذه الطريقة: طريقة المشيخية أن يكون هناك شيخ، أي أن يكون هناك مريد، بمعنى

(1) وبين القشيري في أول رسالته انفراد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم من طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة. ويعضد ذلك ما ذكره الكندي وكان من أهل ق4 في كتاب (ولاة مصر) في حوادث سنة مائتين أنه ظهر بالإسكندرية طائفة يسمون بالصوفية يأمرون بالمعروف، وكذلك أيضا ما ذكره المسعودي في (مروج الذهب) حاكيا دخول أحد الصوفية على المأمون. وذكر أيضا صاحب (كشف الظنون) إن أول من سمي بالصوفي أبو هاشم الصوفي المتوفي سنة خمسين ومائة. لمزيد من التفاصيل راجع (الانتصار لطريق الصوفية الأخيار)، الزمزمي بن محمد بن الصديق الغماري.

أن يكون هناك وِرْد، وأن يكون هناك عهد، وأن تكون هناك مدرسة تُدَرَّس فيها هذه المناهج التي يطبقها كل المسلمين، ولكن بدرجات متفاوتة. فجاءت الطرق لكي تعمل على تحويلها لنظام مدرسي مشيخي، واختص سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه تلميذَه الحسن البصري رضي الله عنه بذلك، ثم انتقلت عبره سلسلة شريفة إلى يومنا هذا. ولذلك نجد أن سلاسل التصوف إلى منتهاها، هو سيدنا رسول الله ﷺ، ولها أسانيد عدة، من أهمها سند لسيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ويرويه بعض النقشبندية، وكذلك لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولم يرد إلينا أن سيدنا عمر رضي الله عنه أقام طريقة صوفية.

ويبين فضيلة مولانا الإمام العلامة أن الطريقة التي أقامها سيدنا علي رضي الله عنه أعطى الطريق فيها للحسن البصري رضي الله عنه ، بمعنى أن الحسن البصري حمل على عاتقه هذا الطريق، ولذلك تجد أعداء الطرق الصوفية يشككون في هذا الأمر بأن الحسن البصري لم يسمع من سيدنا علي، والسبب في ذلك أنهم يريدون قطع السلسلة (أي السند) الذي يعتمد الصوفية عليه، فيكون طعنا في أصل الصوفية والتصوف، حتى جاء رجل هندي هو محمد طاهر القادري ألف كتابا ضخما اسمه (القول الحسن في سماع الحسن)، وأتى بأدلة كثيرة جدا عبر مجلد ضخم (نأمل أن يُعاد طبعه في مصر)، حيث إنه طُبع في الهند قديما، وهو غير مطبوع حاليا (ولكن والكلام مازال لمولانا: ولكن لدي نسختي)، وذلك تأكيدا للناس جميعا أن الطرق الصوفية منسوبة إلى سيدنا علي رضي الله عنه عن طريق السند المتصل وأوله الحسن البصري الذي تربى في بيت السيدة أم سلمة رضي الله عنها، لأن أُمَّه (خَيْرَة) كانت تخدم السيدة أم سلمة عليها السلام، فهي أم المؤمنين زوج سيدنا النبي ﷺ، والحسن البصري كان عمره حوالي

خمسة عشرة سنة لما أعطاه سيدنا علي رضي الله عنه الطريق، وكان شابا نجيبا ورأى فيه النجابة، فكانت خمسة عشرة سنة هذه هي مدخل الرجال في زمنهم. من ذلك يتضح أن مفهوم الطرق منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا بالسند المتصل، وكذلك فإن كل المسلمين يعيشون مرتبة الإحسان بدرجاتها (عوام، وخواص، وخواص الخواص)، ولكن ليس بالضرورة أن يكون صاحب طريق بانتمائه إلى طريقة من الطرق الصوفية، إلا أنه يمارس التصوف (مقام الإحسان) ولكن ليس من خلال طريقة.

وينتهز فضيلة مولانا الإمام العلامة الفرصة ليؤكد على أهم قاعدة في الطريق وهي أن الله مقصود الكل، والطريق إلى الله واحد، والخلاف من جهلة المريدين، فإذا تشاجر أو اختلف أهل طريقة من الطرق الصوفية مع أهل طريقة ثانية، فيقول أهل الله إن هذا من جهلة المريدين لأنهم فقدوا وحدة الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، ولذلك إذا جاء أحد المريدين يقول لك أنت أحسن وأفضل شيخ، فهذا من جهله، فنصف القطر واحد في أي مكان على الدائرة، وبمعنى آخر هو ما نقول عنه (لكل شيخ طريقة)، وهذا هو روعة التصوف، اختلاف الاتجاهات والمشارب، والله مقصود الكل. وشَبَّهوا ذلك - حتى نقرب الأمر للناس - بالدائرة حيث إنه من يقف على محيط الدائرة، ويقوم برسم خط إلى مركزها، فيكون نصف قطر للدائرة، وهو يتساوى مع جميع أنصاف الأقطار لذات الدائرة والواصلة من كل نقاط محيطها، وعددها لا نهائي، والمعنى أن طريق الله واحد، لكن هناك من يقف هنا، وهناك من يقف هناك، والكل على محيط الدائرة، والاختلاف هنا يصير محمودا لكونه اختلاف تنوع، وليس من قبيل التضاد فليس إذن هناك تناحر فيما بينها بل إن طريق الله واحد كما ذكرنا، وهنا لابد من تقرير أمر مهم، وهو أن هناك فرقا كبيرا بين مفهوم التصوف، والطرق الصوفية.

خلاصة القول: إن في تعدد الطرق الموصلة إلى الله تعالى سَعَة ورحمة بالعباد، وليس هناك فرقٌ بين طريق وآخر إذا ما كان الجميع مقيدًا في سَيْرِه بالكتاب والسنة، فالجميع يتجهون إلى جهة واحدة ويهدفون إلى غاية واحدة، والخلاف بينهم إنما هو في المنهج المتبع لأجل ذلك، إلا أن مقصود الكل هو الله. ولتقريب هذا المعنى لأذهان الشباب نقول إنه يحاط بنا العديد والعديد من المدارس والجامعات العلمية، ولو نظرنا في أهداف إنشاء كل منهم سنجد أنهم جميعًا يتفقون في الأهداف، إلا أن لكل منهم منهج معتمد وسياسة خاصة للوصول إلى تلك الأهداف، فإلى أي منهم التحق الطالب وصل إلى ذات الهدف، ولذا فعلى الطالب للطريق أن يكون في سَيْرِه فيه ملتزمًا شيخًا يبين له سبله وعوارضه، وألّا يكتفي في سَيْرِه بالسماع أو القراءة في منهج الطرق، فوجود الشيخ يجعل قدم السائر راسخة وخطاه ثابتة في الطلب، ويجنبه ما قد يكون فيه من فتن وعوارض قد ينشغل بها المريد فتحول بينه وبين الوصول إلى مراده؛ لأجل هذا يجب على كل من أراد الوصول أن يسأل ويتخير لنفسه من يراه في نهجه أنسب لحالة وأيسر له في الوصول لمراده، والذي يجب أن يكون واضحًا له منذ البداية هو أن المراد والمقصود هو «الله».

خلاصة الأمر أن الطرق الصوفية تهدف في عمومها إلى تحقيق التربية الدينية والروحية لأتباعها ومريديها ولعموم المسلمين، بما يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، وتدعو إلى الالتزام بالعمل بالأحكام الشرعية، وتتبع في ذلك سبيل الوعظ والإرشاد. ومن ثم فلا يجوز لمريدي أي طريقة القول بعقائد أو إتيان أفعال أو إقامة موالد أو احتفالات أو أذكار تخالف ما وردت به الشريعة الإسلامية أو النظام العام أو الآداب. ولذلك فإن الطرق الصوفية لا تنفك عن الواقع، فالتصوف خدمة تتكيف

بحاجة كل عصر، وكل إنسان، وكل وطن، فهي تجسيد شامل لعملية الاستخلاف على الأرض، وتطبيقاتها تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال والأشخاص، وأن الطريقة لا تعد تعاليما منفصلة عن تعاليم الشريعة بل جوهرها، ومن ثم **يعتمد المنهج الروحي للطريقة الصوفية في عمومه على الأمور الآتية:**

* جملة المندوبات والآداب التي توصي بها الطريقة والمكروهات حسب شعارها، وكذا ترتيب الخلوات وكيفيتها وطرق الذكر ومجالِسَهُ وتنظيم الحضرات. وطريقتنا (وكل طريقة شرعية) لا تفرض على أتباعها أي أوامر أو نواهيَ غير ما شرع الله تعالى للمسلمين ولا تحل حراما أو تحرم حلالا.

- الإرشاد إلى دقائق الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتفاصيل الآداب الإسلامية والأخذ بأسباب التسامي في السلوك بتحري مدارج أحسن الإحسان للسمو بالنفس إلى الكمال وتخليصها من الخلق الذميم وإكسابها أسباب العمل القويم بسند صحيح إلى النبي ﷺ، مع الاسترشاد بالصالحين ومحبة آل البيت واحترامهم وأقطاب الطريق.
- طائفة من الأوراد والأحزاب الخاصة بالطريقة، ومنها ما هو مشترك في أصله وأساسه مع سائر الطرق، وبخاصة الشاذِلية، ومنها ما يميز طريقتنا العلية عن غيرها.

ودائما ما يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة: إن المنهج العملي التطبيقي للطريقة الصوفية يرتكز على الخدمة، وأنه في طريقتنا العلية الصديقية الشاذلية تدور مجالات الخدمة الحياتية لطريقتنا العلية حول محورين هامين: الإنسان والبنيان، مع تقديم الإنسان على البنيان، والوعي قبل السعي، والساجد قبل المساجد، سعيا إلى الإنارة لا

الإثارة، وأن الإنسان هو صاحب الحضارة وصانعها، وأن البنيان هو أثر ومحل هذه الحضارة، فالتصوف ما هو إلا بناء الإنسان، وهي التربية. وأن هذه التربية تختلف باختلاف كل طريقة، واختلاف شيخها، فهناك بالإضافة إلى الطريقة الشاذلية، فهناك العديد من الطرق الصوفية التي تنتمي إلى التصوف السُّنِّي، ومن ذلك الرفاعية المنسوبة إلى الرفاعي، وهناك الأحمدية المنسوبة إلى أحمد البدوي، وكذلك التيجانية المنسوبة إلى أحمد التيجاني، والجوشتية المنسوبة إلى الجوشتي، والأكبرية نسبة إلى محي الدين بن العربي، كما أن هناك طرقا كثيرة نهايتها أئمة من هؤلاء في الخلوتية، وهناك القادرية نسبة إلى عبد القادر الجيلاني.

ويقول فضيلة مولانا الإمام العلامة إن طريقتنا الصِّدِّيقِيَّة الشَّاذِلِيَّة تُحِب جميع الطرق الشرعية الرسمية مهما اختلفت المشارب والمناهج والأسماء، والفضل فيها والقرب من الله من حيث نفعها للناس وخدمتها للوطن وولائها للدين وأخذها بيد الخلق إلى طريق الحق، لا نُكِنّ حقدا ولا ضغينة على أحد من أرباب الطريق، ونتبرك بجميع الأولياء والأصفياء والصالحين، وفي مقدمتهم السادة آل البيت الكرام. وأن من جاءنا وانضم إلينا لله فليسرع ومرحبا به، ومن جاءنا لنفسه فليرجع، ومن عرفنا لله فهو معنا، ومن عرفنا لغيره فليدعنا، ومن نازعنا في شيء من أمور الدنيا تركناه له، ولا نبالي، وأننا لا نذم أحدا ولا ننقده ولا ننتقصه مهما كان، فغايتنا الله الله الله. وأن الاختلاف العام بين الطرق هو كيفية البدء، فمنهم من يبدأ بالجذب ثم السلوك، ومنهم من يبدأ بالسلوك إلى الجذب. فالمجربات والأذكار التي تدفع إلى العمل، فيفهم معنى الألوهية، والربوبية، وأن الحقائق الكونية مبنية على لا حول ولا قوة إلا بالله، تجعل المرء ينجذب قلبه إلى الله تعالى فيدفعه ذلك إلى التمسك بالصلاة والزكاة، والذكر،

والقراءة، والاجتهاد، وفعل الخير، وعبادة الله، وعمارة الأرض، وتزكية النفس، والعكس صحيح. وأهم ما في الموضوع هو أن الشاذلية أقرب إلى السُّنَّة فلا يكلفون المريدين أمورا صعبة، والأهم هنا كيفية الاختيار بين الطرق. وفي هذا نقول الأقرب إلى السُّنَّةِ، والأقرب إلى التيسير، فما خير ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وأحب الأعمال أدومها، ونريد أن نسير مع النفس الطويل وألا نتعجل الأمور. وأنه من أمثلة طرق التربية الأخرى ما نراه من طلب الشيخ أن يعلق المريد سبحة ثقيلة الوزن في رقبة المريد، للقهر والتحلي بالتواضع، ومنهم من يطلب من المريد تنظيف عشش الدجاج، وهذا من أنواع التربية الشديدة، فإذا اعترض المريد كون الناس تراه، يقول له الشيخ: وهل تعبد الناس؟! وعلى النقيض نرى أن هناك من الطرق مَنْ ضَلّ، وجاء بمقولات خطأ، إلا أن أعداء التصوف شنعوا بذلك وقالوا كلاما غير حقيقي، فالحقيقة أنه لو كانت الطريق ألف (1000) طريقة، فسوف نجد منها (990) طريقة صحيحة، والعشرة الباقية: (3) منهم ضلوا، و(3) حدثت لهم لخبطة، وباقي العشرة خرجوا، فيأتي أعداء التصوف ولا يذكرون الطرق الصحيحة وعددها، بل يحاولون إشاعة أن التصوف هو العشرة طرق فقط، وأنها ضالة.

وهنا يطرح فضيلة مولانا الإمام العلامة سؤالا دائما ما يتبادر إلى ذهن الناس:

وكيف نختار بين الطرق؟ بمعنى: ما هي معايير اختيار الطريقة، ومقاييس اختيارها؟

وفي هذا الصدد يشير شيخُنا السيد عبد الله بن الصديق الغماري إلى معيارين أساسيين: **الأول**: القرب من السنة المشرفة، **والثاني**: نختار من الطرق أيسرها (الأيسر في الحياة، أي العمل بالتيسير). ويمكن أن نلحق بهما مجموعة أخرى من المعايير، مثل: العودة من قريب أي الاستغفار والتوبة والعزم على عدم العودة، وسهولة الانتقال من

شيخ لآخر (وله ضوابط أخلاقية أدبية بالاحتشام مع الشيخ وعدم اتهامه بالقصور أو التقصير، بل بتعظيم هذا الشيخ وتوقيره في خلواته وجلواته). وفي النهاية فالكل يأخذ من سيدنا رسول الله ﷺ، ولكن بأساليب تربوية مختلفة تحقق الغاية.

وهناك طرق بعيدة عن السنة المشرفة، إلا أنها تأتي بنتائج حيث نتعامل مع الجسد فتكلفه مالا يطيق، ومن ذلك أن الشيخ يريد أن يكسر نفسك قليلا لأنه رأى فيك الغرور أو الكبر، كأنك فرعون، فيأمرك أن تغسل الحمامات، حتى يزول الكبر، فالشيخ عَليّ الخَوَّاص وصل إلى ما وصل إليه لأنه كان بالليل من العشاء إلى الفجر يغسل مساقي الكلاب، وينزح وينظف أحواش الحمامات للمساجد ليجدها الناس نظيفة صباحا عند الفجر، وكان أميًّا، وكان يحفظ القرآن، وفتح الله عليه فتوح العارفين به.

وإذا لم يُوفق المريد إلى شيخ، بمعنى أنه عند فقد الشيخ، فينصح فضيلة مولانا الإمام العلامة أن نتمسك بالأربعة الآتية:

- علم صحيح،
- وعقيدة راجحة واضحة،
- وذكر مستدام،
- وصلاة على النبي ﷺ بركة للمسلمين وللأنام جميعا.

فبهذه الأربعة نصبر حتى يرزقنا الله سبحانه وتعالى بالشيخ العارف الوارث المحمدي الذي يأخذ بأيدينا إلى الله في طريقنا إلى الله.

وفي الخصوص تعرّض فضيلة مولانا الإمام العلامة إلى سر انتشار الطريقة الشاذلية والتي أسسها إمام الطريقة سيدي أبي الحسن الشاذلي، حيث كانت الطريقة الشاذلية

عاملا مساعدا كبيرا في هداية خلق كثير عبر القرون منذ أن أوضح معالمها السيد أبو الحسن الشاذلي (ت 656هـ) رحمه الله تعالى ورضي الله تعالى عنه، والذي ترك مدرسة كبيرة ذهب بها المرسي أبو العباس إلى الإسكندرية وربى المربين، فتتلمذ على يديه ابن عطاء الله السكندري. ومن خصائص الشاذلية أنهم أُعْطوا حسن المنطق في العبارة. كما أنهم يقومون بالتربية بالكلمة (المقال) والفعل (الفعال) والحال، وأيضا بالنظرة فينظر الشيخ للمريد فينهض به ويساعده على تعديل سلوكه وأحواله، ومن قواعدها:

- (طريق صحبة لا عهد)، فلا يشترطون تلقي العهد ظاهرا، فالعهد قلبي.

-(طريق راحة لا تعب)، فهو الأيسر للحياة.

- (من أخذ وردنا فله ما لنا وعليه ما علينا).

- (خذ من الأذكار والوظائف ما يناسب الطبع لتعينك قوى النفس)، واتبع إذن شيخك، فهو الأولى.

- (كن في سببك وما كتب إليك على أيدينا يصل إليك). فلا تترك الدنيا وأسبابها، فالأخذ بالأسباب فريضة، وترك الأسباب جهل، والاعتماد على الأسباب شرك، فكن كما أنت مهندسا أو طبيبا أو عالما أو متعلما، أو غير ذلك، ولكن كن صديقيا. فالشاذلية لا يخرجون مريدهم من سببه ولا يطلبون منه التجريد كما كان متبعا في الطريق الصوفي قبل ذلك، بل يقيمونه فيما هو فيه، ويكلفونه بما خف عليه من الورد والذكر.

كذلك فإن من أهم خصائص الشاذلية على العموم كما يؤكد فضيلة مولانا عدم انقطاع السلسة والسند إلى سيدنا رسول الله ﷺ، والإذن دائما هو مفتاح البركة في

كل شيء، وسبق بيان سندنا في الطريق في موضع آخر من هذا الكتاب[1]. وتحديدا فإن طريقتنا عَلِيَّة وَصْفٌ من العُلُو، وسميت بالصديقية بالنظر إلى الأسانيد حيث تلقيت هذه الطريقة أول ما تلقيت عن سيدنا الشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، وكذلك نجد في سندها الإمام الدرقاوي فتسمى الطريقة بالصديقية الدرقاوية، ويسير السند بنا حتى نصل إلى الإمام أبي الحسن الشاذلي، إلى منتهاه إلى سيد الخلق أجمعين. وأنه لِفَهْم كافة مناحي الطريقة وأساليبها فإن هذا يتم بالقراءة في آداب الطريق، وفي ترجمة شيخ الطريقة، الشيخ أبو الحسن الشاذلي، وأقواله وأفعاله، وكيف كان يدعو، وكيف كانت عبادته، وصلاته، وكيف كان يُرَبِّي، وماذا كتب الناس عنه، فعند ذكر الصالحين تتنزل الرحمات.

وفي هذا الصدد يشرح فضيلة مولانا معنى العهد عند الصوفية، ويبين بعض المفاهيم الخاطئة التي تتعلق بها هذه الكلمة، وأن الإجابة عن ذلك تتحدد في بيان أقسام ودوائر المريدين ومراتبهم وأنها في طريقتنا في صورة دوائر، فالعهد كالدوائر، وهذه الدوائر بعضها أوسع من بعض، وبعضها فوق بعض، فهو كأنه دائرة كبيرة فوقها دائرة أصغر منها فوقها دائرة أصغر منها وهكذا. والحادث في عصرنا أن كثيرا من الناس يخلط بين هذه الدوائر حتى إن البعض بمجرد دخوله في الدائرة الأولى يعتبر نفسه في الثانية، وهنا هو لا ينال شيئا، فلا يحقق ما هو منسوب إليه، ولا يحقق ما يسمى بالعهد، والصحيح أنها دوائر وأن الدائرة الأولى قد تأخذ معك سنين حتى يطمئن قلبك ويُفتح عليك، وتحدث ما يسمى بالإشراقات وهي أكثر من عشرين نوعا، وهي نِعَم

(1) وهنا لطيفة لابد لأبناء طريقتنا من معرفتها، أن سندها عليّ، فمؤسسها سيدي أبي الحسن الشاذلي، وكان اسمه عليّ، إلى سيدنا عليّ بن أبي طالب، إلى صاحب القدر العليّ من قال فيه ربه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4]، إلى رب العزة الأعلى العليّ.

من عند الله ولكنها ليست مقياسا للحق، ومن هذه الإشراقات: الرؤى، والكرامات، والكشف، والفتح، ومعرفة الأسرار، والواردات، والخواطر، والإلهام، والإشارات، وهكذا، وأنها لا تعني أنك قد وصلت إلى الله، ولكنها تعني أن عليك تكاليفا أكثر شكرا لهذه النعم والقيام بوظائف هذه النعم «أفلا أكون عبدا شكورا».

ولقد بين فضيلة مولانا في مقام العهد أن هذه الدوائر على مراتب ثلاث رئيسية: المرتبة الأولى (الدائرة الكبرى)، والمرتبة الثانية (دائرة الانتساب)، ومرتبة السند (دائرة الصحبة).

وهذه الدوائر كما قال فضيلة مولانا الإمام العلامة هي كما يلي:

1) <u>الدائرة الكبرى:</u> وهو التمهيد، ونسميه دائرة إعطاء الأذكار للمريد، وفيها يميل الإنسان إلى طريق معين، فيبدأ في هذا الطريق في أذكاره، وأوراده وأحزابه وتراتيبه، حيث يختار من البحر الخضم الذي هو سيدنا رسول الله ﷺ ما يوافق وقته، وقدرته، وظروفه، حيث يرتوي كل المسلمين من سيدنا ﷺ، بل كل العالمين إلى يوم الدين. وكل شيخ له اختيار يتواءم مع الوقت ومع القدرة لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها. فإذا أخذها المريد على ذلك، فهذا بمثابة عهد، أي أنه قد عاهد الشيخ على الالتزام بما لقنه إياه من أذكار وأوراد بالكيفية التي علَّمها له.

فعندما أقوم بإعطاء المريد الأساس والمسبعات والوظيفة، وأطلب منه قراءتها لمدة شهر متواصل، ثم بعد ذلك انقله إلى الأسماء الأصول، فالفروع، فالأسماء الحسنى، فلفظ الجلالة، إلى آخره، فهو هنا في الدائرة الكبيرة، إنما يمكن أن نسمي العهد هنا هو أنه عاهد الشيخ على أن يحافظ على هذه الأذكار ويتبعها ويستمر فيها.

وإن الإنسان إذا تخير هذا الطريق، ثم إذا دخل ولم يجد نفسه ولا قلبه ولا

طمأنينة هذا القلب في هذا الطريق ووجد أن أموره لم تنتظم مع هذا الطريق، ولم يُفتَح عليه فيه، انسحب منه لأنه لم يعد بعد منتسبا انتسابا يمنعه من الانتقال إلى غيره، كما أنه على العموم لا حرج وهو في هذه الدائرة أن يقول إنه صِدّيقي شاذلي أو نقشبندي أو دسوقي أو برهاني وهكذا، لأنك تذكر أورادهم وتردد أذكارهم، فكلها تسعى إلى التربية والتخلية من كل قبيح والتحلية بكل صحيح فيختار المسلم ما أراد منها.

فهذه دائرة التمهيد فمن جهة النسب يمكن القول أنك تنتسب إلى الطريق، ولكن يمكنك أن ترجع فيه.

2) دائرة الانتساب: وهي أعلى من المرتبة السابقة، ويقول فضيلة مولانا إن هذه دائرة من دوائر البيعة والعهد أيضا، حيث تجد أن أمورك قد انتظمت، وأنه قد فُتِح عليك، وهو الانتساب إلى الطريق، ولا يجوز حينئذ الانتقال إلى طريقة أخرى، بمعنى: هل أصبحت بعد ما انتهيت من التمهيد داخلا في الطريق، منتسبا إليه؟ فهذا يحتاج إلى إذنٍ للقراءة. بمعنى أن هذه المرتبة تزيد على مرحلة التلقي والتلقين من الشيخ، إلى الإذن الخاص للمريد وأخذ العهد عليه بالالتزام بالطاعات والانتهاء عن المعاصي، إضافة إلى الالتزام بالطريق والمواظبة على سلوكه ومداومة الذكر والفكر حسب منهج الشيخ وطريقته، إضافة إلى خدمة الطريقة، وشيخها، وإخوانه فيها، ومواصلة السلوك في هذا الطريق حتى نهايته.

والمتابع لفضيلة مولانا الإمام العلامة وتوجيهاته ودروسه وطريقته في التربية يستطيع أن يستنبط بعض التفاصيل حول هذه الدائرة، بشيء من التفصيل، على النحو الآتي:

أ) دائرة الإقراء: وهنا يعطي الشيخ الإذن فوق ما سبق (ولا ينقطع عنه)

بالإقراء، لأنه أصبح الآن في مرتبة تسمح له بتوصيل الذكر بإعطاء الذكر من عند نفسه بإذن شيخه طبقا لنفس الطريقة التي ينتسب إليها.

ب) دائرة السند أو الصحبة: وهي مرحلة أعلى من سابقتيها، حيث يُدْخِلُ فيها الشيخُ مريدَه بعد أن يجده صالحا ومؤهلا، فيعطي الشيخ سند الطريق للسالك، ويوقع له عليه، وهذا الذي يصدق عليه أن المريد ابن أول الطريق، والذي إذا خرج عن هذا وتركه يبقى كأنه ترك خيرا وخرج بدون مبرر، فيكون ناقضًا للعهد وهذه في حد ذاتها نقص كبير حينئذ، وليس خروجًا لا عن الملة ولا عن الإسلام، ولا شيء من هذا القبيل، ولكنه يعني نقصا مما يعتري البشر.

3) دائرة الصحبة وإلباس الخرقة: وفيها يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة، إنها علامة المصاحبة والاقتداء بين الشيخ والمريد، وهي مما استحسنه المشايخ ورأوا من أثره وبركته الكثير، وهو مما له أصل في السنة النبوية. وقد ألبسني الخرقة - والكلام مازال لفضيلة مولانا الإمام العلامة - سيدي الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري، وكان يتبع الطريقة الدرقاوية الشاذلية، فقد جاء يوما ومعه عباءة لها شكل معين، ووجدته يلبسني إياها، فقلت له: ما هذا يا سيدي؟ قال: هذه الخرقة، والخرقة ألبسها سيدنا عليّ رضي الله عنه للحسن البصري، ثم قال لي: هذه أمة مرحومة، لا تتبع الأوهام، ولا تبتدع، وإنما تتبع، أمة فيها معونة وفيها حفظ.

وعلى هذا فالمريد الذي يطلب الطريق ويسير في هذا البرنامج يعلو بالالتزام وينخفض بالترك، وهذا حال الدنيا، بعض الوقت ارتفاع، والآخر انخفاض، ومنه حديث حنظلة عند مسلم «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً».

وللأسف بعض المريدين يظن أن البقاء مع الملائكة ودوام الانجذاب شيء طيب، فيريد الاستمرار عليه، فنقول له بل سوف يذهب عقلك، ولن تُعَمِّر الأرض، لأنك لو داومت على الاتصال بالملائكة سوف تترك عملك، وتصير الدنيا خرابا. ومعنى هذا أن الدين جزء من الحياة وليس ضد الحياة، فلابد من القراءة الصحيحة ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]، وكذلك ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:61]، أي طلب منكم إعمارها.

ويتفرع على ذلك أيضا قضية الخروج من الطريق، وهذا يتعلق بمعرفة:

هل التصوف من الواجبات أم المندوبات؟

فيبين فضيلة مولانا الإمام العلامة أنه قد اختلف العلماء في هذا، فبعضهم ذهب إلى أن التصوف واجب ومن ثم لابد عليه أن يسلك الطريق وأن يستمر فيه، والراجح عندي أن التصوف ليس بواجب ودليلنا هو ما بيَّنَه سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في حديث جبريل أن الإحسان درجتين، وهذا ليس باتفاق إنما وجوب طريق التصوف عند بعضهم، فمثلا كان سيدنا الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري يذهب إلى وجوب التصوف، وعندي - والكلام لفضيلة مولانا - أن التصوف ليس بواجب، ومن ثم تكون الإجابة أنه لا حرج من خروجه من الطريق، ولكن يستمر في الأذكار، وأيضا إذا أراد ترك الأذكار والانقطاع عنها، فله ذلك، فهو ما زال مسلمًا يستمر في الفروض لكن هذا ليس هو الأحب عند الله، فكما قررنا سابقا أن هذا من باب «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ»، وهو حديث البخاري.

ومن ذلك أيضا انقطاع إمداد الشيخ للمريد، وعلامات ذلك أنه لا يشعر

بالديمومة المشار إليها عاليه، فالديمومة على الأذكار التي أعطاها الشيخ له علامة الصحة، أي لو أن مريدا كان مع شيخه فأعطاه الأذكار انقطع عنها ثم رجع إليها ثم انقطع عنها ثم رجع إليها، أي أنه غير قادر على المداومة، فليعلم أن رزقه ليس عند هذا الشيخ، وهذا ليس عيبا في الشيخ أو المريد على الإطلاق بل هو من باب عدم المواءمة، وهنا يصح للمريد الانتقال إلى طريقة أخرى، حيث لا نتيجة ولا نتاج مع الطريقة الأولى، فالاستمرار والديمومة هي العلامة الوحيدة. وهناك علامات أخرى ولكنها ثانوية، كالاستحضار، والترقي، والإشراقات، فوجودها يعطي دلالة على وجوده في الطريق.

ومن ناحية أخرى يمكن النظر إلى قضية **الفرق بين إعطاء العهد، وإعطاء الورد:** فننصح المريد بألا يتعجل طلب العهد، فأول الطريق أخذ الأوراد، أما أخذ العهد فلا يجوز لك بعد ذلك أن تتركه.

ولذلك تأخذ طريقتنا منهجا عاما عند البدايات، وهو الذكر الأساس، والمسبعات، والوظيفة الزروقية صباحا ومساء (على تفصيل للأوقات والأعداد) لمدة شهر دون انقطاع، ثم الأسماء الحسنى الأصول (سبعة أسماء)، والفروع (ستة أسماء)، ثم الأسماء الحسنى ال 99، ثم الاسم المفرد (لفظ الجلالة على العموم)، جنبا إلى جنب مع التربية، ودلائل الخيرات، وكنوز الأسرار، والعشرة الطيبة، وورد القرآن اليومي.

وإن لإعطاء الورد طرقا، أعلاها التلقي من الشيخ، إلا أن فضيلة مولانا الإمام العلامة أكد على جواز أخذ الأوراد عبر مُقَدِّمي الطريقة، وأنه يمكن أخذ الأوراد بالوسائل المعاصرة والميديا الإلكترونية فإن شاء الله يحقق قانون التواصل النوراني بين الشيخ والمريد، ابتغاء الوصول إلى القلوب الضارعة حيث يكون القلب متعلقا بالله، يتضرع إلى الله، أي يلتجئ إلى الله، بمعنى أنه مرتبط بالله. وهذه الضراعة تأتي من كثرة الدعاء.

ويشير فضيلة مولانا إلى أن الطريقة الصديقية الشاذلية تعمل على تدريب المريد لإيجاد **العلاقة بين الذكر والفكر**، فالفكر يتأتى بإدراك الواقع، والذكر إنما هو موضوعه رب الواقع جل جلاله، فالذكر يختلف عن الفكر، والعلاقة بينهما هي التطبيق العملي للجمع بين الذكر باللسان والقلب، تحت مظلة الكتاب المسطور، والكتاب المنظور، من خلال النسق المعرفي، والاستعانة بالنموذج التفسيري.

ولقد سطرنا في **اللائحة الداخلية لطريقتنا العلية مجموعة** واضحة من أهداف الطريقة، ومنها أن نهدف إلى تحقيق التربية الدينية والروحية لأتباعها ومريديها ولعموم المسلمين، بما يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، وتدعو إلى الالتزام بالعمل بالأحكام الشرعية، ونتبع في ذلك سبيل الوعظ والإرشاد.

وأن **الطريقة تتألف من الناحية الروحية من العناصر الآتية** كما نص عليه قانون الطرق الصوفية المصرية:

(أ) **الخليفة** (أو الخلفاء، وهم مقدمو الطريقة)، وهو قدوة أهل العرفان والكمال ذوي التقوى والإلمام بمبادئ الشريعة لتابعيه ومريديه، ومرتبتُه الروحية مستقلة عن الترتيب الإداري للطريقة.

(ب) **جماعة من الآخذين بأسباب الطريق** وعزم الإرادة من التائبين والمريدين والمسترشدين بمنهج الطريق وقدوته ويجري ترتيبهم روحيًّا حسب منهج الطريقة.

(ج) **منهج للطريقة بسند صحيح إلى رسول الله ﷺ** يعتمد على الخصائص المذكورة في أهداف الطريقة وخصائصها.

وأن شيخ الطريقة هو الرئيس الروحي والإداري لها، وهو المربي والمرشد لكل مريد من أتباع الطريقة، فهو بمثابة الأب الروحي والمُوَجِّه إلى عالم الحق والخير، وهو

الدليل إلى معرفة أسرار الطريق إلى الله تعالى. ويتولى مسئولياته في الإشراف على شئون طريقته مستقلا عن باقي مشايخ الطرق الصوفية. وشيخ الطريقة هو المعبر عنها، والمتحدث باسمها. وأنه يجوز أن يكون لشيخ الطريقة نوابا له وخلفاء، وخلفاء الخلفاء بمراتب روحية متدرجة ومستقلة عن الهيكل الإداري للطريقة، بسائر الأماكن داخل جمهورية مصر العربية، ويختارهم شيخ الطريقة. وأنه يجوز أن يجمع الخليفة بين الترتيب الروحي، وأحد المناصب في الهيكل الإداري للطريقة، وسواء كان ترتيبا روحيا أو إداريا، فالكل تحت مسئولية شيخ الطريق.

وأن الثقة بالشيخ لا حد لها، فهو وارث المقام النبوي حالا ومقالا وفعالا، وحرمة الوارث كحرمة الموروث، يُلْتَزم الأدب مع الشيخ في حضوره وغيبته كما كان الصحابة رضي الله عنهم يلتزمون الأدب مع المصطفى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

ومن الناحية التفصيلية، ألقى فضيلة مولانا الإمام العلامة الضوء ملخصا لبعض الأهداف التفصيلية في المرحلة الحالية من الطريقة، وذلك في اللقاء العام الثاني لفضيلته مع مريدي الطريقة في يوليو 2019م، على النحو التالي:

1- ذكر الله، وإقامة مجالس الذكر في كل مكان.

2- المديح، وتعليم مدرسة المديح والعودة إلى المديح، ويكون لدينا أكثر من فرقة للمديح حتى لو وصلنا إلى ثلاثين فرقة.

3- إرجاع وإحياء مجالس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في كل المساجد، وفي كل الأماكن.

4- إطعام الطعام مع التحري لاستجابة الدعاء، تعظيما لما عظمه الله، ووضعا للأمور في نصابها، حتى لو سخر الناس أو استهزأ بعضهم.

5- الرحلات إلى أضرحة أولياء الله الصالحين أو الأماكن التي تركها لنا المسلمون عمارة وفنا أو إلى الخارج كسيدي أبي الحسن الشاذلي، أو سيدي المرسي، أو سيدي ابن بشيش في المغرب، وإلى رحلة الحج المباركة ونحو ذلك.

6- مشروع الصناعة والتدريب والبيع والشراء وخدمة المجتمع والناس.

7- التشجيع على الخلْوَة لأبناء الطريقة بشرط إذن الشيخ، والتدريب على قلة المنام، والأنام، والطعام، والكلام.

8- طباعة الكتب النافعة، والتي تمثل الفكر الصحيح لأهل السنة والجماعة، من خلال دار الوابل الصيب للنشر (www.facebook.com/Dar.Elwabil/).

وكلها أمور تهدف إلى عمارة الأرض من خلال عبادة الله ومن خلال تزكية النفس.

هذا ويؤكد فضيلة مولانا أن طريقتنا الصديقية الشاذلية تتبنى مجموعة من **المبادئ العامة** في الطريق إلى الله، أولها العفاف (الزهد)، وثانيها الرفق بالخلْق وتحمل أذاهم، وثالثها التيسير على الخلْق، ورابعها موافقة الأعمال لكتاب الله وسنة رسوله.

كما تقرر الطريقة مجموعة من الوصايا والآداب والواجبات، قمنا - والكلام لفضيلة مولانا - بتسطيرها في الإصدار الثالث من إصدارات الطريقة بعنوان (واجبات الطريق وآدابه)، مع الالتزام بالأمور الأربعة والتي هي المساعدات بل هي لب الزهد والتصوف، وهي قلة الطعام، وقلة الأنام، وقلة الكلام، وقلة المنام، وكذلك بيان واجبات المريد في الطريق ومع شيخه، ومع إخوانه، وأسس العلاقة بين المريد وربه، والناس، ونفسه.

ومن الأمور الدقيقة التي يشير إليها فضيلة مولانا الإمام العلامة **الفرق بين الطريقة**

والجماعة أو الحزب وما شابه، حيث لابد وأن يكون واضحا هذا الفرق، وظاهرا في تعاملات طريقتنا العلية، وتعاملات مقدمي الطريقة وأبنائها أيضا، فالطريقة جاذبة والجماعة ناشرة، حيث قال شارحا هذا الأمر بالتفصيل مع ضرب الأمثلة: إن هدف الطريقة هو الذكر والتربية، وأن الطريق للخواص، ومن ثم فالطريقة يُسْعَى إليها، أما الجماعة فتَسْعَى إلى الناس، وأن طريقتنا البيان، وأنها جاذبة وليست ناشرة، وأنها تؤدي الخدمة للناس على ما يرغب هؤلاء الناس. فعلى سبيل المثال قد يكون لدينا 200 فرد، نتكلم معهم، ونخرج منهم بـ 30 للدخول في الطريقة، ولكن من منهم حقا سوف يكون في الطريقة! وإن مشايخ الصوفية عبر العصور قد تمسكوا بأن الناس تأتي إليهم، ولا يذهب المشايخ إلى الناس، وهذا هو الفرق الأساسي بين الطريقة والجماعات والجمعيات (بغض النظر عن توجهاتها السياسية والأيديولوجية، فليست كل الجماعات أو الجمعيات فاسدة)، فالطريقة تفتح قلبها للناس التي يرسلها الله لها، ومن يأتي إلى الطريقة هو الذي نشتغل عليه (الذكر والفكر والتخلية والتحلية)، تحقيقا لمعنى (لا حول ولا قوة إلا بالله). ومن هنا كان الصدام الحادث في الجمعية الشرعية على سبيل المثال حيث كانوا خلوتيين كشيخهم، من الطريقة الخلوتية، إلا أنهم تركوا الخلوتية التي كانوا عليها أولا مع شيخهم، واتجهوا إلى حشد الناس وتجميعهم. وكما قلت سابقا: **الجماعة تسعى إلى الناس والطريقة يُسْعَى إليها**، فالمغريات في هذا الباب شديدة جدا وسهلة جدا وميسور أن نكون ناشرين، ولكن الطريقة جاذبة. وعندما يأتي الناس إلينا نعلمهم ونربيهم، فدورنا ليس النشر بل الجذب، أي أنه دور تربية وترقي، وهو للخواص، فانتبهوا لذلك. وحتى لا يفهم أحدكم الكلام على غير مرادي، فأنبه إلى أن نشر الدعوة هو أفضل شيء، وهو الأقوى، وفيه رونق وجمال، ولكن الطريق غير ذلك، فالطريق جاذب بمعنى أن تعبد الله كأنك تراه، ولا ينبغي أن

نقول عددنا كذا وكذا، وعلى سبيل المثال كان الشيخ محمد أمين البغدادي حوله 30 فقط، نهض منهم 7 فقط، منهم الشيخ أحمد مرسي، وهؤلاء هم الذين مسكوا المجتمع وأثَّروا بعصمته من الانهيار.

وانتبهوا فإنه لولا وجود الشيخ أحمد مرسي لكَفَرَ أصحاب الطبقات الراقية.

وسبق وذكرنا طرفا من كلام فضيلته هذا في موضع سابق إلا أننا نكرره هنا أخرى لمناسبته ولتتم الفائدة في موضعها.

ومثال آخر هو الشيخ إسماعيل صادق العدوي، ومن تلامذته محمد هاشم العشيري، وأخوه هو حسين العشيري، وهو درويش كبير تزوج ليلى سامي شرف، ومعلوم من هو سامي شرف، إلا أنه قَبِلَ أن يزوج ابنته حسين العشيري بسبب الشيخ إسماعيل أي كرامة له. فانظروا كيف كان التأثير على هذه الطبقات. وهناك أنبه إلى أنه قد التف حول الشيخ إسماعيل عدد لا يزيد عن 40. وفوق ذلك كله انتهى العصر المكي، بعد 13 سنة، وكان عدد الصحابة حوالي 200 (80 هاجر إلى الحبشة، و90 هاجر إلى المدينة، و30 بقي في مكة)، وكلهم متأسسون على يد سيدنا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ووصلوا بعد إقامة الدولة وأتت الأموال إلى 114 ألف صحابي، وهذا هو الفرق بين الدعوة والطريقة. فانظروا إلى عددنا في الطريقة، ونحن مازلنا في البدايات الأولية، وهو عدد كبير جدا، فليس هكذا تورد الإبل. ومن ثم فلابد لنا من النزول إلى المجتمع لخدمته، فيلتف حولنا الناس، وهنا أنبه أننا لا ننزل لنشر الطريقة بل لخدمة المجتمع. فليس غرضنا الدعوة والنشر وتشكيل جماعة وتأسيسها ونشرها، وتذكروا أن شيخنا عبد الله بن الصديق الغماري لم ينزل إلى الخلق، بل نحن الذين بحثنا عنه وذهبنا إليه. إذن الرضا بما قسمه الله لنا، وما نحن فيه الآن حلو وزيادة. وكتطبيق

على قوافل الطريقة الصديقية الشاذلية إلى الصعيد، نرى ما يحتاجه المجتمع هناك، فإذا كانت هناك طريقة قائمة في المكان الذي نذهب إليه فنشارك بما ليس عندهم، مثل دروس العلم، وتصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة عن التصوف وطريقة الذكر وكيفية النطق به (مع الأخذ في الاعتبار اختلاف المشايخ على قولين: الأول أن النطق طالما ورد في اللغة فلا حرج في النطق به، والآخر أنه لا يجوز النطق إلا كما ورد في الكتاب والسنة لأنهما قيَّدَا اللغة)، وأنه لا يجوز النطق بالطرق الغريبة التي يخترعها الناس إلا لعاجز لا يطاوعه لسانه. وإذا نزلت على قوم ليس لديهم حضرة، فاعمل لهم حضرة، وهكذا العمارة، وإذا كانت لديهم حضرة فنجلس معهم في حضرتهم ولا حرج. أي نجمع في عملنا بين الخبرة والتعلم، نقوم بإهداء السبح، والكتب، وإعطاء دروس العلم. وأن نُعرِّف أننا ننزل إلى الناس بالخدمة التي تناسبهم يعني على مزاجهم، وأضرب لكم مثالا واقعيا: أنشأ سيدنا الدكتور حسن عباس زكي فرنا (مخبزا) للخبز في منطقة سيدي أبي الحسن الشاذلي، لخدمة الناس، وتوفيرا لنفقاتهم، ومعونة لهم، حتى تقادم هذا الفرن، وارتفعت أجور العمالة بدرجة كبيرة لعدم وجود أماكن إقامة حيث يأتون من خارج المنطقة من أماكن بعيدة، فزادت تكلفة إنتاج الرغيف، فضج الناس وطالبوا بنقود بدلا من الخبز، وبعد الحوار معهم، اتضح الأمر أنهم يريدون الدقيق، وأنهم يقومون بالخبز في منازلهم فطبيعتهم بدوية، فكان القرار توزيع الدقيق عليهم بدلا من الخبز وتم إغلاق الفرن. وهذا يعني أن تقوم بالخدمة على ما يطلبه المجتمع، وهذه هي سمة الطريقة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩﴾ [الحج:77]، ولذلك فعليكم الانتباه جيدا إلى أنه يجب علينا جميعا أن نعرف هويتنا ونتعرف عليها بدقة، حتى نستطيع إسقاط ذلك على أعمال الطريقة.

عالمية منهج مولانا الإمام العلامة

مما لا شك فيه أن منهج فضيلة مولانا الإمام العلامة قد انتشر ليس على المستوى المحلي أو الإقليمي فحسب، وأنه لم يقتصر على طريقته أو على مريديه وأبنائه فقط، بل تعدى كل ذلك إلى المستوى العالمي. وأن هذا المنهج متشعب الجوانب والرؤى على الجانب العلمي الشرعي، والاجتماعي، والإنساني، بالإضافة إلى الجانب الصوفي. ولما كانت هذه الدراسة تعمل على منهج فضيلته الصوفي، فسوف يقتصر الكلام على هذا الجانب في بيان عالمية منهج فضيلته.

ونظرا لأن فضيلة مولانا شخصية عالمية كان عرض فضيلته لأسانيده في التصوف والتي قامت عليها طريقته العلية الصديقية الشاذلية آخذا الأسلوب الدعوي الذي يعمل على جذب ثقة العالمين، فبعد أن عرض فضيلته هذه الأسانيد في واحد من دروسه، قال فضيلته: (هذه الأسانيد نعرضها للعالمين؛ وذلك أن طريقنا إلى الله مقيد بالكتاب والسنة يرويهُ الخلف بمَوْصُول السلف، فلسنا أهل ابتداع ولا أهل مَرَائي بل نحن نريد أن نكون على ما كان عليه سيدنا النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم، فالخيرُ كلُّ الخير في هَدْي هذا الإنسان الكامل الذي أرسله الله تعالى إلى العالمين ختاما للنبيين وإماما للمرسلين خَتَمَ به النبوة والرسالة وأنزل عليه الكلمة الأخيرة).

وهو بهذا الكلام يؤكد للعالم أجمع - هذا العالم الذي ينظر إلى فضيلته نظرة خاصة بوصفه ليس فقط مفتي الديار المصرية عشر سنوات متتالية، ولا حتى كأحد أعضاء هيئة كبار علماء الأزهر الشريف، بل لأنهم اختاروه أيضا واحدا من أكثر الشخصيات المسلمة تأثيرًا في العالم للعام الحادي عشر على التوالي تُوِّجَت عام 2019 باختياره رقم 18،

وبوصفه حاصلا على العديد من الشهادات الدولية، والتكريم على مستوى العالم، وصاحب الدكتوراه الفخرية من كبار جامعات العالم في المجال الإنساني والأدبي، وحيث سخر وقته لنشر القيم والأخلاق والدين الوسطي، وباعتباره أحد أهم الشخصيات العالمية في نشر التسامح والتفاهم بين الأديان على مستوى العالم، مُبيِّنًا لهذا العالم أن رسالته الصوفية لا تنفك عن رسالة الإسلام، فهي رسالة الروح السامية التي تسعى إلى الخير للإنسانية والبشرية جمعاء، مُؤَكِّدا بكلماته في كل مكان على ذلك، حيث برهن علما وعملا للعالم أجمع أنه لا إنسانية بغير دين، وديننا هو الإسلام، ولا دين بغير غاية، وغايتنا هي طلب الكمال، ولا كمال بغير عبادة، وعبادتنا صوفية مطهرة، ولا عبادة بغير فضيلة، ولا فضيلة بغير مجد، والمجد الشامل هديتنا إلى أمتنا واجبا نؤديه لذات الله طاعة له، لا طمعا في ثواب ولا خوفا من عقاب، فوظيفتنا التربية وصوغ الرجال، وتشكيل الإنسان النموذجي الذي يعبد الله ويعمر الأكوان، ويزكي النفس. فالإنسانية في صورتها الطبيعية الصحيحة هي السر الإلهي الذي سخر الله الأكوان له والعوالم، وهي الأرواح وآثارها الطبيعية من الخير والجمال والرحمة والنور والحب والسلام والتقدم والإنتاج، والحكمة والتسامي، والإيمان واليقين، والعلم والمعرفة.

وأن التصوف الذي ندعو إليه هو علم تطبيق الأخلاق والآداب وعلم تربية النفوس وتسامي الأرواح، فهو الحقيقة الأولى والأخيرة بعد التوحيد في كل دين، فإنما جاءت التعاليم الدينية من أجل علاج البواطن وتنقيتها، وفي ذلك نظرة أساسية إلى العلاقة بالجانب الروحي الذي هو المعنى الأصيل الخالد في الإنسانية، فليس من العيب أن يكون التصوف بهذا الاعتبار تاريخا سابقا في كل دين فهذا شرفه، فقد جاءت كل الأديان بالتصوف، أو من أجل التصوف، فهو المعنى الروحي الحي الرفيع الذي لازم

جميع أديان السماء، وهو الحقيقة الروحية والأمانة التي استودعها الله أنبياءه وأصفياءه ولازمت دعوة التوحيد في كل دين منذ آدم، والذي قامت عليه أركان التعاليم الإنسانية التي نزلت على كل نبي سابق، فهو قانون الاستخلاف الإلهي ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:30]، واستعمار الأرض ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود:61]، ومن ثم فالتصوف علم الحياة يُرسي الأصول في الأرض ويوجه الفروع إلى السماء. والخلاصة أن التصوف ظاهرة إنسانية عامة في كل الأديان والحضارات:﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[البقرة:205]، ولذلك تنوعت غاية التصوف إلى بناء وإنشاء وترميم وتقويم وتجويد وتجديد واختراع وإبداع وعبادة وسيادة وقيادة لركب الإنسانية والعدل والحضارة إلى شواطئ الحب والسلام والربانية.

ولو علموا ما له في دولة الباطن لقَبَّلُوا يديه وقدميه في الظاهر، ولو أنصفوا لكان على رأس هذه القائمة، حيث ازدانت وتزينت به هذه القائمة التي تم اختياره فيها من أكثر الشخصيات تأثيرا في العالم(1).

وعلى جانب التقريب بين الشعوب والإنسانية جمعاء وهو جانب مهم من عالمية منهج مولانا، يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة: (إن من خصائص وسمات التصوف أنه يمكن أن يجمع المسلمين على اختلاف مشاربهم، لأن التصوف يعلمنا الحب، والالتزام، والتقوى حيثما كنا، والأخلاق المأخوذة من منظومة أسماء الله الحسنى «الجلال والجمال والكمال»، ويعلمنا التخلية والتحلية، ويعلمنا الذكر والفكر، وهذه أرضية مشتركة أولا بين المسلمين حيث لا ينكر ذلك مسلم، وأيضًا بين المسلمين والإنسانية

---

(1) وقائل هذه العبارات من المشايخ: عاشور البنا، وأشرف سعد، وعماد الدردير، وخالد غز من أبناء مولانا، ومن مقدمي طريقتنا العلية الصديقية الشاذلية.

جمعاء حيث لا يأبى هذا الكلام الطيب إلا المجرم الأثيم المنحرف، أما بقية البشر حتى لو لم يوفقوا للإيمان بسيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنهم يريدون أن يعيشوا حياتهم في أمان، وسلام، واستقرار، وسعادة، وفي شيء من الهدوء، وكل ذلك يدعو إليه أهل الله ويدعو إليه أهل التصوف).

ويستمر مولانا في حديثه مبينا دور أمتنا بين العالم من خلال منهج متزن راسخ يتبناه ويدعو إليه دوما، بل ويحث عليه كل المسلمين في العالم، حيث يقول: (نحن نجاهد في الله حق جهاده ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[الحج:78]، إذًا هناك رسولٌ مثالٌ يُقتدى ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[الأحزاب:21]، وهناك أمة تجعل الرسول شاهدًا عليها وهذه الأمة تكون شاهدة على الناس ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[آل عمران:110]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾[البقرة:143]، والوسط: أعلى الجبل، فالأمة تقف في أعلى الجبل، ترى الناس جميعًا في العالم ويراها الناس جميعًا في العالم، وهي تجعل مثالها الأتم رسول الله ﷺ، والناس تنظر إلى تلك الأمة هل أحسنت؟ هل أضافَت؟ هل عَمَّرَت الأرض؟ فإن كنا كذلك كنا داعين إلى الله بحالنا وقالنا، وإن لم نكن كذلك فإننا نصد عن سبيل الله بغير علم، وتلك سِمَة الطائفة التي نسيت أنفسها بعد ما نسيت الله سبحانه وتعالى وتمكن في قلبها شهوة الحُكم، وشهوة السلطان، وأرادوا أن ينازعوا الأمر أهله، وجهلوا أنه يؤتي الملك من يشاء، هؤلاء الذين ينازعون ما أراده الله سبحانه وتعالى، ويكرُّون عليه بالحرب وبالدم وبالبطلان؛ يصدون عن سبيل الله بغير علم.

ومن ناحية أخرى يتصدر فضيلة مولانا الإمام العلامة بمنهج واضح جَلِيّ يدعو إليه في كل المحافل جهرا لا يخشى في الله لومة لائم محاولا رأب أي صدع ينخر في جسد الأمة الإسلامية بطوائفها المختلفة، ومن ذلك أن فضيلته يوضح دور الإنسان الصوفي في التقريب بين السنة والشيعة فبعد أن أكد أنه لا علاقة مطلقا بين التصوف والتشيع، وأن الشيعة أصلا لا تسمح بالتصوف، يقول: **إن الأرضية المشتركة التي بين الصوفية والشيعة حبُّ آل البيت**، والنبي ﷺ يقول: تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتَابَ الله، وعترتي أهل بيتي. وهو ﷺ يقول هذا وهو يرى أبناءه يموتُ الواحدُ فيهم إثر الآخر، ويرى بناته يمُتن أمامه، فماتت رقية، وأم كلثوم، وزينب، حتى إنه أخبر فاطمة عليها السلام - ولفظ «عليها السلام» هو لفظ الإمام البخاري - أنها أقرب أهله لحاقا به، فهو يعرف هذا. وهنا لابد من البيان، فكيف يقول مثل هذا الحديث، ولو كان هذا من عند غير الله ما تجرأ أن يقول (وعترتي أهل بيتي)، لأن أهل بيته ماتوا في حياته، فهي معجزة لأنه هذا ليس من عنده، وإنما من عند الله، ولم يكن بيد سيدنا محمد ﷺ وهو سيد الخلق الحبيب المجتبى أن يحافظ على أبنائه هذه المحافظة الغريبة العجيبة التي هي من علامات نبوته، فنرى نسل الحسين رضي الله تعالى عنه يَهْلك، ونسل الحسن بعد أن تزوج كثيرا يهلك أيضا، وينحصر النسل الشريف في عليّ زين العابدين، وفي زيد الأبْلَج، وفي الحسن المُثَنَّى، وكأنها رسالة ربانية تقول: كنت قادرا على أن أفني كل هذه العترة الكريمة، بل كنت قادرا على أن أفني المسلمين أصلا، ويذكر اسمهم في التاريخ فحسب. كان الله تعالى قادرا على أن يُخْفِي قبر سيدنا النبي ﷺ ، وأن يذهب كتابُه، ولكن ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ **[الحجر:9]**، فحافظ عليه. وقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ **[الشرح:4]** فرفَع ذكرُه حتى إنه أكثر

الناس اسما الآن هو اسم (محمد)، فما بالنا إذا أضفنا إلى ذلك اسم أحمد، ويس، وطه، ومحمود، وحامد، وغير ذلك من أسمائه ﷺ. إذن هذا النبي الكريم لما ترك لنا عترة أهل بيته، فنحن نحب أهل البيت، ونفخر بحبنا لهم، ونعتبرها علامة ودلالة على نبوة المصطفى ﷺ، ولكن هناك مذاهب قد تشتت، وهناك نزاع الآن تستغله السياسة بين السنة والشيعة، والصوفية هم الأقدر على أن يصلحوا بين الأخوين؛ لأن الصوفية في مصر من أهل السنة، والصوفية تحب أهل البيت فهم مقبولون عند الشيعة، ولذلك وجههم مقبول عند الجميع، فهم أجدر الناس على التدخل للصلح بين الطائفتين. ونجد أن بعض الناس غَالَى جدا حتى لم يسمّ أبناءه عليا، والآخرين رفضوا التسمية بأبي بكر وعمر، فهل هذا يُرضي الله تعالى. إذن فدور المتصوفة مع الشيعة في عصرنا هذا أنهم حمامة السلام الأقدر على قبول الوحدة بين طوائف المسلمين لأنهم على الحد والمحك الوسط، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ **[البقرة:143].**

ومن التطبيقات المهمة التي تُظْهر بوضوح عالمية منهج فضيلة مولانا الإمام العلامة أنه يوضح للعالم كافة أن الإسلام نسق مفتوح غير منغلق، وأنه يقبل الغير، بل ويأخذ من الغير ما يناسب قِيَمَهُ ومَبَادِئَهُ من غير تردد دعما ورُقِيًّا للحضارة الإنسانية البشرية.

فعن الأخذ من الغير يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة:

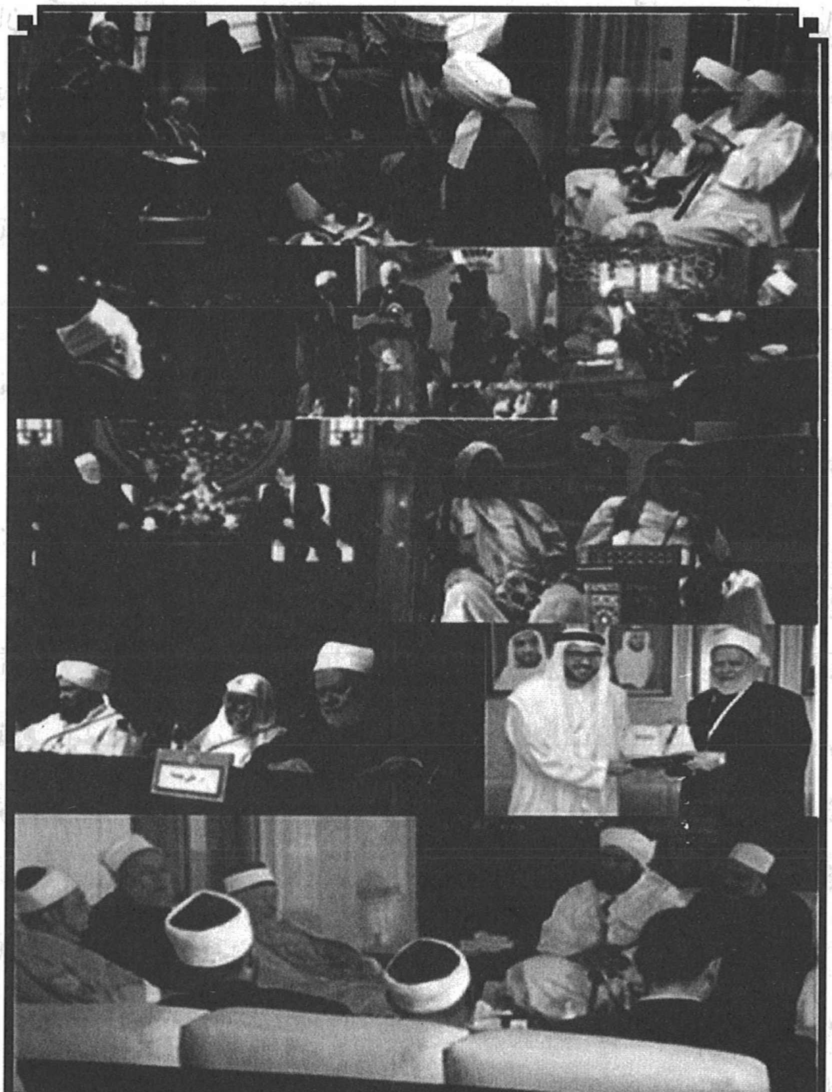
(إنه لا مانع للمسلم أن يأخذ التجربة الإنسانية باعتبارها تجربة وصفية واقعة، لكن يقوم بإدخالها تحت ظلال الكتاب والسنة، فإن اتفقت معها فنعم، وكانت من دائرة المباح المتاح، وإذا لم نتفق معها رُدَّت ورُفِضَت لأنها تخالف تلك الأوامر الربانية، والمنح الصمدانية، والتوجهات النبوية، وبذلك كان الإسلام والتصوف بخاصة نسقا مفتوحا وغير منغلق.

وعن حالات الضياع الإنساني لأي إنسان أيا كان موقعه أو ديانته أو جنسيته والتي قد تصل في بعض الأحيان بهذا الإنسان إلى الانتحار، فيؤكد فضيلة مولانا على أن هذا الإنسان في النهاية هو أخ لنا في الإنسانية، إلا أننا لا نعفي أنفسنا من التقصير بسبب وجود مثل هؤلاء الناس ونتمنى أن الله تعالى يوفقنا من أجل إخراج هذا الرجل من حاله، فالتقصير يُشْعر بشيء من المسئولية، فرقيق القلب هو الذي يتفاعل مع الناس، وقلبك عندما لا يتفاعل مع الناس فهو قلب قاسٍ، والنبي ﷺ يقول: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُم الرَّحْمَنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاء»، ويقول «يا عائشة إنّ الرِّفقَ لا يكُونُ في شيءٍ إلّا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إلّا شَانَهُ»، سيدنا النبي ﷺ كان طاقة حب كبيرة يقول ربنا في شأنه: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[الكهف:6]، فكان ﷺ يحمل الهم ويقول له تعالى ﴿ فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّا نَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴾[يس:76]، ويقول له: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[القصص:56]، ومعنى ذلك أن يتحرك قلبك على هذا الشخص الذي انتحر، بل لابد وأن تتحرك قلوبنا على هذا الشخص إن أردنا أن نكون متمثلين حال النبي ﷺ.

ومن جوانب عالمية منهج فضيلة مولانا الإمام العلامة **نظريته الخاصة في الخدمة الصوفية**، حتى إن فضيلته وضع دستورا خاصا لذلك أسماه (دستور الخدمة عند الصوفية)، مبينا فيه أن نظرية الخدمة في طريقتنا العلية الصديقية الشاذلية تنطلق من (**النسق المعرفي للحضارة الإسلامية- Islamic paradigm**)، المكون من أركان الإيمان، وعلاقة الإنسان بخالقه، في إطار من القيم العامة المطلقة التي تقوم على دعامة أساسية من توحيد الله، وقيم مهنية تقوم على فهم صحيح للطبيعة الإنسانية، وطبيعة الاجتماع البشري بكل مشتملاتها الروحية والسلوكية والبيولوجية والعقلية، وغير ذلك، سعيا إلى توفير الظروف المواتية والمناخ الملائم لتحقيق الغاية من الوجود الإنساني في تحقيق العبودية المطلقة لله تعالى والمتمثلة في النهوض بأعباء الاستخلاف من أداء النسك والعبادات، وعمارة الأرض، وتزكية النفس، داخل الإطار المرجعي والرؤية الكلية للإنسان والكون والحياة، في إطار المنظومة التربوية الأخلاقية القيمية الإنسانية، التي مؤداها وهدفها الإحسان، ومن ثم تصير الخدمة عند الصوفية عملية مستمرة تراكمية ديناميكية، تراعي محاور التغير الأربعة: الزمان، والمكان، والأحوال، والأشخاص، في عدم غياب عن الواقع.

خلاصة القول إن فضيلة مولانا الإمام العلامة رغم كثرة الأعباء، إلا أنه لم ينسَ دوره في المجتمع الدولي كداعية إلى الإسلام الحق بما يُجْلي عنه شبهة العنف والإرهاب، فعمد إلى نقل صورة صحيحة عن الإسلام، من خلال جهوده المتواصلة في حوار الأديان والحضارات وكذلك المبادرات التي يؤسس لها أو يشارك فيها، وهي مبادرات تهدف إلى رد الظلم ودفع العدوان والحض على تحقيق كرامة الإنسان كتحقيقٍ لإرادة دين الإسلام والأديان بشكل عام بما تحمله هذه الأديان من جوهر

مشترك يحض على السلام والتعايش واحترام حقوق الإنسان. وعلى الجانب الروحي يدعو إلى التصوف المستنير، ودفع الشبه عنه، وبيان أصوله ومبادئه وتقعيد قواعده، جنبا إلى جنب مع تحقيق الذكر والفكر، والتخلية والتحلية.



المنهج والدعوة الربانية

إن التصوف بالنسبة لفضيلة مولانا الإمام العلامة منهج حياة يعيشه الإنسان بتجربته الخاصة لا يعيشه غيره له، وهو أعم من الزهد، حيث يتعامل التصوف مع حياة الإنسان وأخلاقه وعاداته وسلوكياته، وكل ما يتعلق بباطنه تزكيةً لنفسه ارتكازا على ما جاء به الكتاب والسنة، وصولا إلى الإنسان الكامل أو العبد الرباني صاحب العطاء الذي يعرف كيف يتمثل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كمالاته وصفاته الربانية قدر ما يستطيع، مع أهمية شكر النعم وتوظيفها لله من خلال شكر المنعم.

ومن ثَم يؤكد فضيلة مولانا أن على الإنسان أن يسعى للنجاح في الدنيا من غير أن يجعلها في قلبه، بل في يده، ويعيش الدنيا بما يُرْضِي الله ورسوله، فقال مولانا: (إن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد بيَّن الفرق بين الدنيا والحياة، حيث إننا قد أُمرنا بحب الحياة، فالدنيا جزء صغير من الحياة، وأن الإنسان لو عاش مائة سنة، فإنما عاش ثلاث دقائق على الحقيقة، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:64]، فالحقيقة والحياة الأبدية هي الحياة الآخرة، فنريد أن ننجح في هذا الاختبار في الدنيا، حتى ننال رضا الله وثوابه وجنته في هذه الحياة الممتدة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء:13]، فالدنيا مَعْبَر وهي التي فيها الاختبار والامتحان والتكليف، فنحن نحب من الدنيا الحياة، ونكره من الدنيا دناءتها وكدرها ونكدها وأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأنها لو ساوت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء، فالدنيا شيء ليس مرغوبا فيه، وسميت الدنيا لأنها قريبة من شهواتنا ورغباتنا ولأنها دنيئة. أما الحياة فلقد افتخر الله تعالى علينا بها فقال ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا

يُؤۡمِنُونَ﴾[الأنبياء:30]، فالله هو الحي القيوم الذي ظهر وتجلى باسمه الحي على هذه الكائنات، فأصبح لهذه الحياة احترام، وفي الفقه يقولون: (ويجوز لك التيمم إذا كان معك ماء يحتاجه ولو حيوان محترم، مثل البقرة فهي محترمة لأن فيها حياة)، فالحياة ممدوحة ولكن الدنيا مذمومة، ولأن الدنيا تُطلق على هذه الفترة من الميلاد إلى الوفاة فلها وجهان: الأول يمثل الحياة، والآخر فيه الكدر والرغبات والشهوات والدنايا. ومن ثم حرم الله تعالى علينا الانتحار، ولو كانت الدنيا بمعنى الدنيا فقط وأنها ذميمة فقط لأمرنا بالانتحار لكنه لم يفعل بل رغب فينا الحياة لأنها من عنده جميلة. ولذلك جاء لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحل المشكلة، وذلك ببيان الأعمال التي ينبغي علينا أن نفعلها مع النيات، كما كان يفعل الصحابة رضي الله عنهم بجعل كل أعمالهم بنيات لله طاعة لله. وهذا هو العبد الرباني الذي يمكنه أن يحول كل حركاته وسكناته في هذا الكون لله، فعندما يأكل ينوي التقوّي على العبادة، وعمارة الأرض، وتزكية النفس، وامتثال أمر الله فيه أنه أحوجنا إلى الأكل ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[الأعراف:31]، وبالتالي فإن كل الأفعال التي تتعلق بالدنيا سوف تتحول للآخرة، فالعبادات هي الإناء الذي تضع فيه مكارم الأخلاق (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، فبدونه لا تُقبل الأعمال﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾[الفرقان:23]. فلما عرف العلماء مفتاح النيات جعلوه أول حديث في كتبهم «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» (البخاري)، فالفعل واحد ولكن هذا جعل هجرته لله، والآخر جعل هجرته لمصلحة يبتغيها، فأُثيب الأول وأُعطي الآخر على قدر ما

نَوَى، فادخر الأول ثوابه في الآخرة أي الحياة الحقيقية، وضيع الثاني ما له في الدنيا، وهكذا. ولذلك لابد من الجمع بين مفهوم الدنيا والحياة، فالحياة هي الأساس المستمر المُطَّرِد المَرْضِي عنه، وأمرنا الله بالحفاظ عليها حتى في صورة البهيمة، ولكن الدنيا هي شهوات ورغبات نظمها الله لنا وحد لنا حدودا ورسم لنا خطوطا لا نتعداها ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:1]، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:229] اهـ

كذلك فصل فضيلة مولانا في هذا المعنى ببيان معنى **مصطلح الإنسان الكامل**، وكيف ينتقل إلى المقام الأعلى وهو الإنسان الرباني، فقال: (الإنسان الكامل هو الذي سار على طاعة الله سبحانه وتعالى فلم يرتكب خطأ، إلا أنه في الوقت نفسه لا يمتنع عليه أن يأخذ حقه، فأخْذ الحق من الكمال، حيث إننا قد ننصح الناس ألا يفرطوا في حقوقهم. أما الإنسان الرباني فهو من استوى عنده القدح والمدح، واستوى عنده قضية الدنيا والآخرة، واستوى عنده الحق والباطل الذي عليه الناس، فلا يفرق في المعاملة حيث تراه يرتقي من درجة المطالبة بالحق مثلا إلى العفو والمسامحة والصفح، والعفو، وعدم الحزن وعدم الغضب، وهو ليس معتادا في تركيبة البشر، حيث إنه لو صدر الحزن من البشر مما يقتضيه الحزن، أو صدر منه الغضب مما يستوجب الغضب، أو المطالبة عندما تقتضي المطالبة، فهو إنسان كامل حيث لم يفعل شيئا معيبا أو ناقصا. إلا أنه عندما يرتقي إلى العطاء والكرم والحب الزائد والفيض الدائم فقد انتقل من الكاملية إلى الربانية. وهي درجات الأنبياء والمرسلين والأسوة الحسنة، فهي الدرجات التي نحاول أن نقلد ولو بعضها. فالإنسان مجموعة من الصفات، فمن الممكن أن أقوم

بتقليد صفة أو صفتين من صفات الرباني، فأشعر بسعادتها ولذتها وآثارها في الدنيا حتى بعد الرحيل، وهكذا شيئا فشيئا، فما ينقص منا نسعى لكماله، وما يكمل منا نسعى فيه إلى الربانية. فالقضية هنا ليست بين الإنسان الكامل والإنسان الناقص، بل هي الترقي الدائم، فالكامل يترقى إلى الإنسان الرباني. فالمطلوب أن تترقى في واحدة من الصفات من الكمال إلى الربانية، وهكذا لكل صفة من الصفات، فالأمر واضح في القرآن: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران:79]، فالكمال درجة عالية ندعو الناس إليها، أما الربانية درجة أعلى لا تتناهى كما في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:109]، فلم يأمر بضربهم أو كذا وكذا رغم علمهم بالحق وما يفعلونه بنا شديد بل قال تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [البقرة:109، 110] فهو ينقلنا إلى فعل الخير ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج:77]، وكذلك بين سيدنا الخلاصة في الرفق واللين حتى في أشد المواقف حيث لا يغضب «يا عَائِشَةُ إِنَّ الرِّفقَ لا يَكُونُ في شيءٍ إلَّا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيءٍ إلَّا شَانَهُ»، فالغضب في مثل المواقف الضيقة والشاذة فهو كمال، إلا أن عدم الغضب ربانية) اهـ

وفي هذا الصدد لا يترك فضيلة مولانا الإمام العلامة الفرصة إلا ويبين كيف يفهم الناس القرآن وكيف تعامل المولى جل في علاه مع نبيه الكريم صلى الله عليه

وآله وسلم مبينا أن هذا المفهوم والترقي والتدرج من الكمالية إلى الربانية يحل كثيرا من مشكلات من يقرأ القرآن من نحو عتاب المولى لسيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث لم يرتكب سيدنا صلى الله عليه وآله وسلم خطيئة أو خطأ أو ذنب، بل إن سيدنا صلى الله عليه وآله وسلم فعل شيئا من صفات الكامل، إلا أن المولى جل شأنه يريده أن يدخل في الربانية، فضرب مولانا بعض الأمثلة على ذلك فقال:

(في سورة الضحى يقول المولى جل شأنه: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى:7]، فبعض المساكين يظنون أن هذا هو الضلال المعروف، أي تائها، إلا أن المعنى المراد هنا أنك كامل لكنه وجدك لم تصل بعد إلى الربانية، وكذلك يقول المولى جل في علاه: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر:8]، فالنبي ﷺ يحمل هم الشخص الذي لم يهتدِ، وهذا هو الكمال أن يهتم بالناس، فهي من صفات الكمال، أما التوكل والتسليم والرضا فهي الربانية حيث يقول له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص:56]، فالنبي حزين على هؤلاء، ولكن الله يريد أن يخفف عنه وينقله إلى المرتبة الربانية فيأمره أن ينتقل من حَمْل هَم الناس وهو أمر ممدوح – حتى لغير الأنبياء أن تصبر على أذى الناس – إلى درجة أعلى من الكمال وهي الربانية أي التسليم والرضا الذي ترى فيه فعل الله في البشر على صفة الديمومة فلا تكْرَه الفاعل بل تكره الفعل، فقد يكون ابنك، فعليك أن تحبه ولكن عليك أن تحب كل عاصي، من غير أن تسكت على المعصية أو تشاركه فيها، بل اكرهها، أما الفاعل فقم بالحنان عليه وأخذِه في حضنك وضمِّه إليك، ولذلك ﴿فَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡ﴾ [يس:76]، فإنك سوف تسمع كلام الشرك – وهو أكبر الكبائر - وتسمع تكذيبك وتحزن، ولكني سوف أرقيك

إلى ألا تحزن، فسيدنا النبي ﷺ لم يُوجه إليه أمر في القرآن إلا التزم به) اهـ.

ثم ينتقل فضيلة مولانا من ذلك إلى التطبيق حيث يقول: (وينبغي علينا أن نقلد سيدنا صلى الله عليه وآله وسلم في كماله، لأن الكمال أمر رفيع الشأن، وكذلك في الربانية علينا أن نقلده، فهو الأسوة الحسنة، والمثال الأتم ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:21]، فعلينا أن نخطو خلفه من أجل سعادتنا وأن ندخل في دائرة رضا ربنا، وأن نشعر بتلك الشعورات الراقية الإنسانية.

ويؤكد فضيلة مولانا على أنه لا ينبغي للعبد أن يقف عند هذا الحد، بل لابد أن يتدرب على أن يكون عبدا شكورا حيث لابد أن نسعى إلى مقام الشكر، فالعبد الشكور أعلى من العبد الرباني «أفلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا».

ملامح المشروع العلي لإحياء القلب الصوفي

ما برح فضيلة مولانا الإمام العلامة في كل لقاء، وكل مناسبة، وكل فرصة، يلقي الضوء على مجموعة من الأفكار والنقاط التي لا ترسم منهجه الصوفي الخاص به فحسب، بل تضع الأُطُر المهمة واللازمة لأهل الصوفية في كل مدينة وقرية.

وفي محاولة لإلقاء الضوء على المنهج الصوفي لفضيلة مولانا الإمام العلامة والذي لا ينفك عن منهج الشريعة، يتم استعراض مجموعة من كلماته المحورية والمفصلية كركيزة أساسية نابعة من فضيلته شخصيا، بالإضافة إلى تناول بعض الكلمات والمفاهيم التي يرددها البعض في هذا الصدد، من كبار أهل الله، ومن غيرهم على مستوى الساحة المحلية والعالمية، وتم اختيار العديد من المفاهيم والمحاور والتي يتفرع عنها مجموعات رئيسية من العناصر، تشمل أصولا وأساسيات،عن التصوف والحياة، والذكر، والفكر، والأدب، والتخلية والتحلية، وغيرها من العناصر الرئيسية، التي تساعد في رسم الصورة الواضحة لمنهج فضيلة مولانا الإمام العلامة.

ونظرا لاتساع منهج فضيلة مولانا الإمام العلامة وتشعبه مما يحتاج إلى قراطيس وقراطيس، نكتفي بإلقاء الضوء على أهم المهمات الرئيسة والأساسية في هذا المنهج، ويأتي تفصيل بعضها في ثنايا الدراسة الحالية، أما من يريد التوسع فليراجع مظانها في مؤلفات مولانا وتسجيلاته. وهذه الملامح يمكن أن نعتبرها كشافا أو كلمات دالة لمجموعة الموضوعات التي تحدَّث أو كتب فيها فضيلة مولانا الإمام العلامة خلال عام 2019 فحسب، وذلك لمن يريد التعرف على جزء يسير من منهج مولانا، معاونة في تشكيل عقلية السالك السائر في طريق الله وروحه، وصولا إلى القلوب الضارعة

المتعلقة بالله دوما، وإقامة للخلافة في الأكوان والمتمثلة أركانها في العبادة، وعمارة الأكوان، وتزكية النفس، من خلال سير السالك المريد في الطريق إلى الله على يد شيخه صاحب السند المتصل إلى حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبر سلسلة شريفة نورانية مباركة، تنثال فيها البركة.

أولا: أصول وأساسيات:

* ماهية التصوف وجوهره، وغايته، وأساسه، وأصوله، ومصادره، ومناهجه، وضوابطه.

* من أهم ضوابط التصوف ألا يَكِرَّ السِّرُّ على الأصل بالبطلان.

* التصوف منهج وعقيدة وأخلاق، وهو علم وبرنامج عمل.

* علاقة التصوف بالشريعة والإنسانية والأديان ومكونات العقل المسلم.

* المشرب.

* الملامح الرئيسة للطريق إلى الله، ومقاصد التصوف.

* مكونات السير في الطريق إلى الله وملامحه ومعالمه.

* معوقات الطريق (فَطْمُ الجوارح - فَطْمُ القلب - فَطْمُ الروح والنفس والعقل).

ثانيا: التصوف علم وعمل:

* التصوف علم، وله أركان وقواعد ومبادئ، واتباع لا ابتداع.

* التصوف واللغة وتراكيبها وعلومها.

* الصوفية العِلمية أو الدعوية (تصوف الموالد وتصوف الدروس العلمية).

* الجمع بين العلم والروحانيات، وأثر البيئة والنشأة الروحية.

* السند الصوفي، ودوائر المريدين والعهد والصحبة والإذن والخرقة.

* مصطلحات الضلال والفرق الضالة، والمفاهيم المغلوطة التي تنفر الناس من التصوف.

* التصوف وكتاب الله المسطور، والمنظور، والمقدور.

* مصادر المعرفة، القرآن، والأكوان، والنموذج التفسيري.

* التصوف وقضية التكليف، وإسقاط التكلف لا التكليف.

* كيفية التعامل مع التراث الصوفي.

* علم الحروف والأوفاق وغيرها من العلوم وارتباطها بالتصوف.

ثالثا: العلاقات الصوفية وأطرافها:

* مفهوم الطريقة الصوفية، والفرق بين الصوفي والطرق الصوفية.

* التطور التاريخي للتشكيلات الصوفية وظهور التصوف كمصطلح.

* ضرورة الشيخ في الطريق، وأنواع المشايخ، والالتزام بتعليمات وتوجيهات الشيخ.

* معايير اختيار الطريقة، واختلاف مناهج التربية الروحية والعملية، والجذب والسلوك.

* الترغيب في الطريقة الشاذلية.

* حكم الانتماء لطريقة صوفية.

* التصوف تربية تكاملية جامعة.

* العلاقة مع الطرق الأخرى.

* الطريق واحد والخلاف من جهلة المريدين.

* التصوف المصطلحي، ومدارس التصوف (الزهد والسُّنِّي والفَلسفي)، وأعلامها ومؤلفاتها، وتاريخها.

* المريد والمراد

رابعا: التصوف والحياة:

* أثر التصوف على الإنسان والأكوان ودفع عجلة الحياة.

* التصوف والحب، وعلاقة الشيخ بالمريد (تربية، أو تبرك).

* الدور التفاعلي للصوفي في الحياة.

* التصوف والحياة الواقعية والتحديات المعاصرة.

* اتساع التصوف من اتساع الإسلام ونسقه المفتوح.

* تصوف الفتن، وتصوف الموضة و(الفاشون - Fashion).

* الفرق بين المنهج والمسائل، ودور التجربة في الطريق.

* الحق والحقيقة، والفوائد والمجربات.

* مفهوم البدعة وأنواعها وارتباطها بالضلالة.

* الفرق بين أهل الله والنابتة ومفهوم السواد الأعظم.

* الفرق بين الشيخ عند الصوفية، والمرشد عند الجماعات الإسلامية.

خامسا: الذِكر:

* حقيقة الذكر ومفهومه، ومنهجيته، وأهميته، وأدلته، ومصادره، وتطبيقاته.

* أنواع الذكر وأقسامه وأعداده ومنهجيته، وتطور برامجه.

* فوائد الذكر، وأحوال الذاكر، وديمومة الذكر.

* طرق إعطاء الورد ومراحله ومفهوم الرابطة الروحية.

* الذكر بالقرآن وبالأسماء الحسنى (الأصول والفروع، والاسم المفرد)، والدعاء.

* الذكر والعبادات والدعاء.

* مفهوم العهد ودوائر المريدين.

* مرونة التوجيه ومناسبتها للمريد.

* آداب الذكر.

* أنواع مجالس الذكر الجماعي (الحضرة والعمارة، ومجالس الصلوات، وغير ذلك).

* منهج الانتقال بين ذكر اللسان وذكر القلب والجنان.

* أثر الذكر في النفوس، وأنواع النفوس، والذكر بالأسماء (ذكر التربية).

* الأحزاب والصلوات والمدائح.

سادسا: الفكر:

* النموذج التفسيري والنسق المفتوح.

* عصر النبي أم منهج النبي ﷺ.

* مفهوم الفكر عند الشيخ.

* أهمية الفكر وثماره.

* العلاقة بين الذكر والفكر.

* الواردات ومراتب القصد.

* الذكر والفكر وتسبيح الأكوان.

سابعا: التخلية والتحلية منهج حياة:

* مراحل الطريق (يقظة، وتوبة، وهكذا، والحال والمقام) وارتباطها بالعقيدة والأخلاق.

* كيف نعيش الطريق وأحوال الناس فيه (تنظيم السلوك والسير والمساعدات الأربعة).

* مفهوم التخلية والتحلية، وأمراض القلوب (وبخاصة الكبر والعُجب)، والنصيحة، والخلوة.

* إجراءات عملية التخلية وترتيبها.

* مساعدات الطريق، ومفهوم الأغيار.

* الرحمة والحب والجمال واللين (الرفق) والتيسير والاتباع والاحتواء.

* ارتباط الطريق بطبائع النفوس.

* أنواع الأنفس وحُجُبها، واللطائف الخمس، وعلاج الأنفس وترقيها.

* الهمة والعزيمة والخلوة والجلوة.

* التجلي، والكرامات، والإشراقات، والفرق بين الخرافة والتجربة الصوفية.

ثامنا: الأدب في حياة الشيخ:

* القلوب الضارعة.

* مفهوم العلم والأدب.

* التطبيق العملي للأدب.

* مفهوم المشرب، والاتفاق والاختلاف.

* مراتب أهل الله (القطب، والغوث، والأبدال، والخضر، وغير ذلك)

* القدر الضروري من العلم للسالك.

* علاقة الذكر والفكر بالتخلية والتحلية والتربية.

تاسعا: التصوف وسيدنا رسول الله ﷺ وآل البيت:

* التصوف والسيرة.

* رؤية سيدنا رسول ﷺ الله يقظة ومناما.

* الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ (دلائل الخيرات، وكنوز الأسرار).

* المدائح النبوية (البردة الشريفة).

* كيف نحب سيدنا النبي ﷺ.

* دلائل محبة سيدنا النبي ﷺ.

* علاقة التصوف بآل البيت.

* علاقة التصوف بالتشيع.

* دور الصوفية في التقريب بين الشيعة وأهل السنة والجماعة.

* القضايا المتعلقة بآل البيت والتصوف.

* الدعوة إلى منهج النبي ﷺ، وحياة النبي، وليس إلى مسائل النبي ﷺ.

* كل الطرق الصوفية بلا استثناء تحب أهل البيت حبا شديدا وتتوسل بصالحيهم.

* كيف نعامل أهل البيت، وكيف نتعامل معهم.

عاشرا: تحديات معاصرة:

* التصوف والعولمة.

* دور الصوفية في عالمنا المعاصر.

* التصوف والخدمة.

* التصوف والسياسة.

* النظام المشيخي للتصوف.

* ارتباط التصوف بالتكنولوجيا ومتغيرات العصر والوعي الجمعي.

* عالمية التصوف، والنسق المعرفي الصوفي الإسلامي.

* عالمية منهج مولانا.

* إصلاح منظومة التصوف (المشروع الإصلاحي للتصوف).

الباب الثاني: لمحات من منهج تربية المريدين

المناهج التربوية عند الإمام:

(الرحمة والحب والجمال واللين (الرفق) والتيسير والاتباع والاحتواء)

من الواضح لدى كل محقق ومدقق أن منهج فضيلة مولانا الإمام العلامة يتنوع مع المريدين، ويختلف حسب أحوالهم وظروفهم، بما يتناسب مع أحوالهم وقدراتهم، والأعباء المكلفون بها في حياتهم، متمثلا وصف سيدتنا خديجة عليها السلام أم المؤمنين لسيدنا رسول الله ﷺ: «كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتصدُق الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ (أي تنفق على الضعيف، واليتيم والعيال، والكَلُّ أصله: الثقل والإعياء)، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ (أيْ: تُكْرِمُهُ)، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»، (أي الكوارث والحوادث)، محاولا الوصول إلى تطبيق هذه القيم مع كل من يأتيه، بل ويسعى هو إلى الناس للقيام بهذه المهام الجسام، فترى في سمات فضيلة مولانا الإمام العلامة الرحمة والمحبة تتعانقان مع الرفق واللين فينتج التيسير، وتكون الثمرة هي الاحتواء، وهذه من أخص خصائص منهج مولانا وتركيبة فضيلته الشخصية وسماته الدقيقة التي لا تخفى على أحد، فهي ظاهرة ليس فقط لكل من يتعامل مع فضيلته، بل وأمام الناس كافة، فما يكاد يراه واحد من الناس إلا ويستشعر فيه الرحمة والحب، فإذا تعامل معه أحس بالود، فإذا طلب منه شيئا وجده واسعا، يتسع لكل طلب يطلبه منه أحد إلا أن يكون في غير مرضاة الله، متمثلا سيدنا رسول الله الذي لا يغضب إلا لله، فلقد ورث التسامح، مع الرحمة والمحبة. ومن ناحية

أخرى يلمس كل من يعرفه أو يتعامل معه أو يستمع إليه مقدار التيسير الذي يتسم به فضيلة مولانا، فلا يشق على أحد أيا كان الموقف، بل يبحث دائما عن كل سبل التيسير والرفق واللين متمثلا الخصائص النبوية التي أشارت إليها أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين عندما قال لها سيدنا ﷺ «مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إلا زَانَهُ، وَلا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إلا شَانَهُ»، وكذلك«إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»، واضعا المنهج الإلهي أمامه ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:5-6]؛ لأن الدين لا يدخل في صراع مع الحياة، فالتيسير من المعايير المهمة كما يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة.

وإنه وإن كان هناك من الطرق والمشايخ ما يجعل المريد يعيش في صعوبة حتى يخرج من الإلف والعادة، إلا أن خلاصة منهج فضيلة مولانا ما كان أيسر في الحياة، فيعمل على تعليم وتدريب المريدين التخلّي عن كل قبيح، وهي أكثر من عشرين صفة قبيحة، منها الكبر ومنها الكراهية ومنها الحقد ومنها الظلم ومنها الحسد ومنها القسوة ومنها العنف إلى آخره، والتحلي بكل صحيح، أي أضداد هذا من الحب، من الرحمة، من الرفق، من المسامحة، من العدل من الإخاء من المساواة، ويقول فضيلة مولانا أيضا:

وفي الواقع، كلما أخرجت شيئا من المهلكات من قلبك، ففي الوقت ذاته تدخل المنجيات، وكأنهما وجهان لعملة واحدة، فالأمر يتم معا، فالعالم لا يعرف الفراغ، فبمجرد خروج شيء يدخل مكانه آخر، فإذا خرج الكبر أجد نفسي تلقائيا في حال التواضع، وبمجرد خروج البغضاء والشحناء والحقد والغيرة والحسد والغل أجد الرحمة والحب والرفق، وغيرها في قلبي، فأهل الله دوما قلوبهم متعلقة بالله، متمسكون بالحب، يسعون إلى الرفق، بمعنى أنهم يعيشون سيدنا رسول الله ﷺ، فنحن نريد الرفق والحب والرحمة والستر، وهكذا، دائما. فإذا أردنا أن نعيش مع طريقنا إلى الله،

ونرى معالمه وملامحه، وجدنا أن طريقنا إلى الله طريق مليء بالحب، ومليء بالرحمة، ومليء بالسكينة، ومليء بالتوفيق. فالطريق إلى الله يجعل الإنسان إنسانًا، ويجعله سعيدًا في هذه الحياة الدنيا، ويجعله سعيدًا حينما يعود إلى ربه يوم القيامة، فإن التصوف دعوة الحُبِّ والنور المغلفة بالرحمة.

ومن جانب آخر نجد أن فضيلة مولانا الإمام العلامة ينظر إلى الجميع نظرة الوالد لولده، ومعنى ذلك أن هناك الحب، والعاطفة، والرفق، مع الالتزام، ولذلك يقول فضيلته: فنحن ندعو الله سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى سواء السبيل. ويقول عن ذلك أيضا:

دائمًا ما يحتاج المريد، وبخاصة في مراحله الأولية من السير في الطريق إلى الله، إلى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة التي ترد عليه، ويحتار في اختيار المناسب له منها حال وجود أكثر من إجابة عن نفس السؤال، وقد يتحاور مع مجموعة من أقرانه في هذه المسائل، وهو بذلك على خطر عظيم، فالتجربة الصوفية التي يمر بها المريد هي تجربة خاصة به لا يسير غيره بدلا منه فيها، ولا يعيشها غيرُه نيابة عنه، بل لابد أن يحياها ويعيشها بنفسه لا بغيره، ومن هنا تبرز أهمية الشيخ حيث قد سار قبله، وقبلهم في الطريق، وشاهد وعاين ومارس وطبق وواجه المشاكل والصعوبات والعوائق والمعوقات، وأجازه مشايخه، حتى عاد ومعه هذه الإجازة وقد سلك الطريق ليأخذ بيد غيرِه في السير في الطريق إلى الله، فينصح ويوجه ويبين ويرشد حتى يصل بالمريد الصادق المخلص إلى بر الأمان، والذي ينبغي ألا ينقطع عن شيخه أو يتردد في التواصل الدائم معه من غير إحراج أو خجل، فالشيخ في مقام الوالد المربي، بل وارث محمدي يأخذ بيد المريد بالحب المغلف بالرحمة، السالك بالرفق واللين والتيسير، حفاظا على القيم والمبادئ الإسلامية الصوفية، وإعلاء للمنهج النبوي الحق، وكل ذلك لابد وأن يكون مغلفا بالرحمة والحب

والود، واللين والرفق واليسر، والستر، والجمال، تحت راية الاتباع، في سرور وسعادة وحُبور، ومن غير عنف ولا شدة، بل في احتواء للآخر.

ومن تطبيقات الرفق واللين والتيسير للمريدين، يقول فضيلته في معرض الحديث عن قضاء الأوراد: يميل أهل الله إلى عدم قضاء الورد، لأنه مشتغلٌ بوردٍ جديد. إذا سمحنا له أنه قبل الورد الجديد يقرأ الورد الذي فات وقتُه تكاثرت عليه وأحدث شيئا من أنواع التشوش. أما من كانت ظروف عمله، أو ظروفه الخاصة تعوقه عن أذكار الصباح مثلا، فعليه الرجوع إلى شيخه حتى يرشده إلى ما يناسبه. ومن ضمن المساعِدات أننا ننصحه بتخصيص ربع ساعة بعد صلاة الفجر يُعَوِّد نفسَه عليها. كذلك قضاء المسبعات لا مانع منه للمبتدئ، ولكن الفائدة والثمرة منها فيها كلام؛ لأن شرطها بين الفجر وحتى الشروق، مع مراعاة قاعدة الكبار أنه لا قضاء للأوراد. وفي كل الأحوال، يرجع المريد إلى شيخه.

وعليه فيبدأ مولانا دائما مع أبنائه بالحديث المسلسل بالأولية، يلقنه أبناءه قائلا: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ - تبارك وتعالى - ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[1]، وبه تأخذ صفة الرحمة، وتتخلق بها. والرحمة نوع من أنواع انعطاف القلب على الآخر، سواء لضعفه أو لحاجته، أو لنوعه، أو لموقفه، أو احتياجه، إلى آخر هذه الأمور، ويسمونها الشفقة، فتكون شفيق الرحمة، وهذه الرحمة هي التي نريد أن نتخلق بها، وهو ما يتطلب أن نتأمل ما حولنا من الكائنات وهي تنقسم أساسا إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول هو أعلاها، وهو الإنسان، والقسم الثاني الحيوان، والقسم الثالث الجماد. وإذا أردنا تشقيق ذلك الجماد، فنقول النبات، لأن النبات ينمو وله حركة، والجماد الذي مثل

(1) أخرجه أحمد ، ح: 6494، وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

الحائط، أو الصخر، أو الجبل، أو البحر، أو الباخرة، وهكذا، فليس فيه حركة، أو نمو، فيصير لدينا أربعة عوالم ـ كما سبق وذكرناه من كلام مولانا ونكرره هنا لمناسبة المقام ـ وعند التأمل نجد أنه لا بد أن تكون رحيما بتلك العوالم الأربعة. فأهل التصوف يقولون إن أول شيء أن تعلم أن الكائنات من حولك تسبح، وأنها تعبد الله، وأنها تبكي، وأنها تسجد لله رب العالمين، واستدلوا بآيات وأحاديث كثيرة فيها هذا المعنى.

ومن تطبيقات الرحمة في الحياة يلفت فضيلة مولانا نظر الناس إلى الأدب المتصل بالرحمة، فيقول ضاربا المثال: ومن التطبيقات الحياتية العملية لهذا الأدب، وهي كثيرة تشمل جوانب الحياة كافة، فمن ذلك عند دخولك إلى مكان ما، فمن الأدب المتصل بالرحمة ألا تغلق الباب بشدة مما يحدث صوتا غير لائق، لأنه يُسبح، فلا تغفل عن هذا المعنى. وكذلك إذا علمنا أن النيل يُسَبِّح، فلن نلقي فيه الجيفة، حتى إن رسول الله ﷺ نهى عن الملاعن: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ»[1]، أي الأماكن التي يلعن فيها من يفعل ما يؤدي إلى النجاسات كمن يتغوط في ظل الناس، فهو يفعل الضرر.

ولذلك فإنه يجب علينا أن نتحقق بتدبر الذكر فإن هذا يؤثر في أخلاقنا تأثيرًا ايجابيًّا خيِّرًا وحسنًا، يجعلنا نستحي أن نكذب، ونستحي أن نقصِّر في أعمالنا، ونستحي أن نرتكب المعصية، أو أن نعتدي على أموال الناس، ونستحي أن نعتدي على خلق الله، فيظهر الحب وتظهر الرحمة وتظهر السكينة والأمن والأمان في طريقنا إلى الله سبحانه وتعالى من جرَّاء هذا الذكر وهذا التدبر وهذه العبادة والطاعة التي هي خالصة لوجه الله لا نريد شيئا من حطام الدنيا.

---

(1) أخرجه ابن ماجه، ح: 328.

وفي هذا الشأن يؤكد مولانا على خطوات المنهج العام ضاربا مثلا بالرحمة، فيقول:

ومن هنا يتكون المنهج، ونتضح الخطوات:

(أ) المعرفة: أي نفهم الرحمة (الاسم، أو الصفة)، ونقرأها ونسأل عنها،

(ب) نمارس الرحمة (الاسم، أو الصفة)،

(ج) نعيش الرحمة (أي تستمر على ذلك، فنتخلق بها، وتملك علينا جوارحنا فتغير السلوك)،

وأن نحفظ الثلاثة مع العفو والمغفرة والتواضع، ومع كل صفة من صفات المولى جل شأنه لابد من ذلك.

أما عن العلاقة بين الرحمة والحب، فيقول مولانا:

أن الرحمة أساس الحب، وهذه مسألة مهمة للغاية، فالحب يأتي من الرحمة، ولأن الله رحمن رحيم فهو يحب، إلا أن هذا الحب أنواع، وهو أيضا تجليات، وهو أيضا درجات، فالرحمة يُولّد منها الحب مباشرة، وهذا الحب يتولد منه السكينة، والسكينة يتولد منها الود. ومن هنا فقد يحدث أن بعض الناس تختلط عندها مفاهيم الرحمة بالحب، ولذلك بين لنا الله تعالى الأصل وقال: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، حتى نعرف أن هذا سلسال من الرحمة ومنه الحب، ومن الحب تأتي السكينة، ومن السكينة تنتج المودة، ومن المودة تأتي التنزلات الأخرى.

يتفرع على ما سبق ضرورة الرجوع لبيان **العلاقة بين الرحمة والحب والاتباع**، وأيهما يُقَدَّم على الآخر، وذلك من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:31]، وهل معنى ربط الحب بالاتباع أن

الله تعالى لا يحب من لم يتبع، وهو ما يعتبر فهما متسرعا للآية. أما القراءة المتأنية للآية توضح الكثير، حيث يقول تعالى﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ﴾ ، أي أن الكلام موجها إلينا نحن، وليس حديثا لله تعالى عن نفسه، وكأنه تعالى يخاطب أهل الأرض جميعا، هذه المليارات التي تعيش على وجه الأرض، فيقول لهم: من منكم يحب الله؟ فيجيب جزء من هؤلاء المليارات أنهم يحبون الله تعالى، فيجيبهم تعالى مخاطبا ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾، طالما أنكم تحبوني فصدقوا بهذا الرجل الذي أرسلته لكم واسمه (محمد) ﷺ، وما كان يظهر لنا هذا المعنى إلا بالتدبر الواعي للقرآن الكريم، وهنا تأتي النتيجة لهذا الاتباع لسيدنا النبي ﷺ: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، فمن يحب الله يتبع سيدنا رسول الله ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ فالله يحبه. وهنا لابد من ملاحظة أن الله تعالى لم يحدثنا في هذه الآية عمن لم يحبه، أو أحبه ولم يتبع سيدنا النبي ﷺ وهنا نقول: إن تعلق الحب بالأخص لا ينفي حب الأعم.

ولما كان الحب يتعارض مع الالتفات، إلا أن النفس تحاور صاحبها محاولة هدم هذه المعاني الرائقة، فيعالج فضيلة مولانا الإمام العلامة هذه الأزمة قائلا:

هنا يتبادر إلى الذهن واحد من الأسئلة، وهو: (هل أنا بالفعل أحب ربنا، أم أنا مدعي الحب)، وأحيانا يأتي وارد فيقول: (لا تلتفت إلى حبك لله، بل إلى حبه لك). وقبل التفصيل نقول إن هذه الواردات أشياء لطيفة، وهذا الوارد يريدك ألا تلتفت، حيث إنك عندما ترى أنك تحب الله، وأنك في طاعة له، وغير ذلك من أنواع الحب ودرجاته، فقد تكون هذه لوافت تجعلك تلتفت إلى عملك، كمن يصلي وهو معجب بنفسه، أو يصوم ومبسوط جدا من صيامه، فيأتيك الهاتف: لا تلتفت لعملك، فالله تعالى يحبك بأصل الخلقة، وأنه يحب صنعته، فيقول لك أنا أحبك، وانتبه فهذا لا يعني أنهم لا يحبونه، بل إن حبهم نوع من الأدب العالي، فيبادلونه حبا

بحب، وإلا كانوا في ورطة شديدة، مرتكبين لقبائح فظيعة، أحببته ولم تطعه فكما يقول الإمام الشافعي:

تَعصي الإِلَهَ وَأَنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ .. هَذا مُحالٌ في القِياسِ بَديعُ
لَو كانَ حُبُّكَ صادِقا لَأَطَعتَهُ .. إِنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيعُ

وهذا هو النوع الثالث من الحب، أن المحب لمن يحب مطيع، فلابد من الطاعة مع الحب، فالحب الحقيقي يحرك المرء إلى الطاعة.

كذلك يلفت فضيلة مولانا نظر المريدين إلى **مجموعة مهمة من القواعد الميسرة أثناء الذكر والسير في الطريق**، قائلا:

من ضاق عليه الوقت في الأذكار التي بين الفجر والشروق، والتي تنتهي عند الشروق، فإنه طالما بدأها المريد قبل الشروق، وطلع عليه الشروق، فهو في وقتها، وهكذا سائر الأذكار، حتى أعداد الذكر المذكورة والأوقات الخاصة بها، يجب الانتباه إلى أن الأعداد المذكورة، والأوقات للكمال، ومن لم يستطع، فليراجع شيخه، والأهم هو عدم ترك الذكر، بل نتمسك بما نستطيعه، حتى لو نسي شيئا، عليه أن يستمر ولا يقف على الإطلاق. ومن الأهمية بمكان أن يعلم أبناء الطريقة أن المريد المقصر في الأوراد هو في عناية الشيخ، فهو أولى بطلب الرحمة والوقوف بجانبه ومساعدته. فلا نكن كالنابتة الذين يرفضون الترحم على المبتدع مثلا بحجة أنه مبتدع، فهذا أولى الناس بطلب الرحمة نقول، فنقول: (الله يرحمه)، (فلان يرحمه الله)، فهو في مأزق حقيقي، فلابد من مساندته وعدم القسوة عليه رغم اختلافنا معه.

وحتى لا يشعر المريد بالملل أثناء الذكر، أو يذهب إلى المشقة، فيرشده فضيلة

مولانا قائلا: لا تكرار للورد، ومن كان لديه متسع من الوقت فلديه من الأحزاب والصلوات، وغيرها وما يشغل ساعات اليوم والليلة كلها لمن أراد، ولكن ساعة وساعة، فلابد من تعمير الأكوان، وإقامة الحياة، ولذلك فمن اتسع وقته فعليه أن يستشير الشيخ فيما يضعه فيه من أذكار.

ومن باب التيسير على المريدين أثناء سيرهم في الطريق، حتى لمن أصابه الفتور في الذكر والمداومة على الأوراد يرشده فضيلة مولانا قائلا: من أصابه الفتور في الأوراد لا يستسلم، ولا يركن، بل يستمر ولا يقف عند ذلك، وإذا عاد الفتور، يفعل كما سبق لا يلتفت ويستمر وكأن شيئا لم يحدث، ولا يضره الفتور أو التعثر طالما أنه انتهى من ورد التمهيد. استمر واذكر ولا تقف، وأن من يريد المساعدة من غيره، فلا حرج أن يقرأ أذكار الصباح والمساء جماعة، حتى ولو لم يكن مع المجموعة أحد المقدمين، ولا حرج، فالقاعدة حيثما تجد قلبك، فإذا رأى المريد أن قلبه مع المجموعة فلا حرج، وإذا رأى قلبه مع الانفراد فله ذلك.

حتى إن من لم يقدر على مرحلة التمهيد كاملة فيؤكد فضيلة مولانا الإمام العلامة أنه لابد من التيسير عليه، حتى لو أن يأخذ عشرة من الاستغفار والصلاة على سيدنا ﷺ وكلمة التوحيد، فالمهم ألا يترك، وألا ينقطع، حتى إن المريد إذا لم يستطع الالتزام بصيغة الصلاة على سيدنا ﷺ والمنصوص عليها في الأساس، يخفف عنه الشيخ، فيعطيه غيرها مما يسهل عليه. وفي هذا الصدد يحكي فضيلته تجربته مع شيخه، فيقول:

وهناك إشارات لطيفة حول صيغ الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ حيث إن أساس الطريقة الشاذلية هي الصلاة على النبي ﷺ مطلقا، والصلوات التي وردت عن سيدنا النبي ﷺ نيف وأربعين صيغة، وكلها ليس فيها الصحابة، ولكن أهل

السنة والجماعة لما رأوا فرقا مبتدعة تسب الصحابة، وتنتقدهم، وتنتقصهم، وكذا، أضافوا الصلاة على الصحب وهو أمر مشروع تمسكا به. إذن فالصلوات تتنوع كما أنه يجوز الإضافة إليها مادام ذلك من الشريعة، ومطلق الطريق هو الصلاة على النبي ﷺ بأي صيغة كانت. أما عن الصيغة الواردة في أذكارنا مع الأساس

اللَّهُـمَّ صَـلِّ عَلَـى سَيِّدِنَا مُحَمَّـدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُـولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّـيِّ وَعَلَـى آلِهِ وَصَـحْبِهِ وَسَلِّـمْ تَسْلِيما بِقَدْرِ عَظَـمَةِ ذَاتِكَ فِي كُـلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ

فهي صيغة مخصوصة تمسكا بما كان عليه الشيخ، شيخ الطريقة، فهو الذي علمنا هذا، فمن الوفاء في حقه أن نلتزم بهذا. أما إذا لم يستطع أحد أن يصلي بهذا وثقلت عليه، فعليه بإخطار شيخه بذلك، فيبدلها له الشيخ، ومن ذلك أنني في أول الطريق أعطاني شيخي صيغة (اللهم صل على نور الأنوار، وسر الأسرار، وترياق الأغيار، ومفتاح باب اليسار، سيدنا محمد المختار، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار، وأتباعه الأبرار) بعدد 200 مرة، فلم أتمكن من الذكر بها إلا مرة واحدة، ثم تداخل علي الأمر، فقابلت شيخي بعد شهرين، فقال لي: ألم تستطع الذكر بها إلا مرة أو مرتين؟! فتعجبت غاية العجب حيث لم يعلم أحد بذلك على الإطلاق، فأجبته بالحقيقة، فقال لي: ولمَ لمْ تخبرني، حتى أغيرها لك.

وحتى في أشد اللحظات على قلب المريد، والتي قد تتطلب انتقاله إلى شيخ آخر، ينصح فضيلة مولانا المريدين مبينا القيم الرائقة في هذا المضمار قائلا: الخلاصة أن الأصل الشرعي في الشيخ أنه هداية للمريد، ومرشد في الذكر والفكر، أي في الطريق

إلى الله، ولا علاقة له بالأمور الحياتية والدنيوية. بمعنى آخر أن طاعته ملزمة بالنسبة لأمور الذكر والفكر، وإلا إذا لم تجد قلبك مع هذا الشيخ، فمعنى ذلك أن رزقك ليس عنده، فلك أن تبحث عن شيخ آخر تنتقل إليه، لكن مع عدم انتقاص الشيخ الأول أو الطعن فيه، وإلا كانت هذه غيبة ونميمة، وهنا مكمن الخطر، بل نقبل يديه ورأسه ونحترمه غاية الاحترام. فغاية ما هنالك عدم اتساق موجتك مع موجته، حيث يمثلون لذلك بموجات الإذاعة، فحين تكون الموجة الخاصة بك ليست مضبوطة مع مَوْجَة الشيخ، ومنه أن يأمرك بذكر فلا تستطيع الذكر به، أو أن تتلعثم، وتحدث لك لخبطة وتدوم على هذه الحال فترة تستشعر فيها عدم التطور وتستشعر انغلاق الطريق أمامك، بعكس ما إذا حدث تغيير في القلب (طمأنينة وسكينة)، أو تقدم في الطريق (حيث يقل التعلق بالدنيا والشهوات والرغبات ويزيد القرب إلى نفع الناس وحبهم ورحمتهم)، ولو بدرجة بسيطة أو تحسن بطيء فلا تترك شيخك، وهذا أمر غير الكرامات. وانتبه أيها المريد فهذا نوع من الابتلاء، والاختبار ليرى الله فعلك: هل تتمرد، وتتصرف بعنف وقسوة، أم تتسم بالجمال والرفق والرحمة والحلاوة والحب والاحترام. وفي كل ذلك لابد من بيان القاعدة الأساس أن هذا كله على قدر الاستطاعة حيث ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:286]، وكذلك ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾، وهذا من ضعفنا. أما إذا استطعت أداء ما عليك من الذكر ولكن لا تشعر بنتيجة فاسأل شيخك قبل أي تصرف، فقد يرشد الشيخُ المريدَ إلى شيخٍ آخر يرى أنه قد يتوافق معه، فعلينا ألا نكون حجابا بين الخلق والخالق.

خلاصة القول في الرحمة والمحبة يبينها فضيلة مولانا الإمام العلامة قائلا:

طريقنا إلى الله طريق مليء بالحب، مليء بالرحمة، مليء بالسكينة، مليء بالتوفيق،

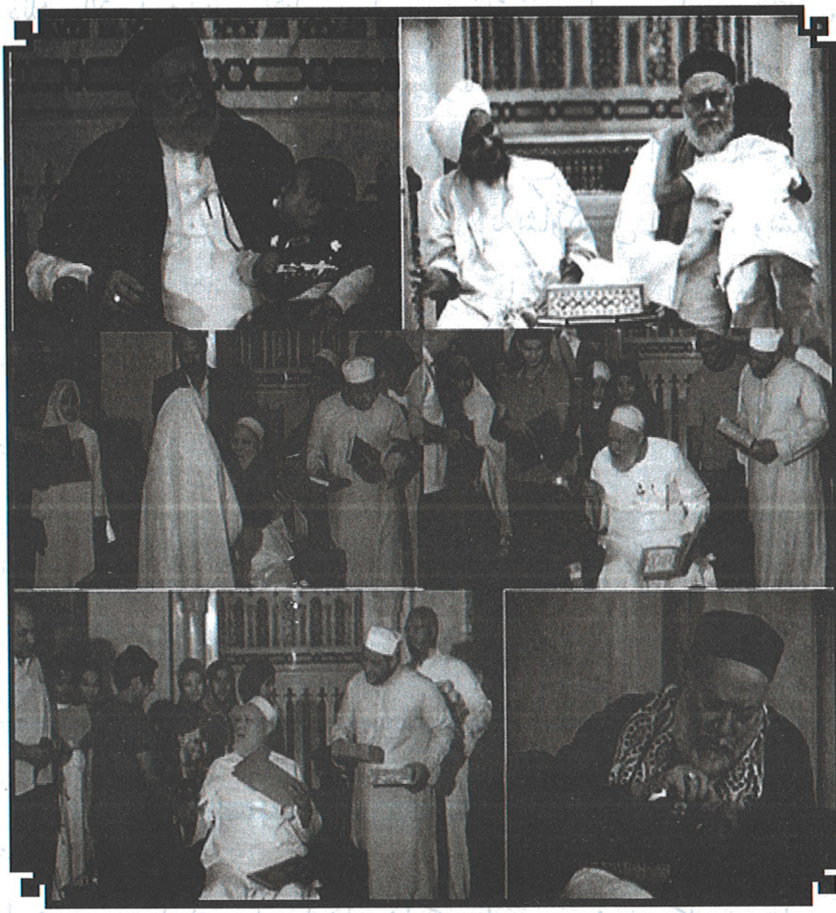
طريقنا إلى الله يجعل الإنسان إنسانا ويجعله سعيدا في هذه الحياة الدنيا، سعيدا عندما يعود إلى ربه يوم القيامة.

أما عن (الاحتواء - containment)، فحدث ولا حرج، فما من أحد يأتي مولانا وله مشكلة، أو يمر بأزمة، أو تواجهه شدة، إلا ويجد فضيلة مولانا الإمام العلامة يحتويه بأسلوب نادر، وكل من شاهد مولانا أو سمع عنه، أدرك هذه الحقيقة في سلوك مولانا، فما من أحد يأتيه محمل بالهموم، والآلام، والمشاكل، والصعاب، وغير ذلك، إلا واحتضنه مولانا معنويا، وضمه واشتمله، واهتم بمشاعره بشكل يغطي جميع جوانب مشكلته، فيصير قلب مولانا كالوعاء الكبير الذي يحتوي الوعاء الصغير، ولا يترك هذا الشخص إلا بعد أن يُفرغ همومه، ويرتاح، ويجد الحل الملائم لمشكلته، بل ويشعره أنه ليس وحيدا في همه، بل إن مولانا يشاركه على الحقيقة، ويُشعرُه بأنه غير وحيد، بل إن مولانا يقف معه، ويحبه، ويدخل فضيلة مولانا مع هذا الشخص مرحلة العطاء المنبثق عن الحب بكل ثقة وهدوء وتعاطف، فيعطي كل ما لديه من المعاني، والكلمات، بل والله، لا يبخل بالمعونة المالية والمادية إذا احتاج الأمر لذلك. وفي خلال هذا يُصغي فضيلة مولانا الإمام العلامة لحال هذا الإنسان وكلامه ويوليه كل الاهتمام عملا بالوراثة المحمدية أنَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ حَتَّى يكُونَ الرَّجُلُ الَّذِي يَنْزِعُ، وَلا يَصْرِفُ وَجْهَهُ حَتَّى يكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ، فيعمل فضيلة مولانا على القيام بهذا الاهتمام معنويًّا وماديًّا، والاستماع لهمومه ومشاكله، ومتابعة مشاريعه، والتفكير معه، والتناغم مع توجهاته ومشاعره، والتخفيف من أحزانه وامتصاص غضبه، ومساعدته على التنفيس عن مشاعره، وضبط نفسه، ومواساته، بل وأيضا مشاركته فرحه، ويشمل كل من يأتيه بهذا

الاحتواء، بقدرة رائعة على الهدوء والتعاطف، والمحافظة على رباطة جأشه.

وختاما لهذه السمات يحذر فضيلة مولانا الإمام العلامة من التعجل بانتقاد الشيخ، حيث لابد من بناء العلاقة بين المريد والشيخ على أسس واضحة، ومن ذلك قوله رضي الله عنه عندما سأله أحد المريدين عن انتقاد الشيخ ناقلا خبرته:

(كنّا قبل التعجل بانتقاد الشيخ نسأله، ودائما كان جزء من الحقيقة نجهله فيعلِّمُنَا، فيفتح الله تعالى عليّ، واعرف الحقيقة، ولكن قبلها كنت جاهلا متكبرا).



من نصائح الإمام ووصاياه:

إنه لمن الصعب أن يُحصي الإنسان نصائح فضيلة مولانا الإمام العلامة، إلا أن هناك مجموعة من المفاتيح لهذه النصائح التي يرددها ويكررها فضيلته، والتي تعتبر من جماع كلماته في مختلف المجالات، وهو ما يهتم به هذا الجزء من الدراسة حول منهج فضيلته، والتي تختلف بالطبع عن الفوائد والمجربات والإشراقات والتي تمت الإشارة إليها في بابها. ومن جملة هذه النصائح نذكر الكوكبة الآتية، وإن كان بعضها باللغة العامية أو الدارجة حيث يتم إيرادها من غير تدخل فيها حتى نحظى ببركة النَّفَس، فمولانا الإمام العلامة إن لم نصحب نفْسه الكريمة، أنفاسَه صحِبْنَا. ولابد من الأخذ في الاعتبار أن بعض هذه الوصايا عامة، والأخرى خاصة، وسوف يتم إضافة شروحات أو بيان لهذه النصائح ببعض الكلمات الموجزة بين معكوفتين إذا احتاج الأمر للتوضيح، ومن فضل الله تعالى أن شارك في تسطير هذه النصائح مجموعة من أبناء مولانا، والحمد لله رب العالمين، إلا أنه حتى لا يطول حجم الدراسة تم الاكتفاء بنماذج لهذه النصائح، وذلك على النحو الآتي:

* لا تفرح بالنعمة وتنسى المُنْعِم، ولا تقف عند الصنعة وتنسى من صنعها، ولا ترى الكون حتى تراه، وهو - جل جلاله - مفارق للأكوان.

*تعلم كيف تسير في الكون بالحب، وكيف تتعلق بجلال رحمانيته، وتتخلق بصفات جماله.

* الدين جزء من الحياة مش ضد الحياة.

* علموا أنفسكم حب رسول الله ﷺ، وعلموا أبناءكم حب رسول الله ﷺ، وعلموا أهليكم حب رسول الله ﷺ، وعلموا الدنيا حب رسول الله ﷺ.

* من أحب رسول الله ﷺ ستر الله عليه.

* من أحب رسول الله ﷺ أخذ الله بيده، وغفر له.

* السِّر في السيرة.

* رسول الله ﷺ هو بابنا إلى الله.

* السنة في ظاهرها أقوال وأفعال وتقرير النبي المصطفى والحبيب المجتبى ﷺ، وفي حقيقتها إنما هي أحواله ﷺ مع ربه، فتنبه إلى أن هذا ينبغي أن يرشدك إلى ذلك وأنت تعيش حالَهُ لا أن تراها وأن تعلمها.

* عيشوا رسول الله ﷺ.

* عاوزين نعيش منهج النبي ﷺ مش زمنه.

* سيدنا كلامه كله نور .. ادخلوا من باب الحب .. حبوا نفسكم، وحبوا الكون، وحبوا الدنيا، واعبدوا ربكم بالحب. وَنُحَمِّل على الحب كل شيء، نحمل عليه الخوف، والرجاء.

* اعلم أن الحب لا ثمن له.

* حقيقة الحب عطاء، ولا عطاء إلا من كمال، ولا بذل إلا من رضا، وتسليم.

* الحب أن تعبد الله حبا فيه.

* دوسوا في حب شيخكم، ودوبوا (من الذوبان) زي السكر في الشاي، ميهمكوش المعارضين، دوبوا دوبان.

* ادخل من باب الحب، وحَمِّل عليه كل حاجة.

* الحب مدخل لكل خير.

* الأمر أمر قلب وليس أمر لقب، (فالتصوف هو حالة قلب مع الله وليس إثبات حالة).

* حيثما تجد قلبك (كن حيثما تجد قلبك، واذهب حيثما تجد قلبك).

* يا اخوانا إحنا ما لناش غير ربنا وباب ربنا هو سيدنا محمد ﷺ.

* اللي بيننا وبين العالمين هو رسول الله ﷺ.

* الجمال جمال القلب.

* تبسموا للآخرين، وصلوا على الحبيب ﷺ، نعمتان لا يُشترط النية أو الحضور فيهما.

* لا تجعل المرتبة أو الخطوة التي وصلت إليها في الطريق غرضا، فالله مقصود الكل.

* احفظ لسانك.

* اجعل لك وردا يوميا، مهما قل، ولكن داوم عليه.

* ورد القرآن يحسن التلاوة، وبه تلين اللغة.

* معكم كنز تعيشون به في حياتكم فلا تتخلوا عنه، فلا تقطعوا حالكم مع القرآن، فهو الذي سيرشدنا لما فيه رضاه سبحانه وتعالى.

* لكي نخرج من ورطة وأزمة شيوع الكذب لابد علينا أن نعيد مهنة اندثرت أو كادت، وهي «مُحَفِّظ القرآن» الذي كان يدخل البيوت ليعلم الأبناء كتاب الله وليعلم الناس كيف يتلونه؛ ولابد أن يرجع الشباب مرة أخرى للتفرغ لتحفيظ الناس القرآن الكريم، فهذه مهمة ستستقيم بها الأفكار، وسيحصن الولد نفسه بالقرآن في حياته الدنيا، وفي تلقيه الأمر من الخارج، نعلمه بذلك السباحة في

بحر الظلمات، وما أكثر هذه البحار! وما أكثر هذه الظلمات.

* القرآنَ .. القرآنَ .. عبادَ الله .. من كان منكم حافظًا للقرآن، فليهب حياته لتحفيظه لغيره ابتداء من الأطفال ومُرُورًا بالشباب وانتهاءً بكبار السن؛ نريد في كل مسجد مقرأة تقوم بدورها في تحفيظ الناس كتاب الله سبحانه وتعالى؛ فإذا حفظ الناس كتاب الله أمِنْتَ عليهم كثيرًا من الانحراف في السلوك، ومن الانحراف في الفكر، وأمنت عليهم كثيرا في هذا العالم الذي كثر فيه الكذب.

* جدد حياتك مع الله، واستقبل ربك بيوم جديد، وأنت موقن بإجابته وموقن بالصفاء.

* لا يكون في ملكه إلا ما أراد.

* خلوا قلوبكم على بعض.

* إحنا مش بتوع طقوس إحنا بتوع عبادة.

* لا تيأس من كثرة التوبة، ولا تيأس من تدافع الذنوب، ولا تجترئ على تلك الذنوب في جنب الله؛ استعظم الذنب في قلبك، ودعه وألقه وراء ظهرك، ثم تب وتناسى، وابدأ حياةً جديدة بيومٍ جديد، والتزم بالحلال والحرام.

* الذكر إخلاص.

* الذكر أمر خفيف لطيف مقدور عليه حتى مع الانشغال، فاذكروا الله ذكرا كثيرا.

* الذكر هو العبادة التي تناسب عصرنا.

* لابد عليك من أن تعايش الذكر ومن ذلك ما نذكره مرارا وتكرارا وسنظل على ذلك إلى ما شاء الله: الكلمات العشر الطيبات.

* الذكر يغفر الذنوب، وينور القلوب، ويستر العيوب، ويسهل أمر الدنيا، وييسر الغيوب.

* أكثروا من ذكر الله تعالى، فطريق الذكر في القرآن والسنة ومنهج الصالحين طريق لازم مؤكد، فيه ترويح للنفوس، وشحن للهمة، ودافع للصالحات، ومانع للسيئات، وحصن عن اليأس، ونور في القلب بما يبني الإنسان ويجدد حياته ويجعله كل يوم في ثوب جديد، ويجعله قادرًا على أداء مهمته في الأرض من عبادة الله وعمارة الأرض وتزكية النفس.

* الهجرة انتقال من حال رَدِي إلى حال مرضي، فإذا كانت الهجرة كذلك فهاجر وسِحْ في ذكر الله، وتعلَّم انخلاعك من الذنب وهجرتك إلى الله سبحانه تعالى.

* توكل على الله لا بالكلام ولا بالألفاظ بل بالمعيشة في التوكل على الله ومن توكل على الله كفاه، ومن جعل ربه حسيبه فإنه لا ينظر إلى دنيا من حوله ولا يعتمد على أشخاص هم أحوج الناس إلى غيرهم؛ فكل الناس يحتاج إلى ربه وهم لا يملكون شيئًا من أمر أنفسهم فكيف يملكون لك نفعًا أو ضرا أو حياةً أو موتا أو رزقًا أو غير ذلك من المبتغى.

* سيبها على الله، مش قولنا سيبها على الله بقى .. (بلاش كده، خليها على الله).

* العلم هو كل ما قربك من الله، والجهل هو كل ما أبعدك عن الله.

* الرب رب والعبد عبد، وهناك فارق بين المخلوق والخالق.

* الذكر جَنَّة أرادها الله أن ندخلها في الدنيا بشرى لنا أن ندخلها في الآخرة.

* أعلى أنواع الفتح هو معرفة الأدب مع الله، ودوامه معك، وبابه الذل والانكسار، ومفتاحه الاستغفار.

* المقياس والمعيار الذي به التقويم في الطريق إلى الله تعالى هو الأدب مع الله.

* أول الأدب مع الله هو أن تُسْلِم وجهك لله، ومن أسلم وجهه لله توجه به إليه فأنت لا ترى ولا تنظر ولا تشعر ولا تعرف ولا تتلقى إلا من الله، وتوجهك إليه ليس مِنَّة منك ولا فضلا تتألى على ربك إنما هو احتياج منك إليه فأنت الذي تحتاج إلى ربك والله لا يحتاج إليك.

* الأدب مع الله تعالى الرضا بما قسمه الله عز وجل لك، والتسليم بما أجراه الله سبحانه وتعالى عليك.

* الأدب مع الله تعالى بالتوبة، وبالتوكل، وبالحب في الله والبغض في الله، وبعبادة الله، وبالاستعانة بالله، وبالثقة بما في يد الله.

* الأدب مع الله تعالى إذا أردت أن تسأله سبحانه فاسأله بلسان الافتقار والاضطرار إليه، ولا تسأله بلسان الاستغناء والإصرار.

* الأدب مع الله تعالى تعلُّم الأدب في صحبته جل جلاله ظاهرا وباطنا، فلا يراك إلا في مواطن رضاه.

* علينا أن نطهر قلوبنا لتحيا ولتدخل الأنوار فيها، وذلك بالتوبة الصادقة، وبكثرة الذكر، والصلاة على سيدنا محمد ﷺ فبذكره تحيا القلوب وتغتفر الخطايا والذنوب.

* إذا ما عرفت الأدب مع الله رقّ قلبُك لذكره، فيعلمك ما لم تعلم، ويقيمك فيما علِمت.

* (كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا)، التفت لهذا المعنى، فإن فيه سرُّ الإخلاص.

* الاستغفار يرفع البلاء.

* وظيفة النعمة، شكرها، واستعمالها في مرضاة الله.

* السالك في طريق الله لا يَضِل، ولا يُضَل.

* لا تنظر إلى ما في يد غيرك .. (لا تنظر إلى طبق الغير).

* اجعل الدنيا في إيدك الاول وبعدين ازهد فيها.

* امش في الطريق خطوة خطوة وإياك من القفز.

* خليك سهل (سهل الخلق لين الطباع والمعاملة).

* وَسَّعْهَا (وَسَّع صَدْرَك).

* خلي ودانك أطول من لسانك (يعني اسمع أكثر مما تتكلم، وهو معنى إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت فاقتربوا منه فإنه يُلقن الحكمة).

* سيب نفسك لربنا (كن مع الله كيفما أرادك).

* ارض وسلم فهذا هو التأدب مع الله.

* فائدة التصوف الكبرى أنها تحمي الناس من الزيغ ومن الضلالة، وتحمي الناس من الفلسفات القديمة والحديثة، وتجعل الناس متهيئة لأن تعيش مع ربها، وتعيش في عصرها، وتعيش بدينها، كل ذلك يتهيأ عند منهج التصوف.

* لازم الانسان يكون عنده قضية.

* هيا بنا نعرض بضاعتنا على العالمين بلغة الرحمة والمحبة والسلام.

* لا تتكبر بطاعتك.

* عدم الغضب تدريب وتربية، وإن الذكر والاستعاذة وتغيير المكان والوضوء كل هذه الأشياء تساعد الإنسان على ضبط الغضب، لكن ضبط الغضب لا يتأتى من أنه يقرأ القرآن فقط، فليس الأمر أن يقرأ آيات فيجد روحه قد هدأت، بل هذا يحتاج إلى معاناة ومجهود وتدريب، ولابد علينا أن نفهم أننا نحتاج إلى أن نربي أنفسنا وأن نضغط على أنفسنا في طريق الخير.

* اقرأ صح، اقرأ وخلي بالك من الحكاية عايزه إيه.

* القلب يعلو العقل، والعقل يعلو السلوك، فإذا استنار القلب استنار العقل وإذا كان كذلك تغير السلوك واستقام.

* إن هذه الحيرة التي تعيشها أمة الإسلام إنما جاءت بالتجرؤ على أولياء الله، ليس منهم الذي يعيش فقط، إنما الذي يعيش ومن كان وليًّا عبر التاريخ، فإن الله سبحانه وتعالى يغار على أوليائه.

* الوضوء أول الأمر كله. لأن الوضوء رمز للطهارة الظاهرية والطهارة الباطنية، فهذا الوضوء هو باب من أبواب الخير يكفر الخطايا، ويعلي الدرجات ويرفعها.

* الكمال هو أن أسير في الطريق أسير (الأولى من السَّير، والثانية من الأَسْر).

* السياسة منها رعاية شئون الأمة، وهذه نعمل بها، ومنها الحزبية، ولا نعمل بها.

* ليس لنا في السياسة وإنما نعمل من أجل الإنسان، فليس لنا تدخل، ولا نخلط الأمور.

* الطرق وسيلة تربية والجماعات هدفها الحكم.

* لا تيأس من نفسك.

* اللي عاوزه سيدنا هيمشي (أي أن ما يريده سيدنا النبي ﷺ سوف نطبقه).

* اقرأ الكتاب وكأنك تقرأه للمرة الأخيرة.

* ليس لنا تدخل، أو نحشر نفسنا، ومن ذلك حفظة القرآن فلا تدخُّل لنا معه حتى لو كان عاصيا، سيب الناس في حالها، ولا نخوض في مثل هذه الأمور.

* بارك الله فيك كما بارك في عسل النحل وزيت الزيتون.

* عند طرح الأمور ونتكلم نريد أن نقوم بكذا وكذا ونفعل كذا وكذا، أقول لك: ابدأ وبادر ولا داعي للإعداد الكثير الزائد عن اللزوم وتضييع الوقت في المثالية من أول مرة ولكن علينا البدء ونسعى إلى المثالية في أثناء السير، (وبلاش حنشصة) [1]!

* في حالة السوق، ومنافسات، وحتى الآن لم أنجح وأشعر ببعض الغيرة، وكأنها حسد على المسلم: لابد أن تكون إنسانا طبيعيا وتشعر بمشاعر طبيعية فالغيرة منها محمودة فلا تمنع نفسك منها، وقم بالدعاء لغيرك بالتوفيق.

* من تَمَصَّر تبصَّر.

* الدنيا في أيدينا بقدر استعمالها واستخدامها.

* العلم لا يصلح إلا بالتقوى، ولو كان بلا تقوى لكان محض تاريخ؛ فلان قال وفلان قال.

---

(1) جاء في معجم تيمور الكبير/ الألفاظ بالعامية: حَنْشَصْ: فلان محنشص، والحَنْشَصة: لعله يرادف متحذلق.

* نحن موجودون لأجل الهداية والبيان، ونقل الدين بصورة لافتة للنظر لمن بعدنا.

* الإسلام أكبر منا.

* ينبغي علينا أن نعمل على فكرة توليد العلوم.

* من أراد الترقي مع الله سريعا فليمتنع عن اللغو.

* أعط الناس حقوقهم، ولا تسألهم حقك، واسأل الله السلامة.

* من كرم الله أننا إذا أتينا بعُشْر ما أُمِرْنَا به نَجَوْنَا، وأن الأوائل لو تركوا عُشْر ما أُمِرُوا به هَلَكُوا.

* القائد والمتبوع والحبيب هو سيدنا النبي ﷺ، وليس فلان أو علان. فالكل نقيسه بالنبي ﷺ، فإن أطاعوا فعلى خير، وإن عصوا فأمرهم إلى الله، وهذه هي حلاوة الإيمان.

* الترصد بالناس، والظن فيهم، والإنكار على الفاعل وفضيحته ليس من الدين بل ندعو له بالهداية والتوفيق.

* لابد أن نسعى إلى مقام الشكر فالعبد الشكور أعلى من العبد الرباني.

* القلب الضارع أن تجعل قلبك مع ربك (اجعل قلبك مع ربك). فاهتم بنفسك واشتغل مع الله.

* نحن لا نبني أمجادا، نحن نبني علاقة مع الله.

* لا تنشغلوا بالدرجات، ولا الترقيات، ولا أين مكانكم في الطريقة .. اعبدوا ربكم.

* نأخذ الحكمة لا يضرنا من أي إناء خرجت.

* انشغال المرأة بأمور زوجها وأبنائها عبادة، قد تفوق في ثوابها الذكر والورد، إلا أنه ليس معنى ذلك أن تنقطع عن الذكر بل عليها أن تستمر قدر الإمكان.

* الأثر الذي يأتي من الذكر تراكمي، ويحدث للذاكر حتى ولو لم يستشعره الذاكر.

* القلب السليم لا ينظر إلى المصلحة بل ينظر إلى المبادئ، فالعقل يدعوه لفعل شيء ما لمصلحةٍ، فالقلب يُسكتُه ويقول له: لا، هذا مخالف للمبدأ.

* الحب رحمة من عند الله.

* أراد السادة الصوفية أن يطبقوا كل كلمة وردت في القرآن والسنة.

* عامل الناس كلهم على أنهم أحسن منك، فقد يكون فيهم ولي لله.

* كلنا نقف في صف واحد أيدينا في أيدي بعض، نتعاون على البر والتقوى.

* علينا أن نؤمن بالقرآن لدرجة عالية وبعمق كبير.

* إن الله رفع من شأن المؤمنين فلم يرض سبحانه بجعلهم في معيته العلية بل جعل ذاته المقدسة هي التي في معيتهم فقال: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ **[الأنفال:19]**

* أن تكون حرًّا في قول رأيك لا يعطيك الحق في منع الآخر من قول رأيه.

* يجب التزام الصدق فهو منجاة وهو أول طريق الصلاح، واجتنب الكذب فهو مهلكة وهو أول طريق الفجور.

* إن الكذب هو محاولة فرض واقع لم يخلقه الله تعالى فيصبح سجنا من الوهم لا يستطيع الفرد الهروب منه فاحذروه.

* أمانة الكلمة حمل ثقيل هربت منه السماوات والأرض وحمله الإنسان، فإذا

أردت تأديته حق أدائه فالتزم توثيق كلامك فهذا هو المفتاح.

* لا تخطُ خطوة واحدة دون أن تبصر أين تضع قدمك، وأن تقف لا تفعل شيئا خير لك من المضي في طريق لا تعرف عنه شيئا.

* يجب عليك أن تمتلك الوعي والكفاءة والدراية الكافية قبل البدء في عمل أي شيء فتبني قبل أن يُهدم وتصلح قبل أن يُفسد.

* العدل أساس الملك فلابد أن يكون سريعًا وحاسمًا وشفافًا.

* التشريف والتكليف وجهان لعملة واحدة، فاعبد الله تضرعًا، وعَمِّر كونَه بعزة، وزَكِّ نفسك فلا تغتر ولا تكن ذليلا.

الكتاب الثالث

الجانب الصوفي في حياة مولانا

الكتاب الثالث

الجانب الصوفي في حياة مولانا

الباب الأول: التجربة الوجدانية في حياة الإمام

- النشأة الصوفية الروحية
- الحب وأثره في حياة الإمام
- الإشراقات والمبشرات والكرامات والخرافات

الباب الثاني: الملامح العلمية والعملية الصوفية عند الإمام

- التصوف علم وعمل (التصوف كعلم، حُكْم التصوف، المصطلحات)
- ارتباط التصوف بالتكنولوجيا ومتغيرات العصر والوعي الجمعي وأثر ذلك على المريد وأعداد الذكر
- التعامل مع تصوف الفتن
- الفوائد والمجربات
- أثر الذكر في علاج النفس

الباب الأول: التجربة الوجدانية في حياة الإمام

النشأة الصوفية الروحية:

مع ميلاد فجر يوم الاثنين، في السابع من شهر جمادى الآخرة عام 1371هـ الموافق 3 مارس عام 1952م، في بيت أبيه ببني سويف، وُلِد علي جمعة محمد عبد الوهاب، وهو ذات الوقت المبارك الذي وُلِد فيه الهدى كما يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة إنها إشارة لمِنَّة الله تعالى على فضيلته بمولده في نفس وقت مولد الحبيب المصطفى ﷺ ولقد تُوِّجَت هذه المنة أن كان فضيلته وارثا محمديا.

وحصل على الشهادة الابتدائية والإعدادية بمدينة بني سويف، ثم انتقل إلى القاهرة، وشرع في بناء أسرته عام 1974م، ولديه 22 عاما، حيث تزوج مبكرا وفي ذلك إشارة حيث يقول فضيلته إن ذلك كان عونا له على مشاهدة ما لم يشاهده مَنْ تأخر في الزواج، ومن ذلك أن المرء يرى أبناءه في كل مراحل حياتهم حتى يستقل كل منهم بحياته، بالإضافة إلى تخفيف العبء عن كاهل الرجل لرؤية طفولة أبنائه وهو مازال في سن قادرة على المتابعة، وأن أول شيء في الاجتماع البشري هو إحسان العلاقة بين الرجل والمرأة وأن هذه العلاقة هي التي تُبْنَى عليها الأكوان، وأن الأسرة هي الوَحْدَة التي ينطلق منها البنيان، ومن ثم يحرص فضيلته على التجمع العائلي حيث تلتزم الأسرة كلها بالإفطار معا يوم الجمعة، والاجتماع دائما في المناسبات كأول رمضان وعاشوراء وغيرها، مما يدعم العمق الصوفي الروحي للأسرة كلها، حتى إنه فضيلته كان يولي أسرته الرعاية ويعلمها أن السعادة في العفو والمسامحة والبذل والعطاء، وكان ذلك عن طريق القدوة لا الأوامر أو التعليمات.

واختار فضيلة مولانا لنفسه كُنية هي (أبو عُبَادَة) لمحبته لسيدنا عبادة بن الصامت، ورُزِق بالولد الذَّكَر عام 1992، إلا أنه مات جنينا، فأسماه فضيلة مولانا عُبَادَة حتى تصير الكُنْيَة متحققة. وكان عبادة رضي الله عنه أحد نقباء الأنصار الذين بايعوا النبي ﷺ في مكة بيعة العقبة الثانية، وكان حافظًا للقرآن، فكان يُعَلِّم أهل الصُّفَة القرآن، وشهد المشاهد كلها مع سيدنا سول الله ﷺ. ويقول مولانا في حديث عن سيرة سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه، إن هناك جانبا عمليا في التصوف، استمد من التجربة الإسلامية الإنسانية، فلما اشتغل الصحابة بالذكر حصلت لهم أحوال، فعبادة بن الصامت - كما في البخاري - كان يسمعُ سلام الملائكة، مشيرا إلى أن عبادة بن الصامت كان رجلا من الصالحين تقيَّد بالكتاب والسنة، فحدثَ له شيء هو مردّه إلى الكون وليس إلى الشريعة، ليس في الشريعة أن مَن يذكر الله تُسَلِّمُ عليه الملائكة، لا يوجد شيء مثل هذا، لكن هذا حدث لعبادة بن الصامت، وأضاف فضيلة مولانا: نستنبط مما حدث له - عبادة بن الصامت - أشياء ونرى ما هي علامة سلام الملائكة؟ هل هو علامة على رضا الله، أم هو نعمة من النعم التي يجب علينا أن نشكرها ولا نكفرها وألا نتكبر بها، حتى إذا اكْتَوَى لم يسمع سلام الملائكة، فلما ترك الكَيّ عاد فسمعَ سلام الملائكة، فهذا الحديث يصف لنا التجربة الإسلامية الإنسانية، لأنه ممكن أنَّ رهبان التِّبِت يحدث لهم تجارب، والهندوس يحدث لهم تجارب، اليهود والنصارى يحدث لهم تجارب إنسانية، لكن عندنا في التصوف التجربة الإسلامية الإنسانية.

وكذلك لفضيلة مولانا العديد من الكُنَى، مثل: (أبو الحسن) تيمنا بسيدنا عليّ بن أبي طالب حيث إن كل عليّ كنيته أبو الحسن، وهي إشارة لأن لكل خوارج عليّ، وهذا هو ما مَنّ الله تعالى على فضيلة مولانا به إذ تصدى لخوارج عصره والجماعات

الإرهابية كما تصدى جده سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج في الصدر الأول. وأيضا له كنية (أبو دُعاء) فابنته اسمها دُعاء، ولعل في ذلك إشارة إلى أن فضيلة مولانا دائما ما يحث الناس على الدعاء، حتى وإن ترقّى الواحد منهم إلى التجريد، فالدعاء هو العبادة، كما أنه مخ العبادة، وأن الدعاء نسق مفتوح، لا يتقيد بنص معين، وهذا أحد أركان منهجه الصوفي.

ويبدأ فضيلة مولانا يومه مع صلاة الفجر، ثم يقسم وقته على الصلوات الخمس، ويقول إن هذا هو الذي يناسب المسلم في كل عصر، وأنه فضيلته ينام 5 إلى 6 ساعات، وكان في بعض أيامه ينام 4 ساعات فقط أيام الطَّلَب والمذاكرة والتحصيل العلمي الدراسي.

ومن الربط الثقافي الذي عاشه فضيلة مولانا وأثر في تكوينه الروحي تعلقه بشرب عصير القصب محبة لاعتقاده أن له رائحة الجنة حيث إن أصحاب محلات عصير القصب يكتبون عليها دائما ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:21]، حيث كان ذهنه وروحه تتعلق بالآخرة، وبالجنة، وكل ما فيها، وهذا التعلق بالآخرة هو أحد أركان النسق المعرفي الذي يدعو إليه فضيلة مولانا ويتبناه، بل ويؤكد عليه. كذلك يفصل فضيلته موقف الشرب جالسا، وأن الشرب واقفا لا حرج فيه، ويقول بدعابة، وإلا أغلقنا محلات عصير القصب، فكيف يضعون المقاعد لكل شارب؟!

ولقد أثر والده فيه، حيث إنه كان ابنه الوحيد وكما يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة كان محبا للتعليم والمعرفة والحِراك الاجتماعي، وكان حريصا على أن أكون حافظا القرآن الكريم، ودافعا لي للتعلق بالعلم الشرعي، حتى إن وصلت إلى المرحلة الثانوية وجدت أن قلبي يميل إلى الدراسات الشرعية واللغوية، وكنتُ أشتري بكل ما معي الكتب، فيرى أبي ذلك فيضاعف لي المصروف فأشتري به كله أيضا الكتب،

حتى مَنَّ الله تعالى علينا فصارت مكتبتي تتكون من ست شقق، وتحتوي على 80 ألف عنوان، حتى إذا انتهيت من دراسة كلية التجارة انتقلت فورا إلى جامعة الأزهر، وبدأت الدراسة فيها. وكان الوالد يشتغل بالمحاماة فأخذت عنه تحري العدل والدفاع عن قضيته بحجة قوية وبيان ناصع.

وهو ما كان له أثر واضح في الأدلة التي يرتكز عليها فضيلة مولانا في بيانه ليس فقط للفتاوى الشرعية، بل لصحيح التصوف، كما عُرِفت والدته بالصلاح والتقوى حيث غرست في نفسه الورع ونزع شهوة التصدر عنه، تطبيقا لمبدأ حب الظهور يقصم الظهور، فانعكست عليه تلك الظلال تصوفا نقيا مستمدا من تلك الشجرة الطيبة.

وللخضرة، والشجر، والنبات، والزرع أثر في حياة فضيلة مولانا الإمام العلامة ليس لأنه تربى في الريف سنوات بداية حياته، فنجده يقول:

إن الزرع يمثل قيمة كبيرة لدي وهي التي تدفع إلى حب هذا الكائن الذي يعطي لنا الجمال الرباني في الكون، وبخاصة الورد والفل، ومنه نصنع الشربات وماء الورد والهدايا، وغير ذلك من التعامل مع الطبيعة، فالزرع يمثل لنا الحياة التي يجب علينا أن نتمتع بها، من اعتدال المزاج واستواء النفس.

وأمه السيدة الفاضلة التقية النقية فتحية هانم بنت علي بن عيد بن سالم بن سالم الجندي الحموي، والتي ولدت في بني سويف في الثالث من شهر جمادى الآخر سنة 1335هـ الموافق 24 أبريل سنة 1917م، وانتقلت إلى رحمة الله تعالى، يوم السبت الثالث من شوال سنة1423هـ، الموافق السابع من شهر ديسمبر سنة2002م، ودفنت بمقابر العائلة ببني سويف شرق النيل. وكانت رحمها الله تعالى، محافظة على صلاتها

وصيامها ابتداء من سن تسع سنوات، وحتى يوم وفاتها، مشهورة بالكرم، وحسن الخلق، وهدوء النفس، وشيخنا رضي الله تعالى عنه ابنها الوحيد لم تنجب من الذكور سواه، وقد ورث منها ومن أبيه هذه المعاني، ماتت وهي تدعو له بالخير والعلم والقبول، وكان مما يرويه لنا أن من دعائها له: اللهم اجعل في وجهه جوهرة، وفي فمه سُكَّرة، وقد استجيبت دعوتها رحمها الله بشهادة كل من لقيه وسمعه.

أما أبوه فهو الأستاذ جمعة بن محمد بن عبد الوهاب، وهو أكبر أبناء محمد بن عبد الوهاب من السيدة صدِّيقة بنت خليل بن عيد بن سالم الجندي، ولد بقرية طنسا بني مالو مركز ببا، وهي على بعد 7 كيلو مترات جنوب بني سويف، في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان سنة1333 هـ، الموافق السادس من أغسطس سنة1915م، وسجل بدفتر المواليد تحت رقم 73 في 11 أغسطس سنة1915م، والذي أصبح يوم مولده الرسمي. وهو الأول من أخوة وأخوات أشقاء عددهم به سبعة، وهم: المهندس عبد الحميد ولد سنة 1918، والسيدة فهيمة ولدت سنة1920، والدكتور عبد السلام ولد سنة1922، والسيدة محاسن ولدت سنة1929، والسيدة نعمات ولدت سنة1932، والأستاذ أحمد ماهر ولد سنة 1936.

ومن الناحية العملية المهنية عندما تقلد منصب مفتي الديار المصرية، نجد أن فضيلة مولانا الإمام العلامة يتمثل سيدنا رسول الله ﷺ فيعلن أنه أب لكل المصريين، وأن من يأتيه لطلب الفتوى إنما هو ابنه، حيث إن هذا المنصب الرفيع يقتضي ذلك، كما كان سيدنا رسول الله ﷺ أبا للمؤمنين، مع فارق التشبيه. وما ذلك إلا لشدة تعلق فضيلته بشخص سيدنا رسول الله ﷺ في كل مناحي الحياة. ولعل هذا يفسر كلام فضيلته عن بعض الأمور والقضايا أيام توليه منصب الإفتاء.

وعن تعلقه بالآثار النبوية لما لها من قيمة روحية وبركة موروثة لا تقدر بثمن يسعى إليها كل صوفي، حرص فضيلة مولانا عند بناء منزله في مدينة السادس من أكتوبر، أن يجعل فيه مجموعة من الآثار المباركة حتى يتشرف ويتبرك بها المنزل، فيقول فضيلته: (من ذلك سِترة (كسوة) مصنوعة من (السيرما) من الذهب والفضة يرجع تاريخها إلى عام 1011هـ، كانت توضع على القبر النبوي الشريف المنيف من الداخل ملتصقة به، وكذلك قطعة نحاس من قبة الصخرة أهداها لي أهل القدس الشريف عندما ذهبت لزيارتها، وأيضا قطعة من الحجارة، وأخرى من الخشب، من المسجد النبوي الشريف الحالي الذي أشرف عليه الألمان، ويضاف إلى ذلك قطعة من أرضية مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام قبل هدمه).

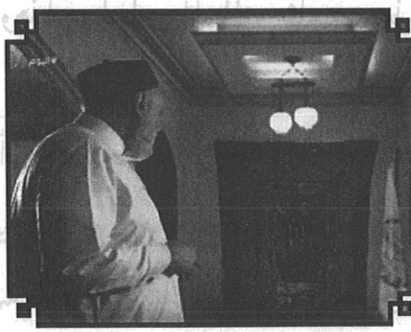
تقول عنه كريمته إيمان (إن فضيلته قد قام بتربيتهم على مبدأ أن الدين المعاملة، على كافة المستويات، مع الإخلاص والصواب)، ومما لا شك فيه أن هذه هي المبادئ الصوفية العليا، فالتصوف هو صدق التوجه إلى الله، ولا عمل إلا بإخلاص، وأن الصواب شرط في قبول الأعمال، فإن المرء لا يحقق جوهر الدين ما لم يسلك طريقه الشرعي فهو الأداة التي يُتوصل بها إلى فهم الشرع وتحقيق مقاصد الشريعة.

هذه النشأة بتفاصيلها أثرت في شخصية فضيلة مولانا وحياته العملية وخصائصه، حيث يتسم بالحكمة، والموعظة الحسنة، وقوة الشخصية، والقدرة على إقناع الناس، والهيبة، وحسن السمت، فالتف حوله الناس يتعلمون أمور دينهم ويعرضون مشكلات دنياهم وهو يفيض عليهم بما علَّمه الله، يعلمهم الإسلام الحق، ويبين لهم حق الإسلام، ويعلمهم التصوف السُّنِّي السليم، ويأخذ بأيديهم إلى التطبيق، وهو لهم قدوة. ومن ناحية أخرى فهو طيب العشرة، سمح المعاملة، من اقترب منه أحبَّه، وهو بعيد كل

البعد عن الإعجاب بالنفس لأنه في تواضعه الجَمّ يقترب من قلوب كل الناس، وتراه صادقا في قوله، مخلصا في عمله، محبا للناس جميعا، فما رأيناه حمل ضغنا ولا تكلم في أحد إلا بما هو خير حتى الذين حاولوا أن ينالوا منه وتلك شيمة أهل الله والعلماء النبلاء والدعاة إلى الله على حكمة وهدي وبصيرة، فمن أجل ذلك تخلق هو بالخلق الحسن وطَبَّقَ ما يدعو إليه قبل أن يدعو الناس إليه.

وهذه هي أخلاق الصوفي الحق، السالك في طريق الله تعالى مقتديا بخير خلق الله سيدنا رسول الله ﷺ.

وختاما ننقل قول فضيلته عن سؤال حول أعظم نعمة مَنَّ الله تعالى عليه بها، حيث قال بنبرة صدق: (مِنْ أكبر نعم الله تعالى علي أنني لم أرتكب كبيرة قط في حياتي)، وهي كلمة يترتب عليها شأن عظيم في تنور باطن صاحبها مما يُلْهَم به حسنُ الأخذ.



قطعة من سترة القبر الشريف المنيف عمرها أكثر من ٤٠٠ سنة موجودة بمنزل فضيلة مولانا الإمام



قطع حجر وخشب من المسجد النبوي الشريف الآن وأرضية مقام سيدنا إبراهيم قبل التوسعة بمنزل مولانا

الحب وأثره في حياة الإمام:

يبين فضيلة مولانا الإمام العلامة أن منهجه بوضوح يرتكز على الرحمة، وأن الحب هو أول مولود للرحمة، ودائمًا ما يقول: ادْخل من جانب الحب، وحَمِّل عليه الخوف، فلا تدخل من جانب الخوف وتُحَمِّل عليه أي شيء لأنه لن يتحَمَّل، وكن معطاءًا، لأن الحب عطاء، ولا تدع الدنيا تدخل إلى قلبك، فالحب دائم، أما الطاعة فبقدر المستطاع، واعلم أن الحب لا ثمن له.

كذلك يبين فضيلته أن العلاقة بين الشيخ والمريد في الطريق هي علاقة يكتنفها الحب والمودة لا التسلط أو السيطرة أو العنف، فهي علاقة فيها عفو، وفيها تسامح، وفيها رحمة، وفيها عدم ثقل، فالشيخ لا يسيطر ولا يريد أن يسيطر وليس عنده وقت أن يسيطر على التلاميذ، والتلاميذ لا يريدون أن ينضبعوا بالشيخ بل هو حب، فهؤلاء الناس أحبوا هذا الشيخ فاسترشدوه فأرشدهم وهذا هو أساس المسألة، فجاء عن هذا الحب الطاعة، فالطاعة قضية ثانوية ناشئة عن الحب. كذلك فإن كل الأسئلة التي نعالجها الآن في مجتمعاتنا مبناها فكرة الصراع أن هناك صراعا بين الحاكم والمحكوم، وبين الأستاذ والتلميذ، وبين الأب وأبنائه، وبين الزوج وزوجته، وغير ذلك، كلها علاقات صراع، وهذا هو الفكر الغربي، وبخاصة العلاقة بين الأمم وبين الأشخاص، وبين المراتب المختلفة كما بينوا في كتبهم وثقافاتهم. أما عندنا فالعلاقات كلها مبناها على التكامل، وعلى الحب وليست على الصراع. فأساسها عندنا ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: 228]، وهكذا القضية هي قضية التكامل المبني على الحب وليس قضية الصراع المبني على النزاع. وكلما علا قدر حب المريد وتعلقه بشيخه تتم

حقًّا هذه الطاعة. وأنه إذا أردنا أن نعيش مع طريقنا إلى الله، ونرى معالمه وملامحه، وجدنا أن طريقنا إلى الله طريق مليء بالحب، ومليء بالرحمة، ومليء بالسكينة، ومليء بالتوفيق. فالطريق إلى الله يجعل الإنسان إنسانا، ويجعله سعيدا في هذه الحياة الدنيا، ويجعله سعيدًا حينما يعود إلى ربه يوم القيامة، فالتصوف هو بناء عقيدة الحب: حب الله، وحب سيدنا رسول الله سيدنا محمد ﷺ وإخوانه من الأنبياء والمرسلين، ثم الأولياء والأصفياء والمقربين، حب كل ما أحبه الله ورسوله، والعطف على الخلق، والرفق بهم، فالتصوف أيضا دعوة الحُبِّ، والنور المغلفة بالرحمة، ولذلك تنوعت غاية التصوف إلى بناء وإنشاء وترميم وتقويم وتجويد وتجديد واختراع وإبداع وعبادة وسيادة وقيادة لركب الإنسانية والعدل والحضارة إلى شواطئ الحب والسلام والربانية، وأنه من خصائص التصوف وسماته أنه يمكن أن يجمع المسلمين على اختلاف مشاربهم، لأن التصوف يعلمنا الحب، والالتزام، والتقوى حيثما كنا، ومن ثم كانت مناهج الدعوة الصوفية الإسلامية تتلخص في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، على أساس الحب في الله، وكثرة ذكره تعالى، والبعد عن اللاهين عن الذكر، والخوف الدائم من الله، والاستقامة والثبات على الحق، وحراسة القلب والجوارح عما يغضب الله، والمداومة على طلب العلم وتطبيقه، والتحلي بمكارم الأخلاق، والترفع عن الشبهات والمشبوهين، ودوام العبادة، واستمرار الجهاد وعمل الصالحات وتربية القادة.

وعند ربط الأئمة والأعلام بمدارس التصوف، يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة إن الإمام الشاذلي من مدرسة التصوف السُّنِّي، بينما مولانا جلال الدين الرومي يميل إلى التصوف النظري (الفلسفي) لكن كان متوجا بالحب، أي يقوم بالتركيز على الحب، وهذا الحب جعله ابن عربي عمود رؤيته للكون، فالحب طاقة،

ولذلك تجد أكثر الناس إسلاما في أوروبا عن طريق مولانا جلال الدين الرومي؛ لأن الحضارة المادية الغربية تميل جدا إلى المعاني الروحية العالية خاصة في الحب، فترى أنهم قد انجذبوا من كلام الرومي.

ومن ناحية أخرى يبين فضيلة مولانا الإمام العلامة المفارقة بين الكبر والحب، حيث يقول: إن الكبر من المهلكات، وكذلك الحقد، والحسد، والغل، والكراهية من المهلكات، وفي مقابلها وعندما أتخلص من الكراهية تراني أحب الأكوان وأحب الإنسان فأحب الرحمن، ولذلك علمنا الله سبحانه وتعالى حتى نصل إلى هذا الحب أن الكون من حولنا يُسَبح، تخيل أن الحجر والمدر وأن الشجر والنهر كلها تسبح، ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:44]، تخيل أنك تسير في وسط كون يسبح، بل ويسجد، بل وينشئ علاقة العبد لربه مع ربه آتيا طوعًا أو كرهًا، وقال تعالى عن السماء والأرض: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:11]، وقال تعالى في حق الأرض والسماء: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان:29]، السماء تبكي، الأرض تبكي، ولما عرض الأمانة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:72]، فالجبال أشفقت، إذن نحن في وسط كون متفاعل وليس في وسط كون أصم! في وسط كون نعبد فيه الله سبحانه وتعالى ونسير في هذا التسبيح والسجود والتلبية، فقوله تعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:5]، أي استولى وقهر، حيث عرض عليه الأمر: هل ستأتي طوعًا أم كرهًا وأنت أعظم مخلوق؟ وأكبر حجمًا من السماوات ومن الأرض ومن الجنة ومن النار، فاستوى عليه، أي استولى عليه قهرًا، لأنه ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: 18]، سبحانه وتعالى متفرد بالجلال وحده.

ولذلك كانت التخلية والتحلية من أركان الطريق حيث يوجد حوالي واحد وعشرون صفة قبيحة، منها الكبر ومنها الكراهية ومنها الحقد ومنها الظلم ومنها الحسد ومنها القسوة ومنها العنف إلى آخره، والتحلي بكل صحيح، أي أضداد هذا من الحب، من الرحمة من الرفق، من المسامحة، من العدل من الإخاء من المساواة.

كذلك يؤكد فضيلة مولانا الإمام العلامة أن غرض الذكر بالأسماء الحسنى (ذكر التربية) بيان كون علاقة الله بخلقه علاقة رحمة وحب، وكيفية تداخل الرحمة مع العذاب، والعلاقة بين الحب والاتباع والرحمة، وخطورة الالتفات، حيث يقول فضيلته إن حب الله لخلقه على قسمين: وتأصيل ذلك أن الله واسع، سبحانه وتعالى، ولما خلق الخلق فالخلق صنعته، فكيف يكره صنعته، وخلق اللهُ الإنسانَ وأراد له العلو فأسجد له ملائكته، وجعل الملائكة خُدّامًا له في الجنة، وأمره ونهاه فإذا هو اتبع أمره، وإذا هو انتهى عن زواجره سبحانه وتعالى، فإن حبه له لا يقتصر على حب خلقه من الحيثية المخلوقية فحسب، بل يتعداه إلى حب إثابته، فهو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة. وهنا يأتي دور المفسرين بالنظر إلى البسملة (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، وما وصف الله تعالى به نفسه بأنه الرحمن الرحيم، فرحمن الدنيا تعني رحمته للمؤمن والكافر على حد سواء، والذاكر والتقي والفاجر، على حد سواء، وذلك من حب الله لخلقه كلهم حتى الفاسق والمنافق والزنديق والعاصي، وغير ذلك من الناس، فحب الرحمن هو رحمته في الدنيا. ولتقريب الأمر إلى الأذهان، ننظر إلى الأم، تجدها تحب ابنها حتى ولو كان عاصيا، فهو يحب خلقه جميعهم، ولله المثل الأعلى فإن الله أرحم بخلقه من هذه الأم بابنها، كما جاء في حديث الصحيحين. أما الآخرة فالأمر مختلف، وفيها التصنيف، فرحيم الآخرة: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:43]، ولم يقل سبحانه: بالخلق،

بل بالمؤمنين. فالله سبحانه وتعالى يحبنا، إنما الثواب والعقاب يأتي حسب التكليف، وحسب ما قدم العبد في مزرعة الآخرة، فالدنيا مزرعة الآخرة، فماذا قدمت فيها؟ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، لأنك عصيته، ولأنك خالفته، ومرة أخرى لتقريب الأمر للأذهان، تقوم الأم بتأديب الابن العاصي، إلا أنها تحبه، وهذا شيء غير مُبرَّر، فالله تعالى خلق في قلبها هذا الحب.

أما العلاقة بين الرحمة والحب، فيقول فضيلة مولانا الإمام العلامة: إن الرحمة أساس الحب، وهذه مسألة مهمة للغاية، فالحب يأتي من الرحمة، ولأن الله رحمن رحيم فهو يحب، إلا أن هذا الحب أنواع، وهو أيضا تجليات، وهو أيضا درجات، فالرحمة يُولّد منها الحب مباشرة، وهذا الحب يتولد منه السكينة، والسكينة يتولد منها الود. ومن هذا فقد يحدث أن بعض الناس تختلط عندهم مفاهيم الرحمة بالحب، ولذلك بين لنا الله تعالى الأصل وقال (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، حتى نعرف أن هذا سلسال من الرحمة ومنه الحب، ومن الحب تأتي السكينة، ومن السكينة تنتج المودة، ومن المودة تأتي التنزلات الأخرى. كما بيناه من قبل.

وعن كيفية تداخل الرحمة مع العذاب، يستفيض فضيلة مولانا الإمام العلامة في هذا الصدد من خلال شرحه لرؤية الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، حيث يقول مولانا: وهنا لابد من الإشارة إلى كلام واحد من الأولياء العظام، وهو محيي الدين بن العربي عندما يتكلم عن كلمة العذاب، وأنها من نفس المادة اللغوية للعذوبة، ومعروف أن الماء العذب حلو المذاق، وأن الله اختار هذه الكلمة لأن رحمته قد تخللت كل شيء حتى إنها قد تخللت أثناء عقوبته لمن غضب عليه فعذبه حتى صار العذاب له عذوبة. قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:46] فربنا سبحانه

وتعالى هو الذي يعاقب، وهو أحكم الحاكمين، وهو العدل قاضي القضاة، ملك الملوك لا إله إلا الله، ولذلك فلا يُتصور في شأنه سبحانه وتعالى إلا أن يكون عادلا، وكثيرٌ من الناس تتعجب من أن الله الرحمن الرحيم الرؤوف العفو الغفور يُعذِّب هذا العذاب، وربنا سبحانه وتعالى نص على أنه يعذب الكافرين عذابًا مهينا، وعذابا أليما، وهنا يأتي بصفةٍ أخرى من العذاب أنه دائمٌ مستمر، وأنه مقيم، ويسأل بعض الناس قالوا: نحن لا نحب هذا الإله الذي يُعذب هذا العذاب الأليم المهين المقيم، ولِمَ لا يعفو حتى عن ذلك الكافر الذي خالف ربه وأن يرحم ضعفه وأن يتجاوز عنه؟ وكانت المفاجأة أن الله سبحانه وتعالى عندما تكلم عن الوعيد لم يتكلم عن العقوبة، ولم يتكلم عن الانتقام بهذا الكم الكبير وهو يصف ما هو بإزاء فعل الكافرين المفسدين المسرفين الظالمين لأنفسهم، وإنما استعمل في الأعم الأغلب كلمة عذاب. وكلمة عذاب في لغة العرب مكونة من حروفٍ ثلاثة (ع ، ذ ، ب)، ولو رجعنا إلى لغة العرب من أجل أن نتعمق في هذه الكلمة لوجدنا أنها تستعمل أيضًا في الماء الحلو فنقول هذا الماء عَذْب، وعندما نصف الكلام الجميل الذي ينثال ببساطة نقول هو كلام فيه عُذُوبَة، فكلمة عذب وكلمة عذوبة من نفس المادة، فهل لهذا أثر في استعمال القرآن هذه الكلمة؟ فيبين الشيخ محي الدين ابن العربي أن الله سبحانه وتعالى استعمل هذه الكلمة من أجل أن يبين أن رحمته في عقوبته - يعني متخللة في عقوبته - فيشعر أحدهم بالألم مع شعوره بلذةٍ بذلك الألم.

كيف هذا؟ قال: ضرب الله لنا أمثلةً حولنا نتأمل فيها وندرك معاني القرآن منها: المرأة التي تلد تتألم غاية الألم وهي سعيدةٌ غاية السعادة وهل يوجد من يتألم ويسعد؟ والمرأة أثناء الولادة تعاين الموت إنما لتعلقها بحِبها، بولدها، بفلذة كبدها فإنها

نتعلق به تعلقًا شديدًا غير مبرر، فهي إذًا التفتت إلى الولد فهان عليها الألم ولم تلتفت إلى هذا الألم بالرغم من معاينتها الموت. قال: وإذا جلست تتأمل الإبل - الجمل - وقد أصيبت بالجرب - مرض جلدي- تراه يبحث عن شجرة يحك جلده فيها حتى يدمى، فإذا فعل ذلك شعر بالألم، وشعر بلذة الحكة. إذًا يُتصور أن يكون هناك ألم وأن يصاحب الألم لذة.. وهذا كلام الفلاسفة الكبار، فالألم واللذة من مباحث الفلسفة المتخصصة لماذا؟ قال: لأنه مبحث المنفعة والمفسدة، فما هي المنفعة؟ هي: جلب الملذات ودفع الآلام ووسائلهما، وما هي المفسدة؟ هي: جلب الآلام ودفع اللذة ووسائلهما فتكون هي المنفعة، قالوا: وهذا لا يكون إلا بحكم الله، من الذي يحدد المنفعة والمفسدة؟ الله تعالى، ويبين الإمام القرافي كذلك تداخل المصالح مع المفاسد بصورة عجيبة، فما من مصلحة إلا وتشتمل على مفسدة، وما من مفسدة إلا وفيها مصلحة، فمن الذي يحدد المفاسد والمصالح؟!، فقال: وذلك لأنك لا تجد منفعة محضة ولا تجد مفسدة محضة، بل تجدهما متداخلين، قال: إذا أردت لذة طيب الطعام فإذا سعيت لإنضاجه لسعتك النار، فلا يوجد منفعة خالصة ولا يوجد مفسدة خالصة. ولكنها اختلطت فأرادت تحديدًا من الله رب العالمين. وكذلك يوضح لنا سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه هذا المعنى بالتعود على أكل اللحم، حيث يقول: إن له لضراوة أشد من ضَرَاوَة الخمر، أي كأنه يسبب عند سيدنا عمر نوع من أنواع التعود والإدمان، كما أنه لا يستطيع الإنسان الذي يأكل اللحوم أنه يمتنع عنها فجأة كأن شيئا بداخله يدعوه إلى هذا الصنف من الطعام حتى تصل إليه. ولذلك فإننا نقول لمن صُد عن الدين من أجل ما يقرأ من آيات العذاب: إن الله رحيم، وإن الله فعل هذا ليصد عباده عن المعصية، وأنه مع هذا فهو رحيمٌ في كل حال حتى في العذاب وأن هذه الأمثلة حتى ترى تداخل

الأشياء تقريبا لذهنك، وليس إدراكا لك للحقيقة، فإنها لا تُدرك إلا يوم القيامة، ولذلك نحن لا نتكلم عن هذا الجانب، ولكن هو يحاول أن يوضح أنه ينبغي عليك وقد غاب عنك يوم القيامة ألا تطلق الإطلاقات، وتتأكد من المتأكدات، وأنت لم ترها أصلا بل إن فيها إشارة، فالذي نعرفه أن الله رحمن رحيم حبيب عفو غفور الذي نعرفه أنه سبحانه وتعالى خلق هذا الخلق، وبين لنا فيه كثيرا من الأمثلة. ومن ناحية أخرى تجد أن هناك من الناس من يعترض على الصورة التي وضعها الله سبحانه وتعالى بوضعه الإلهي، وقال ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر:16] أي أن لها هدفا، وهو أن يمتنع الإنسان في الحياة الدنيا عن المعاصي استعظاما لهذا، فعندما يقرأ الناس غير المتمكنة من الإيمان ودخلت المدخل الصحيح، فتقول ما هذا؟ ما هذه القسوة والعنف الشديد، ماذا نفعل في هذا؟ فأخرجنا لهم كلام هذا الفيلسوف الحكيم، وهذه الصورة التي رسمها لنا، فتجدهم يتقبلون ذلك، حيث إن البشر مختلفون، وكل واحد له الموجة الخاصة به، وربنا واسع، والإسلام أوسع من المسلمين، وأوسع من العالمين، وأوسع من المذاهب، وأوسع من الأجناس، ومن البلاد، وأوسع من المكان والزمان، وأن الله سبحانه وتعالى وهو يعذب ويعاقب صاحب المعصية، أو الانحراف، أو الإلحاد، أو الكفر، فإنه من رحمته سبحانه وتعالى يخلق تلك الرحمة مع هذه العقوبة. يضاف إلى ذلك تفسير بعض علماء النفس من خلال ما يشرحونه عن مرض (ماسوشيست - masochism) وتعني الحصول على المتعة عند تلقي التعذيب الجسدي أو النفسي، حيث يتلذذ فيها المريض بتعذيبه، وهذا العاصي نقول له كأنك مريض، فالفطرة السليمة تكره العذاب، وتبعد عنه، إلا أن هذه الطائفة من الخلق تتلذذ بتعذيب النفس، وكأن الله تعالى يعلمنا ويرشدنا إلى هذا المفهوم، وأن هناك من

يتلذذ بالعذاب، وأن أهل النار منحرفون، وليسوا من الأولياء، وهم عصاة، ولكن نحن نتكلم عن نقطة معينة، وهي حال الله سبحانه وتعالى، والذي يريد بعض الملاحدة أن يصوروه أن فيه قسوة، فنقول لهم: هناك عقوبة، وهناك ألم، وعِظَم لهذا العذاب، ولكن نحن نتكلم عن قدرة الله تعالى التي أرانا بعضها في الدنيا، من أنه سبحانه وتعالى قادر على الجمع بين المعاني المختلفة، وأن يقيمها في ذات واحدة من جهات متعددة في غاية الحكمة، وهذا هو الذي نريد أن نركز عليه. وأن الله سبحانه وتعالى في منتهى التسمي بأسمائه، فكل أسماء الله صفات، وإذ بي أسميها (وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى).

وختاما للحديث عن الرحمة وربطها بالحب وقد سبق وتعرضنا في موضع سابق عن الحب وعلاقته بالاتباع في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:31] فنؤكد هنا الأمر من زاوية أخرى، فنقول: إن حب الأخص لا ينفي حب الأعم، ويمكن بيان ذلك بضرب المثال لفهم هذه الدوائر المتداخلة، ولله المثل الأعلى: رجل لديه ثلاثة أبناء، ويحبهم جميعا لأنهم فلذات كبده، إلا أن أحدهم يحب أباه أكثر من غيره، ويطيعه، فهنا يبرز حب من الأب لهذا الابن مضافا إلى حبه له الزائد على الأبوة بسبب الطاعة، وبسبب أنه يحب أباه. فهنا لدينا ثلاثة أنواع من الحب: حب الأبوة، وحب للطاعة، وحب لأن الابن يحب الأب، كما أنه لدينا ثلاثة أبناء كلهم يحبهم الأب بالأبوة. وقد يحب الابن الأب، ولا يطيعه فهنا يكون نصيبه نوعان من الحب، حب الأبوة، وحب لأنه يحب الأب، لكن يتغير خاطره عليه لأنه لا يطيعه. أما الثالث فيحبه الأب بالأبوة، وإذا مرض سارع به إلى الطبيب، ويراه ينمو أمامه، إلا أن هذا الابن لا يحب الأب، ويتجرأ عليه، ولا يطيعه مطلقا، ولكن الرجل لا يستطيع إلا أن يحبه. فالحب درجات، وأنواع، وجهات، والآية التي معنا تتكلم عن أحد أنواع الحب

وليس على كل الأنواع، والآية تبدأ بالخطاب لنا، أي بالمخاطَب (بفتح الطاء)، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:31]، ومعنا كذلك: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:21]، وأيضا ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

والخلاصة أن الجميع في حب، حتى هذا الذي لا يحب الله، ولا يطيعه. وهنا يتبادر إلى الذهن واحد من الأسئلة، وهو: (هل أنا بالفعل أحب ربنا، أم أنا مُدّعي الحب)، وأحيانا يأتي وارد فيقول: (لا تلتفت إلى حبك لله، بل إلى حبه لك). وقبل التفصيل – والكلام ما يزال لفضيلة مولانا - نقول إن هذه الواردات أشياء لطيفة، وهذا الوارد يريدك أن تلتفت، حيث إنك عندما ترى أنك تحب الله، وأنك في طاعة له، وغير ذلك من أنواع الحب ودرجاته، فقد تكون هذه لوافت تجعلك تلتفت إلى عملك، كمن يصلي وهو معجب بنفسه، أو يصوم ومبسوط جدا من صيامه، فيأتيك الهاتف: لا تلتفت لذلك، فالله تعالى يحبك بأصل الخلقة، وأنه يحب صنعته، فيقول لك أنا أحبك، وانتبه فهذا لا يعني أنهم لا يحبونه، بل إن حبهم نوع من الأدب العالي، فيبادلونه حبا بحب، وإلا كانوا في ورطة شديدة، مرتكبين لقبائح فظيعة، وهذا إذا أحببته ولم تطعه:

تَعصي الإِلَهَ وَأَنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ .. هَذا مَحالٌ في القِياسِ بَديعُ
لَو كانَ حُبُّكَ صادِقًا لَأَطَعتَهُ .. إِنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيعُ

وهذا هو النوع الثالث من الحب، أن المحب لمن يحب مطيع، فلابد من الطاعة مع الحب، فالحب الحقيقي يحرك المرء إلى الطاعة. إذن الفساد في الأرض وقتل بنيان

الرب وإراقة الدماء ليست من الإسلام، بل ليست من العقل في شيء أصلا، وهي تدل على قلة الحيلة، ولذلك كل من ارتكبها عبر العصور من أي دين كان قد اصطدم بالحق، ولم ينتصر أبدا، وهذه هي قراءة التاريخ. إن هذا يُحدِث بالفعل حزنا وفِتنًا وبلاءً ودمًا وألمًا، مثل أحداث التتار، والأحداث الصليبية، وغير ذلك ممن أبادوا شعوبا بأكملها، فأحدثوا انتصارات وهمية لكنها اصطدمت في النهاية بحائط القدر، واصطدمت في النهاية بمراد الله سبحانه وتعالى من خلقه، ولذلك فالحب هو الأساس، ولن نتوقف عن قول هذا: إن الحب هو الأساس، وكان جلال الدين الرومي يتبنى مذهب الحب. وخلاصة الكلام في ذلك أن هناك فرقا بين المسلمين وبين النابتة، فالمسلمون يفكرون بطريقة، بينما النابتة تفكر بطريقة أخرى، والفرق بينهما هو العِلم، واللغة، والحب، والعلاقة مع ربنا ومع رسوله. ولذلك ترى بعض الطرق تشترط في الشيخ أن يكون عالما، خَبِر هذه الأشياء، وعرف ما الذي يمكن أن يُوَصِّل، وهذا ما نسميه (لُحْمَة العِلم) أو (لُحمة التقوى)، والتي هي في مثل البنوة، «إنما أنا منكم بمنزلة الوالد»(1)، فمعنى ذلك أن هناك الحب، والعاطفة، والرفق، مع الالتزام، ولذلك فنحن ندعو الله سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى سواء السبيل فإن الحب يقتضي أن يكون من الرحمة، ويقتضي أن يخرج منه الصبر، ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾ [يوسف:83]، ويخرجُ منه الكرم. ولكن لا أخفيكم، أننا في بعض الأحيان نكونُ حجابا بين الخَلْقِ والخالق عندما نتناسى الحب، وعندما نتناسى الرحمة، وعندما نقسو على الآخرين حتى من غير المسلمين، فنكون أمثلة - ونرجو الله ألا نكون كذلك - غير صالحة للترجمة عن سيد الخلق ﷺ الذي كان الحب يملأ قلبَه حتى إنه أعطى ذلك الكافر واديا من الإبل، فقال له:

(1) أخرجه أبو داود، ح8

والله يا محمد ما هذه عطيةُ أحدٍ من البشر، هذه عطيةُ نبيّ. فالنبي ﷺ كان كريما، وكان حبيبا، وكان رحيما، وهكذا يصدقُ اللهُ تعالى وهو الصادق دائما يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]، فكان رحمة للمسلمين، ولغير المسلمين، لمن رآه، ولمن يأتي بعده، ولمن جاء قبلَه، فإنه سوف يشفع كما ورد في البخاريّ في العالِم كُلِّه، فتصل رحمته إلى الناس أجمعين حتى الأمم السابقين عليه ﷺ سيستفيدون من رحمته المُهْدَاة، ومن شفاعته التي سوف يقوم بها، فيُطَوِّقُ كلَّ العالَمِ سابقا ولاحقا، ويطوق أعناقهم بهذه الرحمة المهداة التي أرادها اللهُ صفة له.

ما بين الإشراقات والمبشرات والكرامات.. والخرافات:

يبين فضيلة مولانا الإمام العلامة أن **الإشراقات** تحدث لأولياء الله الصالحين عندما يطمئن القلب ويُفتح عليه، وذلك من كثرة العبادة ومن كثرة الذكر ومن كثرة الخلوة مع أنفسهم، هذه الخلوة التي سَنَّها لنا رسول الله ﷺ في غار حراء وكان يتعبد الليالي ذوات العدد، ولذلك فإن هذه الإشراقات ينتج منها تجميع، إما أن تكون هذه الأدعية والأذكار واردة، وإما أن تكون من إنشاء صاحبها. والإشراقات كما يقول مولانا: هي بداية ظهور الأنوار الإلهية في قلب المريد، وهي من نعم الله عليه، مما يدل على أن المريد ينكشف له بعض الأمور المستترة عن أعين الناس بعد ما بذله من مجاهدة وعبادة، فالسائر إلى الله تعالى يمر في سيره بعدة مراحل تبدأ بالتخلية ثم التحلية ثم الرياضة والتربية بمجاهدة نفسه ومحاربة الشهوات، حتى إذا ما تجاوز ذلك صَفَت روحه، وكان الفتح والمشاهدة والكشف بشروق أنوار الله تعالى في قلبه.

كما يشرح فضيلته هذه القضية قائلا :إن التخلي والتحلي ينتج عنهما ما نسميه التجلي، وإن هذا التجلي هو ما يُسمى عند أهل الله بالإشراقات، ولها صور متعددة تأتي بأنواعها على القلب، ومنها أن الإنسان يرى نفسه وقد جرت على يده خارقة من خوارق العادات، فمثلا ينكشف له بعض الأمور الغيبية، أو يرى نفسه وكأنه قد خف وزنه، وهو ينزل على السلم، وكأنه يرتفع عنه، فيشعر بهذا، أو تأتيه نعم من الله كنعمة المال، وكنعمة الصحة، ونعمة العلم، ونعمة الحياة، ونعمة السلطة، ونعمة الجاه، ونعمة السلطان، ونعمة البصر، ونعمة السمع، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم:34]، أو يرى نفسه وقد زادت البركة في الطعام الشراب، أو في الملبس، فالشيء الذي يبقى عنده سنة وسنتين، يبقى معه عشرة، وهو في منتهى الجدة، يرى نفسه أنه مستجاب الدعاء بطريقة

ليست هي الطريقة المعتادة، فيرى أن شيئا ما مختلفا اختلافا تاما عما حوله. ويحصر فضيلته الإشراقات في أكثر من عشرين من الأقسام والأنواع، فمنها الكرامات، والرؤى، والإشارات، والواردات، والخواطر، والكشف، والفتح، ومنها معرفة الأسرار، ومنها الأنوار، والإلهام، والإشارات، وهكذا، وكلها نِعَمٌ من عند الله ولكنها ليست مقياسا للحق، ولا تعني أن المريد قد وصل إلى الله، ولكنها تعني أن عليك تكاليف أكثر شكرا لهذه النعم والقيام بوظائف هذه النعم «أفلا أكون عبدا شكورا»[1]، فكل ذلك نتعلم منه الأدب مع الله، دون أن نلتفت إليه فإن ملتفتا لا يصل، وكثير من الناس يضل بها، فالإشراقات عندما تحدث نحمد الله عليها، نتلذذ ببعضها، ونتأدب ونتعلم منها، ولكن لا نجعلها حجابا بيننا وبين الإخلاص، فقالوا: ملتفت لا يصل إلى نهاية الطريق، لا يصل إلى الله الذي هو مقصود الكل، وأصبحت كلمة (ملتفت لا يصل) من أهم المهمات.

كذلك يبين فضيلة مولانا الإمام العلامة أن العلم يساعد على عدم الالتفات إلى الإشراقات، فكلما تَعَلَّم السالك، كلما قل تعلقه بهذه الإشراقات، وكلما زاد شكره لله تعالى، محاولا أن يكون تحت مظلة العبد الشكور، فيزداد أدبا مع الله، وهو ما يتطلب الوقوف على معاني هذه المبشرات والإشراقات، فيقول فضيلة مولانا الإمام العلامة:

قَسَّم أهلُ الله الموجود إلى: الله، وإلى الكون (العالم)، وهذا العالم على قسمين: مُلك، يُدركه الإنسان بحسه المعتاد، ومَلكُوت يؤمن به الإنسان وإن لم يره، وهناك أنوار في عالم الملكوت، كما أن هناك أنوارا في عالم الملك، فالأنوار تتعدد، هذا أيضا حتى وإن قاله أهل الله إلا أن الفيزيقا الحديثة تُدندن حوله، فيقولون مثلا :إن الضوء ينكسر عند الثقوب السوداء، واختلفوا هل هذه الثقوب السوداء منتهى أم مبتدأ؟

(1) أخرجه أبو داود، ح 8.

هل هي تنقل الإنسان من قوانين عالم إلى قوانين عالم آخر لم نرَهُ؟ وعندنا في القرآن كلام على سدرة المنتهى، فسماها الله المنتهى، منتهى عالم هذه القوانين، التي يسعى فيها الضوء كأسرع ما يسعى موجود فيها، إنما ما وراء المنتهى هناك عالم آخر، وهذا العالم الآخر لا نعرف قوانينه، هذه الثقوب السوداء أدركناها فهي إذن من الملك، وما وراءها قد يكون من الملكوت. وذلك كله في خلق الله سبحانه وتعالى لأننا نتحدث عن كتاب الله المسطور وكتاب الله المنظور وكتاب الله المقدور، فقد تكلم أهل الله في هذا المجال في الإشراقات التي منها الأنوار التي ينبغي أن نتمتع بها ولا نقف عندها، نعدها نعمة، ولكن في الوقت نفسه لا نعدها معيارا وتفاخرا على الآخرين وإلا وقعنا في الكبر، والعياذ بالله تعالى.

ويستكمل مولانا الشرح فيقول: والمُلْك هو الذي نشاهده في العالم، وهو كل ما كان قابلا للمشاهدة، وهو هذا العالم الذي نحيا فيه، فالإنسان له حس معتاد فكل ما أدركه به وتوصل إليه فهو من عالم المُلك، ولذلك فالكهرباء من عالم المُلْك، لا نراها لكن نشعر بها ونرى آثارها، فنراها وهي تضيء المصباح، ونراها وهي تحرك الموتور، ونراها وهي تستعمل في الاستعمالات المختلفة، وإذا أصاب أحدنا شيء منها فإنه يُصعق، فنحن نشعر بها ونعرف وجودها ونعيش أيضا بها، فهي من عالم المُلك، وكذلك ضوء الشمس والقمر من عالم الملك، وضوء الكهرباء من عالم الملك، وأيضا النور الذي نراه في وجوه أولياء الله الصالحين، من عالم الملك، وهي أنوار كما نرى مختلفة لكنها من عالم الملك. وأما المَلَكُوت فهو الملأ الأعلى، حيث الملائكة، تعبد الله، وترتل له كلامه، وتسجد وتركع لعظمته ﴿لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:6]. وهذا الملكوت هو ما أخبرنا الله عنه من عالم الجن والملائكة والروح وعوالم كثيرة كالجنة والنار والعرش، وكل ذلك ليس في حس الإنسان المعتاد فيسمى بعالم المَلَكُوت،

وأخبرنا الله سبحانه وتعالى عن نفسه وأن وجوده هو الوجود الحق، والوجود الدائم، وأن كل شيء فانٍ في هذه الحياة الدنيا إلا وجه الله، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:26-27]، إذن هذا هو الملك، وهذا هو الملكوت، والكل في حالة الاحتياج لإمداد الله له سبحانه وتعالى، فكل من الملك والملكوت شيء موجود بوجود الله سبحانه وتعالى في جلاله وجماله وكماله، في عظمته ورهبوتيته، وكما قلنا الرب رب والعبد عبد، وهناك فارق بين المخلوق والخالق. وأما الأسرار فهي كل جديد لم يكتشفه الإنسان سواء اكتشفه الآخرون أو لا.

ويستطرد فضيلة مولانا الإمام العلامة محدثا عن الأسرار، فيقول: تنفتح للإنسان وهو في طريقه إلى الله تعالى بعض أسرار الملك، ومن أسرار الملك: خصائص الأعشاب والنباتات، ومن أسرار الملك قواعد البنيان، ومن أسرار الملك قواعد الحكم، والاجتماع البشري، وهذه الأسرار يدركها المسلم والكافر، وتنكشف شيئا فشيئا للبشر، فعرف الناس (ولو كانوا على الكفر) كيف يبنون الأهرام، وكيف يحتفظون بالموتى هذه الآجال البعيدة، وعرفوا خصائص الأدوية، سواء كانت من الطب الطبيعي أو كانت من الطب الصناعي، وعرفوا أشياء كثيرة بالمجهر (التليسكوب، والميكروسكوب)، ومازال ما لا يعرفونه أكثر مما يعرفونه. والإنسان يكتشف كل يوم ملايين المعلومات الجديدة ولا ينتهي، وكلما اكتشف معلومة جاءت مع المعلومة أسئلة، نحو من أربعين أو خمسين سؤال، أي أنهم إذا اكتشفوا في اليوم مليون معلومة، فهناك أربعون مليون سؤالا قد جَدَّت وهي تحتاج إلى إجابة، وهذا كله يتعلق بأسرار الملك.

ويتفرع على ذلك الإشكال الحاصل عند البعض بأن التصوف فيه أسرار لا يُباح بها، ويبين فضيلة مولانا الإمام العلامة أن الإجابة سهلة وبسيطة، ألا وهي: إنه

ليس هناك أي أسرار في التصوف لا يُباح بها، لكن القضية أن المتصوف من عبادته وكثرة ذكره وخلوته مع الله سبحانه وتعالى وكثرة تدبره وتأمله وتفكره؛ تظهر له بعض المعاني الدقيقة التي تحتاج إلى شرح كبير إذا ما أراد استخدام اللغة المعتادة، وهذه الشعورات والأذواق يكتشف بها شيئا آخر، ويكتشف بها سرا من أسرار العبادة، ليس هناك أسرار في التصوف ولكن هناك (تكاثر المعارف على قلب العارف)، فعندما يذوق العارف شيئا لا يستطيع أن يصل به باللغة المعتادة فإنه يعجز عن الكلام وليس أنه سر لا ينبغي أن يقوله حتى لا يُفتن، هذه واحدة، والأمر الثاني: أن هذا السر في الحقيقة أمر شخصي وذوق شخصي يفيده وقد لا يفيد آخرين، وحينئذ هي تجربة شخصية لكن الشريعة هي المتحكمة، فالشريعة هي المرجع، وبها نقيس، وهي المعيار الذي نلجأ إليه في القياس، فالأمر كما قال رسول الله ﷺ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»، أما هذه الأسرار وتلك الأذواق فهو أمر إما أن يكون ليس من المناسب أن يقال لأنه صعب، وإما أن يكون شخصيا فلا يصلح أن يقال من هذه الجهة، وإما أن يكون هو نوع من أنواع الفتح الذي فتح الله به على الإنسان ليزداد قربا وضراعةً ولا يفيد غيره.

ويستكمل فضيلة مولانا الإمام العلامة الحديث عن باقي أقسام الإشراقات، فيقول:

وأما **الكشف** فهو حيث ينكشف للإنسان حقائق سواء كانت حقائق كونية، أو ينكشف له الأدب في الطريق إلى الله، وفي تعاملاته. فمثلا بينما هو في الْخَلْوَة أو في الصلاة، أو وهو يمشي في طريقه تُفتح عليه مسألة كونية، فيعلم ما قد يعلمه الطبيب، ويعلم ما قد يعلمه الكيميائي تماما أو في بعض الجوانب، فيعلم من قوانين الكون أو بعضه، أو جزء منه، وهناك من الناس من إذا فُتح عليه هذا السر وكشف له يستديم

معه، وهناك من يُغْلَق عليه مرة ثانية فينساه، فيكشف له لمدة خمس دقائق وتغلق بعد ذلك، وبعد سنين، يسمع الطبيب يردد نفس الذي فتح عليه في الابتداء، يقول: نعم أنا أعلم ولكني نسيته.

وأما الأنوار فمعناها أنوار تتلألأ في القلب، وفي بعض الأحيان تفتن صاحبها، ونحن نريد أن نعبد الله مخلصين له الدين فلا نستلذ بهذه المعاني، ولا نُفتن بها. فالأنوار هي هذا الذي يضيء الظلام، حسيا كان أم معنويا ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور:35]، والنبي ﷺ أرسله الله رحمة، ووصفه فقال: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:46]. وهذه الأنوار جعلت أهل الله يتأملون في الأكوان، فوجدوا أن هناك حياة نحياها تسمى بالمُلك، وهو كل ما أدركه حِسُّ الإنسان المعتاد. وليس من المعتاد في بني البشر أن يُخلق واحدٌ منهم من غير بصر بمعنى أن حِسَّ الإنسان المعتاد هو: السمع، واللمس، والشم، والذوق، وهكذا.

وأما الكرامات: وهي أمور قد يهبها الله تعالى لإنسان من أجل تثبيته، إلا أنه كلما ترقى المرء في مراقي العبودية انتفت الكرامات، بمعنى أن الكرامات لصغار السالكين، ولذلك يقولون: (كنا نستحي من الكرامة كاستحياء البكر من دم حيضها)، فالبنت عندما يأتيها الحيض أول مرة تجدها تخجل وفي حالة اضطراب ولا تعرف ماذا يحدث لها، وهكذا مع الكرامات، تجدهم يخجلون بل ويسترونها ولا يريد أن يراه أحد، ولا يفتخر بها، أما الحُواة فيجمعون الناس حولهم ليحدثوهم. وأهل السنة والجماعة كلهم متفقون على أن هناك كرامة، وأنها خارقة من خوارق العادات، ولقد حدثنا الإمام البخاري في صحيحه عن بعض كرامات منسوبة إلى الصحابة الكرام، وهناك في غير البخاري قصص كثيرة من الكرامات، أي خوارق للعادات. والكرامة كما ذكرنا للتثبيت، فهي تأتي في بدايات الطريق من أجل أن تثبت قلب السائر إلى الله في طريقنا إلى الله، ومهمتها أن يُدرك المريد أن خلف

هذا العالم المنظور عالم غير منظور، وأن خلف هذا الشاهد عالما غائبا له قوانينه وله أحكامه، فالكرامات تأتي في البداية لا في النهاية، حتى قالوا إنه كلما تقدم الإنسان في الولاية وفي اليقين مع الله سبحانه وتعالى قلت كراماته، أو انعدمت كشأن الصحابة الكرام حدثت لهم كرامات في صور كانت مختلفة، ومن الصحابة من كانت الملائكة تُسَلِّم عليه حتى اكتوى لأجل الاستشفاء من المرض (استعمل الكي كعلاج)، فتركت الملائكة السلام عليه، ثم ترك الاكتواء، فعادت الملائكة تسلِّم عليه، كما ذكره ابن حجر في الفتح، وكان أحدهم يمسك عرجونا (عصا) في ليلة مظلمة مطرية، فأضاء له ذلك العرجون ما بين يديه وما خلفه حتى وصل إلى بيته. وكل كرامة لولي فهي معجزة للنبي، فالمعجزة والكرامة خارقة من خوارق العادات، لكن عندما تكون على يد مدعي النبوة ويقول أنا نبي، فهذه تسمى معجزة، وإذا كانت على يد واحد من أتباعه نسميها كرامة، وتكون هي معجزة لنبيه.

والكرامات معترف بها عند أهل السنة والجماعة، حتى قالوا إن كل كرامة لولي معجزة لنبي، والنبي ﷺ جرت على يديه معجزات متحديا في ذلك العالم بأنه نبي من عند الله سبحانه وتعالى، ألف معجزة رآها الصحابة الكرام، منها الحديث الصحيح المتواتر أن سيدنا النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع قبل أن يتخذ المنبر، فلما اتخذ المنبر تحول فحن الجذع، فاحتضنه فسكن، فقال: لو لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة، وسمع الصحابة بكاءه، وتكلم سيدنا ﷺ مع الجذع فقيل له يا رسول الله ماذا قلت له؟ قال: قلت له: ألا تحب أن تكون رفيقا لي في الجنة فسكن، وكذلك خاطبته الحيوانات ﷺ، وكثر الماء من بين أصابع يديه حتى سقى الجيش، وكثر الطعام حتى كفى العدد الكبير ببركته ﷺ، فكانت معجزات كثيرة حتى قالوا: ما من معجزة لنبي سابق إلا وقد جرت على يدي رسول الله ﷺ، فهناك فرق بين الكرامة والمعجزة، وأهل السنة

والجماعة جميعا على إثبات الكرامات. لكن الكرامات ليست مقياسا للحق، هي نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى، إنما لا نلتفت إليها ولا نعتبر بها مقاما لأنفسنا، فإذا جرت على يدي كرامة فشعرت بها أنني أفضل من غيري فهذا عين الضلال المبين، فتولد من هذه الإشراقات قاعدة مهمة تضبط الطريق إلى الله: «ملتفت لا يصل»، إياك أن تلتفت إلى الإشراقات، الإشراقات عندما تحدث نحمد الله عليها، نتلذذ ببعضها، ونتأدب ونتعلم منها، ولكن لا تجعلها حجابا بينك وبين الإخلاص، فقالوا ملتفت لا يصل إلى نهاية الطريق، لا يصل إلى الله الذي هو مقصود الكل، وأصبحت كلمة ملتفت لا يصل من أهم المهمات، والسؤال يلتفت إلى ماذا؟ إلى الإشراقات.

أما الرؤى: وهي بشرى صالحة لتهدئة البال وإصلاح الحال، والإرشاد، حيث انقطعت النبوة ولم يبقَ إلا الرؤية الصالحة، كما في البخاري «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلا الْمُبَشِّرَاتُ قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ»، وفي رواية لمسلم «إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا يَرَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ»، فالرؤى الصالحة لها هدف ووظيفة، الرؤيا الصالحة ليس من أجل أن تتكبر بها، ولا أن تتعالى، ولا من أجل أن تقف عندها وكأن العالم قد انتهى عند هذه الرؤى، فمنهم من يقول لي: أنا أرى الأنبياء أنا أرى المرسلين أنا أرى سيد الكون! نعم لا بأس هذه نعمة أنت تتفاخر بنعمة أنعم الله عليك بها، وتنسى أن مهمتها أن تشكر الله، وأن تزيد من ذكره أن تزيد من تدبرك، ومن عبادتك، ومن فعلك للخير للناس، وأن هذا معناه ألا تقف عندها، وألا تلتفت إليها، وألا تجعلها حجابا بينك وبين الوصول في طريقنا إلى الله سبحانه وتعالى.

ويتفرع على ذلك: **قَصّ الإشراقات والرؤى على الشيخ**، فيقول فضيلة مولانا الإمام العلامة: والقاعدة في ذلك هي أين تجد قلبك، فحيثما وجدت قلبك فافعل،

بمعنى أنه إذا وجد المريد قلبَه أن يحكي فلا حرج، وعليه أن يحكي، وإذا لم يجد قلبه في الحكاية فلا يحكي، وإذا أُشكل عليه شيء، أو إذا احتار في أمر، أو حدث له قلق ما فلا حرج في أن يحكي. لكن الأصل أن طريقتنا تعتبر الإشراقات نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى كالصحة، كالجاه، كالحسب، كالنسب، كقوة البدن ولكن هذه النعم كلها لها ما يجب علينا أن نقوم بشأنه: الغنى واجبه أن تكون كريما ومعطاءً، القوة تلزمك مساعدة الضعيف، العلم يكلفك أن تقوم بتعليم الآخرين، وهكذا فالنعم لا نقف عندها أو ليست هي المقياس للحق، فمنها الإشراقات، فالإشراقات شيء جميل ونعمة ولكن لا نقف عندها، فملتفت لا يصل.

وعن **قص الرؤى للشيخ**، فيقول فضيلة مولانا الإمام العلامة: هي أيضا من الإشراقات، ومع أهميتها إلا أنه ليس لازما أن يحكي المريد لشيخه كل رؤية شاهده فيها ولكن إذا شعر بشيء من الفرحة الشديدة، أو القلق الشديد، الخوف الشديد، أو الحيرة الشديدة فعليه أن يسأل شيخه. كذلك فإن المريد الذي لا يرى مثل هذه الرؤى ليس محجوبا، حيث يراها أو تُرَى له. كذلك يحدث كثيرا أن يربي الشيخ المريد عن طريق الرؤى إذا تعذر لقاء المريد بالشيخ. وهناك بعض الطرق تعتمد قراءة الفاتحة بنية التخاطر مع الشيخ، إلا أن طريقتنا لا تعتمد ذلك، ونقول (خليها على الله، سيبها لله)، فنحن نريد في طريقتنا أن نطبق ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:152]، نريد أن نطبق، ونذكر، فهيا بنا إلى الذكر والورد.

والإشارات ومعناها مثلا أنني أفكر هل أذهب أو لا أذهب إلى مكان ما، فأقف بسيارتي فإذ بي أسمع أحدهم وهو يقول للآخر: توكل على الله! اذهب ولا يكون إلا خيرا! طبعا هو لا يقول ذلك لي ولا يعرفني ولا يقصدني، ولكن وكأنما الله سبحانه وتعالى

أرسل هذه الإشارة إجابة على هذا السؤال الذي خطر ببالي، فهذه تسمى الإشارات، ولابد من تدبر دقيق لموقفها، بمعنى أنني كنت أنوي أن أذهب إلى مكان سيء، فسمعت هذه الإشارة، فلا أقول هذه إشارة وهذه من الإشراقات وهي تبيح لي أن أذهب إلى هذا المكان الذي أعرف أن فيه إثم وأن فيه معصية، وأنني قد استُدرج... إلى آخره،

فالقاعدة أنه لا اعتبار بالإشارات، كما أنه لا اعتبار بالرؤى، كما أنه لا اعتبار بالكرامات، إذا خالفت شريعة الله، لكن لو كنت أذهب من أجل فعل مباح: بناء شركة أو زواج أو شراء كتاب ولا أعرف إذا كان المحل مغلقا أو غير مغلق وسمعت هذا: اذهب وتوكل على الله ولا تجد إلا خيرًا! أستبشر حينئذ، فلقد كان رسول الله ﷺ يحب الفأل والبشرى في كل شيء. وهذا الشخص يأخذ نفسه فيذهب فيجد فعلا المحل مفتوحا على غير العادة، ويجد الكتاب الذي أراده، ويعود مجبور الخاطر، إذن لا نعتمد، ولا نلتفت، ولا نجعل هذه الإشراقات كالكرامات والمنامات والإشارات، لا نجعلها هدفا لنا، ولا نجعلها معتمدا لأنفسنا، ولا نجعلها شيئا نلتفت إليه فيحجبنا عن الوصول إلى الله.

أما الفتح: فهي كلمة جرت على ألسنة أهل الله من الأتقياء والأنقياء والعُبَّاد والذاكرين، والفتح معناه أن يشرح الله سبحانه وتعالى صدر أحدهم، فيرى بعين البصيرة ما قد يكون مخفيا عن الغافلين، يعلم حقيقة الدنيا وأنها إلى زوال، يتعلق قلبه بالله سبحانه وتعالى، فيرى أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فيكون قد فُتح عليه، وانكشف له الحق، وانجلت له الحقيقة، حيث رأى بعين البصيرة ما لا يراه الغافلون الذين يكرهون الموت وسيرته، وكأنهم لا يموتون، والذين يتوغلون في مشكلات الدنيا ومعضلاتها وكأنها من عند أنفسهم أو من عند الآخرين، ولكن الذي فُتح عليه يرى

أن ذلك كله من عند الله ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء:78]، خيرا، أما الشر فهو امتناعنا نحن عن الخير، فهو بسببنا وعليه المحاكمة والمحاسبة يوم القيامة، أما الخلق فالله يملك هذا الكون وما قبله وما بعده فهذا هو الفتح.

ويتفرع على ذلك بيان درجات الفتح: للفتح درجات، يأخذ الفتح في الشدة حتى ينكشف للعبد الملأ الأعلى فيعبد الله وكأنه يرى العرش، وهذه مرتبة الإحسان، يقول فيها ﷺ في حديث الصحيحين المعروف باسم حديث جبريل: «الإحسان: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، وهذا الذي جاء فقال يا رسول الله إني عندما أذكر أرى الملأ الأعلى والعرش والجنة والنار، فقال (عَرَفت فالزم) يعني انكشف له هذا الذي هو في الغيب وكأنه هو حاضر أمامه، وكان حاتم الأصم إذا دخل في الصلاة رأى الكعبة أمامه، ورأى نفسه وكأنه على الصراط يوم القيامة، فهذا درجة من درجات الفتح تسمى عندهم بالكشف، وهو كشف يتعلق برقة القلب وضراعته لله سبحانه وتعالى وهو كشف محمود؛ لأنه تحقيق لمرتبة الإحسان التي أوصى بها رسول الله ﷺ وكان كأنه يغيب عن هذا الكون فيبقى في الحضرة الربانية القدسية فلا يغيب في حل المعضلات وفي فك المشكلات بل، هو على ذكر دائم لله رب العالمين خشوعا وخضوعا والتجاءً ودعاءً، فهذه المرتبة تسمى بمرتبة الفتح أو بمقام الفتح حتى تدوم في كل ساعة وحين فيصل منها إلى الرضا وإلى التسليم وإلى التوكل، ثم يصل بها إلى الصديقية فيكون صادقا مع ربه وصادقا مع الناس وصادقا مع نفسه، فالله سبحانه وتعالى يفتح علينا فتوح العارفين به.

أما الفوائد والمجربات: فيوضح فضيلة مولانا الإمام العلامة أن الأدعية والأحزاب قد تكون للدعاء والعبادة وقد تكون لجلب فوائد مجربة؛ مثل آية الكرسي فهي آية من

آيات القرآن الكريم ولنا بقراءة كل حرف منها بقصد القرآنية عشر حسنات لكل حرف، كما ورد في الحديث. إلا أن أهل الله جربوا أنها لو قُرِأت بطريقة معينة كانت تحصينا للمؤمن، وكذلك جُرِّب من القرآن ما إذا تُلي لكان فتحا لأبواب الأرزاق، هذا على سبيل الدعاء لله سبحانه وتعالى باستعمال كلماته المباركات، فمجموع الأدعية والأذكار قد تكون للتعبد وقد تكون أيضا لاستجلاب الفوائد.

قال مشايخنا: إن التعبد أرقى لأن الدعاء بهذه الأدعية وسؤال الله سبحانه وتعالى بهذه الأسئلة، وبهذه الأذكار ليس للمرء غرض إلا العبادة، أما من قرأها من أجل الفوائد فهذا جائز، ولكن له ثواب يقل عمن قرأها من أجل العبادة. ومن ذلك فنحن لا نمتنع عن قراءة حزب البحر حيث قرأناه كثيرا لأغراضٍ دنيوية من فك الكرب وإزاحة الهَمّ والغم فوجدنا الله سبحانه وتعالى قد استجاب، فهي مجربات، كيف هي مجربات؟! كل الناس يفعلون هذا في كل أنواع الهموم والغموم وتزال بإذن الله ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:21]. إذن غرض هذا الحزب أساسا العبادة، إلا أنه مثل القرآن الكريم من حيث إن الغرض منه العبادة، لكن أيضا لابد أن نتدبره، وأن نجعله هاديا لحياتنا، وأيضا له فوائد عظيمة وهذا في حديث أبي هريرة عندما ظهر له الجنُّ فقبض عليه وكان يريد أن يسرق من أموال الزكاة والصدقة فقال: اطلقني لأن عندي أبناء وهكذا، فقال له الشيطان: «دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة:255]، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ» ، فقال النبي ﷺ له: «صَدَقَكَ وَهُوَ

كَذُوبٌ»(1). إذن فهذه الأشياء متعددة، القرآن يُقرأ عبادةً، يُقرأ تدبرا، يُقرأ من أجل تحصيل النفع الدنيوي والأخروي، وكذلك الأدعية، وكذلك الأذكار، وكذلك الأحزاب ... وهكذا، فالخلاصة أن المسلمين ذَهَبُوا إِلَى التَّجَارِب الرُّوحِيَّةِ، فَقَامُوا بِمُجَرَّبَات (لَيْسَتْ وَارِدَة بِالشَّرْع: الْكِتَاب وَالسُّنَّة)، حَيْثُ الانْتِقَال مِنْ جَانِبِ كِتَابِ اللهِ الْمَسْطُورِ (الْقُرْآنِ والسُّنَّةِ)، إِلَى كِتَابِ اللهِ الْمَنْظُورِ (الْكَوْنِ).

ويفصل فضيلة مولانا الإمام العلامة مجموعة أخرى من تفاصيل منهج فضيلته في موضوع المبشرات وموقف الشريعة منها، وكذلك حجية الرؤيا، فيقول:

تَلَقَّى سيدنا أبو الحسن الشاذلي حزب البحر تلقيا إلهاميا، تلقيا في الرؤيا، تلقيا في الواردات اليقينية التي تيقن منها من تكرارها والتي تيقن منها ومن شفافيتها. وهنا تبرز قضية حُجِّيَة الرؤيا، بمعنى أنه إذا رأى الإنسان في منامه شيئا فهو ليس بعُمْدَة، وإذا خطر بباله خاطر فهو ليس بعُمْدَة، وإذا جاءت واردات فإنها ليست بعُمْدَة، حيث يجب عليه بعد ذلك أن يقوم بشيء آخر، وخطوة أخرى وهي العرض على الشرع الشريف، فإذا كان ما ورد في المنام أو في الإلهام أو في الخواطر أو غيرها من الإشراقات موافقا للشرع الشريف كان بها، ويمكن أن نعمل بها لأن الشرع جعل الأدعية والأذكار على السَّعَة وليست على التقييد. وإن لم يكن كذلك بل إنه كان مخالفا للشرع الشريف رُدَّ ولم يُعْتَمد؛ لأن الرؤيا والإلهام والواردات ليست حجة في ذاتها إنما هي بشرى، والرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو تُرى له كما ورد في حديث مسلم، وحيث ورد أيضا عند البخاري أن النبوة انقطعت وبقيت المبشرات فهي من المبشرات، فإذا كانت هذه المبشرات لا تبيح حراما ولا تحل حراما ولا تنفي واجبا كانت في نطاق المباح، والمباح أصلا يجوز أن نفعله

(1) أخرجه البخاري، ح: 2311.

بلا رؤية ويجوز أن نفعله بلا خواطر، فإذا جاءت الرؤيا كأنها تعلمني شيئا على سبيل البشرى وليس على سبيل نسبة هذه الأشياء إلى النص الشريف والشرع الشريف: قرآنا وسنة، ليس هكذا إنما هذا من قبيل الوجود لا من قبيل الشرع، والسؤال: لماذا اتبعناه؟! والجواب: لأنه مباح، لأنه يندرج تحت أصل من أصول الشريعة. ولقد علَّمنا سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن من اخترع وأبدع دعاءً فهو شيء طيب، ومن ذلك أن بضعا وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يصعد بها إلى السماء كما روى البخاري[1]، والسؤال هنا لماذا؟!! والإجابة بسهولة ويسر - ومازال الكلام لفضيلة مولانا - لأن دعاءهم كان طيبا. فإذا لم يكن طيبا رُدَّ. وفي هذا قال العلماء: وذلك التصعيد قبل إقرار النبي ﷺ ليعلمنا ما البدعة، وما الزيادة التي ليست ببدعة، فلما كان الكلام جميلا فيه توحيد الله سبحانه وتعالى، فيه إخلاص واعتراف بالمنة له سبحانه وتعالى، كان، وإن لم يسمعه من النبي وإن كان قد زاده في الصلاة، مقبولا. وعندما سمع النبي في التلبية أعرابيًا يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إلّا شريكًا هو لك، ملكته ومَا مَلَكَ، أوقفهم وعلّمهم، وأنكر عليهم[2]، لأن هذا مخالف لما جاءت به الشريعة من إفراد التوحيد لله، فأنكره. والعديد من الأدلة مبينة لذلك، ومنها حديث البخاري: عَنْ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ بُنِيَ عَلَيَّ، فَجَلَسَ عَلَى فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، وَجُوَيْرِيَاتٌ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ: وَفِينَا

(1) أخرج البخاري ، ح: 799، من حديث: رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، قَالَ: « كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ «، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «مَنِ المُتَكَلِّمُ» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ»».

(2) أخرجه مسلم (22/1185).

نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولِي هكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتِ تَقُولِينَ»(1).

ثم يوضح فضيلة مولانا الإمام العلامة الخلاصة في ذلك، فيقول: كيف نفعل؟ إذا أحدثت شيئًا فلابد أن يكون من الشريعة، لا ضدًا لها لحديث الصحيحين: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ"، فالأمر على السعة فإن جئت وقلت: لا ذكر ولا دعاء إلا بكلام رسول الله ﷺ فقد ضيقت واسعا. هكذا الشرع الشريف كتابا وسنة، وهذا الذي عليه جماهير العلماء إلى أن نبتت النابتة تريد أن تقضي على الوارد بالاكتفاء بما ظنوه هم صحيحا، وتريد أن تنكر اجتهاد المجتهدين، وتريد أن تنفي مصدرية الوجود في العمل الحياتي اليومي، وتريد أن تجعل الإسلام مقصورا في زمن النبي ﷺ فقط ويسحب زمن النبي على أزمان المسلمين إلى يوم الدين.

ومن التطبيقات التي يجدها المريد في حزب البَر عبارة (وَهَبْ لَنَا مُشَاهَدَةً تَصْحَبها مُكَالَمَة)، فهو هنا يسأل ويطلب الكمال، فالإنسان عندما يرى رسول الله ﷺ في المنام، فالصورة معصومة، ولكنه يريد أن يسمع صوت رسول الله ﷺ فهو هنا يسأل الكمال. ولذلك إذا سمعنا عن رجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء، فهذا ليس مقياسا للحق، فالكرامة ليست مقياسا للحق، حيث لابد من عرض أمر هذا الرجل على الشرع الشريف، فإن وافقه، فتكون كرامة من عند الله، ولا تعني أفضليته، بل نستنتج أنه في بداية الطريق ويريد الله أن يثبته، وإن لم يوافق الشرع الحنيف فهو شيطان لأن الشيطان لديه القدرة أن يُمَكِّنَ الإنسانَ من السير على الماء أو الطيران في الهواء.

إلا أن هناك بعض الناس يقوم بالافتراء على أهل الله، كمن يتكلم عن السادة الصوفية، ويخلط بين الكرامات والخرافات، ويقوم بالدس على السادة الصوفية، وفي

(1) أخرجه البخاري، ح 4001.

ذلك يشرح فضيلة مولانا الموضوع تفصيليا، ويبين أصل هذه الخرافات، فيقول:

نجد من الناس من يقول: أحدهم واسمه إبراهيم العريان كان يخطب وهو عاريا! فنقول لهم: ومن هذا الشخص، نحن لا نعرفه، يرد علينا هذا المَوْتُور فيقول: هو مكتوب في الكتاب الفلاني! فنقول له: مَزِّقْ الكتاب ولا تقرأه.

فمثل هذه النماذج من البشر لا تبغي الحق، حيث يترك كل ما قيل من خير عن التصوف، وكل ما قام به العلماء على مر العصور، ويأتي بكذبة من هنا أو هناك. وأصل مثل هذه الخرافات، وهو ما يزعمون وجوده في كتاب الإمام الشعراني، يتضح من قصة الكتاب والتي لابد من الوقوف عليها. الإمام الشعراني (ت973هـ)، قام بتأليف كتاب اسمه (الطبقات الكبرى)، جاء فيه بسِيَر الأولياء الأنقياء، فقام البعض بسرقة الكتاب وأضاف إليه حكايات من عند أنفسهم، وقاموا بالادعاء عليه بأنه هو الذي كتبها، فاغتم الشعراني كثيرا لأنه دسوا في كتابه ما لم يقله، وكذبوا عليه، زورا وبهتانا، وأعلنها صراحة أن المكتوب ليس من كلامه بل إنه ليس خطه، فتبرأ من هذا، إلا أن أهل الخرافة هؤلاء للأسف قاموا بطبعه وأضافوا ملزمتين للكتاب في آخره (وكانت الملزمة الكبيرة وقتها 32 صفحة)، ولذلك تجد 90% من الخرافات محصورة في آخر ملزمتين من الكتاب.

ونقول لهؤلاء: بفرض وجود كتاب خرافات، فأين باقي تراث الصوفية، مثل الحكم العطائية، أو لطائف المنن، أو أذكار أبي الحسن الشاذلي. ولقد قام إنسان طيب بجمع كتاب أسماه (أقوال أئمة السلفية في السادة الصوفية)، وقال فيه إن ابن تيمية يقول عن عبد القادر الجيلاني (قدس الله روحه)، وهنا لابد من الانتباه، فعبد القادر أساس الطريق، ونجد أن الجزء العاشر من مجموع فتاوى ابن تيمية في التصوف، والحادي عشر

في علم السلوك، وكذلك تلميذ ابن تيمية وهو ابن القيم الذي ألف كتاب (الروح)، وكتاب (مدارج السالكين)، كلها تصوف في تصوف، إلا أن النابتة لا يقولون ذلك، بل وصلت بهم الجرأة أن يقولوا لابد من إلقاء هذه الكتب، يزعمون أنه كان صوفيا ثم تاب.

ولذلك يبين فضيلة مولانا الإمام العلامة **إنها قضية المشارب**، فيقول فضيلته: إن صاحب المشرب العنيف، لو لم يتدين لكان من جماعات المافيا، ولكنه عندما دخل الدين أخذ يبحث عن المشرب العنيف المتوافق مع مشربه فقام باتهام الصوفية. فالخلاصة أنهم قاموا بدس الخرافات في الكتب حتى ينتقدوا التصوف، والمصيبة الكبرى أن كل جيل يتشدد أكثر ممن كانوا قبلهم، ويتم الخلط بين الفلسفة والتصوف والزهد، وهكذا يتكلمون بغير علم.

وهنا لابد من الإشارة إلى **الفرق بين الخرافة والتجربة الصوفية وعلاقة ذلك بالكرامات**، فهناك العديد من كتب السِّيَرِ للأولياء يذكر فيها مؤلفها بعض الكرامات التي حدثت لأولياء الله، ومن ذلك أيضا كتاب (جامع كرامات الأولياء للنبهاني)، إلا أن هناك بعض الأخبار فيه غير منطقية، ولابد أن ننتبه أولا إلى أن المشايخ ربما نقلوا عن غيرهم فيقولون: رأى واحد من الناس الشيخ الفلاني في كذا أو يصنع كذا، فهذه تسمى أخبارا، والنصيحة أن تعرضها على العقل السَّوِيّ، فإن قبلها فنعم، وإلا فأنت حر في أن تقبلها أو ترفضها،؛ لأن هذه تجارب أو أحداث كونية إن صحت فإنها لا تتعلق بالتجربة الصوفية. فمثلا يتحدث هذا الكتاب عن إبراهيم المجذوب المصري المشهور بإبراهيم النوبة، وقالوا إنه كان إذا لبس قميصا يخيطه ويضمه بشدة على رقبته، فإن ضيقه جدا حتى يختنق حصل للناس شدة عظيمة، وإن وسعه حصل لهم الفرج، فمثل هذه الأمور صعبة التصديق؛ لأنها كما قررنا خبر، ولا علاقة له بالتصوف، وهنا لابد من السؤال الأهم:

أين علاقة هذا بالذكر والفكر، وأين هذا من الأدب، وأين هذا من الامتثال، وأين هذا من الاحترام، وأين هذا من العبودية، وأين هذا من التخلية والتحلية!!

وقد يأتي أحد الناس ويقول لك: لكن أنا شاهدت ذلك بنفسي، فلا يلزمك أيضا، فهذا حدث كوني، كمن رأى الشمس حمراء، والآخر رآها صفراء، فما علاقة هذا بالطريق، بل إن هذه الأمور تعمل على تكوين عقلية الخرافة، التي هي العقلية الأسطورية الوهمية الافتراضية، ولا علاقة لها بالتصوف على الإطلاق. مرة أخرى، رأينا رجلا يدعو فيستجيب الله له، فما الخرافة في ذلك؟! فالتجربة سوف تثبت لنا إذا كان الرجل بالفعل مستجاب الدعوى أم لا، فإذا أثبتت التجربة استجابة دعوته فلا أستطيع إنكار أن هذا نوع من الاتصال المنطقي، ولكن البعض لا يصدق، فكل واحد يسير كما يحلو له، وخلاصة الأمر أن الفرق بين الخرافة والحقيقة هو التجربة. كمن رأى رؤيا منامية، فحكاها فلم يصدقها الآخر، فكيف نقنع الثاني بالرؤيا، لابد أن يحضرها معنا كي يصدقها، وهذا ليس بمنطق يُعمل به. ومن الأمثلة الواقعية بالفعل، الشيخ العظيم جدا أحمد حماده، وهو لم يتزوج، وتوفي وله 92 عاما، وكان يسكن خلف السيدة سكينة بنت سيدنا الحسين رضي الله عن الجميع، وذلك في شقة لا يدفع لها مقابل حيث إن صاحب البيت اعتقد فيه الولاية، وأنه رجل صالح، من أولياء الله، إلا أنه كان لا يستغل إلا غرفة واحدة فقط، يستقبل فيها الناس ويصلي الضحى 12 ركعة، وقيام الليل 11 ركعة، وذات مرة ترك قيام الليل. وصاحب البيت كان يشعر بالشيخ أحمد حماده وهو يتوضأ في الليل، وفي هذا اليوم لم يشعر به، فلما نزل له وجده قد مات، وهو اليوم الوحيد الذي لم يقم الليل فيه. وسبب ذلك بسيط جدا، وهو أن الشيخ أحمد حماده كان يحفظ القرآن بالقراءات العشرة، وكان يجلس في صحن الأزهر،

وفي مسجد سيدنا الحسين يعلم الناس القراءات العشرة، وكان يقرأ المجموع للإمام النووي لأنه كان شافعي المذهب، وكان عالما من علماء الأزهر ولا يعرفه أحد. وعندما كنت في شبابي - والكلام هنا لمولانا - رأيت شيئا غريبا جدا عن الرجل، قد لا يصدقها البعض، فقد كان الشيخ أحمد حماده لديه خاصية عجيبة، أنه لا يستطيع القيام للصلاة، فإذا حضرت صلاة الفريضة يطلب أن نحمله حتى يقف في الصف ويشرع في الصلاة، فنجده يقوم قياما كاملا تاما حتى تنتهي الصلاة، وفور التسليمتين لا يستطيع الوقوف فيطلب حمله مرة أخرى، بمعنى البطارية قد نفدت، أي أنه يشحنها على قدر صلاة الفريضة، ولا يستطيع أن يكمل بعد ذلك. أما السنن فيصليها جلوسا. فهذا الرجل لا علاقة له بالدنيا، بل هو ذاكر. وهذا الصنف من الناس (بتوع ربنا)، يصفه الإمام السيوطي بأن مثلهم لابد من وجودهم في الأمة، حتى يدعو فيستجاب له. وكان يحضر إليه الناس وينتظمون في صفوف ليسألوه الدعاء لهم في مصالحهم الدنيوية، كالتعيين في وظيفة، أو النجاح في الامتحانات، أو الحصول على تأشيرة سفر، أو خطبة، وهكذا، فيدعو لهم الشيخ، دون أي مقابل على الإطلاق، وذات مرة تتبعت كل من سألوه الدعاء فوجدت حاجاتهم قد تم قضاؤها على خير، كلهم بلا استثناء، فإن أراد غيري تصديق ذلك فنعم، وإن رفض فما عساي أفعل له؟ وقد رأيت ذلك بعيني.

وفي خلاصة جامعة لثمرة المبشرات والإشراقات، يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة: سبق بيان أن الكشف والفتح معناهما الإدراك، ومعرفة الأسرار، فالأسرار المُلكية هذا شيء تافه، ولا تتعلق به همم الأكابر، ولنفرض أن الولي قد فُتح عليه بكل أسرار أهل الأرض، وبكل علوم أهل الأرض، حتى عرف ذلك كله وأحاط به، فما الذي يستفيده من هذا؟ إذا لم يستفد بهذا أدبا مع الله فليس بشيء، ويكون هو والكافر

سيان، لأن الكافر يعلم كل هذا، فإذا لم تكن هذه المعلومات تعلمه كيف يتأدب مع الله فهذا علم لا ينفع، والجهل به لا يضر، فنحن مثلا فئة معينة، لنا تخصصات معينة، ولا نعرف الطب ولا الهندسة، ولا خلافه، فما الذي ضرّنا؟ لا شيء، لأن غيري قام بها وتعلمها، ولكل واحد تخصصه، أما هذا الفتح أو الكشف إذا زاده أدبا مع الله، كان هذا هو المقصود، وكان هذا هو المتبع. وهناك البعض - والعياذ بالله - لم يكن إخلاصهم تاما، فعندما يُكشف له شيء من هذا يبدأ في التلاعب، وليس في السير إلى طريق الله، فيغتر بنفسه، ويتعالى على الناس، ويستغل ما عرفه من كشف للأسرار في تحصيل الدنيا، مالا، وجاها، وسمعة، وشهوات، أو أي شيء آخر، فإن هو فعل ذلك فقد التفت عن طريق الله. هذا الشيء يحدث أثناء السير في أمور المعاش، فكأنني مررت بـ (فاترينة) فوقفت أمامها، ودخلت المحل، وتركت السير لنهاية الطريق، فدخولي هذا المحل يعطلني، ويمنع من الوصول. إذن الفتح أو الكشف يكون أولا عن أسرار الملك، فإن انشغلت بأسرار الملك وتحصيلها عن الله ضعت، في حين أن الناس جميعا سيقولون: إنني ولي من أولياء الله الصالحين، لأنني أعلم كل هذه الأسرار، والأمر ليس كذلك فالأمر أمر القلب، القلب الذي قد تخلى عن كل قبيح وتحلى بالصحيح، فإن وقفت عند إدراك أسرار الملك فتلك مصيبة، لأنه قد انكشف بذلك أنه لم يكن الله هو المقصود، وإنما تحصل شيء من الدنيا. وهناك أسرار أعمق من أسرار الملك، وهي أسرار الملكوت، إذ تتكشف في أثناء الطريق والسير إلى الله جل شأنه، فإذا انكشفت أسرار الملكوت سواء كان سرا واحدا أو كان مليونا من الأسرار، فإن ذلك سيان، وننظر: هل زادته طغيانا، وتحصيلا للدنيا، وانشغالا بهذه المعرفة؟؟ فإن زادته في طريق الله أدبا كانت هذه هي المقصودة، وإذا حصل بها

الدنيا وحطامها فإنه يخرج عن طريق الله ويضل ولا يصل، وهذا معنى قولهم: (ملتفت لا يصل)، لأنه انشغل بالأسرار التي انكشفت من عالم الملك أو من عالم الملكوت. كذلك هناك نوع آخر من الانشغال أخفى وأدق من هذا، وهو الانشغال بالأسرار! أو الانشغال بالأنوار، فالعابد يعبد ربه، فيمتلئ قلبه نورا، وهو جالس في الخلوة، وهي مظلمة ليس فيها كهرباء، فإذ بها تضيء، فيجد لذة في قلبه، ويجد نورا في قلبه، وكل هذا من أنوار الملك، وهذا يحدث للمسلم وللكافر! الرهبان في الكنائس يحصل لهم هذا، والبوذيون والهنادكة يحصل لهم هذا، يحصل لهم من أنوار الملك، فإن انشغل بها السالك إلى الله عن الله كأن تكبر، أو فرح بها، أو استغلها، أو عَبَدَ الله لتحصيلها، بأن يذكر الله تعالى وقلبه ملتفت إلى أن ينور اليوم، مثلما تنور بالأمس، فهذا لعب، لأنه قد توجه إلى الصوارف دون الله تعالى، وانشغل والتفت، وملتفت لا يصل. وأعمق من هذا: ما كان من أنوار الملكوت، لأنه ينكشف له الملأ الأعلى، فلو انشغل به عن الله فإنه يكون غير مؤدب ولا يصل. فينبغي على العابد أن يراعي نفسه وهو في طريقه إلى الله تعالى، لا ينشغل عنه سبحانه بانكشاف أسرار الملك، ولا أسرار الملكوت، ولا ينشغل بأنوار الملك، ولا بأنوار الملكوت، بل إن ذلك من تلبيس إبليس، يحاول أن يصده عن الله، وأن يشوش عليه أمره، وأن يجعل عبادته لتحصيل لذة العبادة وليس لرضا الله، فنحن نعبد الله حصلنا لذة أو لم نحصل، كشفت لنا أسرار أو لم تنكشف، غرقنا في الأنوار أو لم نغرق، أو لم تأتنا أنوار بالمرة، لأن المقصود هو الله.

انتهى ما تيسر نقله من كلام فضيلة مولانا الإمام العلامة في موضوع المبشرات والإشراقات، إلا أن هناك العديد من الكرامات التي يصعب حصرها حدثت لفضيلة مولانا أمام الكافة، ورآها وأدركها عدد من الناس فوق حد التواتر بكثير، إلا أن محلها ليس هنا.

الباب الثاني: الملامح العلمية والعملية الصوفية عند الإمام

التصوف علم وعمل:

لفضيلة مولانا الإمام العلامة منهج موروث خلاصته أن **التصوف علم وعمل**، كما أن منهجه في العلوم الشرعية يبين أن هناك فرقا بين **الدين والتدين**، إلا أن الأئمة الأعلام على مدار التاريخ الصوفي الإسلامي لم يكن الواحد منهم في حاجة إلى التفصيل في ذلك حيث إن المتقدمين لم يكونوا في حاجة إلى هذا التقنين، فكان التطبيق هو المراد، حتى إن معظم هؤلاء الأئمة الأعلام كان يشير إلى كون التصوف علما في جمل كنُتَفٍ مبعثرة في ثنايا مؤلفاتهم، ومن ذلك ما عبر عنه زروق في قواعد التصوف، وما جاء عن الشعراني (إن علم التصوف عبارة عن علم ... فالتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة، فمن جعل علم التصوف علما مستقلا صدق، ومن جعله من عين أحكام الشريعة صدق)، وغيرهما من الأئمة.

إلا أنه لما كثر الطعن والتشكيك في التصوف وأهل الله، والذي وصل إلى حد إنكار التصوف والزعم أنه دخيل على الإسلام، كان لزاما على كل مستطيع البيان لما يشغل الأذهان حول التصوف وعلومه، وممارسته، وأصوله، شرحا وتفصيلا لأصول هذا الركن الأصيل من الدين، واستمداده، وسائر أركانه، وقواعده، والتفصيل في بعض مسائله، إلى غير ذلك، فالتصوف يدعونا إلى هُويتنا وديننا، ولا يبغي إلا الحقيقة، بل ويحقق نفس الفوائد التي يتشدق بها الشرق والغرب حيث صار ذلك

هو واجب الوقت الذي نعيش فيه كما يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة.

ولما كان هذا الأمر لا يتصدر له إلا عالم حاذق مجرب له من الوراثة المحمدية أكبر نصيب، لم يقدم على ذلك إلا الإمام العَلِيّ، فضيلة مولانا الإمام العلامة، نظرا لما يتحلى به من علوم في العديد من المجالات العلمية والعملية والتطبيقية بالإضافة إلى الجانب الروحي الذي وهبه إياه المولى جل في علاه.

ويحلل فضيلة مولانا الإمام العلامة الموضوع الصوفي من وجهتيه، العلمية والعملية فيقول: جعل القرآن الكريم تشريعه كله تمهيدا للعلاقة بالله، وبهذا وَجَّه اللهُ تعالى إلى قواعد التصوف الإسلامي وأصوله وضوابط السير في الطريق إلى الله في دائرته الإيجابية، ومنها ألا يكرَّ السرُّ على الأصل بالبطلان، وأن الله قد يفتح على بعض خواصه بأسرار ودقائق وإشارات ولطائف تزيد على المفهوم العام من النص ولا تتعارض معه، بل هي تؤيده، وتعتبر إضافة من شرائف المعاني التي تزيد في شرف الظاهر والباطن معا، حيث لا يكِرُّ الباطن على الظاهر بالبطلان، وهذا هو شرط الأخذ بالأذواق ألا تكرَّ على الظاهر بالبطلان، وألا تكون هي الأساس، وألا تُقيِّدَ الظاهر أو تجعله حتى ثانويا أبدًا. وإن قواعد الفقه وهيكل العبادة (كالقيام والركوع في الصلاة) هي الشريعة، وروح العبادة ومعناها هو الحقيقة (كالخشوع والحضور والتبتل والاستغراق في الصلاة). ومن ثَمَّ كان تلازم الشريعة والحقيقة في الأمر الكامل تلازم الماء في العود والروح في البدن وهو ما نسميه «الطريقة» وذلك هو قولهم: (شريعة بلا حقيقة عاطلة، وحقيقة بلا شريعة باطلة)، فالصوفية لا تحتوي فقط على الحقيقة بل هي أيضا تتضمن الوسائل المؤدية إليها، ويطلق على مجموع هذه الوسائل اسم «الطريقة»، بمعنى الطريق أو الدرب الذي يفضي بصاحبه إلى الحقيقة، والتي تجعل

للشريعة سموها وعمقها، كما أنها العلة الحقيقية لوجودها، والشريعة بهذا قاعدة للعمل بينما الحقيقة (معرفة)، ونتيجة للقاعدة. وكذلك العقيدة، فعلومها تبحث عن القضايا المنطقية والأدلة الكونية على الكمال والقدسية والتنزيه الإلهي، ووظيفة التصوف هي البحث عن الحقوق القلبية لمستوجب التقديس والسبحانية عز وجل وكيف يستمتع الموحِّد بإشراق شموس الأسماء والصفات ويتضلع من أنوار الحقيقة فيما وراء المادة فلا تصوف إلا بفقه، إذ لا تُعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه، ولا هما إلا بإيمان، إذ لا يصح واحد منهما بدونه، فلزم الجميع لتلازمهما في الحكم كما سبق وذكرناه من قول زروق في قواعده. وعلى هذا تسير كل علوم الشريعة الإسلامية من فقه وتفسير وحديث، وكذلك علوم الآلة من نحو وصرف وبلاغة، وغير ذلك. وعلى الجانب الحياتي للعلوم التطبيقية والعملية مثل الهندسية والطبية، نجد أن الكل من مشكاة واحدة، فمصادر المعرفة عند المسلمين هي الوحي (القرآن، وهو كتاب الله المسطور)، والكون (كتاب الله المنظور، بمعنى الواقع والتجربة)، فالمجربات ليست واردة بالشرع: الكتاب والسنة، وإن كانت مستمدة بالأساس منه، بنوع من القيام بعمليات فيزيائية وكيميائية، وغير ذلك، أي تفاعلات وقواعد كونية تتسق مع الوحي، فإن منهج الله تعالى الذي يريده من الإنسان مَبْنِيٌّ على العلم، وإن هذا العلم له منهج يبدأ بالمشاهدة والتجريب، وأن هذا المنهج مبني على الحقائق التي تنتهي إلى الحس، بمعنى إدراك الإنسان للعالَم الذي حوله، ولذلك يتعامل من خلال الدين مع الكون على أنه كتاب الله المنظور، وأن القرآن كتاب الله المسطور، وأن الإنسان هو كتاب الله المَقْدُور، وأن الكل من عند الله، ومن هنا فليس هناك أي تعارض أو تناقض أو مخالفة بين ما يصل إليه العلم التجريبي وبين الحقائق القرآنية،

فيدل ذلك على أن الحقيقة واحدة، فإن اهتمامنا كمسلمين يكون بالوحي والوجود معا، أي كتاب الله المسطور وكتاب الله المنظور، فنحن لا ننكر الظاهر ولا ننفيه، ولكن نفهم حقائق المعاني عن سيدنا رسول الله ﷺ والسلف الصالح، وإن اختلاف البشر مع نفس النتائج في تجاربهم تدل على أنه حق، وأنها سنة كونية، وهذا هو طرف الوجود الذي نتحدث عنه.

ومن ناحية أخرى يتناول فضيلة مولانا الإمام العلامة تأصيل العلوم الشرعية كافة في دوائرها الثلاثة: الفقه وأصوله، والإيمان وأصول الدين، والإحسان والتصوف، من خلال التحليل الدقيق العميق لحديث الصحيحين المسمى بحديث جبريل أو حديث الإحسان، والذي بين فيه المعصوم ﷺ أمور الدين في ثلاثة دوائر هي الإسلام، وهو أعمال الظاهر من أركان الإسلام الخمسة المعلومة، والإيمان، وهو أعمال القلب، وهو أصول الدين بأركانها الستة، وكذلك الإحسان والذي هو جوهر الدين وغايته «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، حيث قال فضيلة مولانا الإمام العلامة:

ترك لنا سيدنا النبي ﷺ ما يقربنا إلى الله سبحانه وتعالى، ومما ترك حديث مهم اهتم به علماء الحديث، وبعضهم جعله أول حديث في كتابه وهو ما يسمى بحديث جبريل الذي اشتمل على معالم الدين الكبرى، والذي أخرجه الأئمة الكبار، واهتموا به، وجعلوه من الأحاديث التي توضح دين الله، وسببا لتحصيل العلوم الشرعية، وأن هناك أمرا آخر لابد من إدراكه واستيعابه، وهو ما نبه عليه سيدنا رسول الله ﷺ حيث قال: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»، وعليه يكون مجيء سيدنا جبريل عليه السلام ليحدد أمر الطريق إلى الله، وأن هناك الإناء (الوعاء، أو الأداة) الذي سوف يحوي داخله كل شيء، فكانت أركان الإسلام، إلا أنها لا تكفي، حيث لابد من أن

يعمل المرء على ملء هذا الإناء، وذلك بالتوجه بالقلب؛ لأنه بالرغم من عظم أهمية الإناء، إلا أنه جُعِلَ من أجل ما يحتويه، فالكوب الفارغ غير الكوب المملوء بالماء، فالماء هو الذي يُحدث الرِّيّ، ولكن لابد من وعاء يحفظه. ومن ثَمَّ فلابد من الإيمان والإحسان، وأن هذا الإحسان هو جوهر الدين، وحقيقته. وفي بيانه للإحسان، أوضح أن الناس على أقسام: منهم من أسلم وآمن، ولكنه لم يستحضر الإحسان الذي هو «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، وأن هذا أيضا يبين أن هناك أصنافا متعددة من الناس، مع ملاحظة مهمة جدا وهي أن هناك العديد من الناس دخلوا في الإسلام مباشرة لما عاشوا مع الصحابة وأدركوا التجربة الروحية للإنسان من خلال هذا الحديث، ومنهم من اشتغل بالعلم كذلك، فصار أساسا للحياة العلمية، كما هو من أسس الحياة العملية، ولذلك رأينا المسلمين - ابتداء من الصحابة - وهم ينشئون علوما لمعرفة هذا الإسلام الذي تكلم عنه رسول الله ﷺ في إجابته لسؤال جبريل، وكَوَّنُوا دوائر العلوم في ثلاثية تناسب ما جاء في الحديث الشريف، وهي الأحكام الشرعية للأفعال البشرية، والأحكام العقدية، والإحسان. ومن ثم كان التصوف هو العنوان المتعارف عليه للحياة الروحية الإسلامية، فهو شق الإحسان في دين الإسلام، وسبيل تزكية النفس من الخَبَثِ، فتأمل العابدون في أنفسهم، وسجلوا تجاربهم، لينتفع بها من بعدهم، فنشأ هذا العلم، وهو علم التصوف، فعلم التصوف له مصدران: المصدر الأول: الكتاب والسنة، والمصدر الثاني: هو الواقع والتجربة.

فصار قولهم: (التصوف علم مبني على الكتاب والسنة وعلى ما عمل به الصالحون وجربوه في إطار الكتاب والسنة). ومن هنا اعترض كثير من الناس على التصوف؛ لأنهم لم يُصدقوا ما عليه العُبَّاد من أحوال، وما سطروه من تدرج في مراقي العبودية،

وما سجلوه من أحوال تطرأ عليهم، أرادوا بها أن يفيدوا مَن خلفهم، فتشكك بعض الناس، ولذلك قال لهم الأئمة: (من ذاق عرف، ومن عرف اغترف)، لأنه إذا ذاق، وخالطت حلاوة الإيمان قلبه، اغترف، وطلب الزيادة، ولم يعد يكفيه أن يأخذ الأمر رشفة رشفة، ولا رشحة رشحة، ولا نقطة نقطة، بل يريد أن يغترف من المعرفة، وأن ينهل من هذا الجمال الرباني، وهذه الحلاوة الربانية.

ومن ناحية الربط بين التصوف وسائر علوم الشريعة، كان فضيلة مولانا أول من أزاح التراب عن هذا التنظير والذي سُطِر في ثنايا كتب الأقدمين كابن عربي وأبي طالب المكي، وغيرهما، بل وبين تقعيده وتفاصيله العلمية، حيث قال: يحوي تاريخ التصوف مداخل متعددة تناسب طبيعة كل علم، ومن هذه المداخل الوقوف على كلمات مما سطره علماء الشريعة وتحويلها إلى معانٍ صوفية كما فعل ابن عجيبة على شرحه للآجرومية، أو أن يتكلم أهل الله عن أسرار كل علم من العلوم ومن ذلك أسرار العبادات كما فعل المكي في القوت، والغزالي في الإحياء، والترمذي في مؤلفاته عن أسرار العبادة، والقسطلاني وهو يؤلف كتابه عن أسرار الصيام والحج وسائر العبادات، وغير ذلك من المداخل. فمن الناحية التاريخية لم يكن الناس في العصر الأول في حاجة إلى تقعيد وتأصيل وتقنين لعلوم التصوف وأفرعها، لأنهم يعيشونها في دائرتها، ويرون السادة يعملون بها ومتحققين، إلى أن ابتُلينا بمن ينكر حتى الأصول، فجاءت الدعوة: هيا بنا نؤصل كي نطبق.

ومن هنا يصبح لزاما على مجموعة من أهل الله - كفرض كفاية - بيان التقنين والتأصيل والتقعيد لهذه العلوم، والتنظير بينها وبين أفرع علوم الشريعة الإسلامية كلها، حيث تبحث علوم التصوف في كل ذلك من ناحية الإشارة واللطيفة والمؤثر في

القلب حتى يرى الإنسانُ رَبَّه بقلبه كما هي مرتبة الإحسان، فالقضية هي قضية إنسان له قلب، والقضية هي قضية مفهوم، وعلاقة بين الإنسان وبين ربه لابد علينا أن ندركها إدراكا صحيحا، وأن علماء الشريعة لم يتكلموا في كتبهم عن مقام الإحسان لأنهم اعتمدوا على أنه هناك من يقوم على هذا العلم، فالمراد بالعلم صياغة المنهج في شكل قواعد ومصطلحات وتقسيم هذه المعارف الصوفية إلى أقسام وفصول ومسائل والاستدلال عليها، وهو ما نراه مثلا في رسالة القشيري وقوت القلوب للمكي، ومن قبلهم الحارث المحاسبي، ومن بعد هذه الطبقة الغزالي في الإحياء، وهكذا صار التصوف متميزا عن سائر العلوم الشرعية وإن كان مستمدا منها كعلم التفسير والحديث والتوحيد والفقه.

ولما كان هذا هو منهج فضيلة مولانا الإمام العلامة أن التصوف علم وعمل، كما هو الحال في الفرق بين الدين والتدين، فليس مسموحا لكل أحد التحدث في علوم التصوف، فكما أن الدين علم وله أهله وهم علماء الشريعة، والتدين هو التطبيق العملي، كان مطلوبا من الكافة، فإن التصوف أيضا على هذا النسق، حيث يحذر فضيلة مولانا من الحديث في التصوف كعلم أو القراءة في علوم التصوف من غير شيخ، وإلا كان هذا الشخص حجابا بين الله وخلقه كما يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة، أما التطبيق وهو السلوك فهو لكل أحد، مع ملاحظة الحكم الشرعي في التصوف، حيث إن اختيار الشيخ علي جمعة أن التصوف ليس بواجب، حيث قال: (ويتفرع على ذلك أيضا قضيةِ الخروج من الطريق، والراجح عندي أن التصوف ليس بواجب ودليلنا هو ما بينه سيدنا رسول الله ﷺ في حديث جبريل عليه السلام أن الإحسان درجتين، وهذا ليس باتفاق إنما وجوب طريق التصوف عند بعضهم، فمثلا كان سيدنا الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري يذهب إلى وجوب التصوف. وعندي (والكلام مازال للشيخ علي

جمعة) أن التصوف ليس بواجب، ومن ثم تكون الإجابة أنه لا حرج من خروجه من الطريق، ولكن يستمر في الأذكار، وأيضا إذا أراد ترك الأذكار والانقطاع عنها، فله ذلك، فهو ما زال مسلما يستمر في الفروض لكن هذا ليس هو الأحب عند الله، فكما قررنا سابقا أن هذا من باب «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ»، وهو حديث البخاري)، وبتفصيل آخر يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة، في موضع آخر:

(التصوف كمنهج متبع لتزكية النفس ومعالجة آفاتها واجب على كل مسلم، بل على كل إنسان، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:9-10]، أما التصوف كطريق وخطوات يسير بها المسلم تحت رعاية شيخ بصير بذلك، قد اختلف العلماء في إيجاب ذلك من عدمه، فبعضهم ذهب إلى أن التصوف واجب، ومن ثم لابد على المسلم أن يسلك طريقا من الطرق الصوفية الصحيحة ويستمر فيه، وممن قالوا بذلك شيخنا الإمام عبد الله بن الصديق الغماري، وذهب بعضهم إلى أن ذلك من المندوبات وليس من الواجبات. والراجح عندي أن التصوف ليس بواجب، ودليلنا هو ما بينه سيدنا رسول الله ﷺ في حديث جبريل أن الإحسان درجتين، ومن ثم فلا حرج على من انتسب لطريق ثم أراد الخروج منه، لكنه خلاف الأولى والأفضل).

ارتباط التصوف بالتكنولوجيا ومتغيرات العصر والوعي الجمعي وأثر ذلك على المريد وأعداد الذكر:

أكد فضيلة مولانا الإمام العلامة أن الدنيا تغيرت، وأن أهل الله أشاروا إلى ذلك في العديد من كلامهم، وأنه كلما اقترب موعد ظهور الإمام المهدي، كلما قلت ثمار الفوائد والمجربات ونتائجها، وأنه يجب علينا أن نواجه كل المتغيرات من خلال النسق الإسلامي المفتوح، بمعنى أنه ليس من الشرط أن تأتي كل الأمور نصا في السنة، بل المنهج من السنة، وفرق كبير بين أن نختزل الإسلام في عصر النبي زيا وشكلا، والدنيا تتغير دوما وبتسارع كبير، وعالم الاتصالات اتسع فيلزم أن نفكر بمنهج النبي حتى نواكب هذه الأمور كلها، ونحقق مراد الله سبحانه وتعالى في الاتصال بهذا الكون، والاتصال بهذا العالم، والاتصال بهذه العمارة، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30]، أي خليفة يتخلق بأخلاق الله، فهو خليفة يتعلق بجلال الله، وهو خليفة يصدق بكمال الله سبحانه وتعالى، الجمال والجلال والكمال.

ومن ذلك ما نقله عن الدكتور حسن عباس زكي، حيث قال فضيلة مولانا:

وقال شيخنا الدكتور حسن عباس زكي: إن الدنيا تغيرت على مستويات مختلفة، وفي قضايا مختلفة، ومنها تفوق النساء على الرجال في الطريق منذ عام 1988 الموافق 1410هـ، وهو ما لم يحدث خلال التاريخ من قبل، ولا أحد يعرف السبب، ولكنها ملاحظة حقيقية وواقعية، حتى يصل الشيخ مع المريدة بقوله (أنتِ وربك) فلقد وَصَلْتِ إلى مرتبة لم تعد فيها بحاجة إلى الشيخ. وكذلك ففي عام 1369 الموافق 1948م تغير وجه الطريق فصار الذكر بالأسماء لا يُجدي فزاد العدد إلى 100 ألف، ولم يُستدل على سبب ذلك.

وعلى الجانب الآخر، في حكاية عن السادة النقشبندية، يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة: والشيخ البغدادي لم يأذن لأحد أن يُعطي الطريق لمن بعده، وقال طريقنا موقوف إلى المهدي.

ويضيف فضيلة مولانا قائلا: ومن المتغيرات كذلك أن الشيخ الزرقاني الفلكي يقول: كانت أعداد الفوائد والمجربات تأتي بنتائج سريعة وفورية لأصحاب الحاجات، ولما مات قال الشيخ أحمد بن الصديق ضعفت الفوائد (1960 الموافق 1380هـ)، لقرب ظهور المهدي. ومن ذلك أيضا انتقال المشايخ إلى المحبة أكثر كمدخل، وزيادة الذكر، فصار التركيز على حفظ المريد، وانتظامه في الطريق، فالذكر (وصل)، والفكر (صيانة)، والخلاصة أننا نتعامل مع مناخ جديد، فكلما قرب المهدي كلما خبت هذه الفوائد.

ومن الأمثلة التطبيقية لتأثير العصر، ما يقوله مولانا ويشرحه في مجال أعداد الذكر، حيث قال: في الزمن الماضي كان إذا ذكر الإنسان 70,000 مرة (لا إله إلا الله)، يشعر بأن نفسه قد خرجت من نطاق النفس الأمارة ودخلت في نطاق النفس اللوامة، وهذه خطوة جيده وتَرَقٍّ للنفس، بعد ذلك وفي أوائل القرن العشرين شعر المشايخ أنه بذِكْر 70000 لا يصل الإنسان إلى مراده، ولا يتم انتقاله من النفس الأمارة التي لها ملامحها، (ومن أهم ملامحها الدعوة إلى المعصية) إلى النفس اللوامة التي يتردد فيها الإنسان بين الخير والشر، وبين الطاعة والمخالفة، وجدوا أن يزيدوا في هذا (وكله ذكر لله)، فزادوها (بالتجربة) من سبعين إلى مائة، وأصبح السائر في طريق الله، أي السالك، أو المريد، يذكر مائة ألف، بدلا من سبعين ألف. ويقول بعض أهل العلم وبعض المشايخ (والكلام ما زال لفضيلة مولانا) إنه في الماضي كانت هناك بركة في الوقت، فلقد كانت عوالم الأشياء، والأشخاص، والأحوال التي حولنا قليلة، وإنه لما اختلف الزمان والمكان،

اختلفت هذه العوالم وتكاثرت جدا، بالاتصالات والمواصلات والتقنيات الحديثة، والكهرباء والتليفون والنت والراديو والتليفزيون، مما جعل البرنامج اليومي للإنسان مختلفا، كما أنه جعل حتى الهواء مختلفا؛ لأن في هذا الهواء توجد موجات وتوجد أشعة وتوجد ترددات وتوجد أنواع من الوميض مختلفة تمثل في هذا التيار الذي لو فتحنا راديو الآن لاستمعنا إلى مجموعة كبيرة من المحطات، ومن الموجات، أو فتحنا تليفزيون فإننا نرى فيه أكثر من 2000 من المحطات، وهذا كله موجود في السماء التي حولنا، فكأنها تُجرَى عليها تجارب عملية تتعلق بالوجود، تؤثر في شَغْل بال الإنسان، ولكن الإنسان أصبح أكثر ثقلا في معرفة الأخبار، والأحوال، والناس، والأشخاص، واختلف عليه الزمان والمكان، ولم يعد متفرغا هذا التفرغ الذي تتخيله لو أنك في معزل عن الناس ليس هناك تليفون ولا تليفزيون، ولا راديو ولا أي شيء من هذا الذي اخترعه الإنسان من 1830 إلى 1930م، ثم من وقتها وإلى الآن اخترع الإنسان كيف يوفق بينها، فأصبح التليفون مسجِّلا وكاميرا وفيديو، وكذا، وكذا، إلى آخره، وكذلك طريقة الاتصال بالانترنت، ويأتي بالأخبار التي لم يكن يعرفها من قبل، ولم يكن أجدادنا يعرفونها، فكان هناك ما يسمى بالبركة في الوقت، ما يسمى بأن هناك شيئا في انشغال الإنسان بأشياء كثيرة. إذن، فقد يكون العدد مائة ألف في حاجة إلى تغييره، كما غيرها المشايخ الأوائل من سبعين إلى مائة، فهذا التغيير يأتي في التكرار، فبعد أن تنتهي من الأسماء الأصول والأسماء الفروع، وأسماء الله الحسنى ولفظ الجلالة ممكن أن تعيد مرة ثانية من أجل تحقق الانتقال من النفس الأمارة بالسوء إلى ما بعدها.

وفي أثناء بيان فضيلة مولانا لبعض تواريخ تغير الزمان وندرة نتائج الفوائد والمجربات، قال فضيلته إن ذلك بدأ مع عام 1368هـ. وفي ذلك إشارة استشعرها أبناء مولانا

بقولهم: نحن في اطمئنان والحمد لله لأن تاريخ ميلاد مولانا 1371هـ، فالحمد لله أن من الله علينا بإعادة فتح باب الفوائد والمجربات على يد مولانا مرة أخرى، وقالوا (عشان الأمور تتعدل وتنظبط)[1].

ومن الأمور التي تُظهر تجاوب فضيلة مولانا مع متطلبات العصر، والتطور التكنولوجي، وتطور وسائل الاتصال والتواصل في عصرنا الحالي أن فضيلته سمح بأخذ الأوراد عن طريق الوسائل والأدوات الحديثة، حيث قال فضيلته:

يمكن أخذ الأوراد بالوسائل المعاصرة والميديا الإلكترونية، مثل التليفون، والانترنيت، أو من خلال صفحات الفيسبوك والتواصل الاجتماعي، فإن شاء الله يحقق قانون التواصل النوراني بين الشيخ والمريد، وعلى الجانب الآخر يُحذِّر فضيلة مولانا الإمام العلامة من فتح باب التأثر بوسائل الاتصال الحديثة في أثناء الأذكار والحضرات ومجالس الذكر والصلوات، والخلوات قدر الإمكان، حيث يقول: يجوز استخدام الهواتف المحمولة (أو التابلت) في قراءة الحضرة ومجالس الذكر، وكأنها نسخة مكتوبة، بشرط إغلاق الاتصال على الهاتف حتى لا يشوش على نفسه، أو غيره بتلقي الاتصالات، وحتى لا ينشغل القلب وهو حري في هذا المقام بالتوجه الخالص إلى الله، مع تخفيض الإضاءة للمساعدة على كف البصر، والحرص على الهدوء. وخلاصة القول يبينها مولانا في قوله:

"إن الطريق يطرُد من لا يريد، ويلفِظ منه من لا يلتزم".

ولعل الحديث عن متغيرات العصر، وتطوره تستوجب تناول موضوع **العولمة** **ودور**

---

(1) وهذه الكلمة للشيخ وليد السيد، من أبناء مولانا الإمام العلامة، وأحد مقدمي الطريقة الصديقية الشاذلية، وذلك مع نهاية عام 2018م.

السادة الصوفية فيه، وهو ما يبين جوهر منهج فضيلة مولانا، حيث قال كلاما مطولا حول هذه القضية، موضحا ما يستطيع الصوفية فعله تجاه هذه القضية، وبيانه التفصيلي كالآتي:

العولمة كلمة جديدة ليس لها في أدبيات الشرق أو الغرب مكان قبل عام 1990، ولذلك لم تدخل في مناهج الدراسة في جامعات العالم، إنما ظهرت أولا في مقالات سيارة، ثم بعد ذلك دخلَت للدراسة بعد عام 1996، وهذا الشأن جعل فيها غموضا، فظهر السؤال: ماذا نعني بالعولمة؟ فالعلم دائما يقوم على التعريف الجامع المانع الذي يحاول أن يجمع أفراد المُعَرَّف، وأن يمنع دخول غيره فيه. فإن مهايا وحقائق هذه التعريفات تكون واضحة لذهن السامع وتصل إليه من أقرب طريق. إلا أنه عندما تظهر مثل هذه الألفاظ والمصطلحات خارج نطاق الجامعة، وإنما تظهر في المقالات السيارة، وعند بعض المفكرين يكتنفها الغموض، ويأخذ كل واحد لهذه الكلمة معنى. وهنا نتساءل: هل العولمة حالة تمر بها الدنيا، ونتجت من الاتصالات والمواصلات والتقنيات الحديثة بحيث إننا صرنا نعيش في قرية واحدة؟ فإن كان الأمر كذلك، فهي حالة يمكن أن نستفيد منها وأن نحولها لصالحنا، كما يمكن أن يكون لها آثار سيئة علينا، وهذا معناه أنها حالة مُحَايِدَة، وأن الأقوى هو الذي سوف يستفيد الاستفادة الكاملة من هذه الحالة. ولقد وصلت بنا الاتصالات والمواصلات والتقنيات إلى أن كل واحد منا يحمل هاتفا يستطيع أن يكلم الدنيا كلها، شرقها وغربها، في آن واحد، بل ويستطيع أن ينقل صورة ما هنالك إلى هنا، وصورة ما هنا إلى ما هنالك، بحيث إن الواقف في لندن يمكن أن يعرض علينا السلعة التي نطلبها، فنحدد له هل نشتريها أم لا من هناك في الوقت نفسه، ويعطيني سعرها، وهذا قطعا يؤثر في سلوكي هنا في أنه يمكنني أن أؤخر الشراء هنا واشتر من هناك، أو ألغي الشراء من هناك، وأشتري من هنا. وهذه حالة تعيشها الدنيا، وهذا

معنى من معاني العولمة.

وهناك معانٍ أُخَر منها أن العولمة معناها الهيمنة والسيطرة، وبذلك تكون سيئة السمعة، حيث تعمل على وجود أقواما يسيطرون ويهيمنون ويفرضون ثقافاتهم وآرائهم على أقوام آخرين. وبعض الناس يقولون إنها محايدة، إلا أنه لأننا لم يكن معنا هذه الآلة الإعلامية الضخمة التي هي في أيدي غيرنا، فإن واقع الأمر سوف يجعلنا دائما الأدنى، ويجعل غيرنا دائما يتصرف فينا، ويتعامل معنا على أننا الأقل. وأنا (والكلام مازال لفضيلة مولانا الإمام العلامة) أتبنى أن العولمة حالة وأنها جاءت من الاتصالات والمواصلات والتقنيات الحديثة، وأن الذي حدث في العالم منذ عام 1830م حتى عام 1930م غير وجه التاريخ، وغير كذلك برنامج الإنسان اليومي. فعلى سبيل المثال استطاع الإنسان في هذه الفترة أن يخرج من نطاق الأرض، وأن ينتقل بصورة أسرع، حيث نشأت في هذه الفترة القطارات والسيارات والطائرات ثم الصاروخ، وكذلك نشأ التليفون والتليفزيون وصناعة السينما، وأيضا نشأ الحاسب الآلي، وغير ذلك، حتى تجمعت كل هذه الأشياء في المائة سنة التي لم تتم بعد، حيث لم نصل بعد إلى عام 2030. وفي هذه المائة الحالية حدث فيها أشياء قليلة جدا مثل التدخل البيولوجي، مثل استنساخ النعجة دوللي، وإمكانية نقل الأعضاء، وغير ذلك من الأشياء التي دخلت في ذات الإنسان، وفي تكوينه. إذن فالعولمة حالة، وهذه الحالة جعلتنا نعيش سويا في قرية ضيقة واحدة، ومثال ذلك أن أحداث 2001 في أمريكا، كنا نشاهدها في نفس وقت حدوثها على التليفزيون، وكان بعض ساكني أمريكا لا يدركون أن أمريكا تحت الهجوم، وأننا هنا في مصر نتصل بهم لنطمئن عليهم فإذ بهم ما زالوا نائمين، ولم يستيقظوا بعد. على ذلك فلقد أصبحنا في عالم غريب عجيب طُوِيَ فيه المكان، وبُسِط فيه الزمان، وفي بعض الأحيان

حدث العكس فذهبت البركة من الأزمان، واتسعت الفجوات في المكان، واختلط الحابل بالنابل، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فماذا عن التصوف في هذا؟!

ما التصوف إلا بناء الإنسان، فالتصوف رأى الإنسانَ قبل البنيان، وعالج الساجد قبل بناء المساجد، واهتم بهذا الكتاب المقدور بعد أن فَهِم أمرين: كتاب الله المسطور (الوحي)، وكتاب الله المنظور (الكون)، ومن الوحي والوجود معا كان التصوف، فإن للتصوف تجربة لكنها تحت نطاق سنة سيدنا رسول الله ﷺ وشَرْعِه، لا يستطيع أن يخرج عنها، وكما قال الجنيد سيد الطائفة: (طريقنا هذا مقيدٌ بالكتاب والسنة)، لكن في الوقت نفسه له تجربة، وله كلام عن التَّخَلِّي والتَّحَلِّي والتَّجَلِّي، وله كلام عن اليقظة والتوبة والسير إلى الله سبحانه وتعالى بمراحله العشرة كما في (منازل السائرين) للهروي، وتفصيل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، وله كلام وهو يُحَوِّلُ المعاني من (لا حول ولا قوة إلا بالله) وهي التي بُنِيَت عليها الحكم العطائية الرائقة الفائقة التي تبني الإنسان وتجعله قبل البنيان، وتعتبر السَّاجِدَ قبل المساجد، لأن الله سبحانه وتعالى قد جعل لنا الأرض مسجدا وطهورا. فماذا نفعل وهذه الحالة من العولمة قد رفعت الحواجب والحجب بين الناس؟ وهنا نقول:

إن لنا مدارس في التصوف، يمكن أن نأخذ منها أمرين مهمين يستفيد منها الاشتراك البشري في عالمنا الآن، الأول: هو حب الله، حيث إننا نحب الله تعالى، والثاني: هو حب الجار، حتى إذا ما تحقق بهما المسلمُ، وإذا ما أحياها الصوفي في نفسه وفي أولاده فإنه يكون قد وقف على المشْتَرَك البشري الذي ما إذا مددنا أيدينا إلى العالم لَقَبِلَنا، واستمع إلينا وكان في حاجة ماسّة لنا، وهذا هو الأهم. فليس من الضروري التمسك حاليا بكل العناصر الأخرى، لكن حب الله، وحب الجار هو الذي يمكن أن

نخاطب به العالمين: نحن أقوام نحب الله، ونحب الجار، فهل عندكم من اعتراض؟! لا أحد يعترض، حتى الملحد لا يعترض لأن الملحد جعل المعيار عنده المصلحة، والمصلحة مبنية على حُسْن الجوار، ونحن نقول له سنحسن الجوار إليك، وعندئذ يجتمع ويلتئم الشمل. وهنا فلنراجع فلسفة جلال الدين الرومي وحكمته، حيث إننا في أشد الحاجة إلى إبرازها وتقديمها في ترتيبٍ للأولويات في عصرنا الحاضر، حيث تكلم الرومي عن الحب بأجْلَى معانيه، الحب عطاء، فنحتاج إليه في هذا العالم المتلاطم الأمواج، والحب يأتي ويتولد من الرحمة، ولذلك فإن الرحمة هي الأساس. وإذا تدبرنا القرآن الكريم لوجدنا أول ما فيه (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، ولله أسماء الجمال، وأسماء الجلال، وأسماء الكمال، وكان من الممكن أن يقول (بسم الله الرحمن المنتقم)، أو (بسم الله المنتقم الجبار)، فيتجلى علينا بجلاله، ولكن ولأننا قد خُلِقْنا من ضعف، فإنه قد جعلها جمال في جمال، فقال (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، وكأنه يطمئن حالنا من جلال لفظ الجلالة وكماله وعلو شأنه، وأنه لو قال (بِسْمِ اللهِ) لارتعدت القلوب واقشعرت الجلود فثنَّاها فقال (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) حتى يهدأ البال ويَصْلُحُ الحال. وسيدنا النبي ﷺ - كما يعلمنا أسيادُنا العلماء المُحَدِّثون - يقول في حديث اشتهر بينهم بحديث الأوليَّة «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ – تبارك وتعالى - ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ» بسكون الميم، وفي رواية (يَرْحَمُكُمْ)، حيث يجعل سيدنا النبي ﷺ الرحمة في أحدهما شرطا، ومفهومها أنه إذا لم نرحم من في الأرض، فإن الله لا يرحمُنا، والثانية دعاء من المصطفى ﷺ أن يرحمنا الله سبحانه وتعالى فيوفقنا إلى رحمة الخلق، كما على حد قول القائل: (تخلَّقُوا بأخلاقِ الله). وهذا الحديث عن الرحمة هو أول حديث يُحَدِّث به الْمُحَدِّثُ أبناءه، فَسُمِّي بحديث الأولية، ومعنى ذلك وكأننا نبدأ ونقول (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، ومن الرحمة ينبثق الحب. فهذه المعاني

ينبغي أن نربي أبناءنا عليها، وأن نبرزها في هذا العصر، إبرازا شديدا وقويا، وننشر الكتب التراثية وبخاصة في الصوفية مثل جلال الدين الرومي ومدرسته، وهو جزء بسيط من التصوف بأنواعه المختلفة، فإننا في حاجة إلى هذا حتى نصحح صورَنا أمام الناس، وننتقل من مربع الدفاع عن أنفسنا إلى مربع الدعوة الذي نمد فيه أيدينا في هذه العولمة. إن العولمة بعد ما جعلت الأرض كلها قريةً واحدة، فإنها تنتظر منا الخير، واليد الممدودة. وهذه اليد الممدودة لو مُدَّت بالحب لوجدت شيئا كثيرا، ولَدَخَلَت الناس في دين الله أفواجا. وهذا الحب يقتضي أن يكون من الرحمة، ويقتضي أن يخرج منه الصبر، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، ويخرجُ منه الكرم، وكان النبي ﷺ يحب الكرم حتى من الكافرين، فكان كلما ذُكِر ابن جُدعان أمامه تبسم وانشرح وجهه الشريف، فسألته السيدة عائشة (أهو في الجنة؟)، قال: لا، إنما كان يفعل ذلك لسمعة يتسمعها، رأيته وعنده قصعة يُصْعَد إليها بِسُلَّم يثرد الثريد لضيوف البيت الكريم. فرح النبي ﷺ بكرم ابن جدعان، وإن كان قد مات كافرا، وإن كان قد حكم اللهُ عليه بالنار، فالآخرة لها أحكامُها وهذه الأحكام بيد مولانا سبحانه وتعالى لا يتألى عليه أحد. وكذلك عندما شاهد ابنة حاتم الطائي، وكان مشهورا بالكرم والسخاء والعطاء نخلع عباءته الشريفة ﷺ وأجلسها عليها، وقال: إن أبا كي كان يحب مكارم الأخلاق، فطمعت البنت وقالت: أهو في الجنة يا رسول الله؟ قال: لا، إنما كان يفعل ذلك لدنيا يريدُها ولسمعة يتسمعها. إذن فرسول الله ﷺ على الرغم من اطلاعه الشريف على حال أولئك إلا أنه ﷺ قد أكرم خبرهم، وأكرم وِفادَة ابنة حاتم الطائي من أجل هذا المعنى، وهو معنى الحب. وفي الأردن اكتشفوا الشجرة التي نزل تحتها رسول الله ﷺ وجعلوا هناك بعض القياسات، ووجدوا أن هذه الشجرة على رغم اقفرار ما حولها كصحراء ـ تهتز عندها. آلات تثبت

أن شيئا ما يخرج منها، وهذا الشيء جربوه وبخاصة عند حال الإنسان في حبه فتعجبوا من هذا جدا، ما هذه الشجرة! وهم لا يعرفون أنها الشجرة التي استند إليها ﷺ الذي كان حبا خالصا قد تجسَّد بشرا بإذن الله سبحانه وتعالى، فلما عرفوا أن هذه الشجرة إنما لامست جسده الشريف تعجبوا غاية العجب، وبعضهم أسلم من أجلها. وما زالت الشجرة إلى الآن، كلما قربنا إليها ذلك الجهاز كلما اهتز جدا بطاقة الحب التي كانت في سيدنا رسول الله ﷺ، وهو الذي نزل إليه مَلَكُ الجبال فأبى أن يُطْبِق عليهم الأخشبين، وقال: عسى أن يُخرج الله من ظهورهم من يقول لا إله إلا الله. هذا الحب الذي تعلمناه منكم هو هذا الحب الذي لابد يبرُز الآن في عالم العولمة، والناسُ كلُّها في الأرض كلِّها يحتاجون إليكم وإليه، وهذا هو الحب الذي سوف يهز القلوب، ويزيل الحُجُب بين الخلق والخالق، وغيرنا يشيع الكراهية ويشوه صورة الدين فيكون حجابا بين الخلق والحق.

أما ما نستطيع أن نفعله، فنلخصه في الآتي (والكلام ما زال لفضيلة مولانا):

نحن والحمد لله أقوياء بحاضرنا، وبأوليائنا وتاريخنا وخبرة هذا التاريخ، وبمنهجنا، ونحن أقوياء لأننا ندعو الله تعالى أن يجعل الدنيا في أيدينا، ولا يجعلها في قلوبنا، وأننا إذا ما جعلنا الدنيا في أيدينا استعملناها فيما أراد الله تعالى أن نستعملها فيه، والله تعالى أراد منا **العبادة، والعمارة، وتزكية النفس**، فقال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ **[الذاريات:56]**، وقال أيضا: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ **[هود:61]** أي طلب منكم عمارها، وكذلك ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ **[البقرة:30]**، ولأجل هذا العلم، ولأجل هذه الخلافة، ولهذا الأمر بطلب العمارة أسجد الملائكة إليك في

صورة أبيك آدم احتراما وتقديرا. إذن فهذا المعنى الذي نحن فيه الآن هو معنى جليل يمكن أن نُرَبِّي أبناءنا عليه: العبادة والعمارة وتزكية النفس.

وهنا لابد من إقرار حقيقة مهمة: مَنْ غيرَ الصوفية يستطيع أن يرسم منهج طريق الله سبحانه وتعالى من الذكر والفكر؟ لا أحد، فأهل الصوفية هم الذين معهم كيفية الذكر، وكيفية الفكر، وكيفية التخلي من كل قبيح، والتحلي بكل صحيح، وما الذي يواجهه الإنسان كونا إذا ما حدثت له أمور، وهذه الأمور لا يعرفها إلا السادة الصوفية، وهي أمور التجلي. فإن عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه عندما حدث له في خلوته نور اشتد عليه وسمع صوتا قال ما سمعتُ أحسن منه قط يقول له: يا عبد القادر لقد قربناك! قال: فذبت كما يذوب الملح في الماء. قال: وأحللنا لك الحرام! فقال اذهب يا لعين. قال عِلْمُك نجاك يا عبد القادر. وسمع صوتا محشرجا لم يسمع أسوأ منه قط. فمن الذي يعرف هذا، بل من يحمي شبابنا من التهور والتدهور، إنهم أهل الله، إنهم الصوفية، ومِن هنا يتحدد دورنا وهو تربية الشباب. لقد ذهبنا في الأرض كلها نبحث عن الأزمة، وعن سببها، ووجدنا أن الأزمة دائما تحتاج إلى تربية، سواء كانت أزمة اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو خُلُقية أو فكرية أو فلسفية، كلها تحتاج أن يعود الإنسان مرة أخرى أمام الله إنسانا آدميا، وهذا لا يكون إلا بتطبيق ما علّمَنَا إياه مشايخنا وآباؤنا وما وجدناه في هذا التراث الذي آمنا به واطمأنت له قلوبُنا وسعدَت به أرواحُنا حتى قالوا: هذه لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها، فهذا الكلام له أثر في تصحيح المفاهيم فتصحيح السلوك، ولذلك إذا أردنا أن نضع عنوانا على الدور المرتقب للتصوف فليكن (التربية) ثم التربية ثم التربية، فإننا قد افتقدنا همة التربية، ولم نفتقد التربية بعدُ والحمد لله رب العالمين، ومعنا ما يحتاج العالمُ إليه حتى لو وَصَفَنَا بعضُهم بالتخلف، وبعضهم بالشرذمة،

وبعضهم يهاجم، وبعضهم كذا، فإن الكلمة الطيبة تخرج من القلب فتصل إلى القلب فتُغير الوجدان.

جِماعُ الخير أن القلب يعلو العقل، وأن العقل يعلو السلوك، ومصيبة عصرنا أنه عَكَسَ هذه المنظومة فجعل السلوك يتحكم في العقل ويسكته، وجعل العقل يتحكم في القلب ويسكته إذا ما أراد القلبُ شيئا ما، وهي منظومة خسيسة، اختلطت فيها الأمور، والحاصل أن القلبَ فوق العقل، وأن العقل فوق السلوك، ولذلك سُمي القلبُ قلبا، وسمي العقل عقلا، لأنه يعقِلُ الإنسانَ فيمنعه، وهذا القلب يتقلب، ولكنه يتقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء، وما سُمي الإنسانُ إلا لِنَسْيِه، وما أول ناسٍ إلا أول الناس،

وما سُمي القلب إلا لأنه يتقلب. إذن علينا أن نجعل هذا القلب الذي يتقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن مع الله، ثم نجعله فوق العقل، ونجعل هذا العقل الذي يتحكم بالله، ونجعله فوق السلوك، وهذه هي طريقة التربية.

وختاما لموضوع التكنولوجيا ومتغيرات العصر وتطوره، لابد من الإشارة إلى أن فضيلة مولانا يؤكد على ضرورة تعظيم المراقبة، وأن متغيرات العصر قد تقتضي عدم ضرورة التزام العوام بمصطلحات القدامى، بل يجب علينا تبسيطها لهم حتى يستطيعوا استيعابها، فالطريق مدرسة للارتقاء بالوعي. والكلام حول المصطلحات وتبسيطها يتناوله جزء آخر من هذه الدراسة مع ضرب مجموعة من الأمثلة التوضيحية التي تبين منهج مولانا في تبسيط مصطلحات التصوف.

التعامل مع تصوف الفتن:

لفضيلة مولانا الإمام العلامة رأي يتبناه بوضوح تجاه مجموعة من القضايا التي تعتبر من الفتن التي تواجه الصوفي في عصرنا الحالي، وبخاصة طائفة الشباب، ومن ذلك تصوف الموضة، والعلمانية، والعولمة، وإسقاط المجاهدات، والاكتفاء بالحب والجمال، واختلال الوعي، وغير ذلك من القضايا التي تثير فتنا خطيرة لدى الناس. ويتناول هذا الجزء من الدراسة مجموعة محددة من هذه الفتن ومنهج فضيلة مولانا الإمام في بيانها، والتعامل معها، والبعض الآخر يتم تناوله في أجزاء أخرى من الدراسة الحالية، **فالعولمة** يتم تناولها في الجزء الخاص بارتباط التصوف بالتكنولوجيا ومتغيرات العصر، **والعلمانية** يتم بيانها في الجزء الخاص ببيان ملامح المناهج العلية ومكونات العقل المسلم والنموذج المعرفي الإسلامي، ومفهوم المنهج عند فضيلة مولانا الإمام العلامة، وهكذا.

فعن تصوف الموضة وال (*fashion*)، يقول فضيلة مولانا:

شاع بين الشباب في العصر الحالي ما يسمى بموضة التصوف، حيث إن كثيرا من الشباب والبنات يدخلون في طريق التصوف ولكن بطريقة شكلية لا أثر لها في أركان التصوف وأركان الطريق إلى الله، كلبس البياض والحجاب الأبيض والثوب الأبيض وتعليق السبحة أو ارتداء الخاتم أو الانسيال (أسورة اليد) وعليه أسماء الله الحسنى، وكأن التصوف ظاهرة شكلية، وهذا ليس هو التصوف الذي أراده الله ورسوله ﷺ، والذي جاء في حديث جبريل وهو يعلمنا الدين، ويعلمنا مقام الإحسان، والذي سُمي بالصوفية، أو الأخلاق والسلوك. والسلوك معناه أن نسير في طريق نسميه

بطريق الله، وهذا الطريق له ملامح، ومعالم، وأركان، وخطوات، كلها مقيدة بالكتاب والسنة، وأول ذلك الذكر والفكر، والكتاب والسنة بهما الكثير من الآيات والأحاديث للحث على الذكر والفكر، والتخلية والتحلية. أي ذكر الله بالعشرة الطيبة (الباقيات الصالحات)، والأسماء الحسنى، وغير ذلك من الأوراد والأذكار والأحزاب. والتخلية تكون من أمراض القلوب كالكبر والعجب والغرور والحقد والغيرة والحسد، وغيرها، والتحلي بالرحمة، والحب، والتعاون على البر والتقوى، وغير ذلك من الصفات التي تزيد عن عشرين صفة، وهو ما لا يتم إلا بالتجريب والاستمرار والإصرار والهمة والعزيمة، ومعرفة أن الله مقصود الكل، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله. وأن كل هذه المعاني هي التي ينبغي على الشباب إدراكها عند طلب الدخول في التصوف، وهذه مهمة الأشياخ، وعلى المريد الاستماع وقبول التوجيه في علاقة حب وود مع الشيخ وليست علاقة صراع أو كراهية أو تسلط، وتعلُّم أن يحرص على فتح باب الحق وباب الخلق معا، مع القيام بواجبه في عمارة الأرض، وتعلم الأدب مع الله. فالخلاصة أن التصوف لا علاقة له بالموضة على الإطلاق، ولا علاقة له بالأشكال، أو الصور، فإن الله تعالى لا ينظر إلى صورنا أو أجسادنا بل إلى قلوبنا، والتقوى من قلوبكم، كما جاء في الأحاديث الشريفة.

الفوائد والمجربات:

قبل أن نبين منهج مولانا في التعامل مع المجربات والفوائد، نبين أن المجربات جمع، مفرده مُجَرَّب وهو اسم مفعول مِنْ جَرَّبَ، ودَوَاءٌ مُجَرَّبٌ: أَيْ تَمَّ اخْتِبَارُهُ وَتَجْرِيبُهُ، وهنا هو: الذكر المُختار. والمُجَرِّب اسم فاعل من جَرَّبَ، وهو المرء السالك الذي يطبق الذكر محل الدراسة. والتَّجْرِبَةُ (في العلم) اختبارٌ منظَّم لظاهرة أو ظواهر، يُرادُ ملاحظتها ملاحظة دقيقة ومنهجية للكشف عن نتيجة مّا، أو تحقيق غرض معيّن. وعندنا هي اختبار منظم للكشف عن نتيجة أو أثر أو فائدة ذكر ما من أذكار أهل الله، وحَقْل التَّجارب مكان تُجرى فيه التَّجارب على شيء للتأكُّد من أنَّه صالح للغرض منه، أو هو موضوع التَّجربة، وفي حالتنا هو نفوس، وقلوب، وأرواح، وأجساد البشر مجرِّبي مجربات أهل الله، أو الأكوان المحيطة. والتجربة الرُّوحِيَّةُ تقابل المادِّية، وتقوم على إثبات الرُّوح وسُمُوِّها على المادَّة وتُفَسَّر في ضوء ذلك الكون والمعرفة والسلوك في إطار النسق المعرفي الإسلامي، ومرجعية ذلك معلومة (الله). أما الفائدة فهي الشيء المستفاد المستحق المتميز، وهي الثمرة.

وقبل الشروع في التفصيل، تجدر الإشارة إلى بيان العلاقة بين الحق، والحقيقية، وموضع المجربات من ذلك، فإنه من الأهمية بمكان تسكين الجزئيات في الكليات، ونتضح هذه العلاقة من الجدول المقارن التالي الذي تم استخلاصه من كلمات فضيلة مولانا الإمام العلامة:

العصر	الحق	الحقيقة	المجربات
تعرف	مطلق ثابت لا يتغير	نسبية	تجربة إنسانية
نسبتها	يأخذ صفة العموم، وفيه يكون اليقين مطابقا للواقع	لا تتخلف بشروط	قد تتخلف لأنها تؤدي إلى الحقيقة وهي نسبية خاصة بالزمان والمكان والأشخاص والأحوال ولكنها لا تؤدي إلى الحق المطلق

وتفصيل ذلك وضوابطه يمكن استخلاصه من دروس مولانا حول هذا الموضوع، وذلك على النحو التالي:

الله تعالى هو "الحق"، والحق مطلق، وهناك فرق بين الحق والحقيقة، فلم يتسمَّ الله سبحانه وتعالى بالحقيقة؛ لأن الحقيقة تتغير بتغير الزمان والمكان، وتتغير بتغير الأحوال والأشخاص. فالحقيقة نسبية، تختلف من شخص لشخص، ومن زمان لزمان، ومن مكان لمكان، وكلها حقيقة، لكن الحق واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كُفُوًا أحد. والحق حقيقٌ بالاتباع؛ ولذلك فإننا نأتمر بأمر الله سبحانه وتعالى، وننتهي عن نواهيه، والحق ضد الباطل؛ ولذلك فإننا نطمئن إلى أمر الله سبحانه وتعالى؛ ونطمئن إليه في دعائنا وفي رجائنا وفي توكلنا عليه؛ لأنه هو الحق. فالحق كلمة جامعة لكل أنواع الخير، مانعة من كل أنواع الشر، فالله سبحانه وتعالى هو الحق المطلق. الحق يقتضي العدل، والحق يقتضي المساواة، والحق يقتضي الحكم بين الناس، والحق يقتضي اللطف بهم، وكل هذه من صفات الله سبحانه وتعالى، فهو العدل، وهو اللطيف، وهو الخبير وهو على كل شيء قدير، كل ذلك يتسق مع اسمه تعالى (الحق)، وبعضهم وهو يذكر بهذا الاسم يحب أن يذكر بـ (الحق المُبين)، وهذا جائز؛ لأن المُبين صفة من الصفات المشتقة مما أسند

إلى الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يبين لعباده أمور دينهم، وهو الذي يحكم بينهم بالحق والعدل يوم القيامة، وهو الذي يبين ويكشف أسرار كونه لمن يشاء، فهو سبحانه وتعالى مُبين. واسم الله تعالى "الحق" من الأسماء التي يَذْكُرُ بها أهل الله سبحانه وتعالى، ويكثرون من الذكر جدًّا بهذا الاسم، وله أسرار وأنوار في قلوب العارفين بالله. إذن، "الحق" اسم عظيم؛ لأنه يوضح للناس حقيقة الدنيا، وأن فيها إقدام وإحجام، وفيها خير وشر، وفيها حق وباطل، وفيها علوية وسفلية، فيها طريقان ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ **[البلد:10]**. والله سبحانه وتعالى يحب الخير ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ **[الحج:77]**، الله سبحانه وتعالى هو الحق، الله سبحانه وتعالى قاهر فوق عباده، الله متصف بالصفات العُلى.

ثم يتطرق مولانا إلى الجناح الثاني ببيان **الحقيقة** وماذا تعني، ونسبيتها، وارتباط مفهومها بالموضع محل الدراسة وهو الفوائد والمجربات، وذلك على النحو التالي:

والحقيقة تعد نسبية تختلف من فرد لآخر، فمن أمثلة ذلك أنه إذا كان هناك إنسان يعاني من الصداع فقرأ آية الكرسي 11 مرة، فإن هذا الصداع يزول، فهذا حقيقة بالنسبة له، وهذا هو التجريب، الذي يأتي من التكرار الذي ينفي الصدفة، وبهذا التكرار يستقر في وجدان هذا الشخص الارتباط بين هذه القراءة وزوال الصداع. لكن قد يجرب هذه الفائدة شخص آخر ولا يزول الصداع من عنده فيصبح الأمر بالنسبة له باطلا، إلا أن هذا لا يمنع زوال الصداع من عند الشخص الأول. فما رأيته أو ما وقع لي هو ما نسميه حقيقة، ولكن لا نسميه حقا لأنها لم تأخذ صفة العموم، ولم تتحقق عند كل فرد. وبضدها تميز الأشياء، فالنار محرقة دائما، والسكين تقطع الزبد، ولا تتخلف عادة. ومن ثم فالمجربات قد تتخلف، وهذه المجربات تؤدي إلى الحقيقة، ولكنها نسبية مختصة بالزمان والمكان والأشخاص، وكلها حقيقة، ولكنها

لا تؤدي إلى حق مطلق. وأنه من اللطائف في هذا الصدد قول النفري في المواقف والمخاطبات: (كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة)، إذ إن الرؤية الرحبة، روحية مطلقة، بينما الكلمات بطبيعتها مادية قاصرة، ومن ثم فالعبارات ستر، أو غطاء للحقيقة الكبرى، وبخاصة عند من يرى أن الجهل حجاب للرؤية، كما أن العلم حجاب للرؤية لكن اتساع الرؤية بفعل التجربة يؤدي بالصوفي إلى إدراك جهات أخرى للحقيقة كانت خافية قبلها. فالكلمات ما هي إلا إشارات تشير في اتجاه الحقيقة، ولا يمكن لها أبدا أن تحتوي الحقيقة، ولهذا قال ابن عربي في إحدى إشاراته: (رؤية القلوب على قدر صفائها ونورها، ورؤية الأبصار على مقدار قلوبها).

وعلى ذلك اتخذ فضيلة مولانا الإمام العلامة المنهج الواضح في التعامل مع المجربات والفوائد، بأنها من الأمور المباحة المتاحة، وعندما سأله البعض حول هذا الموضوع لخص لهم الأمر مرة أخرى في قوله:

سَأَلَ المُسْلِمونَ أنْفُسَهم سُؤالا عَنْ تَهْيِئَةِ الأجْواء لِرُؤْيَةِ المُصْطفى ﷺ، بِمَعْنَى كَيْف نُهَيِّئُ أنْفُسنا لِتَحْقيقِ رُؤْيَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟

وَهُو سُؤَالُ روحاني بَعْضَ الشَّيء، ولذلك ذَهَبُوا إلَى التَّجارِب الرُّوحِيَّةِ، فَقَامُوا بِمُجَرَّبَات (لَيسَتْ وَارِدَة بِالشَّرْع: الْكِتَاب وَالسُّنَّة)، حَيثُ الانْتِقَال مِنْ جَانِبِ كِتَابِ اللهِ المَسْطُورِ (القُرْآنِ والسُّنَّةِ)، إلَى كِتَابِ اللهِ المَنْظُورِ (الْكَوْنِ)، وَهُوَ نَوْعٌ مِن الْقِيَامِ بِعَمَلِيَّاتٍ تُشْبِهُ الْقَوَانِينَ الفِيزْيَائِيَّةِ وَالْكِيمْيَائِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، أي تَفَاعُلاتٍ وَقَوَاعِدَ كَوْنِيَّةٍ، وكَتَبُوا مِثْلَ هَذِهِ المُجَرَّبَات، وَهِيَ تُمَثِّلُ وَاحِدَةً مِنْ تَجَارِبِ المُسْلِمِينَ، وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابِ]الفَوَائِدِ[رَأَيْتُه مَخْطُوطًا بِدَارِ الْكُتُبِ بِبَابِ الْخَلْقِ عَام 1972م، وَفِيه سَبْعِين فَائِدَة لِرُؤْيَةِ سِيِّدِنَا النَّبِيّ ﷺ ، وَكُلُّهَا أَذْكَار طَيِّبَة وَارِدَة وَمِن الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

ومن ذلكَ قراءة سُورَة الإخلاصِ 70 مرة قبل النومِ يوميا حتَّى يرى سيدنا رسول الله ﷺ وقتما يفتح الله.

وقال رضي الله عنه أيضا: فِي كُلّ مَرَّةٍ مِنْ مَرّات الْعَدَدِ لا بُدَّ مِنْ قِرَاءَةِ الْبَسْمَلَةِ قَبْل كُلِ مَرَّةٍ نَقْرَأ السُّورَةَ فِيها، وَهي فَائِدَةٌ مِن مَشَايِخِنَا. وَمَنْ يَطْلُبُ فَعلَيْه الاجْتهادُ فِي هَذِه الْمُجَرَّبَات، وَيَعِيش فِي الذِّكْرِ، وَمَنْ لا يَرْض بِذلك، دَعْهُ فِي حِجَابِهِ حَيْثُ أَغْلَقُوا عَلَى أنْفُسِهم البَاب، فَنَحْنُ نَقُصُّ تَجَارِبَ الْمُسْلِمِين الْمُحِبِّين بِرِوَايَاتِهم الْمُتَوَاتِرَة، وَلَيْس تَجَارِبَ الْكَافِرِين، فَإِنَّه لا بَأسَ بِالْقُرْآنِ وَهُو أفْضَلَ الذِكْر، ولا بَأس بِالذِكْرِ، ولا بَأس بِالْعَدَدِ. فَعَلَيْنَا الْقِيَامُ بِهَا وَتَجْرِبَتها، ونَقْلُ هَذِه التَّجَارِبَ لِغَيْرِنَا.

أمَّا عَنْ تَجْرِبَتِي الشَّخْصِيَّة فَكَانت عِنْدَمَا تَفَرَّغْتُ لِقِرَاءَةِ السِّيرَةِ الشَّرِيفَةِ، حيث قَرَأتُ حَوَالَي 30 كِتَابًا، فَاسْتَغْرَقَتْنِي، وَغَرِقْتُ فِي الأنْوَار، وَصِرْتُ (غَرِيق النُّورِ) لأنِّي عِشْتُ حَيَاةَ سَيِّدِنَا النَّبِيِّ ﷺ، فَعِشْتُ دِينَ النَّبِيِّ ﷺ الذي تَجَاوَزَ الزَّمَانَ والْمَكَانَ والأحْوَالَ والأشْخَاصَ، ومَنْهَجَ النَّبِيِّ ﷺ وليس زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَأيْته ﷺ مُتَتَابِعًا أي مَرَّات مُتَتَالِيَة، رَأيْته مَرَّاتٍ.

وأضاف رضي الله عنه:

حيث إنَّ مَنْهَجَ الله تعالى الذي يُرِيده من الإنسانِ مَبْنِيّ على العِلمِ، وأن هذا العلم له منهج يبدأ بالمُشَاهَدِة والتَّجْرِيب، وأن هذا المنهج مبني على الحقائق التي تنتهى إلى الحس، بمعنى إدراك الإنسان للعالم الذي حوله، ولذلك تعامل من خلال الدين مع الكون على أنه كتاب الله المنظور، وأن القرآن كتاب الله المسطور، وأن الإنسان هو كتاب الله المَقْدُور، وأن الكل من عند الله، ومن هنا فليس هناك أي تعارض

أو تناقض أو مخالفة بين ما يصل إليه العلم التجريبي وبين الحقائق القرآنية. ومن ذلك أيضا - ومازال الكلام لمولانا الإمام العلامة- أن بعض مشايخنا يقولون لنا إنه عندما يحدث فتور في العبادة، يقرأ المرء اسم]يا وارثُ[ألف مرة بين المغرب والعشاء، ولابد لنا أن نعلم جميعا أنه لا يوجد حديث نبوي شريف بهذا النص، فهذه من المجربات، إلا أنها ليست بدعة، وذلك لأنه اسم من أسماء الله الحسنى والله تعالى يقول في كتابه الحكيم ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف:180]، فنحن بذلك نمتثل لهذا الأمر ونطبق عمليا ما أمرنا الله تعالى به. كذلك فإن أهل الله قاموا بالدعاء فوجدت نتيجة هذا الدعاء وثمرته تتحقق كما ذكرنا، فنقولها للناس من باب ما رواه مسلم «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»، فنصحوا الخلق بالتجربة، فجَرَّبَت الناسُ فوجدت الثمرة والنتيجة، فقالوا الحمد لله. أما من فعل ولم يجد الثمرة أو النتيجة المشار إليها فنقول له لقد حصلت الذكر كحد أدنى من الثواب، فأنت ذكرت الله باسم من أسمائه الحسنى. وعلى ذلك إذا طلب منك أحد أن تذكر بأمور مثل قولهم (يا شمهورش يا شمهورش يا شمهورش)! أو أن تقول (شخشمان بخشمان) ! فلا تفعل، فهذا تلاعب.

وفي دروسه **الشاذلية**، وحلقات «رب لترضى»، وحلقات «طريقنا» التي سجلها مولانا لأبناء الطريقة أشار مولانا الإمام إلى أن أهل الله قاموا بمجهود كبير في هذا المجال، ووجدوا أن لغتهم متشابهة في كل مكان وزمان، كما يقول الإمام السيوطي في كتاب (تأييد الحقيقة العلية، وتشييد الطريقة الشاذلية)، إن أحدهم يكون في مكان كالمغرب، والآخر يكون في مكان كالهند، وهما يتكلمان بتجربة واحدة، فيدل ذلك على صدق هذه التجربة. كذلك نجد أحدهم من القرن الأول، والثاني يكون في القرن العاشر، يتكلمون بكلام يشبه بعضه بعضا ويتواءم بعضه مع بعض، ولذلك

نعلم أن هذا حقيقة لأن الذي يكون كذلك إنما هو وصف الوجود الواقع، وما دام اتحدت الكلمات، والرؤى والوصف، فيدل ذلك على أن الحقيقة واحدة، فإن اهتمامنا كمسلمين يكون بالوحي والوجود معا، أي كتاب الله المسطور وكتاب الله المنظور، فنحن لا ننكر الظاهر ولا ننفيه، ولكن نفهم حقائق المعاني عن سيدنا رسول الله ﷺ والسلف الصالح، وإن اختلاف البشر مع نفس النتائج في تجاربهم تدل على أنه حق، وأنها سنة كونية، وهذا هو طرف الوجود الذي نتحدث عنه.

ولقد أشار الإمام العلامة رضي الله عنه إلى ضريح سيدي علي أبي شباك المدفون في مسجد الإمام الرفاعي بالقلعة بالقاهرة الذي هو محل مستجاب الدعوة عنده وقال:

هذا ضَرِيحٌ مُجَرَّب، والتجريب معناه أنه قد أتاه الرجالُ والنساء، والصغارُ والكبار، والأسودُ والأبيض، والمصريّ وغير المصري، فاستجاب اللهُ لهم الدعاء، فهذه بركة، وميراث للنبوة المباركة، بركة أرادها الله سبحانه وتعالى حبلا متينا بينه وبين خلقِه. وأن كل هذا إنما ينطلق من فهمنا للآية الكريمة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد:28] فإن ذكر الله عقيدة، وحالة عقلية، وحالة وجدانية، وحالة قلوب، وحالة أرواح هائمة في حُب الله، لأنني عندما أذكره فهو سبحانه معي فأنا في المعية، وإنه سبحانه فضله عليَّ فضل مستمر، فهو فضل وجود واستمرار، عندئذٍ إذا ضيِّق عليَّ في الأرزاق، لا أغضب ولا أتبرم وأقول: الحمد لله إنه أعطاني الكثير. حالة من الرضا والتسليم جاءت من كثرة الذكر، ومن هذا المنطلق الشرعي تأتي هذه الفوائد الموروثة عبر القرون من أهل الله توثيقا وتحقيقا، وتدقيقا، أيا كان نوعها أو تصنيفها: وراثة، أم تجليات إلهية، وفتوحات غيبية، وبركات محمدية، ورؤى منامية فكلها تأتينا من المعية، والحمد لله رب العالمين.

والحديث عن الفوائد والمجربات يقتضي أيضا بيان بعض القواعد الخاصة بها، حيث يؤكد فضيلة مولانا الإمام العلامة على هذه القواعد، ونستطيع أن نستخلصها، ونجمعها من دروسه وكلماته ملخصةً فيما يلي:

1- القاعدة الأساسية الأولى في هذه المجربات هي إخلاص النية، وصدق التوجه إلى الله، وأنها مورست بالفعل من أهل الله، فكانت نتائجها محققة بإذن الله وفضله.

2- وأن غرض هذا المجربات أساسا هو العبادة وأيضا لها فوائد أخرى عظيمة مع الأخذ في الاعتبار دوما أن التعبد بالأدعية أرقى لأننا ندعو بهذه الأدعية ونسأل الله سبحانه وتعالى بهذه الأسئلة وبهذه الأذكار وليس لنا غرض إلا العبادة، فمن قرأها من أجل الفوائد فهذا جائز ولكن له ثواب يقل عمن قرأها من أجل العبادة.

3- الأخذ في الاعتبار أن من لم يستطع القيام بمثل هذه الفوائد لأي عذر من ضيق وقت أو عمل فلا حرج عليه، فهذه المجربات ليست فرضا، فمن لم يستطع فلا وزر عليه ولا إثم يتعلق به، وليعلم أن عمله وشغله في الحياة نوع من عمارة الأكوان التي يثاب عليها ثوابا عظيما وذلك بإخلاص النية لله، فالقيام بأركان الخلافة على الأرض لله تعالى أكبر من أي شيء.

4- هذه الفوائد والمجربات قد تأتي بأثرها مع البعض، والبعض الآخر قد لا تأتي ببغيته، فلا يحزن فكفاه أن الله تفضل عليه وشغله وشغل وقته بذكره تعالى.

5- الإذن بهذه المجربات والفوائد عام لأبناء طريقتنا العلية الصديقية الشاذلية، ومن أراد أن يستخدمها من غيرهم لما تتم الإشارة له فلها تأثيرات طيبة في النفس، إلا أن الإذن الخاص مطلوب لأن البركة به تنثال في قلب المريد كما يسري الماء في

الورد، وعليه استئذان الشيخ حتى يؤتي الأثر وتحصل النتيجة. والقاعدة عندنا أننا مأذونون إذنا عاما من سيد الخلق.

6- هناك أنواع أخرى من التجريب، وهو تجريب كوني يتعلق بالجسد، يقول مثلا أنك لا تسند ظهرك عند الذكر، فهذا لم يرد في الشريعة، وإنما هو يشعر فيها بنوع من أنواع الاهتمام من شد الجسد والنفس وكذا إلى آخره، فوضعوها في الشروط، فبعض هذه الشروط ترد في الشريعة وبعضها يأتي من التجربة، هو يقول لا تسند ظهرك إلا لعلة بإذن شيخك يعني هنا الشيخ يأذن لك حتى تشعر أنك لم تفعل شيئا ناقصا أو مخالفا أو شيئا أقل مما كان ينبغي فهذا هو غرض الإذن، فالغرض إذن الشيخ وطاعة الشيخ، وليس التسلط وليس التفرد ولكنه أصله في شعور الإنسان أنه في كنف الشيخ وأنه بمعلومية الشيخ وأن الشيخ عندما أذن له في هذا فهو الذي يفرق مما ورد في الشرع مما لا نتركه ومما ورد في التجربة مما يمكن أن نتركه في بعض الحالات فالشيخ خبير بهذا.

7- المنامات والخواطر والواردات ليست بعُمدة، بل يجب عرضها على الشرع الشريف، فإذا كانت موافقة للشرع الشريف كان بها، ويمكن أن نعمل بها، لأن الشرع جعل الأدعية والأذكار على السعة وليست على التقييد، وإن لم يكن كذلك بل إنه كان مخالفا للشرع الشريف رُدَّ ولم يُعتَمد لأن الرؤية والإلهام والواردات ليست حجة في ذاتها إنما هي بشرى.

8- إذن فهذا الأمر فيه سند، والسند منه البركة، فهي مجربات وفوائد انتقلت لنا بالتواتر عبر الأمة كلها.

9- يلاحظ في هذه الفوائد والمجربات تنوع فيها رغم اتحاد بعضها في بعض

الفوائد، وهذا يبين أهمية إذن الشيخ فهو الخبير الذي يدرك حال أبنائه وما يناسبهم من المجربات.

10- الالتزام بآداب الذكر العامة، وآداب قراءة الأحزاب والأدعية والأوراد قدر الإمكان.

12- عدم استخدام المنصوص عليه إلا بالحق وفيما يرضي الله عز وجل، ولِمَا وُضِع له من أهل الله، بالإضافة إلى نية التعبد تعظيما للثواب.

13- يقول مولانا ما نصه: كنا نأتي شيخنا الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري فنسأله عن أوراد لصنع الهمة، ورفعها وتقويتها، فكان يضحك ويقول لنا: لا، لا توجد. فالهمة هي سر التكليف، فلقد كلفك الله تعالى كي تعمل وتعمل، والهمة قرار من الإنسان، هو الذي يستطيع أن يقرر الإقلاع عن أمر ما، مثل الإقلاع عن التدخين، فيعزم بهمة. إلا أن هناك ما يساعد- وهذا غريب - أن تقول (لا حول ولا قوة إلا بالله) موقنا بها، لأنك تستعين بالله سبحانه وتعالى، وغير ذلك من المساعدات المعروفة عند أهل الله.

14- تتداخل معاني الجمال والجلال في الأسماء والصفات، ومن ثم فقد يأمر الشيخ بالذكر بنفس الاسم مرة في حال القبض والجلال، وأخرى لحال البسط والجمال، والأمر في ذلك يعود للشيخ، وتوجيهاته.

15- هناك من الأذكار ما له تأثيرات كونية لا يدركها كثير من المريدين، ومن ثم فلابد من الرجوع إلى الشيخ، فمثلا الذكر بلفظ الجلالة (الله) يرفع درجة الحرارة، فإذا كان المريد مصاب بالحمى فلابد ألا يذكر به، وقد يميته إذا كان صادقا في ذكره، وإن كان يشعر بالبرد فيدفأ، وهنا يجب التنويه إلى أن هذا ضد

الإخلاص، لأننا لا نذكر من أجل تحصيل نتيجة، إنما نذكر لأننا نحب الله من قلوبنا، وهو حقيق بهذا الحب، وحقيق بذلك الذكر.

16- من أهم فوائد الذكر على العموم أنها تعين المسلم على أداء الصلوات والحفاظ عليها وعلى مواعيدها.

17- قاعدة عامة في الذكر وفوائده، أننا نحن نعبد الله سبحانه وتعالى لا من أجل تحصيل حلاوة، وكذلك الذكر، فنحن نذكر ولا ننتظر من الذكر حلاوة، وإنما تحدث حلاوة للذكر عندما لا تنتظر لها حلاوة، فالذكر وسيلة، فاحمد الله أن وفقك للذكر، واعلم أن تشوف القلب للذكر يحرمه من لذة الذكر. فالقضية ليست في الوسائل، ليست في أن أُصَلِّي، وأذكر، وأقرأ، بل نعبد الله فنجد لذة العبادة، وسوف تجد لذة الذكر إذا لم تبحث عنها، واشتغلت بالمذكور سبحانه وتعالى. فالذكر وسيلة، والله هو المقصود، الله مقصود الكل.

ولما كانت الفوائد والمجربات التي نص عليها فضيلة مولانا عديدة صعب حصرها، نكتفي بذكر بعض الأمثلة على النحو الآتي:

1- سورة (الشرح) عدد 40 مع البسملة في كل مرة، عدة أيام، لزيادة الرزق، وسداد الديون، والبعد عن الهموم.

2- آخر 4 آيات من سورة (الكهف)، قبل النوم لدفع الكوابيس، والأحلام السيئة، في النوم، والقيام لصلاة الفجر في موعده.

3- (اللهم اصرف عنا السوء بما شئت وأنى شئت وكيف شئت) عدد 7 مرات للتغلب على وقف الحال، ودفع الأذى.

4- (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه: رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ

خَيْرُ الْوَارِثِينَ)، اللهم اجعل لي من لدنك وليا يَبَرُّ بي في حياتي ويستغفر لي بعد وفاتي واجعله خَلْقًا سويا ولا تجعل للشيطانِ فيه شركا ولا نصيبا، اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك إنك أنت الغفور الرحيم يا الله). دعاء للذرية الصالحة يُقرأ بعد كل صلاة.

5- (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه: إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ) اللهم سخر لبناتي أزواجا صالحين، ونَمِّ وحَسِّنْ تجارتنا وارزقنا مما تُحب يا الله). دعاء للزوجة الصالحة أو الزوج الصالح.

6- اسم [يا وارث] عدد 1000 مرة بين المغرب والعشاء لعلاج الفتور في العبادة.

7- اسم [يا لطيف] عدد 129 مرة (من ميراث سيدي ابن مشيش)، لعلاج التوتر في مواجهة مهام ثقيلة وأعباء شديدة كامتحان أو مقابلة للتقدم إلى وظيفة، وهكذا. وكذلك لقضاء الحوائج وانشراح الصدر وتفريج الكروب، وأيضا للشدائد والقبض.

8- اسم [يا قوي] عدد 116 مرة أثناء شرب القهوة تساعد على قلة المنام والانتباه وزيادة التركيز وتستطيع تأدية أعمال كثيرة وتجد بركة كبيرة في نومك ويومك، وزيادة في طاقتك

9- اسم [يا قهار] عدد 306 مرة على الأعداء (وهذا من ملمح الجلال في هذا الاسم).

10- اسم [يا قهار] عدد 306 مرة للتسليم لأمر الله حال الكرب والمصائب والشدائد (وهذا من ملمح الجمال في هذا الاسم).

أثر الذكر في علاج النفس:

لفضيلة مولانا الإمام العلامة رأي يتبناه يوضح منهجه الصوفي بخصوص الذكر وأثره في النفس، حيث يؤكد فضيلته أن للذكر أثر واضح في علاج النفس ورقيها في مدارج العبودية، وأن الأنفس السبعة لها من الأوراد والأذكار ما يتعامل مع خصائصها، ويعمل على تطهيرها من الشوائب والخبث وصولا إلى النفس الكاملة، وأن هذا البرنامج لابد وأن يتم تلقيه على يد الشيخ العارف الخبير، وأنه من الأهمية بمكان الالتزام بالبرنامج الذي يضعه الشيخ لهذا الأمر. وقبل أن نتعرض لتفصيل هذا البرنامج نطرح رؤية مولانا العامة لأثر الذكر على النفوس، ثم ننتقل إلى بعض التفاصيل التي تلقي الضوء على منهج مولانا والذي يوضحه برنامج الذكر الذي يعتمده فضيلة مولانا الإمام العلامة في طريقته العلية الصديقية الشاذلية بمراحله المتدرجة، من ذكر التمهيد، إلى ذكر التربية، وهكذا.

يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة: من المعلوم لدى أهل الله أن كل ذكر وله أثره الخاص على النفس، فمثلا (سبحان الله) لها أثر معين، وقولنا (الله أكبر) لها أثر آخر، وقولنا (يا كريم) لها أثر، وقولنا (كريم كريم كريم) لها أثر مختلف، وأيضا (الله الله الله الله) لها أثر وتجليات مختلفة، وقولنا (يا حي يا قيوم)، غير (حي قيوم) غير (الحي القيوم)، وكل هذا مكتوب تفصيلا في تجارب العابدين الأتقياء الأنقياء الأصفياء. وهنا نتعرض إلى التجربة، ودرجة الاعتماد عليها، وأنها اختيارية وليست مُلزمة، وفي ذلك يقول السيوطي في معنى الاختيار أنه أمر غير مأمور به عموم المسلمين، لكن يجوز لنا أن نقلد الآخرين في دعاء لطيف لا يخالف الشريعة، ولا يجوز فرضه على

الناس، وفصَّل ذلك في كتابه (تأيد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية) أن هذه الاختيارات معتبرة، وأنها جاءت إلينا من الوجود والتجربة، وأن أقواما توصلوا بها إلى مرادهم وإلى إحداث الشعور بالمجلى، أو التجلي عبر العصور وفي أماكن مختلفة، ولا يعرفون بعضهم البعض، وهذا أتى لهم من فكرة الحس، فمثلا النار محرقة، والطفل لا يعلم بذلك، ولكن لما اقترب منها تعلم ذلك وعرفه وأحس به، وكذلك أم الطفل، وأي إنسان آخر، ذكر أو أنثى، صغير أم كبير، وأيضا هذه النار للشواء والطبخ، وكل ذلك تعلمناه من الحِسّ والتَّكرار، فقام العلماء باستنباط قاعدة (النار مُحْرِقَة)، وللأسف يأتي من يشكك في هذا لأنه لم يضع يده في النار، حيث لم يقم بالتجربة بنفسه، وهنا قال العلماء: (فَقْد الوِجْدَان لا يلزم منه فَقْد الوُجُود)، فأنت لم تشاهد بلدا اسمها لندن، فهل معنى ذلك أنها لا توجد، أو لم تذهب إلى الحج، فهل معنى ذلك أنه لا توجد كعبة، حتى لو لم تشاهدها أو تسمع عنها، فالتجربة أثبتت الوجود، أما إن كان مخالفا للشرع فلا حاجة لنا به. والتجربة اختيارية وليست ملزمة، ودليلها التجربة ذاتها. وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة، وأهل التصوف السني، أهل الله الذين يريدون تطبيق الشريعة على أنفسهم، وعلى مجتمعاتهم، ويحافظون على السنة، ويُعلِّمون الناس السنة الحسنة، ويحذرونهم من السيئة، فالسنة السيئة هي التي تكِرُّ على الشريعة بالبطلان، فذلك معنى حديث مسلم «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» ، فمعنى: «كل بدعة ضلالة» أي: ما يكِرُّ منها على الشريعة بالبطلان، أما من جعل الكتاب والسنة مصدرا للمعرفة وسقفا للمعرفة، وجعل أيضا التجربة الوجودية سقفا للمعرفة ومصدرا للمعرفة، لم يجد أي تعارض بين الدين والعلم، ولا بين حقائق الأكوان ولا بين ما أنزله الرحمن فليس من البدعة السيئة في شيء بل هو مأجور له ولمن عمل بها.

ذكر القلب:

ولابد أن يعلم الذَّاكِر أن **ذكر اللسان هو الباب لذكر القلب**، وهذا يعني أن ذكر القلب في الحقيقة أهم من ذكر اللسان ولكن وإن كان في ذكر اللسان ثوابا إلا أن ذكر القلب هو المقصود الأهم، لأن الإنسان بوعيه وقلبه تتأثر سلوكياته، وبوعيه وقلبه يفعل الخير ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77]، وذكر القلب هو أن يستحضر الإنسان في عقله وفي نفسه معاني ما يذكر ،هذه المعاني الجليلة تجدها في معنى (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله)، وهذه المعاني الجليلة تجدها في أسماء الله الحسنى في جمالها وجلالها وكمالها، نضم إليها أيضا المعاني الجليلة التي تستقر في القلب عند ذكر آخر وهو تلاوة القرآن الكريم؛ فإن تلاوة القرآن الكريم تدرب الإنسان على ذكر القلب، وربنا سبحانه وتعالى يقول﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد:24]، فأمرنا أن نتدبر كتابه وأن نستمع إليه بوعي وأن يتلو هذا الوعي سعي في هذه الحياة الدنيا ،وذكر القلب هو ما يقع بين الوعي والسعي، وذكر القلب هو أن أفهم عن الله سبحانه وتعالى مرادَه، ثم بعد ذلك أنفذ هذا المراد، ولو أن القلب ذكر فإنه لا يمل بعد ذلك حيث ما شعر بحلاوة الإيمان وحلاوة الذكر، وحيث ما شعر بالأنوار التي تتلألأ في القلب فإنه لا يمل أبدا من الذكر. سيصل حينئذ إذا ما دخل في ذكر القلب وهو الوعي بمعاني الألفاظ التي يذكر بها في مجال التسبيح والتهليل، وذكر أسماء الله الحسنى، أو يذكر بها عندما يتدبر القرآن ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:24]، ينبغي علينا أن نزيل الأقفال التي على القلوب وأن نسمع القرآن وأن نفهمه فنفهم بذلك مراد الله سبحانه وتعالى، يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت:44]. من أراد أن يدخل القرآن للهداية فإنه يجده هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب، ومن أراد أن يدخل القرآن للمعاكسة فإنه يجد فيه عمىً لأنه في أذنه وقر ﴿وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًى﴾ [فصلت:44]، هو هداية ولكن للمتقين وليس لمن دخله مختبرا أو مشاكِسا أو مجادِلا أو معاكِسا هذا هو ذكر القلب.

ويستكمل مولانا بيان منهجه في هذا الخصوص، حيث يقول:

فذكر القلب يؤثر تأثيرا واضحا ومباشرا في سلوك الإنسان، ويؤثر في سلوك الجماعة، ويؤثر في سلوك المجتمعات، ويجعل الإنسان واعيا بمكانه في هذا الكون، واعيا بقضيته التي من أجلها خُلق، واعيا بمكان العبادة من العمارة، وبمكان العمارة من التزكية، وبمكان التزكية من العبادة فيكون قلبا واعيا، ولابد من ربط ذكر اللسان الذي هو مقدمةٌ وبابٌ لذكر القلب الذي هو المقصود الأهم من قضية الذكر التي أمرنا الله بها. والعلاقة بين الفكر والذكر في تربية نفس المؤمن هي علاقة تبادلية، الفكر في خلق السماوات والأرض يؤدي إلى ذكر الله سبحانه وتعالى، وذكر الله سبحانه وتعالى لابد أن يستحضر الذاكر المعاني المذكورة التي يقولها بلسانه لابد أن يستحضر معناها وأن يعيشها في كيانه من الداخل حتى تنعكس عليه آثارا اجتماعية وهو يتحرك في المجتمع في علاقاته مع الأفراد ومع أصدقائه ومع زملائه و.....إلخ.

ويأتي الحديث عن خصوصية **علاج النفس بالذكر**، حيث تأتي المرحلة الأولى من المنهج الذي يتخذه فضيلة مولانا الإمام العلامة، وهي مرحلة الحَضَّانَة، أو المرحلة التأسيسية، والتي يطلق عليها فضيلته (**مرحلة التمهيد**)، وكأن المريد في مرحلة يُخْشَى عليه من المؤثرات الخارجية، فلابد له من التحصين، والذي لا يتم إلا بالمداومة،

والاستمرار على أوراد تلك المرحلة وهي مجموعة ثلاثية تتكون من ذكر الأساس، والمسبعات، والوظيفة الزروقية، كموروث من السلسة المباركة، وأن لكل منها توقيت معلوم لا ينبغي الإخلال به، إلا في ظروف خاصة وبإذن الشيخ. ويقرر فضيلته أن هذه الأوقات المعلومة لكل ذكر إنما لكي يؤتي هذا الذكر ثماره، وهذه هي البركة الموروثة في كل الأوراد، فالحرص على المواقيت، والأعداد، والصيغ من المهمات المطلوبة، وفي أهمية الالتزام بالأوقات المحددة للذكر يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة: هناك الصباح، وهناك النهار، وكذلك هناك المساء، وهناك الليل، وكل له توقيته، وهذه التوقيتات لها ارتباطها العميق بالذكر. حيث يبدأ الصبح مع الفجر، أي مع أذان الفجر الصادق، أما المساء فيبدأ عند العرب عند أذان الظهر. فالقاعدة أن الأذكار تبدأ مع دخول وقتها، ولا يشترط انتظار الانتهاء من الصلاة للبدء فيها. وعلى ذلك فإن أذكار الصباح تبدأ من الفجر الصادق (أي أذان الفجر)، إلى أذان الظهر، وهذا غير الأوراد التي ذكر أهل الله أنها من أذان الفجر وقبل الشروق، وهي المسبعات. أما النهار والليل فهما غير الصباح والمساء، فالنهار يبدأ مع ضوء الشمس وهو الفجر أيضا، وينتهي في الغروب، وهو وقت الصيام، والليل من المغرب للفجر. والوارد عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه كان يذكر الأذكار في الصباح والمساء. ومن لم يستطع فعليه أن يتحدث مع شيخه، ليخفف عنه ما استطاع، عددا ووقتا وموعدا.

ويوضح فضيلته أن هذا التمهيد لابد للمريد من الاستمرار عليه دون انقطاع لمدة شهر كامل، ويوضح فضيلته أن ذلك مأخوذ من الشهر الذي طُلِب من سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حيث إن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يتم نسخه، وأنه بعد تمام هذا الشهر يستطيع المريد الانتقال إلى المرحلة التالية وهي ذكر التربية كما يطلق

عليها فضيلته، وهي ورد الأسماء الحسنى.

ولعل فضيلته يشير بكونه ورد التربية إلى ما يذهب إليه فضيلته من أن الأسماء الحسنى منظومة أخلاقية تنشئ سعادة الإنسان وهدوء باله واستقرار حاله تجعله مستجاب الدعاء تجعله عبدا ربانيا، حيث يقول فضيلته: إن الأسماء الحسنى هي محور المنظومة التربوية الأخلاقية القيمية التي مؤداها وهدفها الإحسان، ومن أحصاها أي من تخلق بصفات الجمال منها، وتعلق بصفات الجلال منها، وصَدَّق بصفات الكمال منها، وهو ذات المعنى المراد من التخلي والتحلي فيحدث لك بالتصديق التجلي، ولذلك فإن من يرفض التصوف، ويحاربه، كأنه أنكر أصل الدين، واختزل الدين في الظاهر، وفي الشعائر، حيث جعل الأمور كأنها أمور سلوكية محضة، لا روح فيها، ولا معنى فيها، والأمور أبدا لم تقف عند الرسوم أو عند الظاهر أو عند الألفاظ أو نحو ذلك. وأحد معالم أزمة عصرنا أن الأخلاق أصبحت نسبية، فلم تعد هنا كمنظومة أخلاقية، بل أصبحنا وكأننا من يعمل على إنشاء الأخلاق!

ويبين فضيلة مولانا الإمام العلامة مستويات الأسماء الحسنى في ورد التربية وأثرها على النفس الناطقة ومراتبها، فيقول فضيلته: للنفس حُجُب، واعلم أن بين العبد وربه سبعين حجابا من ظلمة ونور، وهي راجعة إلى العبد، لأن الله تعالى لا يحجبه شيء، والمراد من الحجب عند المحققين بُعد المُناسبة، فافهم، فإنه دقيق. ولا تعتقد أن الحجب أمور حسية ولا أن البعد بعد مسافة كما يفهم القاصرون، فإن الله تعالى منزه عن البعد والقرب الحِسِّيَّيْنِ وعن الجهة والمكان والزمان، وسلوك الطريق غرضه تمزيق تلك الحجب، وهي ترجع إلى السبعة المقامات، فالنفس في كل مقام محجوبة بعشرة حجب، الحجاب الأول منها أكثف من الثاني، والثاني أكثف من الثالث، وهكذا إلى العاشر،

وكذا كل حجب في كل نفس أكثف من حجب النفس التي بعدها إلى النفس السابعة.

وهذه النفوس السبع وتعلقاتها بما نسميه اللطائف الخمس عبارة عن منظومة متكاملة، تبدأ بالنفْس الأولى في الترتيب، وهي:

النفس الأمارة بالسوء، وهي النفس الناطقة، ومحلها الصدر، وحالها الميل، وواردها الشريعة، ومن جنودها الشيطان، وسيرها إلى الله تعالى، وعالمها عالم الشهادة، وذكرها (لا إله إلا الله)، وهو الاسم الأول في مجال الأسماء الأصول السبعة.

بعد ذلك تأتي النفس اللوامة، وهي التي تلوم صاحبها على فعل المعصية، أو على تخلفه عن الكمال، وسيرها إلى الله، وعالمها عالم البرزخ، ومحلها القلب، وهو أول اللطائف الربانية، وهي حقيقة الإنسان عند الأكثر، وحالها المحبة، وواردها الطريقة، وذكرها من الأسماء الأصول الاسم الثاني وهو لفظ الجلالة (الله)، ولها ارتباط بالقلب أيضا، ولكن هي على مشارف الروح، فبين النفس الأمارة والنفس اللوامة يقع القلب، وبين النفس اللوامة والملهمة تقع الروح.

أما النفس الملهمة ، فسيرها على الله، وعالمها عالم الأرواح، ومحلها الروح، وهي اللطيفة الثانية من لطائف عالم الأمر، وحالها العشق، وواردها المعرفة، وذكرها هو الاسم الثالث من الأسماء الأصول، وهو الضمير (هُو)، وليكن أولا بياء النداء ثم بدونها (يا هو هو هو).

والنفس الرابعة هي النفس المطمئنة وفيها يقع السر، وسيرها مع الله، وعالمها عالم الحقيقة المحمدية، ومحلها السر، وهو اللطيفة الثالثة من عالم الأمر، وحالها الطمأنينة الصادقة، وواردها بعض أسرار الشريعة، وذكرها الاسم الرابع (يا حق) بحرف النداء وبدونه.

وما بين المطمئنة والراضية والمرضية يقع الخفي، وما بينها وبين الكاملة يقع الأخفى. فالنفس الخامسة هي **الراضية**، وسيرها في الله، وعالمها عالم اللاهوت، ومحلها سر السر، وحالها الفناء، وليس لها وارد لأن الوارد لا يكون إلا مع بقاء الأوصاف، وقد زالت في هذا المقام الخامس، وذكرها اسم **(يا حي)**.

والمرتبة السادسة هي **النفس المرضية**، وسيرها عن الله، وعالمها عالم الشهادة، ومحلها الخفي، وهي اللطيفة الرابعة من عالم الأمر، وحالها الحيرة، وواردها الشريعة، وذكرها الاسم السادس **(القيوم)**.

أما النفس السابعة، فهي **النفس الكاملة**، وسيرها بالله، وعالمها كثرة في وحدة ووحدة في كثرة، ومحلها الأخفى، وهو اللطيفة الخامسة، ونسبة الأخفى إلى الخفي كنسبة الروح إلى الجسد، وحالها البقاء، وواردها جميع الأوصاف الحسنة للنفوس المتقدمة، ومفتاحها الاسم السابع **(القهار)**، وهو أعظم المقامات، وهو من أسماء القطب، وصاحب هذا المقام لا يفتر عن العبادة.

فكأن هذه الخمسة قد تخللت هذه السبعة فيما بينها، في المسافات البينية، مع أن الراضية المرضية - وهي كمرحلة واحدة - لها قسمين تعد واحدة فتخللت هذه اللطائف الخمسة في هذه النفوس السبع، وعرفنا أن **لا إله إلا الله، الله، هو، حي، قيوم، حق، قهار**، هي الأذكار المناسبة لها، وأن الطرق تختلف في هذا الترتيب وفي ترتيب الفروع أيضا طبقا لرؤى معينة، ومداخل معينة، وتجارب معينة كثيرة، ومن هنا تأتّى اختلاف الطرق فاختلاف الطرق هو اختلاف تنوع، وليس اختلاف تضاد وتناحر فيما بينها بل إن طريق الله واحد كما ذكرنا، مراتب النفس سبعة، واللطائف خمسة، والأسماء الأصول سبعة، ونريد دائما أن ننتقل من نفس إلى نفس، تلك النفس الأمارة بالسوء

يعلوها نفس لوامة تلوم صاحبها يعلو هذه النفس اللوامة نفس ملهمة، تريد أن تعلو بروحها وهناك أيضا المطمئنة، وهذه تتنزل عليها السكينة وتتنزل عليها الرحمات، ويتعلق فؤاد الإنسان حينئذ بقضية الاطمئنان والرضا عن الله سبحانه وتعالى، ثم بعد ذلك تتوالى هذه المنظومة في العمل، ومؤداها الذكر والفكر والتخلية والتحلية.

ويضيف مولانا بعض التفاصيل الدقيقة في معرفة **اللطائف الخمس**، وارتباطها بورد التربية (**الأسماء الحسنى**)، والتي لا تُدْرَك إلا على يد الشيخ، فالقراءة فيها لا تغني عن التجربة، والسير، فيقول فضيلة مولانا الإمام العلامة:

اللطائف الخمس، وهي: القلب، والروح، والسر، والخفي، والأخفى، يترقى فيها الإنسان، ويشعر بها في أماكن معينة في صدره، فيشعر بنحو برد في الصدر عند الذكر، ويشعر بلذة عجيبة غير موصوفة عند الذكر، ويشعر أيضا بأماكنها، وهي أماكن معروفة في الجسم، فيترقى مع تَرَقّيه في الذكر والإخلاص فيه، يترقى شيئا فشيئا من مرحلة إلى مرحلة. وإنه من الأدب مع الله ألا ينقل المريد السالك نفسه من مرحلة إلى مرحلة، بل يجعل الله هو الذي ينقله، ومن الأدب كذلك مع الله ألا يتشوف المريد إلى المرحلة الأعلى بل يرضى ويسلم. وإن من فوائد ذكر هذه اللطائف نقل التجربة الصحيحة للسالكين، لتنبيههم إلى ما قد يعرض لهم أثناء الذكر، حتى يكون الذاكر على بينة من أمره، فلا ينشغل عن ذكر الله ولا ينقطع عن الطريق بسبب تلك العوارض والأمور الحاصلة له. وجاء عن بعض أهل الله أن النفس والعقل والقلب والروح والسر أسماء لمسمى واحد وهو اللطيفة الربانية النورانية المودعة في هذا القالب الجسماني الظلماني، وإنما اختلفت أسماؤها باختلاف أحوالها، وأن هذه اللطائف الخمس لها تعلقات بعالم الملك، وعالم الملكوت، ولفهم ذلك ولشدة دقته وتشابكه احتاج السالك إلى الشيخ

المعلم المرشد الكامل الذي يصاحبه في الطريق ليوجهه، ويربيه، ويعلمه، ويدله على ربه، ويوفر عليه الأوقات والتجارب، ويحفظه من الدخول في اختبارات قد لا يصمد فيها في بعض الأحيان.

ومثل هذه الكلمات تبين المنهج الواضح الصريح لفضيلة مولانا الإمام العلامة، والذي يرتكز في كل محاوره ومجالاته على وجود الشيخ، وأن الشيخ ضرورة طبيعية وشرعية، يقتضيها السير في الطريق، فمن لا شيخ له يُخشى عليه من الظلمات والانتكاسات، ورغم كل هذا الاحتياط والتنبيه إلا أن من يأتي فضيلة مولانا الإمام العلامة وقد حدث له من التخبط والتشتت الكثير، تلقّاه فضيلة مولانا بصدر رحب واسع، ولا يتخلى عنه، بل يعمل على إعادة توجيهه وتربيته على أصول الطريق وأركانه، وبخاصة لو كان من الصوفية على العموم وغير المنتمين لطرق معينة، فلقد وهب الله تعالى فضيلة مولانا خاصية عجيبة غريبة شاهدناها فيه العديد من المرات التي تتجاوز حد التواتر، بل بلغ الأمر إلى وضوحها أمام عدد من الناس يتجاوز حد التواتر أيضا، وهو القدرة الروحية لفضيلة مولانا على التعامل مع المجذوب السالك، بكل سهولة ويسر كما يتعامل مع السالك المجذوب، فكل منهما في أحضانه، حتى المجذوب الذي انحلت عنه القيود إذ السبب الذي ترتب عليه المنع مفقود، والحمد لله على نعمة وجودنا في دائرة مولانا، فاللهم انقلنا من دائرة سخطك إلى دائرة رضاك.

الكتاب الرابع

مع سيدنا رسول الله ﷺ

وآل بيته الكرام

الكتاب الرابع

مع سيدنا رسول الله ﷺ وآل بيته الكرام

الباب الأول: مع سيدنا رسول الله ﷺ

- السيرة في حياة مولانا الإمام
- الكشف في رؤيته الصادقة، ورؤية الرسول ﷺ
- الصلاة على سيدنا النبي ﷺ
- كيف نحب سيدنا النبي ﷺ
- صيغ الصلاة على سيدنا النبي ﷺ
- دلائل محبة سيدنا النبي ﷺ
- نماذج مصطلحية: مصطلح صخرة الكونين

الباب الثاني: مع آل البيت عليهم السلام

- علاقة التصوف بآل البيت
- علاقة التصوف بالتشيع
- دور الصوفية في التقريب بين الشيعة وأهل السنة والجماعة
- خلاصة القضايا المتعلقة بآل البيت والتصوف

الباب الأول: مع سيدنا رسول الله ﷺ

لفضيلة مولانا الإمام العلامة علاقة خاصة مع سيدنا رسول الله ﷺ يلحظها كل من يلقى مولانا، أو يجالسه، أو حتى يستمع إليه من غير مشاهدة، بمعنى أنه في كل وقت ومكان وزمان لابد وأن يجد المرء هذه العلاقة الخاصة مع سيدنا رسول الله ﷺ حيث يطمئن المتعامل مع فضيلة مولانا إلى هذا التعامل؛ لأنه متأكد بدرجة يقينية أنه يتعامل مع وارث محمدي، يربِّت عليه ويحنو، من قلب واسع رحيم محب. وتبدأ هذه العلاقة الفريدة مع السيرة النبوية الشريفة، وصولا إلى الرؤية الشريفة.

السيرة في حياة مولانا الإمام:

يخبرنا فضيلة مولانا الإمام العلامة حول عدم التوفيق إلى شيخ، أنه تقرر لذلك الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ فأمرها مفتوح؛ لأنها هي التي تحل حتى محل الشيخ نفسه، حيث قال السادة: إن من لا شيخ له يصلي على سيدنا النبي ﷺ ألف مرة يوميا على الأقل، وأن من يريد الوصال والاتصال الدائم مع سيدنا النبي ﷺ فعليه بذلك أيضا.

ثم بين فضيلته أن من الوسائل المساعدة أيضا قراءة السيرة النبوية كثيرا، وبخاصة «الأنوار المحمدية» لسيدنا الشيخ يوسف النبهاني وهي اختصار للمواهب اللدنية للقسطلاني وشرحها للزرقاني.

وكذلك شرح فضيلته أن من علامات حب سيدنا رسول الله قراءة سيرته العطرة، ووجه الكلام إلى المريدين قائلا: اقرأ أيها المريد السيرة قراءة كثيرة جدا مع الاتباع حتى تصل إلى مرحلة الإدمان والشوق والاشتياق والتي سوف تؤدي بك إلى حب سيدنا النبي ﷺ فهي مسألة مهمة للغاية، وفيها سوف تطّلع على الإنسان الكامل، ولابد من الانتباه إلى أن السيرة تختلف عن السُّنَّة، فلو قرأت الأحاديث وعشت فيها تشعر كأنه ينقصك شيء، وهي السيرة، فالسيرة تجعلك تربط بين الأحداث، وتربط بين المواقف، وترى الحياة على ما هي عليه، ولذلك فننصح بقراءة السنة من خلال السيرة وأن تقرأ السنة مع السيرة.

الكشف في رؤيته الصادقة، ورؤية الرسول ﷺ:

ولقد تُوِّجَت هذه العلاقة بما حكاه فضيلة مولانا بنفسه - وقد ذكرناه سابقا ونكرره هنا للمناسبة وتماما للفائدة - عن رؤيته لسيدنا رسول الله ﷺ يقظة، فعندما سأله البعض عن رؤيته بسيدنا رسول الله ﷺ قال: أَمَّا عَنْ تَجْرِبَتِي الشَّخْصِيَّة فَكَانَت عِنْدَمَا تَفَرَّغْتُ لِقِرَاءَةِ السِّيرَةِ الشَّرِيفَة، حيث قَرَأتُ حَوَالِي 30 كِتَابا، فَاسْتَغْرَقَتْنِي، وَغَرِقْتُ فِي الأَنْوَار، وَصِرْتُ (غَرِيقَ النُّورِ) لأَنِّي عِشْتُ حَيَاةَ سَيِّدِنَا النَّبِيِّ ﷺ، فَعِشْتُ دِينَ النَّبِيِّ ﷺ الذي تَجَاوَزَ الزَّمَانَ والمكَانَ والأَحْوَالَ والأَشْخَاص، ومَنْهَج النَّبِيِّ ﷺ وليس زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَأَيْتُه ﷺ مُتَتَابِعًا أي مَرَّات مُتَتَالِيَة، رَأيْتُه مَرَّات.

ولما كَذَّبَ البعضُ هذه الرؤية في اليقظة التي امتن المولى جل في علاه على شيخنا بها، قال لهم: ولماذا أكذب، سألتموني فأجبت بما حدث، رأيتُه والحمد لله رب العالمين.

ولفضيلة مولانا الإمام العلامة حال في علاقته بسيدنا رسول الله ﷺ لاحظه الفقير منذ زمن بعيد ولكنه كتمه ولم يفصح عنه إلا للمقربين، بل سَرَى فيه حتى تشبع به تأسيا بشيخه، ثم اسمع إلى فضيلة مولانا الإمام العلامة يقول عن هذا الحال: عندي حال، أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يقبله وأن يجعله علامة للرضا ، عندما أذكر سيدنا رسول الله ﷺ أو يُذكر أمامي تدمع عيني، حتى في أثناء الخطبة عندما تأتي السيرة الشريفة أو الحديث فلا أملك نفسي، وأحاول أن أضغط على نفسي كي أكتم ذلك لأن الناس تريد أن تستمع إلى الخطبة وليس أن تسمع لي وأنا أبكي، لكن هذا حال مما مَنَّ الله به عليّ.

ومن كلمات مولانا التي تأثر بها الملايين حيث دمعت عيناه تأثرا وانخفض صوتا

باكيا، إجابته عن سؤال خاص جدا، ماذا كنت تفعل لو كنت حاضرا يوم أن دخل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم المدينة المنورة مهاجرا لله؟ فقال: (لو كنتُ حاضرا في ذلك اليوم، لاختفيت، وراقبته من بعيد، لأن النظر إليه والإحاطة به لا تكونُ إلا للكُمَّل).

أما عن **علاقة التصوف بسيدنا رسول الله ﷺ وآل بيته** فهي علاقة خاصة أيضا ترتكز على المحبة، وتظهر آثارها جليا في كثرة الصلاة عليه ﷺ والإبداع في مدحه ﷺ، انتقالا من الأخلاق إلى الأشواق، إلى الأذواق، وهذا هو جوهر منهج فضيلة مولانا ومنه تنبثق معالم حياة الصوفي التي ينشدها فضيلته.

وفي ذلك يطرح مولانا مجموعة من الموضوعات، منها بيان كيفية حب سيدنا النبي ﷺ، وصيغ الصلاة عليه ﷺ، ودلائل محبته ﷺ، بالإضافة إلى شرح بعض المصطلحات المتعلقة بذلك، على النحو الآتي:

الصلاة على سيدنا النبي ﷺ:

يوجه فضيلة مولانا الإمام العلامة الأمة إلى أهمية الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ كونها عصب المنهج الصوفي، ومنها الاستمداد في كل الأحيان، فيقول: نحن نصلي على سيدنا النبي ﷺ في كل وقت وحين، وعندما نذكر نصلي على سيدنا النبي ﷺ، ومن لا شيخ له فعليه أن يصلي على سيدنا النبي ﷺ، ولكي نحفز الناس نعقد مجالس للصلاة على سيدنا النبي ﷺ ونلهج بمديحه، وهكذا، لأنه بابنا إلى الله، فهو الذي قال فيه ربه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:21]، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:31]، وقال﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:7]؛ لأنه هو إمام المرسلين، ولأنه هو خاتم النبيين، ولأنه هو إمام الحضرة القدسية، ولأنه هو إنسان عين الحضرة القدسية، أي أنه هو الذي نرى به مراد الله، ونرى به رضا الله، ونرى به طاعة الله سبحانه وتعالى، وكما يقول أهل الله هو باب الخلاص وسبب الخلاص، أي لا نخلص عند الله إلا به، فإذا كان هذا شأنه ﷺ عند ربه، وعندنا، وإذا كان ربنا هو الذي أمرنا بأن نصلي عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:56]، والصلاة كما أن لها لفظ، فإن لها معنى، والمعنى يُستنبط من الكتاب، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:65]، لو قارنتها بين آية ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:56]، وكلاهما قد خُتِم بالتسليم لعرفت أن الصلاة عليه معناها هو: اللجوء إليه ﷺ في كل دقيقة وجليلة، وأنه ﷺ هو الذي لا يكون الإيمان إلا بالإيمان بما جاء ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

بَيۡنَهُمۡ﴾، حيث يُقسم رب العزة، ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾، فلا بد أن نحكِّمه ﷺ فيما شجر بيننا.

ولما كان الأمر يتطلب بيان مفهوم **الحضرة القدسية**، قام فضيلة مولانا الإمام العلامة بتبسيط معناها فقال: والحضرة القدسية: هي هذه الحضرة التي تعبد الأرواحُ فيها ربَّها، وقدسية: أي مُطَهَّرَة، وإمامها هو النبي ﷺ، فإذا كان الإنسان في مثل هذه الحضرة فإنه ينظر إلى النبي ﷺ ماذا يفعل، فإذا كان مشتغلا بالصلاة يصلي مثله، أو بالذكر فيذكر مثله، أو ساكت فيسكت، فهو إنسان العين، يعني الذي نرى به أحوالنا. هذا الكلام مجاز نطبقه على شريعته، وعلى سنته، وعلى اتباعه في الدنيا، فنرى في أي موقف ما الذي فعل النبي ﷺ فنفعل مثلما فعل، وبماذا أمر النبي ﷺ فنأتمر بما أمر، وماذا زجر عنه النبي ﷺ فننزجر عما زجر، وهكذا.

كيف نحب سيدنا النبي ﷺ؟

في هذا المجال يذكر فضيلة مولانا الإمام العلامة قول الإمام الشافعي:

تَعصي الإِلَهَ وَأَنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ .. هَذا مَحالٌ في القِياسِ بَديعُ
لَو كانَ حُبُّكَ صادِقا لَأَطَعتَهُ .. إِنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيعُ

فهناك شعور عاطفي قد يكون هذا مِنَّة مِنْ عند الله، لكن هناك إجراءات يمكن أن تتبع للوصول إلى حبه ﷺ، قررها فضيلة مولانا قائلا:

1) الاتباع، فلو أنك اتبعت النبي ﷺ القليل والكثير فهذا هو نوع من أنواع الحب، وما يقرب إلى الحب.

2) الثاني: قراءة سيرته، فالسيرة تجعلك تربط بين الأحداث، وتربط بين المواقف، وترى الحياة على ما هي عليه، ولذلك فننصح بقراءة السنة من خلال السيرة ومع السيرة.

3) أيضا من الأسباب المؤدية إلى الحب الصلاة، وكثرة الصلاة على النبي ﷺ وهنا سنرجع مرة أخرى إلى أن التجربة التي قد حصلناها من الصالحين عبر القرون.

ثم يعرج فضيلة مولانا الإمام العلامة إلى تجارب الصالحين في ذلك وأنها من أصول المنهج الصوفي، فقال إن أحدهم صلّى على النبي صلاة معينة فرأى النبي ﷺ في المنام وهو يخبره بأنها توازي 50 ألف صلاة، وأنه عندما نأتي بها فكأننا ذكرنا النبي ﷺ 50 ألف مرة. وهناك أيضا الشيخ التازي قال: (اللَّهُمَّ صَلِّ صَلاَةً كَامِلَةً، وَسَلِّمْ سَلاَمًا تَامًّا، عَلَى نَبِيٍّ، تَنْحَلُّ بِهِ الْعُقَدُ وَتَنْفَرِجُ بِهِ الْكُرَبُ وَتُقْضَى بِهِ الْحَوَائِجُ وَتُنَالُ بِهِ

الرَّغَائِبُ وَحُسْنُ الْخَوَاتِيمِ وَيُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَعَلَى آلِهِ)، وسميت بالصلاة التازية نسبة إلى قائلها، وعندما نصلي بها نجد أن الله تعالى يفرّج، ومن ذلك:

وجدنا شخصا عليه شيك في المحكمة فقرأها وإذ بالقاضي يحكم بالبراءة وصاحب الشيك يتنازل عن الدَّين، وآخر زوجته تحتضر في المستشفى فإذ بالزوجة تخرج من المستشفى سليمة معافاة، فقام أهل الله بإطلاق (الصلاة النارية) عليها، فهي في سرعة نجدتها كالنار في الهشيم، وهو لم يأتِ بها من الكتاب، أو من نصوص السنة، بل من الوجود، من الشعور من قلبه، من حبه، ولقد وضعناها في أذكارنا وأورادنا، وبخاصة في الحضرة الصديقية الشاذلية ومجالسنا للصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ.

صيغ الصلاة على سيدنا النبي ﷺ:

تحدث فضيلة مولانا الإمام العلامة عن أهمية الصلاة على سيدنا النبي ﷺ، وبعض الصيغ المأخوذة من تجارب العارفين، ثم خصص الحديث عن سمات الصديقية الشاذلية، حيث بين أن الشيخ الجازولي قام بتأليف (**دلائل الخيرات**)، جمع فيها صلوات الصالحين على النبي عليه الصلاة والسلام. وكذلك جاء الشيخ الهاروشي الفاسي وجمع صلوات، كل منها لها وزن بعدد خاص بها، فمنها ما يوازي 50 ألف، ومنها ما يوازي 70 ألف، وثالثة توازي 100 ألف، وهكذا، وذلك في كتابه (**كنوز الأسرار**)، وممن كان يقرأها يوميا الشيخ عبدالفتاح القاضي، ولما ينتهي منها يعيد قراءتها، ويقول: (هذا أقرب إلى الوصول إلى الله سبحانه وتعالى)، فهذا الكتاب العجيب سبب في حب النبي ﷺ. وعموما فكنوز الأسرار فيه 58 صلاة منهم 12 صلاة في الدلائل والباقي متفرد. وهذه الصلوات منها واحده واردة عن النبي ﷺ، والباقي لم يرد عن النبي ﷺ، بل من المجربات، فكما قلنا سابقا إن كتاب الله المنظور هو مصدر للمعرفة، وأن هذه مجربات، وما يلحق بها من الأعداد جاءت من رؤًى، وهذه الرؤى صحيحة ليست لأن من رآها معصوما، ولكن ما حدث هو أن بعض أهل الله مثل الشيخ عبدالفتاح القاضي رحمه الله تعالى وبهذه الصلوات وجد فتوحا عجيبة غريبة جدا، وسبق أن ذكرنا أن الشيخ عبد الفتاح القاضي لم يكن له شيخ، فلما حدثت له هذه الفتوحات ووصل إلى درجات عليا جدا من الوضوح ومن الفتح ومن الكشف ومن الأدب مع الله خاف على نفسه، فقرر الذهاب فورا إلى الشيخ محمد عبد الوهاب الحصافي، وطلب منه الطريق، وعند دخوله على الشيخ الحصافي رأى الشيخ الحصافي على وجه الشيخ القاضي نورا من أنوار أكابر الأولياء، قال له: يا بني،

أي طريق تطلبه، أنت من كبار الأولياء، فقال له الشيخ القاضي: ليس لي سند! ففهم الحصافي ما يريده القاضي، فأعطاه الطريق، وصار شيخه ظاهريا، وفي الحقيقة فلقد ذهب الشيخ القاضي كاملا إلى الشيخ محمد عبدالوهاب الحصافي، وطلب الحصافي منه أذكارا معينة فقال له القاضي: قمت بها بالفعل.

وهنا لابد من النظر إلى توفيق الله سبحانه وتعالى أنه أسنده وجعل له شيخا يفتح له بركة الإسناد.

ودائما ما يستجيب فضيلة مولانا الإمام العلامة لمن يسأله عن معنى صيغة من الصيغ المستخدمة للصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ مبينا أنه لا توجد صيغة للصلاة على سيدنا وبها أي كلمة أو لفظ من ألفاظ الشرك والعياذ بالله، إنما هناك من الألفاظ ما لا يفهمه البعض، فيأتي دوره في شرح هذه الألفاظ، ونضرب لذلك مثالا لصيغة (**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى النُّورِ الذَّاتِي وَالسِّرِّ السَّارِي فِي سَائِرِ الأَسْمَاء وَالصِّفَاتِ**)، حيث قال فضيلة مولانا الإمام العلامة:

النور الذاتي: أي أن نوره لا يستمده من أحد بل جعله الله سبحانه وتعالى سراجا منيرا كما نص عليه في القرآن الكريم، فهو نور، ونور ذاتي: أي خِلْقِيّ، أي خلقه الله تعالى من نور. **والسر السَّارِي في سائر الأسماء والصفات والمعاني**: أي أن سيدنا النبي ﷺ قد تَخَلّقَ بأخلاق الله التي هي أخلاق الجمال، فهو رحيم، وهو عفو، وهو غفور، وهو تواب، وهو مؤمن، وهو مهيمن، وهو رؤوف. وتعلق بصفات الجلال، فهو يتعلق بالله سبحانه وتعالى أنه المنتقم الجبار العظيم الشديد القوي... وهكذا.

فهو يتخلق بما يتخلق به المؤمن ويتعلق بما يتعلق به فكان تامّ الصفات. أي أن

سيدنا رسول الله ﷺ أظهر في أخلاقه الكريمة صفات الله سبحانه وتعالى استجابةً لأمره وسعيا لرضاه وتعلقًّا بمنة الله عليه فهو الحنان المنان فكان ﷺ يحنُّ على الناس وعلى البشر وعلى الأطفال وعلى النبات وهكذا.

فإذا أردت أن تعرف معنى أن الله تعالى رحمن، فانظر إلى سيدنا رسول الله ﷺ، وكذلك إذا أردت أن تعرف معنى أن الله تعالى منتقم جبار فانظر إليه ﷺ، فهو يتعلق قلبه بالله تعالى، فالله تعالى يحفظه ويدافع عنه ويعصمه من الناس وينصره ويفتح عليه فتحا قريبا، ومن ناحية أخرى فإن جبار فيها صفة الجلال والجمال معا، أي جبر الخواطر، فهو يجبر الكسر.

والمعنى أنه إذا أردت أن تفهم أسماء الله اقرأ السيرة النبوية وأنت ترى كيف تجلَّى بأسمائه وصفاته على عبده هذا فكان هو الإنسان الكامل.

وهنا يتضح واحدا من أهم ملامح منهج فضيلة مولانا، وهو عدم التسرع بنفي أي لفظ أو كلمة أو الحكم عليها إلا بعد الرجوع إلى أهلها وبيان معناها المراد ومن ثم تجنب اتهام الناس بالشرك. ومن ناحية أخرى أن منهج مولانا يرتكز على عصمة النبي ﷺ وحفظ الله تعالى له ولكل ما اتصل به حيث لا يدخله الشرك فيطمئن الناس في علاقتهم بسيدنا النبي ﷺ وبخاصة بصيغ الصلاة عليه.

دلائل محبة سيدنا النبي ﷺ:

وفي هذا الأمر يأخذ فضيلة مولانا الإمام العلامة بأيدي أهل الله إلى أبواب الملأ الأعلى، فيبين أن القلب هو مناط البيان لمدى حبنا لسيدنا النبي ﷺ. والطرق الصوفية تحب سيدنا النبي ﷺ، وترى أن حبه هو ركن الإيمان، وأنه لا يكمل للشخص إيمان إلا بحبه، وكافة الطرق الصوفية التي في المدينة المنورة تصب كل حبها في سيدنا النبي ﷺ ولذلك تجدهم مُعلقين بالمسجد، والقبر الشريف، والروضة الشريفة، وبآثار النبي ﷺ، وكذلك سائر الطرق الصوفية في كل مكان، مثل تركيا يتعلقون جدا بآثار النبي ﷺ التي حافظت عليها الدولة التركية، ويسمونها (الأمانات المقدسة)، وترى الجميع متعلقا بهذا لأنه ليس في تركيا من أهل البيت أحد، ففيها سيدنا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فيتعلقون بها بالصحبة لأنه صاحب النبي ﷺ.

هناك مراحل يمر بها المحب حتى يتحقق بكمال الحب فهناك ما يسمى بالأخلاق وهناك ما يسمى بالأشواق وهناك ما يسمى بالأذواق، فإذا وجدت في قلبك أنك تسعى أن تكون في أخلاق النبي ﷺ، مع الأدوات السابق ذكرها (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ)، فتعمل على قراءة السيرة، وقراءة السنة، والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، واتباعه في كذا، إلى آخره، فدفعتك هذه الأخلاق إلى الأشواق، فتجد قلبك مشتاق ولا حيلة لك فيه، ولا تستطيع أن تطلب بعد ذلك برهانا، فتقول أنا مشتاق لرؤية النبي، ومشتاق للصلاة على النبي، وقد أدمنت هذه الصلاة على النبي، ولا تستطيع أن تتوقف عن الصلاة عليه أو تتركها، ومشتاق لقراءة السيرة والمعرفة أكثر، ومشتاق لزيارة النبي عليه الصلاة والسلام، شوق عارم، وهكذا، وأن هذه الأشواق

تجر الإنسان إلى حالات مع الله سبحانه وتعالى، وأن هذه الحالات قد يعجز اللسان عن وصفها، لأنها حالات خاصة، واللغة إنما وضعت للشعورات العامة، وبها كلمة حزن وكلمة فرح وكلمة ضيق وكلمة انبساط وهذه كلمات عامة نمر بها جميعا، ولكن هناك معانيَ ومشاعر ليس لها مقابل في اللغة العربية حتى تصفها، فمن هنا سنصل إلى مرحلة الأذواق، وهذه مرحلة مهمة جدا في التصوف لأن من حاول أن يكتبها بلغة العرب قصد بهذه الكلمات رموزا للتعبير عنها فقط وليست لدلالة على حقيقتها، لأنه لا يعرف حقيقتها إلا من جاء له نفس التذوق ونفس الذوق هذا، ولذلك قالوا: (من ذاق عرف، ومن عرف اغترف). وفي هذه المرحلة يقول أهل الله كتبنا حرام على غيرنا، أي لا يقرأها الناس، لما قد يصيبهم من فهم خاطيء عند الوقوف على ظاهر الألفاظ، وهنا ينتقل الأداء في التصوف السُّنِّي إلى التصوف الفلسفي، ولذلك جاء النهي أن نقرأ في التصوف الفلسفي، وأنه إذا حدثت لشخص مثل هذه الأذواق فيكون لنفسه أو لمن يفهمه، لا نحتقره ولانشتمه ولانعلن الحرب عليه، أبدا. فالانتقال من الأخلاق، إلى الأشواق، إلى الأذواق، هو بيد الله سبحانه وتعالى، إلا أنه يجب علينا أن نتخلق بخلقه ﷺ الكريم، فنشتاق إليه، فتحدث لنا الأذواق، فيحدث لنا الكتم، ونتحقق بحديث الديلمي «مَن عشق فعفّ فكتَم فمات فهو شَهيد».

نماذج مصطلحية: مصطلح صخرة الكونين:

هناك العديد من المصطلحات التي يستخدمها الناس وبخاصة أهل الله في علاقتهم مع سيدنا رسول الله ﷺ بعضها لا يدركه العوام، بل قد يحدث لديهم لبسا في فهمها، ومن ثم قرر فضيلة مولانا الإمام العلامة فتح هذا الملف شارحا لهذه المصطلحات، ومنها على سبيل المثال مصطلح (**صخرة الكونين**)، فقال: هذا المصطلح لا يختص بالصوفية، وحدهم، بل عند المسلمين كلهم، حتى بعض أعداء الصوفية يستعملون هذا المصطلح ويقولون (النبي ﷺ هو صخرة الكونين)، فهو مصطلح لا اعتراض عليه من أحد. والمعنى يتلخص في أن هناك بعض الناس عندما نأتي نستند عليهم نجدهم كالحائط المائل (كما في الأقوال العامة بين الناس)، ولا يستطيعون خدمة أي أحد، لكن عندما نستند على سيدنا النبي ﷺ وسنة النبي وشريعته نجد مثل الصخرة فتستند عليها البشرية جمعاء. فكل البشر لو ذهبوا إلى سيدنا رسول الله ﷺ يطلبون الهداية، أو يعتمدون عليه في مواقفه، وفي أخلاقه، وفي عطائه، وفي إرشاده، وفي هدايته لوجدوا صخرة يعتمدون عليها. ولابد من أن نعلم أن الجن أيضا في ذلك كالبشر، لأنه أُرْسِل ﷺ إلى الكونين (كَوْن البشر وكون الجِن)، بل والملائكة إذا استندت إلى هدايته، لوجدته خير مستند. فالكونين عالم الغيب وعالم الشهادة، أي عالم الملك وعالم الملكوت، فمن أراد من أهل عالم الملك، ومن أهل عالم الملكوت، بل ومن الملإ الأعلى، أن يجد المستند الذي يستند ويعتمد عليه لوجده في رسول الله ﷺ، وهذا المعنى متفق عليه من جميع المسلمين لم ينكره أحد، ولذلك فاللهم صل على صخرة الكونين ﷺ بمعنى أن سنته، وأن دينه، أو شريعته، وأن هديه المبارك الشريف، يكفي العالمين، عوالم الإنس والجن وأيضا الملائكة، وكل المخلوقات لأنه سيد الخلق ﷺ ويقول عن نفسه الشريفة

كما في صحيح مسلم «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلا فَخْرَ»، فهو لا يفتخر، فهو يخبرنا مراد الله، ولذلك سُمي بالمصطفى لأن ربنا اصطفاه وفضله، ويقول ﷺ كما في مسند أحمد «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي»، فهو ﷺ مستند العالمين ووصفه ربه فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]، والعالمين في كل زمان ومكان، ولدينا حديث الشفاعة الكبرى يوم المحشر، ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:47]، فيخفف المولى جل في علاه هذا اليوم إلى النصف، فيكون 500 عام فقط بشفاعة سيدنا النبي ﷺ. وفي البخاري «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لا يُطِيقُونَ وَلا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام . . . ثم ذكر الحديث إلى قوله: فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»، أي يحدث هذا حتى يذهب الناس إلى النبي ﷺ ومن هنا جاءت الآية الكريمة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]، فيحدث الحوار ويصل بالناس إلى (وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي)،

ويأتي الرد الإلهي (يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ)، وهذا هو معنى صخرة الكونين، رحمة العالمين، فهذا هو الحال العالي لسيدنا النبي ﷺ، وهو بابنا جميعا وبابنا الوحيد الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى، فقال لنا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:21]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:31]، وقال أيضا تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر:7]، فنحن إذن أمام خير معتمد، وخير مستند، وخير نبي، وأنه بابنا إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا المراد من قولنا: صخرة الكونين.

الباب الثاني: مع آل البيت عليهم السلام

علاقة التصوف بآل البيت:

يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة إن التصوف قد ارتبط بحب آل البيت وإقامة الموالد وحلقات الذكر، مما ساعد على جذب المريدين إلى محبة المساجد والمقامات، وهو الأمر الذي أسهم في بلورة الإسلام الوسطي وتشكيل الهُوية الدينية، وهذه المحبة لا يشترك فيها الطرق الصوفية والشيعة فقط، بل إن المسلمين جميعا على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم العقائدية والفكرية يشتركون في محبتهم لآل البيت رضي الله عنهم. فمحبة آل البيت أمر فطري وطبعي عند المسلمين، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصانا بحب آل بيته رضي الله عنهم أجمعين، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى:23].

كل المسلمين يحبون أهل البيت ويعظمونهم تعظيما شديدا لشدة حبهم وتعلقهم بالنبي ﷺ، وأن التعلق بأهل البيت ليس مقصورا على طائفة دون طائفة، ولا على مرتبة دون مرتبة، فكل المسلمين يحبون أهلَ البيت، ولم نرَ منهم من يعادي أهل البيت إلا النواصب الذين ناصبوا أهل البيت العداء، وهؤلاء كانوا على حالة الذم من كل العلماء من أهل السنة والجماعة.

علاقة التصوف بالتشيع:

ولما كان موضوع آل البيت له حساسية معلومة عند المسلمين كافة عموما، وعند السادة الصوفية بخاصة، قرر فضيلة مولانا التأكيد على نفي أي علاقة للتصوف بالتشيع، فقال فضيلته: وهنا نرى أن التشيع ليس فيه طرق صوفية على الإطلاق، ففي العراق لا نجد أي طرق صوفية عند الجعفرية، أو الزيدية، سواء كانت مثل طرق أهل السنة والجماعة (الشاذلية والرفاعية والنقشبندية والأحمدية، وهكذا) أو حتى غيرهم، فلا يوجد شخص شيعي نسأله عن طريقته إلا ويقول لك لا يوجد عندنا هذا الأمر، وهنا لابد من انتباه الدارسين إلى أنه لا توجد صلة على الإطلاق، ولو كان هناك أدنى صلة لكانت الشيعة تسمح بالتصوف. ومن يدعي أن التصوف جزء من التشيع أو العكس فليأتي بدليله، فالواقع أمامنا كما بيناه: من كان شيعيا لا يمكن أن يكون صوفيا، والعكس صحيح.

وسر هذا الارتباط الوهمي الذي شاع في أذهان البعض (وهم مشوشون)، من أمثال الدارس العراقي الشيعي الذي اسمه مصطفى الشيبي الذي ألف كتابا اسمه (الصلة بين التشيع والتصوف)، ونشرته له دار المعارف المصرية، وهو كتاب ألف بالطريقة العلمانية وهي طريقة المقارنات، مثل أن الصوفية تحب آل البيت وكذلك الشيعة، وأن الصوفية تقول بأن هناك أسرارا وكذلك الشيعة، وذلك كلام غير علمي ومضحك للغاية، فكتاب على طريقة المقارنات المضحكة، وهذا من الخلل، كمن يقول لك إن المسيحية أخذت من الهندوكية، وذلك - في زعمه الباطل - أنه الهندوكية لديهم فشنو، ومشنة، وكرشنا[1]، والمسيحية فيها الأب والابن والروح القدس، وهذا كلام مضحك لا يصل

(1) وهي ثلاثة أقانيم لإله واحد، فإن كرشنا عندهم هو المسيح في عقائد النصارى وأحد أقانيم التثليث.

بنا إلى أي حقائق، كمن يقول إن الإسلام يدعو إلى التثليث لقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:1-4]، فتجد من يرد عليه ويقول له بل لقد نسيت البسملة (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فتكون أكثر من التثليث! ومن لا عقل له يقول لك بل هم 16 لأن آخر سورة الحشر بها 16 صفة!... وهكذا، فكر عجيب غريب مردود من المنهج!! ويأتي هذا المختل ويقول لك إن الشيعة عندهم أسرار والصوفية عندهم أسرار وبذلك يكون هناك علاقة بينهما، وإذا طبقنا كلامه سوف نجد أن طائفة البهرة لديهم أسرار، وكذلك الباطنية، والدروز، فهل معنى ذلك أن هناك علاقة بين كل هؤلاء؟!

فإذن ففي الحقيقة هذا كلام باطل من المنهج أصلا، أي من قبل أن نتحدث في التفاصيل أو نتناولها بالبحث، فالمتشابهات التي تتم بين الأديان قد تكون موجودة بالفعل، ومن ذلك ما ذكره ورقة بن نوفل لما سمع سيدنا رسول الله ﷺ إن هذا لشبيه بالناموس الذي نزل على موسى ولئن كنت جذعا قويا وقت أن يخرجوك، والحديث في الصحيحين عن حديث عائشة – رضي الله عنها - قالت: «فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَا قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ

أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ»»، والسؤال (أَوَمُخْرِجِيَّ)، لأن هذه سنة الله في الأنبياء (لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ)، فهذه المتشابهات موجودة بالفعل، إلا أنه للأسف أيضا جاء واحد مسيحي فأخذ ذلك التشابه، وقال إن ورقة هو الذي علَّم محمد المسيحية حتى ينشرها في صورة الإسلام!!!

وهنا لابد من أن نؤكد أن هذا خطأ في المنهج، فالقضية أن ورقة شعر وأحس بمماثلة بين هذا الذي يخرج من الفم الشريف لسيدنا رسول الله ﷺ وبين ذلك النور الذي كان يخرج من موسى، لأنهما يخرجان من مشكاة واحدة، وهي الوحي الإلهي، وهكذا لسائر سادتنا الأنبياء والمرسلين. والخلاصة أن بعض المشابهة لا تستلزم إطلاقا اتحاد المنهج، ولا اتحاد الفكر، ولا اتحاد المشرب، ولا اتحاد الهدف، ولا أي شيء من هذا القبيل، وكأنه أبين من البينات، وأوضح من الواضحات.

دور الصوفية في التقريب بين الشيعة وأهل السنة والجماعة:

ولما كان الحديث قد اتضح حول النفي القاطع لأي علاقة بين التصوف والتشيع، كان لزاما أن يوضح فضيلة مولانا الإمام العلامة الدور المهم الذي يمكن أن تلعبه الصوفية في التقريب بين الشيعة وأهل السنة والجماعة، فقال: إن الأرضية المشتركة التي بين الصوفية والشيعة حبُّ آل البيت، والنبي ﷺ يقول: تَرَكتُ فِيكم الثَّقلين، ما إن تمسَّكتُم بهما، لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ، وعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي. وهو ﷺ يقول هذا وهو يرى أبناءه يموتُ الواحدُ فيهم إثر الآخر، ويرى بناته يمُتن أمامه، فماتت رقية، وأم كلثوم، وزينب، حتى إنه أخبر فاطمة عليها السلام - وكلمة عليها السلام كلمة الإمام البخاري - أنها أقرب أهله لحاقا به، فهو يعرف هذا. وهنا لابد من البيان، فكيف يقول مثل هذا الحديث، ولو كان هذا من عند غير الله ما تجرّأ أن يقول (وعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي)، لأن أهل بيته ماتوا في حياته، فهي معجزة لأنه هذا ليس من عنده، وإنما من عند الله، ولم يكن بيد سيدنا محمد ﷺ وهو سيد الخلق الحبيب المجتبى أن يحافظ على أبنائه هذه المحافظة الغريبة العجيبة التي هي من علامات نبوته، فنرى نسل الحسين رضي الله تعالى عنه يَهْلَك، ونسل الحسن بعد أن تزوج كثيرا يهلك أيضا، وينحصر النسل الشريف في عليّ زين العابدين، وفي زيد الأبْلَج، وفي الحسن المُثَنَّى، وكأنه رسالة ربانية تقول: كنت قادرا على أن أفني كل هذه العترة الكريمة، بل كنت قادرا على أن أفني المسلمين أصلا، ويُذكر اسمهم في التاريخ فحسب. كان الله تعالى قادرا على أن يُخْفِي قبر سيدنا النبي ﷺ، وأن يُذهب كتابَه، ولكن ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9]، فحافظ عليه. وقال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:4] فرُفِع ذكرُه حتى إن أكثر الناس اسما الآن هو اسم (محمد)، فما بالنا إذا أضفنا إلى ذلك اسم أحمد، ويس، وطه، ومحمود، وحامد، وغير ذلك من أسمائه ﷺ. إذن هذا النبي

الكريم لما ترك لنا عترة أهل بيته، فنحن نحب أهل البيت، ونفخر بحبنا لهم، ونعتبرها علامة ودلالة على نبوة المصطفى ﷺ ولكن هناك مذاهب قد تشتت، وهناك نزاع الآن تستغله السياسة بين السنة والشيعة، والصوفية هم الأقدر على أن يصلحوا بين الأخوين، لأن الصوفية في مصر من أهل السنة، والصوفية تحب أهل البيت فهم مقبولون عند الشيعة، ولذلك وجههم مقبول عند الجميع، فهم أجدر الناس على التدخل للصلح بين الطائفتين. ونجد أن بعض الناس غالى جدا حتى لم يسم أبناءه عليا، والآخرين رفضوا التسمية بأبي بكر وعمر، فهل هذا يُرضي الله تعالى!. إذن فدور المتصوفة مع الشيعة في عصرنا هذا أنهم حمامة السلام الأقدر على قبول الوحدة بين طوائف المسلمين لأنهم على الحد والمحك الوسط، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:143].

خلاصة القضايا المتعلقة بآل البيت والتصوف:

وهي مجموعة من القضايا أراد فضيلة مولانا الإمام العلامة الإشارة إليها لبيان منهج السادة الصوفية في التعامل مع آل البيت، وهو المنهج الذي يتبناه فضيلة مولانا، فقال:

*** القضية الأولى: سبب تسمية أهل الله، أو السالكين لآل البيت هذا الاسم:**

آل البيت هم الذين قد انتسبوا لسيدنا النبي ﷺ وهم بركة الأنام والنبي ﷺ يحب من يراعيه في أهله، وهذا شيء طبيعي، وأمر فطري، وكذلك يقول سيدنا رسول الله ﷺ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي»، وأصبح هذا الحديث آية من الآيات ومعجزة من المعجزات لسيدنا النبي لأن أبناءه ماتوا أمامه في حياته ولم تبقَ إلا فاطمة عليها السلام، وحتى السيدة فاطمة أَسَرَّ لها النبي بأنها أسرع الناس لحاقا به فماتت بعد ستة أشهر من وفاته. هو يعلم أن أهل بيته قد ماتوا أمامه وبين يديه. فالذي حفظ الذكر هو الله، والذي حفظ النسل الشريف هو الله، حتى معجزة سيدنا الحسين، جاء نسله من ابن واحد فقط، هو سيدنا علي زين العابدين عليهم جميعا السلام، والباقي قتلوا في كربلاء، فكان النسل الشريف من ثلاثة فقط، ووصل في زماننا إلى أكثر من 40 مليون من البشر.

*** القضية الثانية أننا ندعو إلى منهج النبي ﷺ، وحياة النبي، وليس إلى مسائل النبي:** ولذلك أهل الله والسالكون لا يجدون حرجا في أن يتخذوا من كلام الصالحين في مناجاتهم مع الله بأسا ويوجدون صِيَغا تجد قلبك فيها وهؤلاء ضيقوا على أنفسهم. فالفارق أن حياة النبي متجاوزة لجهات أربعة التي نكررها كثيرا حتى نحفظها: الزمان، والمكان، والأشخاص، والأحوال. أما النابتة فلا يفهمون ذلك، فهم يريدون أن يعيشوا

عصر النبي ﷺ، وغير قادرين على استيعاب أن يعيشوا حياة النبي ﷺ، وهم دائما في قلق وفي صراع، أما أهل الله فإنهم يعرفون أنهم بمعيشتهم لحياة النبي يقومون بما عليهم من واجب.

* القضية الثالثة هي أن كل الطرق الصوفية بلا استثناء تحب أهل البيت حبا شديدا ونتوسل بصالحيهم: لأن النبي ﷺ أوصى بهم، وجعلهم كأنهم الريحانة من الباقيات، بقية النبي ﷺ، أي أثر النبي ﷺ. فصحيح أن الكل يحب سيدنا النبي ﷺ ويتعلق به، لكن الذي يميز الحب الصوفي هو الحب القلبي وليس العقلي، هو الحب الذي لا يبرر بسبب، ولا يهدف إلى غاية وهدف. فالصوفية انجذبت قلوبهم إلى رسول الله ﷺ وآل بيته. فالطرق الصوفية تحب النبي ﷺ وترى أن حبه هو ركن الإيمان، وأنه لا يكمل للشخص إيمان إلا بحبه. والصوفية على الأخص لهم الحب العاطفي مع سيدنا ﷺ، وليس الحب العقلي فقط، فهو منجذب إليه، يجد ميل قلبي تجاه سيدنا ﷺ فيحبه، وهنا يظهر السؤال: لماذا نحبه؟ وفي هذا يقول الفلاسفة وأباطرة الحب: لو أجبت عن هذا السؤال فلست بمحب، فالحب شيء آخر، هو شيء يهبط على القلب، فإذا أحببت إنسانا، فمن الممكن أن تقول أحبه لكرمه، لعلمه، لفضله، وهكذا، وهذا إعجاب أي تعلق وليس حبا حقيقيا، لكن الحب الحقيقي إذا أردت أن تراه، وجدته غير مبرر، وليس له سبب، كحب الأم لابنها حتى لو كان فاسدا، رغم أنها لا توافق على أفعاله، حتى إنها تقول: أدعو على ابني، وأكره مَنْ يقول آمين، فهو جزء منها، رغم ما كانت تعانيه من تعب وشدة وإرهاق أثناء الحمل والولادة والرضاعة والرعاية، والذي إذا حكَّم الإنسان العقل وحده في ذلك فيرى أن يتخلص منه أفضل، أما هي فترى في ذلك مصيبة كبرى. وهذا النوع من الحب لا يوجد بين الأب وابنه مثلا،

فالذي بينهما حب الرعاية والعناية. الخلاصة أن كل ما سبق لا علاقة له بحقيقة الحب، فالحب لا سبب له، إنما هم من شدة ما أكرمهم الله بحب نبيهم، كما أن الحب الحقيقي يحرك الإنسان إلى الطاعة. كذلك فنحن نتوسل بالأئمة المعتبرين الصالحين مثل سيدنا الحسين، والسيدة نفيسة، والسيدة زينب، والسيدة فاطمة النبوية، والإمام الشافعي، والإمام علي زين العابدين، وهكذا، فهم أئمة معتبرين، وهم من أهل البيت الأنقياء الأتقياء العلماء المتصدرين، فالحمد لله رب العالمين.

* **القضية الرابعة هي كيف نعامل أهل البيت، وكيف نتعامل معهم:** ونطرح فكرة مبدئية، وهي أن جارك له حقوق عليك، وله أسلوب مختلف في التعامل، فهل يوجد مثل ذلك مع آل البيت، في الدنيا، وكذلك في الآخرة! ونحن نقول لأهل البيت اتقوا الله في أنفسكم ولا تنحرفوا، وغير ذلك، ولكن كونوا مثالا صالحا، إلخ. بالطبع قد يصدر من بعض أهل البيت بعض المعاصي، فيكون شأنك معها الستر وليس الفضيحة، وكأن ابنك، أو أخاك، أو أباك فعل هذه المعصية، فماذا كنت فاعل؟! سوف تشعر الخجل، والكسوف، وتستر عليه، ومن ثم أنزِل هذا الشخص الذي ارتكب المعصية من أهل البيت منزلة الولد حتى لو كان رجلا كبيرا، فلا تغتابه، ولا تمشي بالنميمة عليه، ولا تسبه بآبائه، وغير ذلك، ولقد كان مشايخنا عندما يُسألون: فلان من أهل البيت، ولكنه كثير المعاصي فيقول: من قِبَل الأمهات، وذلك تنزيها للنسل الشريف، ومعنى هذا أن أهل البيت يتزوجون عبر العصور أمهات ليسوا على الدرجة الكافية من التقوى، وكذا، فنشأ منها هذا الولد العاصي، ولكن أيضا لما كان الأشراف متغلبين على مكة، ضبطوا والي مكة يشرب الخمر وهو من الأشراف (من أهل البيت)، فقالوا لابد من إقامة الحد عليه، أربعين جلدة، وبالفعل أمسكوه وأثناء إقامة الحد، كانوا مع كل

جلدة وعند كل ضربة، يقول له الضارب: (معلش يا سيدي سامحني)، فهذا الضرب لله، فهذه قضية، وتلك قضية أخرى، فالكراهية للمعصية وليست للعاصي، لأن العاصي يتوب، وهو صنع الله، والله يحبه، وأيضا هو صاحب نسب، وهذا المعنى لا نجده في النابتة، فنحن نريد الرفق والحب والرحمة والستر، وهكذا، دائما.



الكتاب الخامس

قضايا صوفية

في حياة الإمام

الكتاب الخامس
قضايا صوفية في حياة الإمام

- يقينه الراسخ بالله في حل مشاكل الأمة
- مكونات السير في الطريق وملامحه ومعالمه
- الشَّيْخُ الْمُرَاد
- الشيخ الخادم (الخدمة في حياة الشيخ)
- الهِمَّةُ والْعَزِيمَةُ فِي فِكْرِ الشَّيْخ
- القلوب الضارعة
- التصوف الفلسفي

قضايا صوفية في حياة الإمام

يقينه الراسخ بالله في حل مشاكل الأمة:

الإنسان الرباني هو الذي يرتقي من مراتب الكمال إلى مراتب الربانية على قدر ما كتب الله له ووفقه، ومراتب الربانية هي واقع عملي تنفيذي لحقيقة لا حول ولا قوة إلا بالله، وفي هذا الشأن يؤكد فضيلة مولانا الإمام العلامة دائما على مقولته الشهيرة (هذا الكون ليس لنا، ولا نملكه، بل إن المالك هو الله، يتصرف فيه كما يشاء، فهو الفاعل على الحقيقة)، وكل من تعامل مع فضيلة مولانا رأى هذا الشأن مجسدا؛ فالإمام العلامة تجسيد حي أمامنا لحقيقة لا حول ولا قوة إلا بالله، والتي لا تنفك عن الأخذ بالأسباب، فإن رسالة الإمام العلامة تتلخص في بناء العقول واستعادة الوعي وتربية الأرواح بالذكر والفكر، فمن يتابع منهجية مولانا الإمام وما يتبناه يجد أن هناك مجموعة من المحاور الأصيلة التي تكوِّن منهج فضيلته، وتوضح بكل قوة يقينه الراسخ بالله في حل مشاكل الأمة.

وعلى رأس محاور هذا المنهج التصوفُ وخدمة المجتمع والعمل الخيري، ومنها كذلك **تجديد أصول الفقه، واحترام التراث من خلال مفهوم واجب الوقت، وعرض هذا الدين للعالم بصورة لافتة للنظر، وكيفية الاستفادة من الحضارات الأخرى، وبيان النموذج المعرفي للأمة الإسلامية، وعدم إغفال السنن الإلهية،** وغيرها من المحاور التي يدعو إليها فضيلة مولانا مؤكدا أن هذه هي من الأدوات والوسائل التي تجسد اليقين الراسخ بالله سبحانه وتعالى في حل مشاكل الأمة، والتي تنبع من الأصول النبوية التي

أعلنها سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وذلك من خلال لقاءات مولانا ودروسه وحوارته وكذلك ما سطره في كتبه مثل **المبادئ العظمى**، **وسمات العصر**، وغيرها من المؤلفات التي ترتكز على يقينه الثابت الراسخ في الله تعالى لحل مشاكل الأمة إذا ما اتخذنا المنهج والأدوات التي أمر بها المولى جل في علاه، بفهم واعٍ وخاص لتراث الأمة العظيم الذي تركه لنا سلفُنا الصّالح، والذي ينطلق من الالتزام بممارسة منظومة القيم والأخلاق بالمجتمع التي تلتف حول الأسماء الحسنى كالدوامة والتي تمثل 97% من جملة الدين الإسلامي، **وتحويل الأخلاق المجردة إلى مبادرات حقيقية** مثل النظافة ومقاومة التحرش وتجميل البيئة وغيرها، تعديلا للسلوكيات المجتمعية لأفراد الأمة، والذي لا ينفك بأي حال من الأحوال عن خطاب إعلامي وديني، والتطوير في مناهج التعليم وتربية الأسرة لتعديل الثقافة السلبية السائدة بالمجتمع، مع **ترجمة الانتماء الحقيقي للوطن إلى أفعال للصالح العام** وليس لمصالح أخرى، علاوة على ضرورة وجود دائرة الاتفاق بين أبناء الوطن أكبر بكثير من دائرة الاختلاف، والتركيز على ما يجمع الناس لا ما يفرقهم.

مؤكدا على **العمل** - وهو ما سيصل بمصر والأمة الإسلامية إلى بر الأمان - والبعد عن إثارة الشائعات وترديدها، بما يضر بأمن البلاد وسلامتها، وعدم التركيز على الأشياء التافهة التي تضر، **والتركيز على ما ينفع البلاد والعباد**، والبعد عن أي نوع من أنواع الصراعات التي من شأنها أن تفت في النسيج الوطني، **والاهتمام بالعلم والبحث العلمي**؛ لأنهما بمثابة القاطرة التي تجر مصر إلى مصاف الدول الكبرى، فمصر مليئة بالخيرات والخبرات التي سوف تسهم بإذن الله، وبقوة، في بنائها في عهدها الجديد.

وفي كلمة خاصة عن مصر يقول فضيلة مولانا في واحد من لقاءاته (أنا متفائل بمستقبل مصر، وعندي أمل، وأمل كبير جدا، لأنني أحب هذا البلد حبا حقيقيا، ولكن أنا قلق، والقلق مشروع كقلق الأب على ابنه، فأنا قلق على البلد قلق الحبيب على حبيبه ولكن عندي أمل فسيح جدا في تجاوز هذه الأزمة، وتاريخ هذا البلد كينونة شعب، هذا البلد قادر على أن يتجاوز وأن ينطلق، وهذا واضح في كل المصريين الذين مُكنوا في الأرض حيث أعطوا وأعطوا بسخاء، فهذا هو مبدئي الذي لا أُغيّره، فمصر أكبر من كل هذه الأحداث، وإن كانت محنة مؤلمة بل سوف تصل مصر إلى **«المنحة»**.

ومن الأمور المهمة والركائز التي يبين بها فضيلة مولانا عجم يقينه الراسخ في المولى جل في علاه لحل مشاكل الأمة ما يوضحه مولانا حول **قضية التجديد**، حيث يقول: (تعتبر الشريعة الإسلامية التجديد نعمة من نعم الله علينا، بل إن التجديد في الدين أمر واجب التنفيذ، فالتجديد في الدين نعمة يمنُّ الله بها على هذه الأمة الخاتمة، ومن هذا قول سيدنا الرسول ﷺ «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا أَمرَ دِينِهَا»(1)، والشيء الذي لا ينتبه الكثير من الناس إليه أن **«تجديد الخطاب الديني»** موجود وحاضر طول تاريخ الإسلام، كل زمن حسب مقتضياته وأدواته، وطبقا لظروفه وأحواله، وهذا ما جعل الدين صالحا لكل زمان ومكان، لكن للأسف في العصر الحاضر صار لمصطلح التجديد **دلالات** سلبية عند كثير من الملتزمين التراثيين، لما شاع عندهم من أن التجديد معناه التفلت من تكاليف الشرع كلها أو بعضها أو مخالفة ما استقر عليه العلماء المخلصون، أو أن المراد من التجديد هو الانتقاء من النصوص الشرعية بما يتفق والأهواء والمصالح الشخصية، أو أن التجديد

---

(1) أخرجه أبو داود ، ح 4291.

يشمل الثوابت والمتغيرات وغير ذلك مما شاع عند العامة من المتدينين. وحتى تزيل - ومازال الكلام لفضيلة مولانا - ذلك اللبس من نفوس المتخوفين نقول إن لفظ «**التجديد**» ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية بمعنى البعث والإحياء والإعادة، وليس بمعنى الإنشاء والخلق، وهذا ما أثبتته التجربة التاريخية عند علماء المسلمين، وبالنسبة لتجديد الخطاب الديني فالمقصود به تجديد القوالب والوسائل التي تعرض الفقه الإسلامي بمعناه الشرعي والحضاري، وهو ما نسميه **إدراك الواقع**، ونستدل بهذا على أن الفهم في النصوص متجدد، ولا يكون كذلك إلا عن طريق أدوات الفهم الواردة في التراث مع ما يقتضيه الواقع من متغيرات.

وتعقيبا **فالكلمة كالبذرة**، تلقيها فتنبت شجرة تؤتى ثمارها - إن شاء الله تعالى - وما يغذي هذه البذرة هو الإخلاص ووضوح الرؤية اللذان بهما نستطيع النهوض بالدعوة، وكي يكون الداعية مؤهلا عليه الاستمرار في تلقي الدورات التدريبية والاطلاع على الكتب والمراجع اطلاعا وافيا، إلى جانب أنه يجب أن يعيش الداعية عصره، فيكون ملما بما يحدث حوله، وما يستجدّ من أمور تستلزم منه التأقلم معها، بما يوافق الشريعة، ومن خلال المفاهيم والمبادئ الأصيلة التي تدعو إلى **التعمير لا التدمير**، **والإنارة لا الإثارة**، **والوعي قبل السعي** .. أي يجب علينا أن نُعَمِّر ثم نعمر وليس في خطتنا أن ندمر، نعمر مصر بسواعد أبنائها بعيدا عن أي شكل من أشكال التدمير، وتوصيل رسالة **الأمل الفسيح** إلى الناس، حيث إن كثيرا من الناس مُحْبَط وقَلِق وخَائِف من المستقبل، لكن قضية الأمل هي التي ستجعل الناس تعود مرة أخرى إلى العمل وإلى السعي والاجتهاد، والعمل على **منظومة القيم الأخلاقية** التي يجب الاهتمام بها اهتماما كبيرا، والتي تشمل قيم التسامح والحرية الملتزمة والمساواة العاقلة والديمقراطية

والشورى والتكافل الاجتماعي والصدق والشفافية والمسؤولية والمحاسبة، بالإضافة إلى قيمة العدل، وهذه أولى خطوات الإصلاح فالكلمة أمانة لابد أن نحافظ عليها ونسمو بها بالجد في توثيق معلوماتنا، ولنرتقب قول رسولنا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: «كَفَى بالمَرْء كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». إن **أمانه الكلمة** فوز عظيم لمن صانها، وخزي مبين لمن أهانها، وإن **بناء العقلية الواعية** يحتاج إلى الإخلاص والصواب، وعنوان الإخلاص الصبر، ومفتاح الصواب العلم، فتسلحوا بالصبر والعلم وابتعدوا عن الأهواء والهزل، وابنوا عقولا رشيدة تدافع عن بلادها وتبني مستقبلها).

وختاما فإن كل هذه التصورات التي طرحها فضيلة مولانا لا تنفك عما ينادي به التصوف والمنهج الصوفي الأصيل لرقي الإنسان وتقدم المجتمعات ارتكازا على اليقين بما وعد به الله تعالى عباده.

مكونات السير في الطريق وملامحه ومعالمه:

يحتاج الطريق إلى الله تعالى بيانا واضحا لكل من سلكه، أو أراد أن يسلكه، يبين له مكوناته ومعالمه، والتي غابت عن الكثير منذ عصور عديدة، حيث كان السلف الأوائل يزرعونها في قلوب السالكين من غير عناء أو مشقة، حتى وصلنا إلى عصر غابت هذه المفاهيم، والتي أثرت على كثير من المنتمين للتصوف، فزاد التشتت، والبعد عن الطريق القويم، مما استدعى نهضة فضيلة مولانا الإمام العلامة، فشَمَّر عن ساعد الجد، ووضع هذه النظرية التي لم يُسْبق إليها، في بيان مكونات السير في الطريق إلى الله، بل وبَيَّن التقنين اللازم لها، سعيا إلى تشكيل عقلية الصوفي وروحه، في عصر أصبح **التقنين العلمي ضرورة حياة** ردًّا على المشككين، ودعما للسالكين.

*** وفي هذا يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة ما خلاصته:**

إن مكونات السير في الطريق إلى الله وملامحه ومعالمه هي الأقسام المهمة اللازمة لتشكيل عقلية السالك السائر في طريق الله وروحه؛ **وصولا إلى القلوب الضارعة المتعلقة** بالله دوما، **إقامة للخلافة في الأكوان** والمتمثلة أركانها **في العبادة، وعمارة الأكوان، وتزكية النفس**، من خلال سير السالك المريد في الطريق إلى الله على يد شيخه صاحب السند المتصل إلى حضرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبر سلسلة شريفة نورانية مباركة، تنثال فيها البركة.

وهذه الأقسام هي التي تُكَوِّن وترسم ملامح الطريق إلى الله، ومراحله، ومراتبه، ودرجاته، جمعا بين الذكر والفكر: ذكر لله تعالى، وفكر في أكوانه، إعمالا لتخلية القلب من كل قبيح، وتحليته بكل صحيح، حتى يكون العبد ربانيا مستجاب الدعوة، قريبا من الله تعالى.

وبشيء من التفصيل يمكن صياغة ما قرره مولانا على النحو التالي:

1- **الذِّكْرُ والْفِكْرُ** (فأصل الإنسان الضعف، وهذا الذكر والفكر يجعله قويا تخضع له الأكوان بعظمتها وجلالها)، والذكر أنواع وأقسام، والتفكر مطلوب في كل شيء إلا الذات العلية. وخلاصة هذه المرحلة أن الحب دائم أما الطاعة فبقدر المستطاع ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:16]، وهو ما يتعلق بالمراحل الآتية.

2- **ثُمَّ التَّخَلِّي** (من كل قبيح)، والتَّحَلِّي (بكل صحيح)، الذي يُحْدِث التَّجَلِّي (ومنه أن يعلمك الله ما لم تكن تعلم مما يعينك على زيادة القرب منه، التوكل عليه والرضا بمقدوره والتسليم بأمره، فتزداد أدبا معه)، وهذه هي التربية الذاتية لنفس الإنسان.

3- **ثم الانتباه** إلى معوقات الطريق الخمسة:

أ- فطم الجوارح (عن المخالفات، وعن المعاصي، وعن الذنوب والآثام، وهو ما يتحقق بالتوبة).

ب- فطم القلب (عن الرعونات كالتعالي والكبر والغرور والعجب والسب والشتيمة وسوء الظن).

ج- فَطْمُ الروح (عن القاذورات التي تصيبها، أي عن السِّوَى).

د- فطم النفس (ويتمثل في الانتقال والترقي في مراتبها السبعة).

هـ- فطم العقل (من الأفكار المختلة المتخلفة المحصورة في ظاهر الحال والتجربة المحضة دون نور البصيرة). وهذه المعوقات خارجة عن الإنسان (تربية خارجية) لابد ممن يعين السالك عليها.

4- **ومُراعَاة الأَرْبَعَة التي تعين على ضبط السلوك المختص بالجوارح**: صحة البدن وصفاء الروح وشفافيتها واكتساب الحِكْمَة: وهي قلة الطعام، وقلة المنام، وقلة الكلام، وقلة الأنام، والبعض يسميها أصول الطريق، والبعض يطلق عليها مساعدات السير، وهي تُخْرِج المرءَ مِنْ مَألُوفِه إلى طريق الله سبحانه وتعالى، وتعين على ملء القلب بكثير من الهمة، مع ملاحظة الوجه الثاني من قلة الأنام، وهي خدمة الأنام.

5- **التربية وتهتم بالسلوك**، وتهتم بإنشاء الهمة في قلب المريد السائر إلى الله سبحانه وتعالى، وتريد أن تُحْدِث بيئة حوله تساعده على الذكر، وعلى الفكر وعلى التخلية والتحلية، وتساعده على أن يسير من نفس إلى نفس، بديمومة وبعمل مقبول.

6- **الرجوع إلى الشيخ**، فعندما نقول إنها تربية (ذاتية أو خارجية)، فهذا يتطلب وجود من يُرَبِّي، وهو الشيخ، فإن من لم يُقِم نفسه بما سبق دخل في ورطة المرتكبين لقبائح فظيعة تصل إلى حد الشرك والعياذ بالله، والخروج من هذه الورطات أن نتعلم، وأن يكون لك شيخ، كي تتجنب سلوك مثل هذه الطرق الوعرة في العبادة، فالقضية محددة في أن الهدف هو أن تعبد الله.

7- وكل ذلك لابد وأن يكون مغلفا بالرحمة والحب (الود)، والجمال، واللين (الرفق)، واليسر، والستر، والاحتواء، في سرور وسعادة وحُبور، ومن غير عنف ولا شدة، وأن يكون كل ذلك مقيدًا بالاتباع (أي بالكتاب والسنة).

8- ويأتي التتويج بمراحل يمر بها المحب حتى يتحقق بكمال الحب لسيدنا ﷺ بالانتقال من الأخلاق (قراءة السنة والسيرة مع الاتباع)، إلى الأشواق

(تشتاق إليه وإلى زيارته ورؤيته ولا حيلة لك في هذا الشوق، ولا تستطيع أن تطلب بذلك برهانا، فتدمن الصلاة عليه)، إلى الأذواق (التي لا تستطيع التعبير عنها بأي لغة)، هو بيد الله سبحانه وتعالى، إلا أنه يجب علينا أن نتخلق بخلقه ﷺ الكريم، فنشتاق إليه، فتحدث لنا الأذواق، فيحدث لنا الكتم، ونتحقق بحديث الديلمي «مَن عشق فعفّ فكتَم فمات فهو شَهيد»».

ويتحدد البدء في الطريق عقب **أخذ العهد، والإذن بالذكر**، إعمالا للرابطة الروحية، فالعهد هو نوع من أنواع المبايعة التي كان يبايع فيها رسول الله ﷺ من أسلم. وتجدر الإشارة إلى أن العهد يمكن إعطاؤه لمجموعة معا دفعة واحدة، حتى من غير مصافحة، كما فعل سيدنا رسول الله ﷺ، وهذا الأمر يعني أن طريقتنا العلية لا تهتم بمثل هذه الطقوس، والرسوم، والمباني، وإنما نغوص إلى المقاصد والمعاني، فطريقنا عبادة، وتخلية للقلوب من القبيح وتحليتها بالصحيح، وألسِنَة تلهج بذكر الله، وتفكر في كتاب الله المنظور وفي كتاب الله المسطور، وتعلم العلم النافع، والسير إلى الله على بصيرة وليس الأمر أمر طقوس وشعائر أبدا.

والإذن دائما هو مفتاح البركة في كل شيء، ومن ثم قالوا: لابد من إذن الشيخ في كل ما يختص بالطريق، سواء بالورد، أو الأحزاب، أو الأعداد والصيغ. وهناك إذن عام مفتوح في طريقتنا بالأحزاب والأوراد الثابتة التي اشتُهرت عند أهل الله، مثل حزب البر ويسمى بالحزب الكبير، وحزب البحر، وحزب النصر وحزب الإخفاء، وحزب الشكوى، وحزب اللطف، ويضاف إلى ذلك الإذن العام بالصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ، فأمرها مفتوح لأنها هي التي تحل حتى محل الشيخ نفسه.

أما بقية الأذكار فنجد كثيرا جدا من الناس تشتتوا من كثرة الأذكار التي كلّفوا

بها أنفسَهم ثم تركوها، فالزيادة مطلوبة، ولكن مع دوام العمل بها، وهذا هو الغرض من إخبار الشيخ والاستئذان في هذا المجال. ولا يستشكل واحد عليه منع الشيخ له من الزيادة، فالشيخ لا يقيد عبادتك، بل يرشدك لما يُصلحك. فالديمومة على الذكر، أو على العمل، يُشعر الإنسان بلذة، ويُشعر بطمأنينة، ويُشعر بهدوء نفسي، ويُشعر بسلام مع النفس، ويُشعر بأنه مرتاح، وأنه سعيد بسبب هذه الديمومة.

أما عن **الرابطة الروحية**، يمكن بيان هذا المعنى بكل بساطة حيث إن السالك يعبد الله، وفي بعض الأحيان قد يأتي أمامه شيء من متاع الدنيا من الشهوات أو الرغبات أثناء العبادة، فعليه أن يتذكر شيخه ويفكر فيه، فيستشعر وكأن الشيخ يُذَكِّره وينْهَاه عن هذه الأمور، وكأنه يقول له لا تفعل هذا الخطأ. والعلة في ذلك أن كثيرا من الناس يخجل من الناس أكثر من خجله من الله، فلذلك يستحضر الشيخ حتى يتدرَّب، وما ذلك إلا لأن الله معه دائما، إنما الشأن هل هو مع الله. وهذا الأمر هو ما نسميه (**الرابطة الروحية**)، أي اجعل لك شيخا يعمل على تربيتك، ويعطيك خبرته وتجاربه، فيكون بينك وبينه عهد الله، وهذا العهد أن تبتعد عن المعاصي وتقترب قدر استطاعتك من الطاعات، لأنك مع هذا الشخص الصادق.

* وفي هذا الخصوص قام فضيلة مولانا الإمام ببيان الملامح الرئيسية للطريق إلى الله، والتي أهملها كثير من السالكين، حتى كادت تندثر، فقدم **مجموعة من الأفكار المهمة لبيان هذه الملامح والمعالم**، فبدأ أولا ببيان **أهمية التعرف على هذه الملامح والمعالم** حتى لا يتوه المريد في الطريق أثناء سيره، فقال:

وضع أهل الله من الأولين خططا وأفكارا يستطيع الإنسان أن يستعين بها أثناء السير في الطريق إلى الله، وارتكزوا في ذلك على مجموعة من القواعد والأصول والأسس

والأركان التي ينبغي ألا يحيد عنها السالك، ووضعوا إزاء ذلك مجموعة من الضوابط والاشتراطات حتى لا يضل السالك أثناء سيره في الطريق إلى الله مستظلا بتجارب هؤلاء الصالحين، ومن قبلها مقيدا بالكتاب والسنة، حتى استقر العمل على ذلك عند المتأخرين لحاقا بالركب الكريم واستمدادا من أنوار النبوة.

حتى إذا شرع المتأخرون من الأئمة العاملين والمشايخ المعتبرين في التطبيق والأخذ بيد السائرين، كان من أهم المهمات ربط هذه الخطط والأفكار والضوابط والاشتراطات بالواقع المعيش ومحاور تغيره الأربعة: الزمان، والمكان، والأحوال، والأشخاص، من غير إخلال بقاعدة من القواعد أو بأصل من الأصول.

وعليه صار من الأهمية بمكان اطلاع المريدين السائرين السالكين في طريق الله على مجموعة من التعاليم والضوابط من خلال التعرف على أهم ملامح ومعالم الطريق، وآدابه، وقواعده، وأصوله، والمصطلحات المتداولة في بيئة التصوف، مع بيان معانيها، ومقاصدها.

كذلك تبرز أهمية التعرف على معالم الطريق في كونها تساعد السالك على السير متجاوزا العديد من العقبات التي تواجهه، ومن ثم حاول المسلمون عبر القرون تنفيذ وصية رسول الله ﷺ عندما تكلم عن مرتبة الإحسان بدرجتيه فيا ورد في حديث الصحيحين: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» وهي حالة قد لا يصل إليها إلا النخبة، وكذلك «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، وهي حالة أقل من حالة النخبة، فوضعوا المصطلحات والأسس حتى يعبروا عن معالم الطريق إلى الله، وأن يصفوه، وأن يمهدوا هذا الطريق لمن بعدهم من الناحية الفكرية، والعلمية، حيث سطروا بعض المؤلفات لبيان معالم الطريق إلى الله، مثل كتاب (منازل السائرين) للإمام الهروي، يصف فيه الطريق إلى الله سبحانه وتعالى وكأنه مقسم إلى عشر خطوات، أو درجات، أو مراحل، وهذه من معالم الطريق.

وتجدر الإشارة إلى أن أهل الله قد **أطلقوا عليه طريقا**، وكأنه طريق نسير فيه، ونهايته الله، ونريد أن نصل إلى هدفنا، فالله هو مقصود الكل، وهذا الطريق غايته الله، وهي أول حقيقة في الطريق، أي أنه تعالى مقصود كل السائرين إليه، وهم مختلفون، بمعنى أن **الطرائق على عدد أنفاس الخلائق**، وهي حقيقة أخرى في الطريق إلى الله، وكأن **كل شخص منا له خصوصية في عبادة ربه**، وكأنه يستقل بمسار يسير فيه، وهذه المسارات على عدد أنفاس الخلائق، وكل منهم له مذاق مختلف، من حيث الإحساس، والتجليات، والخطوات، والوصولات، والإشراقات، وغير ذلك، فكل منا له طريق مع الله تعالى، وكل ذلك بتوجيهات الشيخ، وأن **لكل شيخ طريقة**، وهذه من معالم الطريق، إلا أن **طريق الله واحد**، وهي من معالم الطريق أيضا، والخلاف من جهلة المريدين، ولذلك قيد أهل الله السير بالكتاب والسنة، وأن الطريق إلى الله لابد فيه من **العلم**، وأن المرء عليه ألا يلتفت أثناء سيره، وهذه كذلك من معالم الطريق **(ملتفت لا يصل)**، والتي يأخذ الشيخ فيها بيد المريد فيتجنب الطرق الوعرة، والمعوقات التي تظهر أثناء السير، وهكذا، **فلزم وجود الشيخ، وأن يكون لديه منهج**، وهذه من معالم الطريق.

ولما كانت كتب الأقدمين في هذه المجالات كثيرة ومتنوعة، إلا أنها كتب تراثية تناسب وقتها، وغالبا ما تصعب على الأجيال المعاصرة، بل إن الكثير من عباراتها تستغلق على أبناء الجيل الحالي، مما استدعى ضرورة التعرف على معالم الطريق وملامحه كمقدمة مهمة ضرورية قبل سبر أغوار بحار التصوف مع أبناء عصرنا الحالي، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه المحاور غير منفصلة بل مترابطة ومتراكبة، وتداخلية، إلا أن المنهج العلمي الدراسي يلزمنا بدراسة كل منها على حدة أولا، فهناك فرق بين المعيشة والتطبيق، وبين الدراسة النظرية التي تستلزم الترتيب.

وفيما يلي ما قدمه مولانا من رؤوس موضوعات لبيان الملامح الرئيسية للطريق إلى الله، حيث يقول:

الملمح الأول: الطريق واحد مهما تعددت المشارب:

إذا أردنا أن نعيش مع طريقنا إلى الله، ونرى معالمه وملامحه، وجدنا أن طريقنا إلى الله طريق مليء بالحب، ومليء بالرحمة، ومليء بالسكينة، ومليء بالتوفيق. فالطريق إلى الله يجعل الإنسان إنسانا، ويجعله سعيدا في هذه الحياة الدنيا، ويجعله سعيدا حينما يعود إلى ربه يوم القيامة. وهذا الطريق إلى الله واحد مهما تعددت المشارب، ومهما اختلف الأداء، وعليه فلقد شبَّه أهل الله الطريق إلى الله بنصف قطر الدائرة، ونصف قطر الدائرة متساوٍ من أي نقطة على محيطها، وهكذا هو الطريق إلى الله، فقالوا إن الطريق إلى الله واحد ولو اختلفت الأنفاس، وهذا مثال للتقريب والتفهيم فقط من أجل تقريب المعاني.

الملمح الثاني: الطريق مقيد بالكتاب والسنة:

قال الإمام الجنيد: طريقنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، ومعنى هذا أننا في سيرنا إلى الله سنرجع إلى كتابه الذي هو كونه الأصغر، أو كونه الأكبر على اختلاف الاعتبار، ونرجع إلى الكون الفسيح، الذي هو كونه الأكبر أو كونه الأصغر. بمعنى الرجوع إلى (كتاب الله المسطور)، وهو القرآن الكريم، وإلى (كتاب الله المنظور)، وهو الكون والوجود والتجربة مع الله، ويقوم بهذا التكليف كتاب الله المقدور وهو الإنسان، بمعنى أن التجربة الروحية التي يعيشها الإنسان مع ربه، مقيدة بالكتاب، ومقيدة بالسنة المشرفة، والتي هي التفسير المعصوم لكتاب الله سبحانه وتعالى، فالنبي

ﷺ قد أوضح لنا كيف نطبق ذلك النص في حياتنا، كيف نُفَعِّل هذا الكتاب، فيصير من تمسك بالسنة كتابا وقرآنا يسير على الأرض في طريقنا إلى الله.

الملمح الثالث: الطريق تحت ظل كتاب الله المسطور وكتاب الله المنظور:

بمعنى أن الطريق إلى الله يكون في ظل الكتاب المسطور، وفي ظل الكتاب المنظور؛ لأن الكون مِنْ خَلْقِ الله، أما القرآن فمن أمر الله، من قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:54]، وكذلك:﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق:1-4]، حيث يتكلم عن الخلق من ناحية، ويتكلم عن الوحي من ناحية أخرى، وأيضا قوله عز من قائل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن:1-3]، فكتاب الله المنظور من عالم الخلق، وكتاب الله المسطور من عالم الأمر، أي أن كلاهما من الله، ولذلك نستفيد منهما ولا تناقض بينهما، فما أراده الله سنة كونية في هذا العالم يُستفاد منها في الطريق إلى الله، وما أراده الله أمرا ونهيا وتوجيها وإرشادا يستفاد به في الطريق إلى الله، إذن فالكتابان معا هما مصدران للمعرفة الإنسانية في طريقنا إلى الله.

الملمح الرابع: كتاب الله المقدور هو الإنسان:

من المعلوم أن الذكر ألفاظ ولها ثوابها، إلا أن له أيضا العديد من المعاني، فهو يتعلق في النهاية بالإنسان الذي هو كتاب الله المقدور، حيث عرفنا من قبل كتاب الله المنظور، وهو الكون، وكتاب الله المسطور، وهو القرآن، والآن معنا كتاب الله المقدور وهو الإنسان، فصار لدينا كتب ثلاثة. وهذا الكتاب الثالث، وهو المقدور، أي الإنسان، هو الذي يَستدل بالأكوان على وجود الرحمن، حيث يجعل هذا الكون

مزرعة للآخرة حيث نعود فيها إلى الله للحساب للثواب، ويبعدنا عن العقاب والعياذ بالله، ومن هنا تتضح العلاقة بين الكتب الثلاثة في منظومة متناسقة.

الملمح الخامس: الطريق واحد، والخلاف من جهلة المريدين:

قال أهل الله: إن الطريق إلى الله واحد، والخلاف من جهلة المريدين. وقالوا: إن الطرائق إلى الله كعدد الأنفاس للخلائق. وكأن البشر يقفون حول دائرة، أو على محيطها، والله سبحانه وتعالى هو مقصود الكل، وهو في مركز هذه الدائرة سبحانه وتعالى فالطريق إليه واحد، وهذا معناه أن كل الطرائق في العبادات تصل بك إلى الله تعالى، فيأتي جهلة المريدين ويتنازعون بينهم تعصبا إلى الشاذلية أو الرفاعية، وغير ذلك. ولكن لابد من ملاحظة أنه على الرغم من تساوي أنصاف الأقطار، إلا أن اتجاهاتها مختلفة، أي أن مشاربها مختلفة، فمنها من هو على يمين الدائرة، والآخر على يسارها، بمعنى أن واحدا يتوجه إلى الشرق، والآخر يتوجه إلى الغرب، وكما قال البوصيري في بردته الشريفة:

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ .. غَرْفًا مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ

وواقِفُونَ لَدَيـهِ عندَ حَدِّهِـمِ .. مِن نُقطَةِ العلمِ أو مِن شَكْلَةِ الحِكَمِ

فَهْوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ .. ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ

الملمح السادس: أن الله سبحانه وتعالى مقصود الكل:

فالإشراقات عندما تحدث نحمد الله عليها، نتلذذ ببعضها، ونتأدب ونتعلم منها، ولكن لا نجعلها حجابا بيننا وبين الإخلاص، فقالوا ملتفت لا يصل إلى نهاية الطريق، لا يصل

إلى الله الذي هو مقصود الكل، وأصبحت كلمة (ملتفت لا يصل) من أهم المهمات.

الملمح السابع: السير في الطريق إلى الله بالذكر والفكر:

وسوف نسير في الطريق إلى الله الذي ذكرنا مجموعة من ملامحه ومعالمه سويا كلمة كلمة، ونبين أن سيرنا في هذا الطريق يكون بالذكر والفكر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ **[آل عمران:191]**، إذن، الذكر والفكر من ملامح الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، ويأتي القرآن فيؤكد هذا الذكر، ويعدد أنواعه، ويبين آثاره، ويأتي رسول الله ﷺ فيعلمنا كيفيته، ويجعل الإنسان مشتغلا بربه، بلسانه، وقلبه، وبروحه، وعقله، أي بكُلِّه. وهناك ذكر للسان، وهناك ذكر للقلب، فقد يذكر الإنسان بلسانه وحده، أو يذكر الإنسان بقلبه وحده، أو يذكر الإنسان بهما معا، باللسان والجنان، فالذكر من أركان هذا الطريق، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ **[الرعد:28]**، فهيا معا في رحلة هي الحياة نسير في طريقنا إلى الله معا.

الملمح الثامن: الطريق لابد فيه من التخلي، والتحلي ليحدث التجلي:

في الطريق إلى الله سبحانه وتعالى نرى ركنا من أركان هذا الطريق وأساسا من أسسه يتمثل فيما يسمى بالتخلِّي والتَّحَلِّي، والتخلي والتحلي ينتج منه التجلي. والتخلي يكون عن القبيح، والتحلي يكون بكل صحيح، أما التجلي ففيه إشراقات.

الملمح التاسع: التصوف والإنسانية:

لا إنسانية بغير دين، وديننا هو الإسلام، ولا دين بغير غاية، وغايتنا هي طلب الكمال، ولا كمال بغير عبادة، وعبادتنا صوفية مطهرة، ولا عبادة بغير فضيلة، ولا فضيلة

بغير مجد، والمجد الشامل هديتنا إلى أمتنا واجبا نؤديه لذات الله طاعة له، لا طمعا في ثواب ولا خوف من عقاب، فوظيفتنا التربية وصوغ الرجال، وتشكيل الإنسان النموذجي. فالإنسانية في صورتها الطبيعية الصحيحة هي السر الإلهي الذي سخر الله الأكوان له والعوالم، وهي الأرواح وآثارها الطبيعية من الخير والجمال والرحمة والنور والحب والسلام والتقدم والإنتاج، والحكمة والتسامي، والإيمان واليقين، والعلم والمعرفة.

الملمح العاشر: التصوف والأديان:

التصوف علم تطبيق الأخلاق والآداب وعلم تربية النفوس وتسامي الأرواح، فهو الحقيقة الأولى والأخيرة بعد التوحيد في كل دين، فإنما جاءت التعاليم الدينية من أجل علاج البواطن وتنقيتها، وفي ذلك نظرة أساسية إلى العلاقة بالجانب الروحي الذي هو المعنى الأصيل الخالد في الإنسانية، فليس من العيب أن يكون التصوف تاريخ سابق في كل دين فهذا شرفه، فقد جاءت كل الأديان بالتصوف، أو من أجل التصوف، فهو المعنى الروحي الحي الرفيع الذي لازم جميع أديان السماء، وهو الحقيقة الروحية والأمانة التي استودعها الله أنبياءه وأصفياءه ولازمت دعوة التوحيد في كل دين منذ آدم، والذي قامت عليه أركان التعاليم الإنسانية التي نزلت على كل نبي سابق، فهو قانون الاستخلاف الإلهي ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30]، واستعمار الأرض ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ [هود:61]، ومن ثم فالتصوف علم الحياة يُرسي الأصول في الأرض ويوجه الفروع إلى السماء. والخلاصة أن التصوف ظاهرة إنسانية عامة في كل الأديان والحضارات ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة:205].

فالدين صاحَب الدنيا منذ نشأة الإنسان فيها، **والمنطق** صاحَب الإنسان منذ وجوده، وكذلك **التصوف**. وإذا قلنا **التصوف الإسلامي** فإنما نريد ما اتفق مع أصول

الإسلام وفروعه ولم يتكدر صفوه بتراب البدع والمنكرات. والأخلاق ملازمة للتصوف ملازمة تامة، وهي شعاره فيما بين الأساس والثمرة.

الملمح الحادي عشر: التصوف وقضية التكليف:

الإسلام عقيدة، ثم عبادة، ثم أدب، ثم معاملة، ثم أخيرا جدا مظهر وعادة. وإن مركز القضية الإسلامية هو الإنسان (كتاب الله المقدور)، وحوله الكون يتأمل فيه، يتوصل به إلى ربه، فإن غاية هذا الكون هو السير في الطريق إلى الله، وعبادته، وعمارة هذه الأرض، وتزكية النفس، من **خلال نسق معرفي متكامل** الأركان ربطا بين العلم والعمل، من خلال كتاب الله المسطور (القرآن)، وكتاب الله المنظور (الكون)، واضعا القلب فوق العقل، والعقل فوق السلوك، فيصير السلوك كاشفا: إما نور وضياء، وإما ظلمة سوداء. والسلوك هو فعل البشر، ونراه يتجلى في العبادة ويتجلى في عمارة الأرض وفي تزكية النفس، وقد يكون هذا الفعل بالأبدان أو بالجنان أو بالأذهان، وهذه هي قضية التكليف.

الملمح الثاني عشر: هناك فرق بين التصوف والصوفي، والطرق الصوفية:

التصوف علم وتطبيق، وهو المصطلح المتعارف عليه لمقام أو رتبة الإحسان التي بينها المعصوم في حديثه، أما الصوفي فهو القائم بتطبيق تعاليم هذا الثلث من الدين، وهو الموصوف في الآية الكريمة ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ **[آل عمران:79]**، وتطبيقه هو الآية الكريمة ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ **[الفرقان:63]**، إلى آخر الآيات من سورة الفرقان، وهو بهذا يتميز عن غيره بالعمل، فالعمل هو أساس الامتياز لا السلبية ولا التواكل.

أما الطرق الصوفية فهي المدارس التي تكونت ليتم فيها ذلك التطهير النفسي والتقويم

السلوكي وكلها تبدأ بالتوبة وتنتهي بالمعرفة، فالبداية والنهاية فيها واحدة ومستمدة من الشريعة، وإنما الاختلاف في المناهج والأساليب بين وحدة البداية والنهاية ولذلك سميت الطرق بالمسالك، والشيخ هو القيم أو الأستاذ الذي يقوم بذلك مع الطالب أو المريد.

الملمح الثالث عشر: السند هو ركيزة التصوف:

ركيزة التصوف هي السند الصحيح المتصل لحضرة سيدنا رسول الله ﷺ عبر إمام الطريقة، ومريد بلا سند مقطوع. وحين يكون السند موصولا يكون من ورائه سِرٌ مجرب يسميه الصوفية (**بركة السند**) حيث تنثال البركة في السلسلة كما يسري الماء في الورد، فتسري البركة الموروثة جيلا بعد جيل، وطبقة بعد طبقة، فإن النسبة استمطارٌ للرحمات الإلهية وتحريكٌ للسلسلة النبوية. وتشير السلسة أيضا إلى منابع أصول الطريقة، وواضعي منهجها، ومقرري نظرياتها الصوفية.

فالطريق نقل واتباع واقتداء، وليس هو بأمر عقلي، ولا مُخْتَرَع. ومن ثم كانت **الوراثة الكاملة باستكمال أسس ثلاثة:**

- طلب العلم (مرحلة جمع الميراث النبوي)،
- والتقيد العملي لحياة النبي (التربية والسلوك بالسند المتصل)،
- وتذوق أحوال المصطفى (وركيزته حب سيدنا ﷺ).

والتربية بالكيف لا بالكم، وبالمدد لا بالعدد، فالطريقة لا تعد تعاليما منفصلة عن تعاليم الشريعة بل جوهرها. وأول مدرسة للصوفية كانت مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأول فرقة من تلاميذها كانوا همَ أهل الصُّفَّة، وعنهم أخذ جمهور المسلمين طبقة بعد طبقة.

الشَّيْخُ المُرَادُ:

اعتاد السادة الصوفية الحديث عن بعض التقسيمات الخاصة بالمنتمين للطريق إلى الله، والساعين إلى التحلي بمقام الإحسان، فيتحدثون عن العابد، والزاهد، والسالك، والصوفي، والفقير، وكذلك المريد والمراد، وغير ذلك من المصطلحات العديدة، إلا أن الحديث هنا يدور حول بعضها وهو المريد والمراد وبيان حال شيخنا منها، ومن يريد التفصيل في المصطلحات كافة فعليه الرجوع إلى مظانها في مطولات معاجم الصوفية.

بداية الأمر وعمومه هو العابد، وهو غير الملتزم بشيْخ، وإنما يلتزم بالشريعة الغراء، ومنه عموم وخصوص مطلق، وهو السالك، وهو المطبق لأمر الله سبحانه وتعالى في شأن العبادة، وهذا السالك قد يكون منه مُريدًا أراد الله، وأراد سيدنا النبي ﷺ، وأراد الشيخ، وقد يكون مُرادًا، بمعنى أن الله تعالى أراده، وهما محل الكلام، وكلهم ناجون والحمد لله.

فالمراد هو أن أُرِيدَكَ فأنْت مُرَاد. والمريد أنك تُرِيدُ غيرك فأنت مُريد. فالمُريد اسم فاعل من أرادَ، وهو تابع، بمعنى المُتَعلِّم على شيخ، وهي أحد رُتب الصّوفيَّة، والمراد اسم مفعول. والجمع مُريدُون.

فالإنسان الذي يريد الله سبحانه وتعالى هو مريد، وفي بعض الأحيان يجذب اللهُ سبحانه وتعالى الإنسانَ بلُطْفِه، ولذلك يقال هذا ليس مريدا بل هو مُراد ومنه قوله ﷺ في الصحيحين «عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ في السَّلاَسِلِ»، بمعنى أن هذا الإنسان ليس في ذهنه أصلا أن يدخل الجنة، إلا أنه الله سبحانه وتعالى يوفقه إلى كل خير، ثم إنه يمنعه من كل شر. أي أنه لا يعرف أن يعصي الله فإذا أراد الذهاب إلى

مكان معصية وجده مغلقا، أو حدث له شيء في الطريق فأعاقه عن الذهاب، ومن الممكن أن تنزل عليه السكينة والنعاس فينام ولا يحضر مثل هذه الأمور. سبحان الله فهو بذلك يكون مُرَادًا، ومنها ما جاء في البخاري من قول السيدة عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ (مَا أُرَى رَبَّكَ إلاَّ يُسَارِعُ في هَوَاكَ)، فكل ما كان يريده ﷺ من غير حول منه ولا قوة يفعله الله له، وكذلك ما ثبت في السيرة أنه ﷺ مُنِع في صغره وشبابه من المشاركة في أي شيء محرم أو حتى غير لائق في جناب النبوة، فكانت الأقدار تقف حائلا أمامه.

وهذا الأمر ليس لسيدنا رسول الله ﷺ وحده، وإنما هذا حال كان فيه النبي ﷺ وأحوال النبي وَرَّثَهَا لأمته، فنرى من البشر منهم من ينطبق عليهم قول النبي ﷺ ومنهم من يقاد إلى الجنة بالسلاسل، ونرى هذا من البشر، وكذلك يشعر به بعضنا في نفسه حتى أنه لا يستطيع أن يعصي الله سبحانه وتعالى. والنبي ﷺ كان قد نزه نفسه عن أفعال الجاهلية، لكنه في مرة من المرات وقبل أن تنزل الشريعة بمعنى أن ما كان يود الذهاب إليه إنما هو من المباحات، ذهب ليسهر مع شباب قريش فنزل عليه النعاس فنام، إذن فهو مُراد، حيث حفظه الله سبحانه وتعالى، فهذا حفظ إحاطة، فالله سبحانه وتعالى يحيطه بكلائه وعنايته ورعايته، ولذلك نجد أن سيدنا النبي ﷺ لم يسجد لصنم قط حتى قبل الوحي، ومن ثم فهو ﷺ مُراد، فهو محفوظ ومعصوم قبل الرسالة، وبعدها، فلا يقع في الخطأ ولا الخطيئة لأنه مصدر التشريع.

وعليه فالمريد من أراد الله سبحانه وتعالى، ولأنه أراد الله سبحانه وتعالى، فإنه يسعى إليه ويضع الخطط والحيل من أجل أن يصل إلى الله، وهو هنا يبحث عن الشيخ المرشد الذي يوصله إلى الله فيدله على الله ويهديه إلى الله سبحانه وتعالى.

فالمريد الذي أراد اللهَ سبحانه وتعالى يبحث عمن يوصله، وهذا تماما مثل من يريد أن يذهب إلى مكان ما، فإنه يبحث عن سيارة توصله، وهذه السيارة أو وسيلة النقل هي البُلْغَة التي تبلغه هدفه، فالشيخ هو البلغة التي تبلغ المريد هدفه، أي أنك تبلغ هدفك بالشيخ إلى الذي أردت، فالمقصود هو الله، المقصود ليس الشيخ؛ لأن الشيخ ليس معصوما، والشيخ وسيلة. أما إن كان وارثا محمديا، فهو محفوظ، وعلى كل حال هو يغلب خيره شره، أي يغلب عطاؤه وطاعته قصوره وتقصيره، فالشيخ دائما يكون على أهل خير لكنه ليس معصوما[1].

والباحث المدقق في حال شيخنا حين يدرس مسيرته الصوفية لا يجد إلا وصفا واحدا متحققا لمولانا خلال رحلته الصوفية مع مشايخه، فالإمام لم يطلب الطريق، وإنما طُلِبَ له، فبالرغم من ملازمته اليومية تقريبا لمدة سنتين متتاليتين لسيدي **أحمد مرسي النقشبندي** (توفي بعد 1980م)، تلميذ سيدنا الشيخ محمد أمين البغدادي شيخ السادة النقشبندية والذي قَدِم إلى مصر ودُفِنَ بمصر بجامع الظاهر جاشنكير بحي الجمالية بالقاهرة، والذي أخذ هذا الطريق عن سيدي عمر، عن أبيه عثمان طويلة، عن سيدي خالد ذي الجناحين إلى منتهى هذا السند المبارك المشرف، وكان له سبعة تلاميذ، منهم الشيخ أحمد حمادة الشافعي الذي التزمه مولانا أيضا، وبالرغم من أن الشيخ البغدادي لم يأذن لأحد من مريديه بإعطاء الطريق لمن بعده، وقال طريقنا

(1) ويتفرع على ذلك طلب المريد أيا كان مرتبته من الله أمورا دنيوية، فالمريد الذي يستحي أن يطلب من الله شيئا من أمور الدنيا يقينا منه أو ظنا منه في الله تعالى أنه أعلم بحاله، فهذا ليس انتقاصا أو عدم يقين أو سوء ظن، لكن هذا أمر طيب جدا، أن نتوكل على الله ويشغلنا ذكره عن مسألتنا. وإذا شغل ذكر الله عن مسألته أعطاه الله خير ما يعطي السائلين، ففي الحديث «مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ» (رواه الترمذي، والدارمي).

موقوف إلى المهدي، فانقطعت السلسلة أيضا من طريقه، إلا أن أحد تلاميذه لم يلتزم بذلك، ولما عَلِم الشيخ أحمد مرسي بذلك أخذ مولانا د. علي جمعة من يده، وذهب معه إلى هذا الرجل وأمره بإعطاء الطريق للشيخ علي[1]، والشاهد هنا أن مولانا لم يَطْلُب بل قد طُلِب.

وجاء العارف بالله الأصولي المجتهد سيدي **عبد الله بن الصديق الغماري**، (ابن الشيخ محمد بن الصديق الغماري قطب الدنيا ومؤسس الطريقة الصديقية بالمغرب بسنده إلى منتهاه)، إلى مصر متلقيا من الأزهر الشريف، ومتفاعلا مع هذه البيئة العلمية ناقلا علومه واجتهاده، فبحث عنه مولانا الإمام العلامة حتى التقاه بكرامة لا مثيل لها ودرس عليه الأصول والحديث وغيرها من العلوم، ولازمه حتى انتقاله.

وكان ذات يوم أن سأل الشيخُ عبد الله مولانا الإمام العلامة: لك معي فترة من الزمان، ولم تأخذ مني الطريق، أليس كذلك؟ **امدد يدك أبايعك**، فبايعه الشيخ عبد الله، وأعطاه الطريق، وأذن له في إنشاء الطريقة الصديقية الشاذلية بمصر، فكان الشيخ عبد الله هو ناقل الطريقة الصديقية لمصر، **ومولانا الإمام العلامة هو مؤسس الطريقة في مصر، من غير طلب منه، بل تكليفا من شيخ الطريقة سيدي عبد الله.**

حتى إن مولانا الإمام العلامة يحكي **قصة الخرقة** تفصيلا، فيقول: (الخرقة أو كما يسمونها في القديم «المرقعة» أمر روحاني، وأنها ليست من الرسوم، وأنه لا يمكن تحويلها إلى رمز أو شعار، وإلا كنا من أهل الظاهر دون الباطن، فهي إشارة إلى

(1) وهنا ننقل عن شيخنا ومولانا الإمام العلامة د. علي جمعة قوله: وكان الشيخ محمد أمين البغدادي يقول تلامذتي سبعة: الشيخ عبد العزيز الشريف، والشيخ أحمد حماده، والشيخ أحمد مرسي، والشيخ محمد الأمير، والشيخ تمام عبد الله، والشيخ شرف الدين. ولم يذكر شيخنا السابع.

الصحبة، وسموها في القديم مرقعة حتى لا تتشوف النفس إليها، فالله وحده هو الذي يُلبس المرء هذه المرقعة، فلها معنى روحاني عالٍ جدا وله آثاره المترتبة عليه، ومنها أنها تمنع من بعد لبسها الرجوع عن الطريقة، فلا يصح بعد ارتدائها أن يتحول المرء مثلا من الخلوتية إلى الشاذلية. وأن هذه الخرقة أخذها الأقدمون من قصة قميص سيدنا يوسف عليه السلام ورَدّ بصر سيدنا يعقوب عليه السلام، وكذلك من إلباس (إعطاء) سيدنا النبي ﷺ البردة لسيدنا كعب وغيره، حتى إن ابن سلول المنافق طلب بردة سيدنا النبي، مما يدل على أن الثياب بها سر، ألا وهو البركة. ولقد جاء سيدي عبد الله ذات يوم، ومعه الخرقة وألبسني إياها، وكان يتبع الطريقة الدرقاوية الشاذلية، وعند الشاذلية عبارة تسمى بإلباس الخرقة وهي علامة وليس مجرد لبس أو ثياب، فإلباس الخرقة علامة على المصاحبة، فلقد جاء السيد عبد الله في يومٍ، ومعه عباءة سوداء، لها شكل معين، وألبسني إياها، **فقلت له: ما هذا يا سيدي؟ قال: هذه الخِرقة.**

والخرقة ألبسها سيدنا علي بن أبي طالب للحسن البصري. فهذه أمة مرحومة، لا تتبع الأوهام، ولا تبتدع، وإنما تتبع، أمة فيها معونة وفيها حفظ، ما هدف هذا الرمز أو هذا الشيء؟ الصحبة والاقتداء، فالعلامة هنا الصحبة والاقتداء). فتحقق لمولانا الإمام العلامة بذلك طريق النقشبندية، وطريق الشاذلية الصديقية، وأُذِن له بكليهما.

ويلتقي مولانا الإمام العلامة شيخه الورع التقي المحدث الأصولي الفقيه الحنفي مذهبا الشاذلي طريقة، سيدي **أبي البركات محمد زكي إبراهيم** رائد العشيرة المحمدية ومؤسسها، والذي كان عالما عاملا يخدم الناس ويُنَمّي شأنهم، ولازمه كثيرا بالعشيرة المحمدية حتى صار من خاصته، بل إن مولانا الإمام العلامة هو الذي نزل إلى قبر الرائد عند دفنه، وبعد الفراغ من الدفن بمسجد المشايخ بالعشيرة المحمدية، قام مولانا

الإمام العلامة برثاء شيخه الرائد الزكي. والشاهد هنا أن مولانا الإمام العلامة أيضا لم يَطْلُب من الرائد الطريق، بل إن الرائد في ذات يوم قال يا عليّ: **ابسط يدك لأبايعك**، وأعطاه الطريق، وأجازه بالمحمدية الشاذلية، وأعطاه الإجازة مكتوبة بخط يده أخذا للطريق وإعطاء له، وهو في النهاية شاذِلي.

ومن الأنوار المتدفقة إلى قلب مولانا الإمام العلامة، وتصقل روحه شيئا فشيئا، في غير طلب منه، وفي غير تشوف أو تشوق لمشيخة وغيرها، كان اللقاء مع العارف بالله **الدكتور حسن عباس زكي** عضو مجمع البحوث الإسلامية، ووزير الاقتصاد الأسبق، والذي كان شيخا للشاذلية بالسند المتصل إلى السيد عبد الوهاب الحصافي من طريق عبد الهادي القليوبي، والذي **أعطاه طريقا ثالثة للشاذلية**، وكتب له الإجازة أيضا بخط يده ووقع عليها وأجازه بإعطاء الطريق عن سيدي عبد الفتاح القاضي، عن سيدي محمد عبد الوهاب الحُصَافِي بطريقه الشاذلي المعروف المشهور.

ومن الأمور التي ينبغي ذكرها في هذا المقام أن الدكتور حسن عباس زكي كان بصدد إعلان مولانا الإمام العلامة شيخا للطريقة القاضية الشاذلية من بعده، إلا أنه قد صدر أثناء ذلك القرار الكريم بتعيين مولانا الإمام العلامة مفتيا للديار المصرية، فلم يعد ذلك مناسبا حينئذ.

والشاهد من الثلاثة: الغماري، والزكي، وحسن، أن كل هذه الأسانيد صبت في مشرب واحد، وصارت مسارا واحدا، كان نورا على نور، وسندُ الجميع متصل بأسانيد مختلفة، فالسيد حسن يروي بثلاثة أسانيد، والسيد محمد زكي الدين إبراهيم يروي بثلاثة أسانيد، والسيد عبد الله يروي بثلاثة أسانيد، على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، حيث يقول مولانا الإمام العلامة:

(حتى اتصل حالنا والحمد لله رب العالمين من منته وكرمه بعلماء الأمة من السواد الأعظم، وها نحن نجيز أهل الطريق من بعدنا بما أجازنا به مشايخنا مقيدا بالكتاب والسنة، حتى ينتشر ذكر الله في الآفاق، فهذه الأسانيد نعرضها للعالمين أن طريقنا إلى الله مقيد بالكتاب والسنة يرويهُ الخلف بمَوْصُول السلف، فلسنا أهل ابتداع ولا أهل مَرَائي بل نحن نريد أن نكون على ما كان عليه سيدنا النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم، فالخيرُ كلُّ الخير في هَدْي هذا الإنسان الكامل الذي أرسله الله تعالى إلى العالمين ختاما للنبيين وإماما للمرسلين خَتَمَ به النبوة والرسالة وأنزل عليه الكلمة الأخيرة).

ومجمل القول مما سبق أن مولانا الإمام العلامة جُمِعت له - من غير طلب منه - أكبر طريقتين: الشاذلية (من ثلاثة أفرع)، والنقشبندية، في انصهار عجيب لم يتم لغيره طريقا وسلوكا وتربية ومشيخة فيما نعتقد. وأن ذلك تم لفضيلته في نفس الوقت الذي نهل من كوكبة أخرى من مشايخ الصوفية، مثل الشيخ محمد الحافظ التيجاني، شيخ الطريقة التيجانية، والشيخ صالح الجعفري شيخ الجامع الأزهر، والشيخ محمد علوي المالكي، وغيرهم الكثير، وأن كل هذه الطرق التي تشبعت بها روح مولانا الإمام العلامة أضافت إلى مولانا نوعا من القطبية النادرة، والتي جاء الحديث عنها في موضع آخر من هذا الكتاب، فهو بحق قطب أقطاب عصره، فحقا هو الشيخ المراد لا المريد، والحمد لله رب العالمين.

الشَّيْخُ الخَادم (الشيخ والخدمة):

يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة:

إن السياسة منها رعاية شئون الأمة، وهذه نعمل بها، ومنها الحزبية، ولا نعمل بها، فإن للخدمة عند السادة الصوفية مكانة مهمة جدا، حيث إنها جزء لا يتجزأ من النشاط الإنساني في عمومه وخصوصه، ولا تنفك عن الآداب الإنسانية البشرية التي يقبلها عقلاء البشر، والآداب والتعاليم الربانية التي شملها القرآن الكريم، وفصلتها السنة النبوية المطهرة، فهي كل نشاط يخدم الخلق يُراد به وجه الله. ومن ثم تؤكد الصوفية أن فلسفة هذه الأنشطة والخدمات تلتف كالدوامة حول محور هو حُسن الخدمة، وأن الخدمة لابد وأن تكون عن علم خالٍ عن الجهالة، مُشَيَّدَة على الكتاب والسنة والأعراف المجتمعية السوية، وأن الهمة في الخدمة ترفع الأمة، وأن الخدمة الصوفية تتبع أولويات المجتمع واحتياجاته في غير انفصام، فالخدمة من أهم شروط الصوفي وآدابه بشرط تحصيل النية[1].

(1) وكما جاء في دستور الخدمة للطريقة العلية الصديقية الشاذلية: الخدمة لغة المساعدة، أو الفَضْل، أو الهدية، أو المنحة، أو توفير عناية واهتمام، والخادِم من يقوم على خدمة غيره غلاما كان أو جارية (ذكرا كان أم أنثى)، وهي نشاط وليست سلعة (فليس لها جسم مادي) يقوم به الفرد لحساب آخر، وهي تقدم على شكل نشاط أو نوع من الرضا للمستفيد منها بدون تحويل الملكية. والخدمة اصطلاحا: يمكن تصور مفهوم الخدمة كطائر له جناحان، الأول مشتق من المفاهيم والمقاصد الشرعية للدين الإسلامي الحنيف بمعنى كل نشاط يخدم الخلق ويراد به وجه الله، والجناح الآخر هو ناتج عن الحركة المجتمعية المدنية انطلاقا من كونها نشاطا، ومن ثم يأتي التعريف الاصطلاحي في دستور الخدمة عند الصوفية جامعا لهذين الجناحين، بأنه: قيام الإنسان بنشاطٍ ما مقترنا بالنية لله، لصالح غيره من الأفراد أو المجتمعات لمساعدتهم على زيادة أو استعادة قدراتهم في الأداء العمران.

ويمكن النظر إلى حظ الخدمة في حياة فضيلة مولانا الإمام العلامة من خلال عدة محاور:

الأول من خلال الطريقة الصديقية الشاذلية،

والثاني على المستوى الخدمي العام المحلي،

والثالث على المستوى الإقليمي والدولي، على النحو الآتي:

أولا: المجال الخدمي للطريقة الصديقية الشاذلية:

على الرغم من حداثة إشهار الطريقة العلية الصديقية الشاذلية رسميا، إلا أن شهرتها في المجالات الخدمية بلغت الآفاق، وتمثلت في العديد من الخدمات والمشروعات التي أقامتها الطريقة، أو ساهمت في إنشائها، والتي تم تصويرها في مخطط خاص بالطريقة نطرحه على القارئ بعد قليل.

وتنطلق نظرية الخدمة عند الصوفية الصديقية الشاذلية - كما قرر مولانا الإمام العلامة - من النسق المعرفي للحضارة الإسلامية (Islamic paradigm)، المكون من أركان الإيمان، وعلاقة الإنسان بخالقه، في إطار من القيم العامة المطلقة التي تقوم على دعامة أساسية من توحيد الله، وقيم مهنية تقوم على فهم صحيح للطبيعة الإنسانية، وطبيعة الاجتماع البشري بكل مشتملاتها الروحية والسلوكية والبيولوجية والعقلية، وغير ذلك، سعيا إلى توفير الظروف المواتية والمناخ الملائم لتحقيق الغاية من الوجود الإنساني في تحقيق العبودية المطلقة لله تعالى والمتمثلة في النهوض بأعباء الاستخلاف من أداء النسك والعبادات، وعمارة الأرض، وتزكية النفس، داخل الإطار المرجعي والرؤية الكلية للإنسان والكون والحياة، في إطار المنظومة التربوية الأخلاقية القيمية الإنسانية، التي مؤداها وهدفها الإحسان، ومن ثم تصير الخدمة عند الصوفية عملية مستمرة تراكمية ديناميكية، تراعي محاور التغير الأربعة: الزمان، والمكان، والأحوال،

والأشخاص، في عدم غياب عن الواقع.

ومن هنا تبرز أهمية الخدمة في حياة مولانا الإمام العلامة، وكيف أنها لغته الخاصة التي يتعامل بها مع الأكوان، حتى قام فضيلته بوضع دستورا مكتوبا للخدمة عند الصوفية، مبينا موقع طريقته العلية الصديقية الشاذلية فيها، فكان له قصب السبق في هذا المجال، حيث لم يسبقه في ذلك طريقة من الطرق.

ودائما ما يبين فضيلته، بل ويؤكد على الجانب المرن في هذا الصدد، عند الحديث عن الخدمة صورها وأشكالها وأساليبها، موضحا أنها تخضع لشكل المجتمع ذاته وتركيبته الاجتماعية، فالأنشطة المجتمعية والمعيشية لم يحدد لنا الدين لها صورة مخصوصة، كما لم يحدد لنا صورة المسجد أو المسكن أو الملبس أو المأكل وغير ذلك، وإنما قال: ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:31]، وبين لنا الدين ماذا نأكل وهو الأكل الزكي ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ [الكهف:19]، ومع ذلك اختلفت الشعوب والبلدان في هذا المعنى، حيث لم يحدد لنا في ذلك شيئا، فهناك مساحة من المعيشة تركها لنا الدين الحنيف.

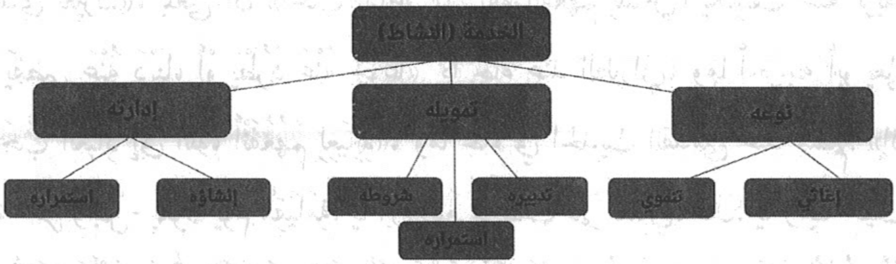
ومن ناحية أخرى يوجه مولانا الإمام العلامة إلى ظن الناس - وبخاصة في العصور الحديثة - أن خدمة الصوفية تقتصر على تقديم الطعام، حتى إنهم بالغوا في ذلك واتهموا الصوفية بفرط الطعام، وما إلى ذلك مما هو معلوم من اتهامات توجه إلى الصوفية، رغم الإقرار بالأمور الأربعة التي هي لب التصوف، وأولها قلة الطعام، ثم قلة الأنام، وكذلك قلة الكلام، وأخيرا قلة المنام، وهذه الأمور الأربعة هي من المساعدات في الطريق إلى الله، وأدلتها كثيرة في الكتاب والسنة، فدليل قلة الطعام حديث ابن ماجه «حَسْبُ الآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ غَلَبَتِ الآدَمِيَّ نَفْسُهُ فَثُلُثٌ

لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ»، وقلة الأنام من حديث البخاري «ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ»، ودليل قلة الكلام من حديث معاذ في الترمذي: (.. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»)، أما دليل قلة المنام من قوله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل:2]، وبذلك يصل الإنسان إلى درجات الطريق، بالذكر والفكر وعدم الالتفات يصل الإنسان إلى مقصوده.

ويشير فضيلة مولانا الإمام العلامة لما ابتلي به المجتمع من سخرية البعض من الأمر الرباني بإطعام الطعام والذي يوقر المحبة بين الناس، والذي فيه - عند التحري - أثر استجابة الدعاء «أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ» فكان الناس عندما سلّموا أنفسهم لرسول الله ﷺ يدعون فيستجيب الله لهم، والآن بعد السخرية من هذه التعليمات، واعتبروا الأكل وكأنه نوع من أنواع الكسل أو التنبلة أو الشحاتة أو كذا إلى آخره من الأمور السلبية، ولم ينظروا إلى هذا القول العميق: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:9،8]، حتى عَدُوِّي الأسير أقوم بإطعامه، فيجب أن نعود مرة أخرى إلى تعظيم ما عظّمه الله، ووضع الأمور في نصابها فإن النابتة أرهقت الأمة وضيعت المفاهيم، وغبّشوا على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تربيته لأتباعه.

وهذا ما جعل مولانا الإمام العلامة أن يؤكد في كل المحافل واللقاءات أن إحياء سنة إطعام الطعام هي من أهداف طريقته العلية الصديقية الشاذلية، حتى سارع أبناؤه في الطريق كافة إلى الاستجابة لهذه الدعوة الكريمة ففاضت البلاد شرقا

وغربا بموائد الطعام دون تمييز بين غني أو فقير، محتاج أو غير محتاج، حتى ولو كان من غير أهل ملة الإسلام، مطبقين محاور الخدمة التي وضعتها الطريقة العلية الصديقية الشاذلية، والموضحة بالشكل التالي[1]:



ومستفيدين من علوم مولانا الإمام العلامة على جانب الشريعة بترتيب مجالات الخدمة طبقا لفقه الأولويات، الذي يضع كل شيء في مرتبته، فلا يؤخر ما حقه التقديم أو يقدم ما حقه التأخير ولا يصغر الأمر الكبير ولا يكبر الأمر الصغير، والذي من أهم تطبيقاته تقديم العمل المتعدي نفعه إلى الغير على العمل القاصر نفعه على صاحبه. فليس المقصود البقاء على مكان محدد والاقتصار على خدمة معينة، بل التشمير عن السواعد في زمن الحاجة، حتى صار أبناء مولانا الإمام العلامة فقهاء وأصوليين وضعوا أصول الخدمة وأولوياتها ارتكازا على تطبيق القواعد الأصولية والفقهية، وأن الخدمة تختلف باختلاف المحاور الأربعة: الزمان، والمكان، والأحوال، والأشخاص، تحت مظلة المسئولية المجتمعية، وحفاظا على هوية الأمة، في غير انعزال عن الثمار الروحية والسلوكية للخدمة، فتوجيهات مولانا الإمام العلامة واضحة في هذا

---

(1) والشكل من إعداد الشيخ عبد الله أبو ذكري من تلاميذ مولانا الإمام العلامة، وأحد مقدمي الطريقة العلية الصديقية الشاذلية.

الشأن من تهذيب النفس وتربيتها، أيا كان مجال الخدمة، سعيا إلى ربط المرء بدينه وبالله ورسوله، والتعرف على آلام الناس وآمالهم، ومواساتهم، وإسعافهم، وإرشادهم، وهي محاور التصوف العملي، التي تنطلق من القاعدة والركيزة الأولية «خَلِّ خِيرَكَ يتَعَدَّى لِغيرِكَ»، بمعنى أن «أَحَبُّ النَّاسِ إلى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، يكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ يَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا» كما جاء عند الطبراني، وما أخرجه أبو يعلى «أَحَبُّ الْعبادِ إلى اللهِ، أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»، وما جاء في الحديث القدسي عند مسلم: «إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»، وكذلك قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ» (رواه البيهقي)، وأن «مَنْ أَعَانَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ عَلَى حَاجَةٍ حَتَّى يُثْبِتَهَا لَهُ، ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ» (رواه الطبراني)، وما أعظم ما رواه أحمد في مسنده عن أبي ذر أن «عَلَى كُلِّ نَفْسٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ صَدَقَةٌ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مِنْ أَيْنَ أَتَصَدَّقُ، وَلَيْسَ لَنَا أَمْوَالٌ؟ قَالَ: إِنَّ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ: التَّكْبِيرَ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْزِلُ الشَّوْكَةَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَالْعَظْمَ، وَالْحَجَرَ، وَتَهْدِي الأَعْمَى، وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ وَالأَبْكَمَ

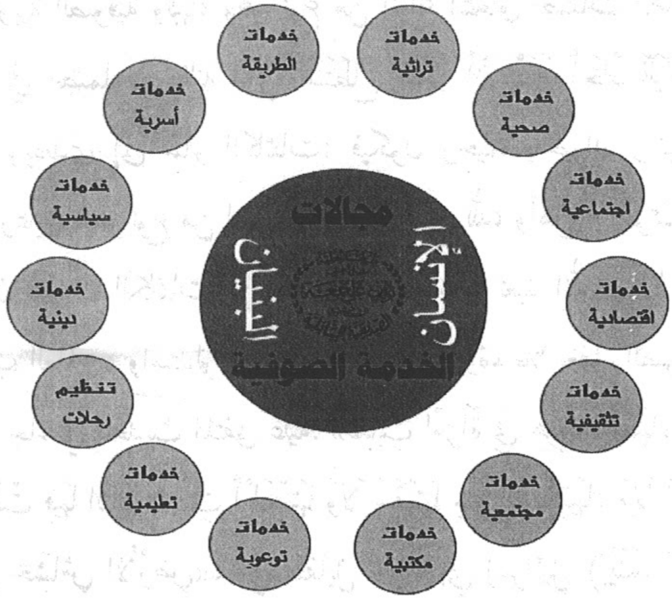
حَتَّى يَفْقَهَ، وَتَدُلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَى اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، وَتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَكَ فِي جِمَاعِكَ زَوْجَتَكَ أَجْرٌ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كَيْفَ يَكُونُ لِي أَجْرٌ فِي شَهْوَتِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ وَلَدٌ فَأَدْرَكَ، وَرَجَوْتَ خَيْرَهُ، فَمَاتَ، أَكُنْتَ تَحْتَسِبُ بِهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْتَ خَلَقْتَهُ؟ قَالَ: بَلِ اللهُ خَلَقَهُ، قَالَ: فَأَنْتَ هَدَيْتَهُ؟ قَالَ: بَلِ اللهُ هَدَاهُ، قَالَ: فَأَنْتَ تَرْزُقُهُ؟ قَالَ: بَلِ اللهُ كَانَ يَرْزُقُهُ، قَالَ: كَذَلِكَ فَضَعْهُ فِي حَلَالِهِ، وَجَنِّبْهُ حَرَامَهُ، فَإِنْ شَاءَ اللهُ أَحْيَاهُ، وَإِنْ شَاءَ أَمَاتَهُ، وَلَكَ أَجْرٌ»، لأن (أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ) كما جاء عند الحاكم، وأعلاهم سادتنا الأنبياء الذين قال في حقهم تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء:73]، حتى إن الطبري وابن كثير ذكرا في تفسيريهما أن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:31] وجعلَنِي مباركًا أي نفاعًا، فإن الحاكم قد أخرج (صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ وَالآفَاتِ وَالْمهلكَاتِ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ)، وكذلك من قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:114].

ونستظل دوما بالتوجيهات الروحية لفضيلته، والتي تؤكد أن الخدمة دوما لوجه الله ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:9]، مؤكدين على المعنى السامي: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:90]، وقوله عز من قائل: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [هود:29]

وحين الكلام حول الخدمة عند الصوفية لابد وأن نشير إلى ما قرره أهل الله في

مُصْطَلَح الفُتُوَّة، والذي قيل في حق سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (لا فتى إلا علي)، والذي ورثها حفيده مولانا الإمام العلامة، واسمه عليّ أيضا، وهو مصطلح ينطوي على معانٍ خُلُقية عالية في التعامل مع الخلق أكثر من انطوائها على حقائق إلهية، فالفتوة الموروثة عند مولانا الإمام العلامة هي منظومة خلقية قيمية تربوية يتعامل بها مع أهل الله، وهي مع الناس، أخلاق اجتماعية، مقترنة بنية العبادة لله رب العالمين فالعبرة عنده ليست بالعموم أو الخصوص بين الفتوة وغيرها من المصطلحات كالمروءة، إنما هي في التطبيق العملي والأمثل لهذه الأخلاقُ الكريمة، والسجايا الفضيلة، التي بدونها لا معنى للتصوف، أو للصوفي الساعي إلى تحقيق الكمال الخُلُقي، في تمسك كبير بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وتطبيقهما على أرض الواقع، فأصل الفتوة عند الطريقة الصديقية الشاذلية أن يكون العبد ساعيا أبدا في أمر غيره، وهذا هو ما رأيناه من حال لمولانا الإمام العلامة الذي دائما يقدم الإنسان قبل البنيان، والساجد قبل المساجد، والوعي على السعي، والإنارة لا الإثارة، ويأخذ بيد أبنائه يدربهم على قلع جذور الأنانية، والغرور، والكبر، داخل الإنسان، كي يدرك عجزه وفناءه، من خلال تكليفه بمهام خدمية في المجالات كافة، أو في مجالات بعينها تعين السالك على التواضع، وتهذيب النفس، مثل خدمة الحيوانات المريضة.

وبشيء من التفصيل والخصوصية، فلقد أنشأ فضيلة مولانا الإمام العلامة مجموعة من اللجان تحت إشرافه المباشر، يقوم عليها مجموعة من مقدمي الطريقة، حيث تتنوع هذه اللجان لتشمل جميع الأنشطة المبينة بالمخطط التالي:



شكل يوضح أهم المجالات وأنشطة الخدمات الصوفية عند الطريقة الصديقية الشاذلية

ويرى مولانا الإمام أنه لا يقدح في التصوف دخول أهله إلى المجالات الدنيوية، بمعنى اتسام عملهم بمثل هذه الخدمات، فالإسلام في أصوله يحث على ذلك، والتصوف جوهر الدين، وهو يُعَلِّم المرء التخلص من الأنانية والنفسانية، ويقدم له وصفة تجعله مؤمنا خدوما يتحلى بالقيم النبيلة، مثل التضحية والإيثار، فالتصوف من هذا الجانب تغلُّبك على نفسك، وبذل الجهد في سبيل التخلص من قيودها، والانطلاق في الملأ الأعلى الأرحب، والتصوف يجعل من الأفئدة أمكنة تتنزل عليها الرحمات والفيوضات، فالقلب محل السعة الإلهية، «إِنَّ لِلَّهِ آنِيَةً مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، وَآنِيَةُ رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ أَلْيَنُهَا وَأَرَقُّهَا» (رواه الطبراني)، وتجد فيها المخلوقات الطمأنينة، ويحث الإنسان كي يكون مؤمنا طيبا يحمل الخير والفائدة في أحواله، وأقواله، وأفعاله، لذا فإن الخدمات الاجتماعية والمجتمعية للإنسان أو الحيوان أو النبات موجودة أصلا

في جوهر التربية الصوفية ولُبّها، وهي نوع من أنواع التخلق بصفات الجمال، وليست أمرا جديدا في مضمارها، فإنه «مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» (رواه مسلم)، بل ويتعدى إلى سائر الكائنات، فيكون رحيما بالحيوان والنبات والجماد ويعمل على رعايتها وهو نوع من الخدمة، فالكل يُسَبِّح لله، وأهل التصوف يقولون إن أول شيء أن تَعْلَم أن الكائنات من حولك تسبح، وأنها تعبد الله، وأنها تبكي، وأنها تسجد لله رب العالمين، واستدلوا بآيات وأحاديث كثيرة، فلا يغفل الصوفي عن هذا المعنى، فلقد جاء في الحديث المتفق عليه: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا، حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لاَ أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلاَ سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلاَ أَنْتِ أَرْسَلْتِيهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»، وفي المقابل امرأة بني إسرائيل (بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ)، من الرقة التي كانت في قلبها، وقالوا «يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لأَجْرًا؟ فَقَالَ فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»، حتى الحلال الذي أحله الله لنا مثل التمتع بالأكل، فقال لنا سيدنا ﷺ فيما رواه مسلم: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»، وعن القتل، فالمرء يقتل الصرصور وغيره من الحشرات الضارة وغير ذلك لكونها تنقل الميكروبات، والأمراض كالطاعون، فكان الأمر النبوي (فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ)، وما ذلك إلا لأن الله جل في علاه (كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)، فإذا استقر في قلبنا رحمة الجماد والحيوان والنبات، - والكلام لمولانا - ألا يدفعنا ذلك إلى رحمة الإنسان، والعمل على خدمته على الوجه الأخص.

فيأتي المنهج مُحدَّدًا في أن:

(أ) نفهم الرحمة،

(ب) نمارس الرحمة،

(ج) نعيش الرحمة (أي تستمر على ذلك، ويملك عليك جوارحك فتغير السلوك)،

ومع كل صفة لابد من ذلك، فتتجلى الخدمة حينئذ في أروع صورها.

لذلك فإن انتقال هذه الخاصية الموجودة في لب التصوف من القول إلى الفعل في أيامنا هذه ستجعل العقول ترى توسع مجال اهتمام التصوف ونشاطاته، فالتصوف مسئولية يحملها أولئك الربانيون تجاه عباد الله الغافلين، الشاردين، التائهين، فيعاملونهم ويخدمونهم ويرشدونهم بالشفقة والرحمة والمحبة لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته. فالتصوف ليس حياة يضع فيها المرء نفسه في تكية من أجل كماله المعنوي، لا بل إن تقديم الخدمات لمدة محددة بقلب واع مدرك يماثل طرائق التربية التي تتبعها بعض الطرق الصوفية، مثل العزلة والخلوة ابتغاء تطهير العالم الداخلي.

وعلى الجانب العام، نرى مولانا الإمام العلامة وقد ترأس مصر الخير وهي أكبر مؤسسة خيرية في مصر، والتي استطاع بفضل الله أن ينمي ميزانيتها لتصل إلى ألف مرة الميزانية التي وضعتها لها الشئون الاجتماعية في أول عام لها عند إنشائها، ووصلت هذه المؤسسة إلى ربوع الأراضي المصرية كافة، وفي المجالات كافة.

أما الجانب الشخصي، فالمتابع لحركة مولانا في المجتمع المحيط، يجد أنه لا ولم يتأخر عن أحد لجأ إليه في أي مأزق، ولم يرد سائلا، بالمعونة، أو المساعدة، وغير ذلك من مجالات الحياة، فإن لم يستطع توفير المطلوب على نفقته الخاصة سعى إلى إنهاء الخدمة المطلوبة مستشفعا لهذا الإنسان عند من يستطيع تلبية الأمر محل الطلب.

وبشيء من التفصيل والخصوصية، فلقد أنشأ فضيلة مولانا الإمام العلامة مجموعة من اللجان تحت إشرافه المباشر، يقوم عليها مجموعة من مقدمي الطريقة، حيث تتنوع هذه اللجان لتشمل كافة الأنشطة المبينة بالمخطط السابق.

الإشارة إلى بعض من الأنشطة الخدمية كنموذج لدور الطريقة الصديقية الشاذلية

حيث إن كافة المجالات تحتاج إلى مجلدات للتعريف بها، ومردودها على المجتمع:

مجالس السماع والمديح: لتقوم على إحياء المناسبات الدينية والروحية الإسلامية المعروفة، مع التركيز على الإنشاد الديني والمديح النبوي، والتنسيق بين المداحين على مستوى العالم لإنتاج ألبومات خاصة لمديح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بالإضافة إلى عقد حفلات المديح والإنشاد الديني، حيث إن السماع يعد أحد أفرع الأدب الصوفي الذي هو أجمل زهرات ثمار الصوفية، والتحفة النبيلة التي قدمتها الصوفية للحضارة الإسلامية، والتراث الإنساني، حيث سُمِعت ألحانُها منذ الصدر الأول، وازدادت ازدهارا على مدار العصور، تأصيلا للمدرسة الذوقية الروحية في مقابل المدرسة العقلية، أو النزعة الشهوانية، سُمُوًّا للرؤية الوجدانية للكون والحياة والإنسان، في إطار حاكم من الكتاب والسنة. كما تعقد هذه المجالس أوقاتا خاصة بالسماع من غير مواسم أو احتفالات محددة، بل مجالس سماع خالصة ترقيقا للقلوب وزيادة في تعلقها بالمديح النبوي.

إطعام الطعام: حيث تنتشر موائد الإطعام في طول البلاد وعرضها، في المساجد والساحات، ومقرات الطريقة، وذلك في المناسبات الدينية والاجتماعية مثل الأعياد والموالد، وتوزيع لحوم الأضاحي على مستحقيها، وكذلك بصفة دورية، وكلما سنحت

الظروف، وكذلك عقب مجالس الذكر والحضرات والصلوات، وكذلك توزيع وجبات على المحتاجين في بيوتهم، والتوزيع العام المطلق في الأماكن التي يكثر فيها الناس والمحتاجين.

ويقوم على هذه الخدمة خيرة أبناء الطريقة، حيث تتم نشر آداب الطعام وتناوله والجلوس له وعقبه، وأثناء الأكل، وهكذا، مع تطبيق شروط الطعام في ذاته، وعلاقة المرء بالطعام. كما يتم تدريب أبناء الطريقة على الخطوات الإجرائية لخدمة الطعام، حتى تتم هذه الخدمة وفق الأصول الشرعية والصوفية والاجتماعية والإنسانية من غير تمييز بين أي من الحاضرين، فالموائد مفتوحة للكافة.

القوافل الدعوية: فالدعوة هدم وبناء، ونقل أمة من محيط إلى محيط في خلاصةٍ هي صدق التوجه إلى الله، من أجل تحقيق فقه المعرفة بالله، وتهدف القوافل الدعوية إلى الدعوة العامة من خلال المساجد، أو زيارة لأحد الأماكن غير المساجد كمقرات الطريقة وساحاتها، سعيا وراء نقل المجتمع الإنساني إلى التحقق بمقام الإحسان، لتحقيق صدق التوجه إلى الله، وزيادة المعرفة بالله، وعشق الذكر، وتقديم التصوف في صورته الحقيقة المقصود بها الصلاح والإصلاح، والنفع والخير للناس أجمعين، من خلال منهج حي، غير جامد أو ميت، يقوم على التفاعل والتأثير، في غير معزل عن الحياة وظروف الزمان والمكان والأحوال والأشخاص، والأحداث والوقائع المتجددة، ارتكازا على أسس وضوابط واضحة من العلم والتحقق بالعمل، وتنزيه القصد عن الغرض، والإخلاص لوجه الله، باستخدام المنهج العاطفي، والعلمي، والحسي، وتدريب أبناء الطريقة على ممارسة شعائر الطريقة ونسكها كالحضرة والعمارة ومجالس الصلوات، وغيرها.

خدمة السفر والرحلات: فللسفر فوائد ومنافع أخرى تنعكس على شخصية الفرد وثقافته وتجعله يحب السفر والترحال كثيرا، ومن ثم تقوم لجنة خاصة من

أبناء الطريقة بهذه الخدمة، تعظيما لفوائدها من زيادة الثقافة، واكتساب المهارات والهوايات الجديدة، والتدريب على حزم الأمتعة، والقدرة على التحميل، والاعتماد على النفس، جنبا إلى جنب مع نشر وتعليم وتطبيق سنن السفر والرحلات وآدابها، والتعاليم الشرعية المتعلقة بذلك قبل الشروع في السفر، وحال البدء في السفر، وأثناء السفر، وحال الرجوع إلى الديار.

خدمات تراثية: حيث يتم تجهيز مُتحف بالطريقة، ونشر الكتب التراثية وطباعتها، وتحقيقها، وشرحها، وإقامة المكتبات والبحث عن المخطوطات، من خلال التواصل مع الجهات الدولية الداعمة وبخاصة اليونسكو (لجنة التراث العالمي) لدعم مشاريع خدمة التراث التي تتبناها الطريقة، جنبا إلى جنب مع المساهمة في تفعيل الاتفاقيات الدولية للحفاظ على التراث، والعمل على جمع تراث الأغاني الشعبية، والمدائح، والإنشاد الصوفي الشائعة عند الطرق المختلفة والتأريخ له، ولرجاله في التأليف والإنشاد، وإنشاء دور إحياء التراث الصوفي، من نشر وتوزيع، مع تبادل الخبرات المتوافرة في سائر الدور على مستوى العالم الصوفي، وغير ذلك.

السوق المفتوح والأنشطة التجارية والتدريب على البيع والشراء: حيث يتم عقد مثل هذه الأسواق على فترات دورية منتظمة، يتدرب فيها الشباب من الجنسين على أمور البيع والشراء، والتسويق، والإعلان، جنبا إلى جنب مع تشجيع المشروعات متناهية الصغر، ودعمها، وإتاحة الفرصة لكل من يطلب من الشباب للمساهمة المستقلة أو التشاركية مع الغير كنوع من العمل الجماعي ترسيخا لمفهوم فريق العمل.

وختاما لهذا البيان الموجز، يمكن استنباط مجموعة من فوائد الخدمة ومميزات القائم بالخدمة في المجال الصوفي، من خلال منهج مولانا الإمام العلامة، في إشارة إلى

أن أصل الخدمة هو أن تُقَدَّم لوجه الله تعالى ولرسوله، ممثلة أولا في خدمة الشيخ، تتبعها خدمة سائر أبناء طريقته، متبوعة بخدمة سائر أهل الله من السادة الصوفية، منتشرة إلى خدمة المسلمين كافة، متسعة إلى خدمة البشرية والأكوان. **وهذه الفوائد يمكن إيجازها في الآتي**[1]:

1- الخادم غير محجوب عن مولاه، فهو أكثر الناس دخولا على السيد، حيث لا يمنعه الحجاب من الدخول على السيد في أي ساعة لما معه من داعي الخدمة.

2- الخادم منسوب ومحسوب على مولاه، فهو منسوب له ويُعْرَف بهذه النسبة.

3- الخادم أكثر من يذكرهم السيد ويناديهم بأسمائهم.

4- مطلع على الأسرار التي يسمح له بها مولاه ولا يطلع عليها أحد.

5- الخادم حافظ لأسرار مولاه لا يفشيها.

6- الخادم لا يتخلى عنه مولاه، وهو أكثر الناس قربا من معرفة مراد السيد.

7- يحيا في نعم مولاه ويتمتع بها.

8- الخادم يتربى في حضرة السيد ويكون فعل الخادم على الدوام محل نظر سيده للتهذيب والإصلاح.

9- الخادم يقصده الناس بحاجاتهم ليتشفع لهم عند السيد فتكون هذه الحاجات سببا لمزيد دخول عليه وإطالة الحديث معه.

10- الخادم بينه وبين السيد لغة إشارة خاصة بهما.

11- الخادم يرسله السيد في حاجة أحبابه فيُعَرِّفه السيد بهم.

12- الخادم يرسله السيد فيكون منسوبا له ويعرف بهذه النسبة.

---

(1) وهذه النقاط وضع أساسها الشيخ الدكتور عمرو الورداني من تلاميذ مولانا الإمام العلامة، وأحد مقدمي الطريقة العلية الصديقية الشاذلية، واستكملتها.

ثانيا: على المستوى المحلي:

لم يقف دور فضيلة مولانا الإمام العلامة عند الخدمة الصوفية المحلية على مستوى الطريقة الصديقية الشاذلية، بل تعداه إلى مجموعة من المؤسسات والكيانات الصوفية وغير المحلية، بل واتسع للمشاركة في مجموعة من الكيانات والمؤسسات على مستوى العالم، باعتبار أن الخدمة هي أصل إنساني ثم إسلامي، مُحَلًّى بالنسق الصوفي الأخلاقي لخدمة المجتمع على كافة مستوياته ودوائره.

* ويقول واحد من أبنائه: هكذا دائما أبدا عهدنا بسماحة الإمام الرباني والعالم العامل حقا أسس **لمكتب المعهد العالمي للفكر الإسلامي** في القاهرة وتركه كيانا قويا له وجوده وأهدافه ليبني **رواق الأتراك** في الأزهر الشريف وما أدرا كم ما رواق الأتراك!!! وكم تخرج منه من علماء وأئمة ينشرون النور في أرجاء العالم شرقا وغربا الكثير والكثير.

ولمَّا أصبح الرواق والدراسات الحرة بالجامع الأزهر كيانا قويا يقصد من القاصي والداني وأصبح فيه من السادة العلماء من يستطيعون القيام بأهدافه ذهب يبني **مؤسسة دار الإفتاء المصرية** ليخرج بها من كونها شيئا لا يذكره أهل مصر أنفسهم إلا ليلة رؤية هلال رمضان إلى مؤسسة ضخمة يشهد بإنجازاتها ودورها وأهميتها أهل المشارق والمغارب.

ثم إذ به وهو في ظل انشغاله الشديد ببناء مؤسسة دار الإفتاء المصرية لا ينسى أن يرجع فيبني الإنسان المصري مرة أخرى كما بنى علماء أجلاء من قبل في رواق الأتراك إذ به يؤسس **مؤسسة مصر الخير** ليبني الإنسان المصري في مجالات عدة.

لو أخذنا نعدد ما قام به سماحة العلامة من إنجازات ونهضة (حقيقية) في أماكن متعددة تكللت ببنائه مؤسسة دار الإفتاء المصرية ما انتهينا لكن سنخرج

بنتيجة مؤكدة أنه رجل جمع الله فيه أمة وأنه رجل يبني البنيان ويبني معه الإنسان وأنه كالغيث أينما حل نفع الله به البلاد والعباد . فلله درك سيدي الإمام[1].

ومن ثم جاء هذا الجزء من الدراسة الحالية ليتم إلقاء الضوء على الدور الخدمي الذي يقوم به فضيلة مولانا الإمام العلامة، سواء على المستوى الشخصي، أو على المستوى العام والمتمثل فيما يلي :

مشاركاته في العديد من المؤسسات والكيانات العاملة في مجالات الخدمة المتنوعة، في إطار المجتمع المحلي، والإقليمي، وكذلك العالمي. حيث يتمثل دور فضيلة مولانا الإمام العلامة في عضويته بمجموعة مهمة جدا من المؤسسات على مستوى الدولة، ومشاركته الفعالة في حملات ومبادرات على مختلف المستويات والدوائر الخدمية، ومن ذلك:

* **رئيس مجلس أمناء مؤسسة مصر الخير:** وهي مؤسسة تنموية غير هادفة للربح تعمل في ستة مجالات لتنمية الانسان، الصحة، التعليم، البحث العلمي، التكافل الاجتماعي، مناحي الحياة ومجال التنمية المتكاملة على أمل القضاء على البطالة، والأمية، والفقر، والمرض. تأسست عام 2007، كمنظمة خيرية غير حكومية NGO للأعمال الخيرية والتنموية. تجاوز إنفاقها على الخدمات المباشرة الستين مليونا من الجنيهات. ولقد أنشئت مؤسسة مصر الخير بهدف الاستمرار لأكثر من 500 عام وذلك بالاستناد على هيكل مؤسسي لا يعتمد على الأشخاص بل على العمل المؤسسي، حيث تعمل بأحدث منهجيات العمل المؤسسي التنموي والحرفية من أجل تنمية الإنسان. وتتلخص رؤيتها في كونها مؤسسة رائدة، كمثال عالمي، للوصول إلى تنمية مجتمع تكافلي، ينمو ذاتيا، من خلال

(1) الشيخ عبد الحميد منصور، من أبناء مولانا، وأحد مقدمي الطريقة الشاذلية الصديقية.

مجموعة من القيم: الشفافية - الاحترام - الامتياز - المسئولية - المصداقية - المساواة.

* **عضو بمجلس إدارة صندوق تطوير العشوائيات المصري:** والصادر بالقرار الجمهوري رقم 305 لسنة 2008، حيث يهدف إلى حصر المناطق العشوائية، وتصنيفها، وتطويرها، وتنميتها، ووضع الخطة اللازمة لتخطيطها عمرانيا، وإمدادها بالمرافق الأساسية، من مياه وصرف صحي وكهرباء. في رؤية تتلخص في خلق مجتمع حضري متطور وآمن للجميع.

* **عضو المجلس القومي لمكافحة الإرهاب والتطرف المصري:** والمؤسس بقرار جمهوري رقم 355 لسنة 2017 والذي يهدف إلى حشد الطاقات المؤسسية والمجتمعية للحد من مسببات الإرهاب ومعالجة آثاره، من خلال ثمانية محاور من أهمها إقرار استراتيجية وطنية شاملة لمواجهة الإرهاب والتطرف داخليا وخارجيا، وإقرار سياسات وخطط وبرامج جميع أجهزة الدولة المعنية بما يحدد دورها وإلزامها بإجراءات الواجب اتخاذها لتكامل التنسيق معها وفق جداول زمنية محددة ومتابعة تنفيذ هذه الاستراتيجية، وتحديد محاور التطوير المطلوب تضمينها بالمناهج الدراسية بمختلف المراحل التعليمية بما يدعم مبدأ المواطنة وقبول الآخر ونبذ العنف والتطرف.

* **تدشين حملة (أخلاقنا)**، وهي حملة مباركة، تسعى لإعادة الوجه المشرق لمصر في تعاملها مع الحياة حبا وإخلاصا، فالدعم الذي تلَقّاه الحملة يدل على «معدن مصر وأمنها»، وذلك بمشاركة عدد كبير من الشخصيات العامة والرياضية والفنية، ووضعها في مصاف المشاريع القومية الوطنية التي لا تتزين بدين معين، فالكل ملتزم بهذه الحملة، فهي مسألة وجود وينبغي أن نتعدى فيها اختلافاتنا وأوضاعنا ونعود مرة أخرى لبناء هذا الصرح. ولقد استمرت هذه الحملة ثلاثة أشهر بمشاركة رموز دينية وفنية ورياضة،

تحت رعاية وزير الشباب والرياضة، ومؤسسة العصر.

* **مشروع ربط 200 بنك دم بشبكة إلكترونية موحدة:** بالتعاون مع الشركة المصرية للاتصالات، حيث تم تحميل التطبيق الإلكتروني الخاص بربط البنوك على أجهزة «السيرفر» الخاصة بالمشروع، والمورّدة للمركز القومي لمعلومات وزارة الصحة.

* **مبادرة «أشرقت» بمشاركة الإذاعة المصرية، وشركة صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات:** وتهدف هذه المبادرة لنشر صحيح الدين الإسلامي والتصدي للمناهج المنحرفة من خلال إعادة نشر نخبة من الصوتيات والمرئيات من تراث كبار علماء مصر بأساليب تواكب العصر وتناسب وسائل التواصل الاجتماعي.

* **حملة دعم الأم المصرية:** من خلال برنامج «الأم المصرية» بالتعاون مع العاملين في مجال العمل الاجتماعي ونخبة من الفنانين والإعلاميين، وشركاء الخير، للتأكيد على الدور الفعال الذي تقوم به الأم المصرية كداعم أساسي للأسرة، وشريك في الحياة الاجتماعية، وهذا المشروع مشروع البر الموجه للأم المصرية، سواء كانت على قيد الحياة، أو بعد وفاتها على صورة وقف من الأوقاف، أو صدقات جارية، على روح تلك الأم التي تستحق الكثير والكثير.

* **حملة كشك الخير:** لخدمة مرضى مستشفيات جامعة عين شمس من خلال صندوق للتبرعات كأفضل مكان تضع به الزكاة لأن الزكاة للإنسان قبل البنيان، وهذا الصندوق من أجل الإنسان المحتاج.

* **تحسين بيئة السكن لـ10 آلاف أسرة:** ويتضمن المشروع إنشاء عشرة آلاف وحدة سكنية اقتصادية منخفضة التكاليف بمساحات ما بين 55 إلى 63 مترًا مربعًا

للوحدة السكنية، بالمناطق الأكثر احتياجا على مدار 10 سنوات، بمعدل 1000 وحدة سكنية سنويا وتمليكها للأسر الأكثر احتياجا، حيث توزع على محافظات جمهورية مصر العربية، فيما عدا محافظات (القاهرة - شمال سيناء - جنوب سيناء)، بتمويل من مؤسسة الوليد للإنسانية.

* **المشروع القومي لمكافحه العمى:** بالتعاون بين مستشفى دار العيون ومن خلال برامج متكاملة لتوفير الخدمات الصحية الجيدة لرعاية العين والحفاظ على سلامة البصر لضعاف ومكفوفي البصر، وكذلك حملات التوعية المجتمعية للوقاية من أمراض العيون المسببة للعمى.

* **مشروع قيم وحياة:** ويهدف إلى نشر مجموعة من القيم الأساسية في المجتمع ورفع الوعي القيمي والأخلاقي للمواطنين من خلال دور الشباب في توعية فئات المجتمع المختلفة، كما يعمل على إعداد وتأهيل وتدريب 300 من الشباب والفتيات المتطوعين، وإنشاء وتجهيز 10 مراكز تطوع قيمية (قيم وحياة) وتنفيذ عدد 25 مبادرة شبابية في المحافظات المختلفة تحث على المشاركة الفعالة، يهدف أيضًا إلى دمج المواطنين وخصوصًا ركاب ورواد محطات مترو الأنفاق والقطارات والمواقف العامة في المشاركة المجتمعية من خلال مشاركتهم في أنشطة المشروع.

* **مشروع تحسين مستوى معيشة المواطن:** من خلال الشراكات الفاعلة مع الجهات الحكومية والأهلية لتوفير حياة كريمة للمواطن وتلبية احتياجاته خاصة في المناطق الأكثر احتياجا.

* **إهداء مكتبة تضم مليون عنوان للمجمع العلمي:** وذلك خلال حفل تأبين الراحل إبراهيم بدران، والذي كان يجمع بين قلب صافٍ يعبد الله سبحانه وتعالى وبين همة لا

تعرف الملل في عمارة الأرض، فكان معمرا في الأرض، ومزكيا للنفس، وعابدا لله.

* **إنشاء مستشفى أحمد شوقي:** بتكلفة 30 مليون، تلك المستشفى تضمن رعاية متكاملة للمسنين ولكنها لم تصل إلى الدرجة المأمولة مقارنة بغيرها. وذلك تحت عنوان «الحق في الحياة»، أنه على الإنسان أن يغير حياته كل 10 سنوات.

* **حملة زكاة الغارمين:** تحت شعار «افعل الخير، ودع الأمر لنا» بمبادرة من المصرف المتحد ومؤسسة مصر الخير وبالتعاون مع وزارة الداخلية المصرية للإفراج عن سجناء على ذمة مبالغ مالية بسيطة لا تتجاوز العشر آلاف جنية مصري.

* **قروض ميسرة للشباب:** بقيمة 75 ألف جنيه للشاب الواحد في تربية المواشي.

* **حملة الشتاء السنوية لدعم الأسر الأكثر احتياجًا في كافة محافظات مصر:** وتوفير الاحتياجات الأساسية لجميع الأسر المستهدفة لإعانتهم على مواجهة فصل الشتاء وتغيراته المناخية التي عادة ما تؤثر بالسلب تأثيرًا مباشرًا على العديد من المستحقين، وتستهدف الحملة تقديم الخدمة لأكثر من مليون مستحق في جميع محافظات الجمهورية، وذلك ضمن عمل إدارة المساعدات المباشرة من قطاع التكافل الاجتماعي.

* **مبادرة سكن كريم:** لتحسين الأوضاع الصحية والبيئية للأسر الفقيرة وبصفة خاصة أسر تكافل وكرامة، من خلال تحسين وتركيب وصلات الصرف الصحي ومياه الشرب للأسر، وتحسين البنية التحتية لمنازلهم، ليكون كريما آمنا. تعمل في المرحلة الأولى على أفقر 5 محافظات في مصر تتواجد بها المشكلة بشكل حاد والتي بها معدلات فقر تتجاوز 50% وهي أسيوط وسوهاج والمنيا والأقصر وقنا، والمستهدف بنهاية 2017 توصيل الخدمات لعدد 17 مركزا وتشمل 27 قرية بإجمالي نحو 60 ألف أسرة مع

تنفيذ خطة للتوسع في بقية المحافظات في 2018.

* **بروتوكول تعاون بين برنامج الغارمين، ومؤسسة بنك الاستثمار العربي للتنمية المجتمعية:** يهدف إلى دعم الإنسان وإعمار المجتمع لما فيه خير للناس، فالمؤسسة نجحت حتى الآن، في فك كرب 50 ألف غارم وغارمة، وتسير المؤسسة بإرادة قوية نحو خلو السجون المصرية من الغارمين، وتمنع دخول الناس للسجون، واستغلال حاجتهم، وتسارُع الشركات لاستغلال هذه الحاجة، وهو الذي يصل بهم لهذه المرحلة.

* **مشروع معا من أجل تنمية مصر:** يطرح المشروع تنفيذ أنشطة مشتركة ثقافية وتوعوية تنموية وأنشطة مجتمعية ورياضية تجمع الشباب المصري المسلم والمسيحي بهدف تنمية ثقافة المواطنة وروح الشراكة بين الشباب.

* **المشاركة الإعلامية لدعم الخدمات الصحية والإنسانية:** كذلك لم يحدث أن رفض فضيلة مولانا الإمام العلامة الظهور في أي برامج إعلامية على الشاشة المرئية، وفي الفضائيات دعما للمؤسسات الخيرية، مثل المستشفيات المنتشرة في ربوع البلاد، والتي تعمل على تقديم خدمات من نوعية فريدة وتخصصية دقيقة، فساهم بحق في نشر هذه الدعوة وكان سبَّاقا فيها، حتى انتشر الأمر بين المخلصين من الشخصيات العامة للظهور تبرُّعا مثله في مثل هذه الحملات الإنسانية.

ثالثا: على المستوى الإقليمي والعالمي:

- عضو عامل في مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي بالأردن:

تأسست عام 1980 باسم المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) وتضم نحو مائة وثلاثين عضوا من أربعين دولة في العالم ويرأس مجلس

أمنائها المكون من سبعة أعضاء سمو الأمير غازي بن محمد المبعوث الشخصي والمستشار الخاص لجلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين. وتهدف مؤسسة آل البيت إلى التعريف بالدين والفكر الإسلامي وتصحيح المفاهيم والأفكار غير السليمة عن الإسلام وإبراز تصور إسلامي معاصر لقيم المجتمع، ومواجهة قضايا العصر ومشكلاته وتحدياته بمواقف وحلول علمية إسلامية من هدي الكتاب والسنة، والنهوض بالدراسات والبحوث الإسلامية في مختلف فروع المعرفة الإسلامية، وتعميق الحوار وترسيخ التعاون بين علماء المذاهب الإسلامية لتحقيق أقصى مدى للتقريب بينهم.

ولقد حققت مؤسسة آل البيت إنجازات كبيرة على مستوى العالم الإسلامي لكن أهم هذه الإنجازات هو المشروع الكبير لتفاسير القرآن الكريم على شبكة الإنترنت وهو أضخم مشروع من نوعه على الانترنت وأكثرها إحاطة بموضوعه. ولجنة تراث الأردن الباقي (تراب)، ومشروع الترجمة المشتركة بين المؤسسة ومعهد الفنون الإسلامية التقليدية، والفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، وجائزة الملك عبد الله الأول ابن الحسين العالمية، والقدس 5000، واللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن. كما أطلقت المؤسسة فكرة الحوار الإسلامي-المسيحي، لأهميته في تبادل الأفكار والمفاهيم على المستويات المحلية والعربية والدولية، وأثره الواضح في بناء جسور الثقة بين المتحاورين وتعميق التفهّم والتفاهم لديهم ومعهم.

- **عضو المجلس الاستشاري الأعلى لمؤسسة طابة بأبوظبي:** وهي مؤسسة غير ربحية، أسسها الداعية الحبيب علي الجفري، ومقرها في العاصمة الإماراتية أبوظبي، وتهدف المؤسسة إلى تقديم الاستشارات إلى قادة الرأي لمساعدتهم على اتخاذ النهج المناسب من أجل الارتقاء بالمجتمعات، كما تعمل مؤسسة طابة على إعداد المشاريع

التي تُبرز القيم الحضارية للإسلام، من خلال إعداد نُظم عمل المؤسسات وِفق معايير ومقاييس القيم الحضارية للإسلام، وترى المؤسسة أن مهمتها الأساسية هي إعادة تأهيل الخطاب الإسلامي للاستيعاب الإنساني ورؤيتها في ذلك هي إعداد الدراسات والكوادر والمؤسسات لتطوير خطاب إسلامي واضح وإيصاله للعالم بأسره بطريقة تؤدي للإدراك. ومن أهداف هذه المؤسسة استثمار وتنظيم شتات الطاقات غير المستغَلة الموجودة في الأمة، وتجسير الهُوَّات بعد دراستها ومعرفة الظروف المؤدية لها ومن ثم وضع وتطبيق الحلول المناسبة لها، وكذلك بناء وتطوير مؤسسات على مستوىً احترافي أمثل تخدم رسالة المؤسسة وأهدافها ورؤيتها، وأيضا إيجاد وتطوير الكوادر البشرية، مع إيجاد إمكانية لإيصال الرسالة للعالم الإنساني وذلك باستخدام قواعد البيانات والعلاقات العامة.

رابعا: المشاركات الشخصية لفضيلة مولانا الإمام العلامة في العديد من المؤتمرات الخدمية في العديد من المجالات، داخليا وخارجيا، مثل:

- مؤتمر ترشيد المياه بالقاهرة.
- مؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالأقصر.
- المؤتمر العالمي لعلماء الأمة الإسلامية.
- مؤتمر الإرهاب بين تطرف الفكر وفكر التطرف في الفترة من 28 - 31 مارس 2010م.
- مؤتمر علماء المسلمين في الفلبين في الفترة من 24 - 30 يناير 2010م.

- مؤتمر الحداثات المتنافسة بنيويورك في الفترة من 18- 19 نوفمبر 2010م.
- افتتاح فرع دار العلوم المحمدية الغوثية في ناتنكهام (إنجلترا) في الفترة من 25 – 29 أكتوبر 2010م.
- المؤتمر السنوي السابع والأربعين لـ(إسنا) المنعقد في مركز مؤتمرات دونالد ستيفتر في روزمنت بمدينة شيكاغو في الفترة من 2-5 يوليو 2010م.
- المؤتمر العالمي الأول لتعليم القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية (جدة) تحت عنوان «التعليم القرآني .. تعاون وتكامل»، في الفترة 5 -7 يونيو 2010م،
- مؤتمر هدي خير العباد بتركيا في الفترة 9 - 10 أكتوبر 2010م.
- المؤتمر الحادي عشر «إعادة جسور الثقة بين العالمين الإسلامي والغربي» بمدينة زيورخ في الفترة 27 - 29 أكتوبر 2010م.
- مؤتمر دور العلماء والدعاة في ضبط الخطاب الديني بسوريا في الفترة من 24 - 25 أكتوبر 2010م.
- المؤتمر الخامس عشر لمؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي بعمان في الفترة من 27 - 29 سبتمبر 2010م.
- المؤتمر العالمي للسلام بين الأديان في اليابان في الفترة من 19 - 23 سبتمبر 2010م.
- مؤتمر بداية جديدة بمكتبة الإسكندرية في الفترة من 16 – 18 يونيو 2010م.
- المؤتمر الثاني لمنظمة النصرة العالمية تحت عنوان «نحو نصرة دائمة» برعاية وزارة

الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت.

- مؤتمر «كلمة سواء» بأبي ظبي بدولة الإمارات 24/ 3/ 2009م.
- المؤتمر الدولي الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة تحت عنوان «الفتوى وضوابطها".
- افتتاح معرض حول الفن القبطي تحت عنوان «كشف الستار عن الفن القبطي» 9 ديسمبر 2010م - 31 يناير 2011م.
- المؤتمر الدولي حول الحوار بين الأديان بالأستانة وتنظمه وزارة خارجية كازاخستان،
- مؤتمر «أهل السنة والجماعة» بالشيشان.
- مؤتمر الإفتاء العالمي الخاص بالأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم الاثنين 17 أكتوبر 2016.
- المؤتمر السابع عشر لمؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي تحت عنوان «نحو جدل تاريخي لأحداث السيرة النبوية» برعاية العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني.
- مؤتمر أخبار اليوم الاقتصادي 2016.
- المؤتمر الوطنى الأول بوزارة الشباب والرياضة: القيم والهُوية الوطنية وتجديد الخطاب الديني.
- المؤتمر العلمي السنوي لكلية الإعلام، الذي تنظمه جامعة أكتوبر للعلوم الحديثة والآداب، بالتعاون مع منظمة اليونسكو، تحت عنوان «إعلام من أجل السلام».

مؤتمر (الفيوم ضد التطرف وعلى طريق التنمية) بقصر ثقافة الفيوم 2017م،

- مؤتمر مواجهة التطرف بمكتبة الإسكندرية الذي نظمته مكتبة الإسكندرية في الفترة من 17 إلى 19 يناير 2017.
- المؤتمر العلمي السادس لجامعة عين شمس «نحو استراتيجية جامعة عين شمس 2018-2023».
- مؤتمر بيت العائلة المصرية الأول بعنوان «معًا ضد الإرهاب» 2018.

خامسا: منهجه مع المؤسسات والكيانات الصوفية:

وهذا الموضوع يحتاج إلى مجلدات حتى يتم استيفاء محاوره إلا أنه يمكن إلقاء الضوء على مجموعة من الكيانات الصوفية البارزة في حياة مولانا والتي تساعد على رسم منهجه أمام المرء في علاقاته مع الكيانات الصوفية المحلية والعالمية.

فعلى المستوى العالمي لم تنقطع صلة الإمام العلامة منذ بدايته مشواره العلمي والصوفي بكافة الكيانات الصوفية العالمية حتى زار مولانا العديد من دول العالم استجابة لدعوات وُجِّهت إلى فضيلته سواء للمشاركة في مؤتمرات أو احتفاليات أو مناسبات صوفية، أو بمبادرة من فضيلته لنشر الأخلاق والفضائل والتعاليم الصوفية السمحة وبيان أن استمداد التصوف إنما هو من الكتاب والسنة وأنه ركن أصيل من أركان الدين. ومن ناحية أخرى لم يقف هذا النشاط العالمي أو يتعطل عقب إشهار الطريقة الصديقية الشاذلية حتى قامت العديد من الدول باستضافة فضيلته فكانت لقاءات ماتعة مع أبناء التصوف عامة وأبناء طريقته خاصة في هذه الدول، ولعل زيارة فضيلته الأخيرة إلى سنغافورة في أكتوبر عام 2020م والتي حضر لقاءات فضيلته آلاف المريدين، وتشرفت هذه البلاد بإقامة الحضرة الصديقية ومجالس الذكر والصلاة على سيدنا رسول الله فيها بحضور مولانا

الإمام العلامة، فكانت أنموذجا واضحا لجولات فضيلته على مستوى العالم، وكذلك زياراته إلى الأردن الشقيقة ولقاءاته مع الملك عبد الله ومجالسه الصوفية بها ومع مؤسسة آل البيت الملكية، وعلاقته الوطيدة بآل با علوي وزيارات الحبيب عمر والحبيب علي الجفري لفضيلته مرات في كل عام، وسوريا الشقيقة والإمام الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي، وكبار أولياء الله بها، وكذلك بالمغرب الشقيق ومؤتمراته الصوفية، وغير ذلك من الجولات العالمية والأوروبية والأمريكية التي تشهد بعالمية منهج مولانا في التصوف.

علاقة الإمام العلامة بالطرق الصوفية بمصر .

وعلى المستوى المحلي فإن وجه مولانا الإمام العلامة لا يغيب عن الساحة الصوفية وكافة الكيانات الصوفية الشرعية في البلاد وعلى رأسها **مشيخة الطرق الصوفية** وجميع الطرق الصوفية في مصر، فلم يغب مولانا عن **احتفالات العشيرة المحمدية** بمولد الإمام الرائد محمد زكي إبراهيم خاصة وأن الرائد هو واحد من أهم مشايخ مولانا الإمام العلامة حيث أعطاه الطريق وأجازه بالتسليك، وكذلك مع **الطريقة التيجانية والطريقة الجعفرية** لارتباط فضيلة مولانا ذو الطبيعة العلمية والروحية الخاصة بالإمام **الحافظ التيجاني** وسيدي **صالح الجعفري**، خصوصا وأنه كانت هناك علاقة وثيقة بين سيدي صالح الجعفري وسيدي عبد الله بن الصديق الغماري حيث يُعد سيدي صالح الجعفري من خاصة تلاميذ سيدي عبد الله ابن الصديق الغماري.

وعلى الجانب الآخر نجد أن علاقة الإمام العلامة دائمة ومستمرة وبدرجة متينة وعميقة مع **السادة النقشبندية** حيث كان سيدي أحمد مرسي وسيدي أحمد حمادة من مشايخ الإمام العلامة. ولا يخفى على أحد العلاقة ذات الأواصر المتميزة مع

السادة العزمية، والسادة الرفاعية حيث اعتادت الطريقة الرفاعية - على سبيل المثال - دعوة فضيلة مولانا الإمام العلامة في احتفاليتها السنوية بمولد سيدي القطب الإمام الرفاعي، وكذاك الحامدية الشاذلية والتي يلقي الإمام العلامة كلمته في احتفالها بسيد الإمام سلامة الراضي. والحديث عن علاقة الإمام العلامة بالطرق الصوفية بمصر لا يمكن أن يغفل عن الشبراوية وغيرها من الطرق الصوفية المصرية.

هذا هو الشيخ الخادم، الذي يسعى لخدمة الكائنات وعلى رأسها الإنسان، فأقامه الله في ذلك، مصداقا لقول المعصوم ﷺ «سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُم»، وفي رواية «خادِمُ القومِ سَيِّدُهُم»، والحمد لله رب العالمين.



مولد الإمام أحمد الرفاعي بمسجد الرفاعي



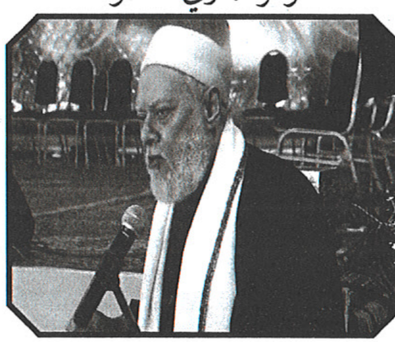
مولد الرائد الزكي بالعشيرة المحمدية



المؤتمر الدولي للتصوف



تحت الشجرة النبوية بالأردن مع ملك الأردن



مولد سيدي سلامة الراضي الحامدية الشاذلية



المؤتمر العام للتصوف



احتفال الطرق الصوفية بالمولد النبوي الشريف



الحضرة الصديقية في سنغافورة



مولد سيدي صالح الجعفري



الجمعية العمومية لمشيخة الطرق الصوفية

الهِمَّةُ والعَزِيمَةُ في فِكْرِ الشَّيْخِ: (رؤية الشيخ في الهمة والعزيمة)

دائما مايتحدث السادة الصوفية عن الهمة واستحضارها، وعن قوة العزيمة وأهميتها في الطريق إلى الله، والبعد عن سفاسف الأمور.

وحتى يقف القارئ الكريم على رؤية فضيلة مولانا الإمام العلامة حول هذه القضية، نتعرف أولا على معاني هذه المصطلحات وما يرتبط بها.

(الهمة): مأخوذة من الهمّ، والهمُّ أصلُ صحيح. قال ابن منظور: "والهِمَّةُ وَاحِدَةُ الهِمَمِ، والمُهِمَّاتُ من الأمور: الشدائد المُحرقة، وهَمَّ بالشيء يهم همًّا: نواه، وأراده، وعزم عليه. والهمة تُنطق بكسر الهاء وفتحها، الهِمَّةُ، والهَمَّة، ويقال: إنه لعظيم الهمة، وإنه لصغير الهمة، وإنه لبعيد الهِمَّة.

والهِمَّةُ فِعْلَةٌ من الهَمِّ، وهو مبدأ الإرادة، ولكن خصوها بنهاية الإرادة، فالهم مبدؤها، والهمة نهايتها. والهم هو أول العزيمة (ولها معنى آخر أيضا وهو الحزن).

والهِمَّةُ العَالِيَة: هي النية الصادقة، والعزمة الجازمة، والإرادة القوية الرفيعة، والرغبة الأكيدة في التحلي بالفضائل والتخلي من الرذائل، وعلو الهمة: هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية، واستحقار ما يجود به الإنسان عند العطية، والاستخفاف بأوساط الأمور، وطلب الغايات، والتهاون بما يملكه، بل وما يمكنه لمن يسأله من غير امتنان ولا اعتداد به.

أما دُنُوُّ الهِمَّةِ: هو ضعف النفس عن طلب المراتب العالية، وقصور الأمل عن بلوغ الغايات، واستكثار اليسير من الفضائل، واستعظام القليل من العطايا والاعتداد به، والرضى بأوساط الأمور وصغائرها، أو هو إيثار الدَّعة، والرضا بالدون، والقعود عن معالي الأمور.

وفي الحديث الشريف عند عبد الرزاق في مصنفه: «إن الله كريمٌ يحبُّ الكرم، ويحب معاليَ الأخلاق، ويكره سَفْسافَها»، وفي رواية الطبراني في الكبير والأوسط: (إن الله عزَّ وجل كريم يحبُّ الكرماء، ويحب معاليَ الأمور، ويكره سَفْسافَها)، والسَّفْسافُ: ضد المعالي والمكارم، وأصلُه: ما يطير من غبار الدقيق إذا نُخِل، والتراب إذا أثير، وهو الرديء من كلّ شيء، والأمر الحقير، وسَفْساف الأخلاق: رديُّها.

والعَزِيمَةُ: ما عَزَمْتَ عليه، والجمع عَزَائِمُ، وعزائم اللهِ فرائِضُه التي أَوْجَبَها، ففي الحديث الشريف «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أن تُؤْتَى رُخَصُهُ كما يُحِبُّ أن تُؤْتَى عزائِمُه»، ولَهُ عَزِيمَةٌ قَوِيَّةٌ إِرَادَةٌ ثَابِتَةٌ، صَلْبَةٌ، والعزمُ: القصد المؤكد، ويقال: عَزِيمَةٌ قَوِيَّةٌ: إِرَادَةٌ ثَابِتَةٌ.

ومن قواعد الطريق إلى الله: أن العبرة بمن صَدَقَ، وليست بمن سَبَقَ فالصوفية وهم يسعون في هذا الطريق وجدوا أنه قد يفتح على المريد في لحظة بما لا يفتح على الآخر، فقالوا: (إن العبرة بمن صدق، وليست العبرة بمن سبق)، وقالوا: (قد تسبق العرجاء)، يشيرون إلى مثل مشهور عند العرب، معناه أن الشاة العرجاء قد تسبق الشاة التي ليست بعرجاء، لأحوال وظروف تتوفر للأولى ولا تتوفر للثانية، فأشار أهل السلوك بهذا المثل إلى أن اللاحق المتأخر الذي تقاعد زمنًا عن سلوك الطريق لعله أن تنهض همته، فيُقْبِل على الله بهمّة، يَسْبِق بها من سار قبله، فلعل الله أخَّره ليقدمه، أي أن الله أخَّره زمانا، وجعله في آخر السالكين لحكمة، حتى يكون إمامهم وسابقهم.

واستأنسوا لذلك بأن النبي ﷺ كان آخر الأنبياء ، فكان إمامهم، وهذا المعنى مهم جدًا في تجديد الهمّةِ، وإخراج أهل المعصية من حال الحرج، والشعور المذل بالإثم، مما يحبط العبد، ويقطعه عن مولاه، فإذا علم أن الصدق في السلوك إلى الحق يطوي له المسافات، ولربما جاوز بها من سبقه في الطريق انبعثت همته، وتجدد نشاطه،

وانتعش أمله، وأقبل على الله تعالى من جديد.

* وفي هذا الصدد يبين لنا فضيلة مولانا الإمام العلامة بعض التفاصيل، وارتباطها بالطريق إلى الله، والذكر، في خلاصة مجمعة من كلامه وكتاباته نذكر منها مع التصرف اليسير:

من المعلوم حديث البخاري (الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)، وأن الله تعالى لا يقبل العمل من المسلم إلا بالنية المخلصة، والنية في المعنى اللغوي هي القصد، ومراتب القصد على خمس درجات (الهاجس، والخاطر، وحديث النفس، والهمّ، والنية)، وكذلك فإن الإنسان عندما يذكر فقد يأتي له ما نقول عنه (وارد)، فالقصد أو الفكر له خمس مراتب:

مَرَاتِبُ الْقَصْدِ خَمْسٌ: هَاجِسٌ ذَكَرُوا .. نَخَاطِرٌ نَحَدِيثُ النَّفْسِ فَاسْتَمِعَا

يَلِيهِ هَمٌّ فَعَزْمٌ كُلُّهَا رُفِعَتْ .. سِوَى الْأَخِيرِ فَفِيهِ الأَخْذُ قَد وَقَعا

بمعنى أن الإنسان إذا قصد شيئا مرّ بهذه المراحل الخمسة في نفسه من الداخل - في باطنه، فهي مراتب الفكر، أو التعامل مع الصور الذهنية.

فأولها هو "الهاجس» وهو ورود صورة الشيء في الذهن سواء هذا الشيء كانت طاعة أو كانت معصية، وهو صورة جاءت فجأة حدثت في الذهن وذهبت، مثل طبق بلح، ثم ذهب. أي أن يأتيني الشيء ويمر مرور الكرام، ونفرض مثلا أنه هاجس معصية، فتأتي زجاجة الخمر والعياذ بالله سبحانه وتعالى في ذهني صورة، فتسمى هاجسا.

وإذا ما تأكدت الصورة وثبتت يسمونه «خاطر»، وهو استمرار الصورة وثباتها، ثم تذهب بدون سؤال، ومن غير حديث، ولكن مكثت فترة. كأن نرى الكعبة فجأة،

أو زجاجة خمر. فإذا نوى الإنسان شيئا من المعاصي وفعلها يعطيه حسابا وعقابا سيئة واحدة، وإذا رجع (عاد) في نيته، يعطيه الله حسنة. أما لو أنه فكر ووصل إلى النِّيَّة في أمر حسن، ولم يفعلها أخذ حسنة فإذا فعلها أخذ عشرة.

أما إذا ما تكلم الإنسان وتردد مع نفسه في الفعل وعدم الفعل هل يقدم على هذا الفعل سواء أكان طاعة أو معصية يسمونه «حديث نفس»، وفيه محاورة، وهنا أقوم بسؤال نفسي: ما هذا؟، بمعنى دراسة الأمر بعض الشيء، وبداية محادثة النفس، فمثلا عن طبق البلح، وهل اشتريه أم لا، ومن أين أقوم بشرائه، وأتذكر أن البلح مهم فعلا، وأنا لم أكن أتذكره. أي أنني أنشأت حديثا بيني وبين نفسي، وقلت عندما تأتيني هذه الصورة الأخرى وتثبت: هذه الخمرة والعياذ بالله تعالى هل تأتيني من أجل أن تنبهني أن أشربها وأرتكب معصية، أعوذ بالله، أنا لا أريد أن أرتكب معصية- حديث نفس- فالنفس الأمارة بالسوء تدعوني لفعل المعصية، ونفسي لوامة تدعوني لعدم الوقوع في هذه المعصية، فهذا يغضب الله، ويصبح هذا الحديث حديث النفس. وكذلك أقول لنفسي اشتقت إلى الكعبة، هل أذهب هذا العام حجا أو عمرة، أم أجعلها العام القادم، وأتداول الأمر مع نفسي، فهذا حديث النفس.

وإذا ما مالت نفسه إلى الفعل فإنهم يسمون هذه المرحلة مرحلة «الْهَمّ»، فهو ميل النفس إلى هذا الشيء، ودراسة الشراء: من أين، وبكم، وكيف، ومتى، لكن لم يتم أخذ القرار حتى الآن. وفي مثال الخمر فهذا الشخص الذي عُرضت عليه هذه المعصية، والعياذ بالله تعالى، كحديث للنفس مال لفعلها، وقال قلبه سوف أجرب! ماذا سيجرى عندما أشرب! أي أنه مال لفعلها، فيكون قد هَمّ بفعلها، وتصور بأنه يشربها.

أما وساوس الشيطان، فهي أن يلقي الشيطان في صدورنا أو عقولنا شيئا ويفر،

فهو وسواس خناس، كما جاء في القرآن ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:76]، وإذا استعذت منه يهرب، أما النفس الأمارة أي تأمر، وتظل على هذا عدة مرات.

أما النِيَّةُ، وهي «العزم» وهو القصد المؤكد وهو أن يصمم الإنسان على فعل هذا الشيء من هنا يبدأ الحساب بالثواب أو بالعقاب. حيث تم أخذ القرار، وهي الدرجة أو المرتبة الخامسة في التعامل مع الصور، والإدراك: هو حدوث صورة الشيء في الذهن. فهو ينوي القصد المؤكد، حيث ينوي شربها فلقد قرر وعزم، فهذه يسمونها العزيمة والعزيمة ومعناها القصد المؤكد.

إذًا الأمور بمقاصدها أي أن النية معتبرة أما الهم وما قبله فقد عفا الله سبحانه وتعالى عنا في حصول مثل هذه الأشياء التي ترد في الذهن، فقد يخطر في بال الإنسان فعل المعصية لكن لا تميل نفسه الميل المؤكد والعزم المؤكد عليها فإذا نوى الإنسان معصية ثم لم يفعلها ومنع نفسه منها فإنه يثاب على ذلك، فإن فعلها عوقب عقابًا واحدًا، وإن نوى على فعل الخير ولم يفعله يثاب على ذلك ثوابًا واحدًا فإن فعله أثيب على ذلك عشرة من أمثالها من فضل الله علينا.

فكل هذه المراتب من مراتب القصد مرفوعة ولكن في النهاية القصد المؤكد هو المأخوذ به وهو النية، فالنية موجودة في العبادات فهناك نية في الوضوء، وفي الصلاة، وفي الزكاة، وفي الصيام، وفي الحج، وهناك نيات أيضا في قضايا الطلاق، والمعاملات، ولذلك فالنية لابد منها.

الواردات من قبيل الخواطر.

والوارد من قبيل الخواطر، فمثلا يرد خاطر عندما أذكر مثل: اسم من الأسماء

الحسنى، أو آية من الآيات، أو معلومة، أو فَهْم، أو يأتيك نور أمامك، أو يخبرني بسر من الأسرار، وهكذا.

وهنا **السؤال**: لماذا ورد هذا الخاطر تحديدا؟

والإجابة لكي يحدث به انشراح للصدر، ويثبت الذاكر على الطريق، أو يعلمنا أدب من الآداب، أو حقيقة من الحقائق.

ولذلك فهناك فرق بين الوارد الرحماني، وإلقاء الشيطان، وهنا يلجأ المريد إلى شيخه، أو أن يجد هذا الوارد مخالفا للشرع (مثل أن يأمرك بعدم الصلاة)، فالميزان الضابط لكل هذا هو الشرع، وهو الظاهر، وبذلك نحسم المسألة.

إذن فلقد قسم أهل الله الخاطر إلى أربعة أقسام:

- خاطر رحماني من الرحمن،

- وخاطر مَلَكِي من المَلَك،

- وخاطر نفساني من نفس الإنسان،

- وخاطر شيطاني والعياذ بالله سبحانه وتعالى على سبيل الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

فالخاطر إذن على أربعة أنحاء، عندما يكون الخاطر صورة طيبة فيها بشرى، أو فيها تعليم للأدب مع الله، وفيها فتح، تكون من الرحمن. وعندما يكون فيها طمأنينة وفيها سلام، وفيها روح وريحان، وجنة نعيم، وفيها سعادة، وفيها انبساط فهو من المَلَك. وعندما تكون من نفس الإنسان فقد تكون طيبة، وقد لا تكون كذلك.

والخاطر إذا كان من النفس تكرَّر، (سواء كانت هذه الصورة ملكية أو شيطانية، لأن النفس عندها الطريقين الخير والشر)، أي أنه إذا زالت وعادت مرة أخرى، ثم زالت وذهبت، ثم عادت مرة أخرى، ثم ذهبت وعادت مرة أخرى، أعرف أنها من نفسي، وذلك لأن الشيطان وسواس خناس يلقيه وإذا استعذت بالله منه يهرب، ويفر، ولا تردد ولا سؤال فيه، أما النفس التي بين جنبي فهي تكرر، وتلح، فهي أمارة، أي أنها تأمر مرة بعد مرة بعد مرة، فالتكرار يفيد أن هذا من نفسي لا من الشيطان، وعدم التكرار يفيد أنه من الشيطان وليست مني.

والخاطر إذا جاء طيبا فإنه مفيد، أسعدني، ووجهني وعلمني، وإذا كان غير ذلك آلمني، وضايقني، ويجب عندئذ ألا أتمادى مع في تلك الخواطر غير الطيبة.

أما الخاطر أو الوارد الشيطاني فهو يريد الفتنة بأي وسيلة، ويحضرنا في هذا المقام تذكر ما وقع لسيدي عبد القادر الجيلاني - وهو من أكابر الأولياء - في خلوته حيث أضاءت فجأة ثم ما حدث له حينها من سماع صوت عذبٍ رق له قلبه وذابت روحه يبشره بالرضا والقبول؛ ثم وإذ به يخبره - والخبر يحتمل التصديق والتكذيب - بأنه زالت عنه التكاليف الشرعية؛ فحينها فهم- وهو من كبار العلماء- أن هذا من تلبيس الشيطان، وقال: اخسأ يا لعين! قال فانطفأ النور وسمع صوتا ما سمع أقبح منه قط، وهو يقول: علمك نجاك يا عبد القادر! أخرجت بمثلها سبعين وليا من ديوان الولاية !!

وقد سبق وذكرنا هذه القصة.

فالشيطان يفعل هذه الأفاعيل للسالك طريق الله حتى يصده عن الطريق، أو يشوش عليه، وهذه القصة تعلمنا أن هناك أناس والعياذ بالله- ولو سبق لهم شيء من

أمارات الولاية- يضيعون في مثل هذه الترهات. فالعلمَ العلمَ، والحذرَ الحذر.

فالخواطر منها الشيطاني ولذلك يجب ألا نستجيب إليها وأن نتعلم من أسيادنا الأكابر: اخسأ يا لعين!! فإنه لو كان مراد الله أن يسقط التكليف لأسقطه عن سيد الأولين الذي قال فيه ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: 99]، يعني حتى يأتيك الموت.

فالتوحيد هو إخلاص النية لله والسير مع عدم الالتفات لجميع العوارض الطارئة، مع الأخذ في الاعتبار تجارب المسلمين الصالحة والاهتمام بها، والأخذ عنها، وعدم الالتفات لتجارب غيرهم مثل اليوجا والزِّن، وغيرهما ففي هذا التجارب غير المسلمة نجد أنهم عرفوا الروح، وعرفوا النفس، وكتبوا في ذلك، إلا أن كل ذلك كان محلا للتجارة والمال، بالإضافة إلى أنها تعلم الناس الكِبْر، فجاء طريقها مسدودا مع الله تعالى، وهي نوع من الإناء الدنيوي، بينما نجد تجارب المسلمين لا تسأل الناس أجرا، بل جعلوا إخلاص النية لله هو الأساس، وهو البداية، وأنه لا يكون في كونه إلا ما أراد، وهذ هي البداية الصحيحة، وأن تجارب المسلمين إناء دنيوي أيضا ولكن مقصده رباني، يشتمل على الذكر والفكر والترابط بين الكتاب المسطور والكتاب المنظور.

ومن هنا تنشأ القاعدة لدينا أن أي أمر يتبع الواقع وقوانين الدنيا ولم يخالف الكتاب والسنة فهو مقبول، رغم اعتراض النابتة عليه، وإن لم نأخذ به اختلت المعرفة، وسرنا بالوحي فقط، وهذا ما لم يأمر به الله ورسوله، وهذا لم يقل به الأئمة العظام. فهناك أمور تثبت بالشرع، وأخرى تثبت بالتجربة، وتثبت بالوجود، فيصفو هذا المبحث عندما نثق في تجربة المسلمين. ولذلك نرى كثيرا من الأئمة يشترط النية في كل العبادات، في الوضوء، وفي الصلاة، وفي الزكاة، وفي الحج، وفي العمرة، وفي الصيام. إنهم يشترطون النية، لأن «النية» مرتبة من مراتب «القصد» وهي تساعد الإنسان على

تفريد الله سبحانه وتعالى وتوحيده، وتساعد الإنسان على هذا الإخلاص الذي يطلبه الشرع منه، إذن الطاعة في مقابلة الإخلاص، أو هي تستوجب الإخلاص، أو من الواجبات التي لابد للإنسان أن يتحقق بها هو الإخلاص.

وكل هذا يدركه الشيوخ بعلامات ليرشدوا به خلق الله إلى الله، حتى تخلص النية لله، ويسير الإنسان في طريقنا إلى الله سبحانه وتعالى، مرحلة بعد مرحلة وخطوة بعد خطوة حتى يصل، فـ «إِنَّ الْمُنْبَتَّ لاَ أَرْضًا قَطَعَ وَلاَ ظَهْرًا أَبْقَى» (رواه البزار والبيهقي)، من خلال مصدري المعرفة عند المسلمين: مصدر يتعلق بالكتاب المنظور أو الكون، ومصدر يتعلق بالكتاب المسطور، أي بالوحي الشريف.

وفي **خلاصة جامعة**، أكد فضيلة مولانا الإمام العلامة على أن الإنسان قابل لأن يُرَكِّب الخير، وأن يركب الشر، وأنه قابل لأن يركب الكسل، أو العجز، وقابل أن يركب النشاط، أو الهمة، بمعنى أن الإنسان قابل، ومنه ما هو قبول بعيد، وآخر قبول قريب.

ولقد تحدث الكثير من العلماء عن مجموعة الأسباب المؤدية إلى دنو الهمة، وأن من أخطرها المعاصي، والخوف والهم والحزن، والغفلة، وإهدار الوقت، والوَهَن، والتسويف والتمنّي، ومجالسة البطالين والمثبطين، والمناهج التربوية والتعليمية الهدامة، وغير ذلك مما أخذوه من الكتاب والسنة.

وأنه على الجانب الآخر، يستحث العلماء الناس على علو الهمة وأن ذلك يحتاج إلى جهد ومجاهدة وصبر ومصابرة، وتلمس الأسباب التي توصل إليه، وسلوك الطريق إلى الله بالذكر والفكر والتحلية والتخلية، وأن العلم والدعاء وتذكر اليوم الآخر من أهم الأسباب، والارتباط بالمربي القدوة، ومصاحبة أصحاب الهمم ومطالعة سيرهم،

واستشعار المسؤولية، وغير ذلك من الوسائل الشرعية.

ولما كان الكثير من المريدين والسالكين السائرين في الطريق إلى الله يسألون، ويبحثون بحثا دقيقا عن الأوراد التي تساعدهم على صنع الهمة، نجد أن فضيلة مولانا الإمام العلامة يؤكد على أنه **لا توجد أوراد لصنع الهمة**، ويقول: لقد كنا نأتي شيخنا الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري فنسأله عن أوراد لصنع الهمة، ورفعها وتقويتها، فكان يضحك ويقول لنا: لا، لا توجد. فالهمة هي سر التكليف، فلقد كلفك الله تعالى كي تعمل وتعمل، والهمة قرار من الإنسان، هو الذي يستطيع أن يقرر الإقلاع عن أمر ما، مثل الإقلاع عن التدخين، فيعزم بهمة، أما النوع الآخر من الناس فتجده على النقيض، وهذا يذكرنا بحديث سيدنا ﷺ المتفق عليه «الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ»، وإنما على المريد أخذ القرار، فالهمة قرار، ثم تأتي المساعدات، فمثلا جعلت السنة المشرفة الطريق إلى الله مقيدا بالذكر والفكر، لتكوين البيئة المعينة على إقامة العبادات، وإنشاء الهمة، وكذلك بمجموعة من المساعدات لتنظيم السلوك المختص بالجوارح وصولا إلى العبادة الحقة، وإلى إخلاص الدين وإلى إنشاء الهمة، سموها (قلة الطعام وقلة الأنام وقلة الكلام وقلة المنام)، والبعض يسميها أصول الطريق، حيث تخرج المرء من مألوفه إلى طريق الله سبحانه وتعالى: قلة الكلام، وقلة المنام، وقلة الطعام، وقلة الأنام، وكلها مأخوذة من الكتاب والسنة، حيث تتولد الهمة بمحاولة الخروج عن المألوف والعادة.

وأنه مع **المساعدات الأربعة** وبخاصة قلة الأنام نشأت عند أهل الله قضية خدمة الناس وقضاء حوائجهم وهي من مساعدات إنشاء الهمة، وكذلك **الخلوة**، والجلوة،

والخلوة لها معاني، فقد تكون الخلوة عن الناس، لكن قد تكون الخلوة أيضا عن المعاصي، والتفكر وملء القلب بالهمة والعزيمة، **والجلوة** مع الناس أي تخدم الناس، لكن أيضا قد يكون ثواب الخلوة القلبية مع تلك الجلوة، حتى قالوا خلوتهم في جلوتهم.

وأن **التخلية والتحلية** لها إجراءات كي تتم، تبدأ بالمعرفة (نتعرف على القبيح، وعلى معانيه)، ثم مراقبة الذات أو النفس (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا)، وثالثها الهمة (وهي سر التكليف، فلقد كلفك الله تعالى كي تعمل وتعمل، والهمة قرار من الإنسان). والذكر هو الذي يقوم بإنشاء بيئة حول الذاكر تجعل قلبه قابلا للتخلي عن الصفات القبيحة، والتحلي بالأخلاق العلية، ودائما ما يربط سيدنا النبي الأخلاق بالعقيدة، أي بالله تعالى.

ويضاف إلى ذلك أن **التربية تهتم بالسلوك، وتهتم بإنشاء الهمة في قلب المريد السائر** إلى الله سبحانه وتعالى، وتريد أن تُحْدِث بيئة حوله تساعده على الذكر، وعلى الفكر وعلى التخلية والتحلية، وتساعده على أن يسير من نفس إلى نفس، بديمومة وبعمل مقبول، فالطريق لمن صدق وليس لمن سبق، **فالديمومة والصدق** لهم أقوى الأثر في تجديد الهمة، وإخراج أهل المعصية من خال الحرج، والشعور المذل بالإثم، مما يحبط العبد، ويقطعه عن مولاه، فإذا علم أن الصدق في السلوك إلى الحق يطوي له المسافات، ولربما جاوز بها من سبقه في الطريق انبعثت همته، وتجدد نشاطه، وانتعش أمله، وأقبل على الله تعالى من جديد.

ومن ناحية أخرى، فإن هناك **ربط بين الهمة والعزيمة، وبين الجدية**، والتي تعمل على تقدم الأمم، وهذا هو واجب الصوفي أن يسعى إليه، فيبين فضيلة مولانا الإمام

العلامة أنه المقولة التي تربط التصوف أو الإسلام في عمومه بالتخلف، والعلمانية بالتقدم، إنما هي مقولة خاطئة، وأنه لابد من بيان الحقائق المتعلقة بذلك، فيقول فضيلته:

لابد من **تبني الجدية** في كل أمورنا، وهذه الجدية لها عناصر لابد من الحفاظ عليها والعمل بها، وهي: **المحافظة على الوقت**، وكما يقولون: الصوفي ابن وقته، ففي الحديث لاَ تَزُولُ - وفي رواية: (لا تزولا) - قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وقال الشافعي: صاحبت الصوفية فاستفدت منهم: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك)، العلم (وهو أساسي لكل صوفي، وهو من خصائص طريقتنا الصديقية الشاذلية)، **والديمومة والاستمرار** (ففي الحديث أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَىٰ اللّٰهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ، وهو مبدأ هام عند الصوفية)، **والإتقان** (من حديث إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُ من أحدكم إذا عمل عملا أن يُتْقِنَهُ، وهو من أسس وأركان العمل الصوفي)، **والعمل في نظام فريق** (وهو من خصائص الخدمة عند الصوفية، ومن أهم محاور دستور الخدمة في طريقتنا الصديقية الشاذلية، ففي الحديث الشريف «وَلا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»)، **والنظام** (وهو سر نجاح الصوفية على مدار التاريخ، وللأسف تم إهداره في عصرنا)، **والتنفيذ الفوري للتكاليف**، وعدم تأجيل عمل اليوم إلى الغد، فلا تراخِيَ، ولا تسويف حتى لا تتراكم الأعمال، ويقع ما لا تحمد عقباه، فلا تؤجل عمل اليوم إلى الغد، **ومغالبة الأعذار والعراقيل** فمن أكبر المظاهر وأصدقها مغالبة الصعوبات والأعذار، فالمسلم الجاد لا يستسلم أمام المشقات، ولا يضعف أمام العقبات، بل يغالبها، ويبحث دائمًا عن مخارج، ويضاعف الجهد، ويحرص على المشاركة حتى آخر لحظة بأقصى ما يملك، **وتسخير الإمكانيات**، وغير ذلك من العناصر. فهذه العناصر حاكمة على العمل الصوفي.

والتقدم والرقي ليس في الطريق فحسب، ولكن في جوانب الحياة كافة، فإن كل هذه المباديء سرت في عقلية المسلم وطَبَّقَهَا، وحَوَّلَها من أوامر ونواه، وموعظة ووصية إلى حياة، وبرنامج معيش، يستطيع الإنسان فيه، وبه، ومن خلاله أن يوصف بأنه جاد في حياته، والصوفي أولى الناس بذلك، وهذا من أهم محاور منهج فضيلة مولانا الإمام الذي يطبقه أمام العالم ليل نهار.

وبين فضيلة مولانا الإمام العلامة أن من الوسائل المساعدة لاستحضار الهمة والعزيمة تخيل الشيخ عند الذكر بين عينيه، ومراده الأساسي هو استجماع الهمة وطرد الشواغل وتفريغ القلب لحسن التوجه والاستعداد للاستمداد.

أذكار تقوي الطاقة الإيجابية لدى المريد

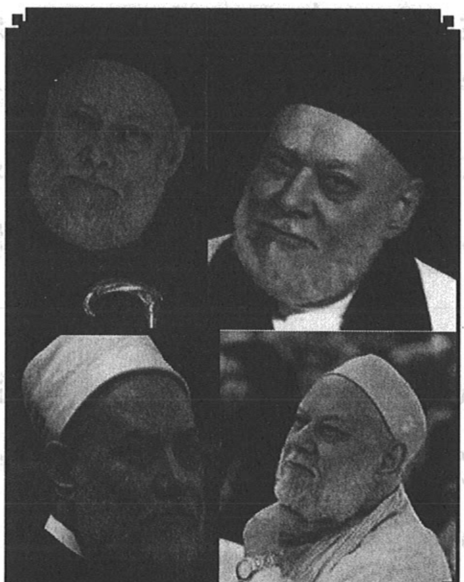
نصح فضيلة مولانا الإمام العلامة ببعض الفوائد لزيادة الطاقات الإيجابية، مع التمسك بالأربعة الأصول، وغير ذلك، فقال:

- سورة (الفاتحة) 100 مرة لزيادة الطاقة الإيجابية.
- الذكر باسم الله تعالى (يا قوي) عدد 116 مرة أثناء شرب القهوة فهذا يساعد على قلة المنام والانتباه وزيادة التركيز ويستطيع المرء تأدية أعمال كثيرة ويجد بركة كبيرة في نومه ويومه، وزيادة في طاقته.
- وأن الاستغفار حياة الروح.
- وأن بذل المجهود العضلي الجسماني يساعد على السيطرة على الجسد مما يجعل علاقة الروح بالجسد أكثر شفافية.
- الإكثار من قول (لا حول ولا قوة إلا بالله) موقنا بها، لأنك تستعين بالله

سبحانه وتعالى.

- ونختم بقول فضيلة مولانا الإمام العلامة في موضوع الهمة ليس على مستوى الأذكار فحسب، بل على المستوى القومي:

- (هل تعود همة الإمام النووي إلى همتكم!! فتعملون بالليل والنهار وتبنون بلادكم، علينا أن نبدأ في بناء مستقبل جديد قوي صرح ضخم لبلادنا نأمل به أن نضع أقدامنا كما كنا نتكلم في العالم كله والحمد لله رب العالمين أن نضع أقدامنا للمشاركة في بناء الحضارة الإنسانية).



القلوب الضارعة في منهج مولانا:

يؤكد فضيلة مولانا الإمام العلامة على أن التصوف - من حيث هو - عِلْمٌ، وفن، وإدراك ونور، وعَمَلٌ، وخُلُقٌ، وعِبَادَةٌ، وجِهادٌ، ودَعْوَةٌ، وهُوَ أصْلٌ مُؤَصَّلٌ مما جاء به الوحي، وحثت عليه الشريعَةُ، ومن ثم كان التصوف فرض عين؛ لأنه (طَلَبُ الكَمَالِ) على رَأْيْ. وأساس الكمال هو العلاقة بمصدر الكمال ومفيضه وهو الله عز وجل، والعبادة اقتضاء ذاتي للكمال لا تنفك عنه أبدا، وعليه كانت غاية التصوف إصلاح القلوب، حيث إن التعبيرات الصوفية إذا عولجت بالإحساس والتعمق، والمعاناة والتذوق كانت قادرة على تغيير الباطن الذي به يتغير الظاهر، فيولد الإنسان ولادة جديدة، كلها إشراق وحب وبركة وإنتاج، أما مجرد قراءة كتب التصوف بلا معاناة فهذه متعة ذهنية، وثقافة عقلية، وقد تشارك فيها النفس الأمارة بالسوء، فتكون طريقا إلى الضلالة طردا أو عكسا، إلا إن أَذِنَ الشيخ للمريد بالقراءة، وكانت معرفة التصوف هي القلوب الضارعة، والألسنة الذاكرة. فالإنسان الكامل الصوفي هو الذي يؤثر في الأشياء وليس هو الذي يتأثر بالأشياء.

والتصوف- كما ذكرنا من قبل- دعوة الحُبِّ، والنور المغلفة بالرحمة. فهو خلق وعبادة وعمل ودعوة، تغلب عليه صفة الذكر. والذكر يورث الذاكر أدبا وفضلا وتذوقا ورقة وسماحة ونورانية حتى يصير ربانيا يفيض عطفا وعاطفة وتفقها وبرا بالناس. والذاكر بالقلب واللسان يتدرج حتى يصل إلى ذكر اللطيفة الثانية (الروح)، وذكر اللطيفة الثالثة (السر) الذي يتحول الإنسان به إلى ذكر مجسم مجسَّد، حيث ينتقل إلى اللطيفة الرابعة وهي (الخفي)، والخامسة وهي (الأخفى)، ومع الحفاظ على الديمومة على العمل فإن الذكر وبخاصة عند اشتغال الناس بمعاشاتهم أو شهواتهم وبخاصة قبل

الفجر فإنه من أعظم أسباب الفتح والظفر. فالذكر ركن قوي في الطريق إلى الله، بل هو العمدة في طريق القوم، ومن ثم قالوا: (الذكر منشور الولاية).

والتصوف هو حقيقة الإسلام وجوهره يتمثل في التخلي عن كل دني والتحلي بكل سني حِسًّا ومعنى، خصوصا وعموما، مع الفرد والمجتمع، على ما تقرر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإن اختلفت المفاهيم والاجتهادات في الفروع، ولذلك تنوعت غاية التصوف إلى بناء وإنشاء وترميم وتقويم وتجويد وتجديد واختراع وإبداع وعبادة وسيادة وقيادة لركب الإنسانية والعدل والحضارة إلى شواطئ الحب والسلام والربانية.

وعليه فالتصوف هو: قضية العقل والفكر، فهو مِلاك العقيدة، وهو: قضية القلوب والأرواح، فهو أسس العبادة، وهو: قضية الأخلاق والأدب، فهو دستور المعاملة، وهو: قضية الاستقامة والإنسانية، ودعوة الإصلاح.

كما أن التصوف الإسلامي الحق ليس انطواءً ولا استخذاء (خضوع وخنوع)، ولا سَحقا للإنسانية أو تعذيبا للشخصية ولا تخريفا ولا إشراكا بالله ولا فلسفة ضد الإسلام ولا بطالة أو جهالة أو تخلفا عن مسئوليات الحياة، فإن المدار عند الصوفية على سلامة العقيدة، واطمئنان القلب بالإيمان، وأما الأقوال والأفعال فهي مكملات للإيمان على التحقيق، فقد يزيد بها وقد ينقص، ولكنها لا تفوت الحقيقة الإيمانية، ولا يقتلع من القلب جذور التوحيد، فالأخذ بالأسباب جوهر التوكل، والرضا بذل الجهد للوصول إلى ما يحبه الله ورسوله. فكانت الربانية ليست فقط صومعة ومسبحة، ولكنها الحياة كلها دين ودنيا، يتلقى كل فرد منها ما يناسبه بحسبه، عبادة وحكما، تشريعا وطبا، علما وفنا، قولا وفعلا، تقدما ونهوضا، وعزة ومجدا، فإن من خرب باطنه كان حربا على نفسه ودينه وأهله ووطنه في جهاده الأصغر والأكبر معا.

ومن هذا يتبين أن التصوف من علوم الشريعة، وأنه لابد في الأمة من أولئك العبّاد الذين يلجأ الناس إليهم فيدعون الله سبحانه وتعالى فيستجيب الله دعاءهم فيعرف الناس أن هناك إله، وأن هذا الإله لا يتركهم عبثا، وأنه معهم في كل وقت وحين، وأنه يُستجاب الدعاء، فهم أصحاب القلوب الضارعة.

* ومن ثم تناول فضيلة مولانا الإمام مفهوم القلوب الضارعة، حيث قال: إن أركان القلب الضارع هي: الإخلاص وتوحيد الله، والثقة بما عند الله سبحانه وتعالى، وحضور القلب، والعزم في الدعاء، أي أن القلوب الضارعة، ضارعة إلى ربها يعني تسأله ولا تسأل سواه، فالقلب الضارع فيه تسليم وفيه توكل على الله بمعنى الثقة بالله، كذلك فإن الثقة بالله تعالى تقربك من تحقيق القلب الضارع.

وأضاف فضيلته: إن القلب المتعلق بالله، يتضرع إلي الله، أي يلتجئ إلى الله، بمعنى أنه مرتبط بالله. وهذه الضراعة تأتي من كثرة الدعاء والعزم في الدعاء، وذلك من الحكمة الكبيرة التي أخبرنا بها سيدنا رسول الله ﷺ في حديث أبي داود والترمذي: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، وهنا لابد من الانتباه، فهناك رواية أخرى عند الترمذي أيضا «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»، ومعنى ذلك أن الدعاء هو أعلى شيء في العبادة، وفي الأولى هو العبادة نفسها، فالقلوب الضارعة تدعو الله سبحانه وتعالى تعبدا، لا من أجل غرض، أو طلب، أو تنال خيرا، وإنما تطلب أمورا تتعلق بالآخرة كالغفران، والرحمة، كقولهم: اللهم استرنا فوق الأرض، وتحت الأرض، ويوم العرض عليك، أو تطلب شيئا في الدنيا ولكنه بالرغم من ذلك إلا أنها في النهاية عبادة، سواء طلبتَ للدنيا، أو للآخرة، رزقك أو لم يرزقك، واستجاب للدعاء فورا، أو أخّرَه، أو يدَّخره، فهو في النهاية هو عبادة، فالاستمرار على الدعاء يولد القلوب الضارعة التي نتحدث

عنها، فإن الغرض الأساسي للنوافل، وقراءة القرآن، والصدقة، والصيام، والأذكار، والصلاة على النبي ﷺ، وسائر العبادات، وعمارة الأرض، هو حضور القلب، وحضور القلب معناه القلب الذي يستحضر عظمة الله، وجلال الله سبحانه وتعالى، ومن هنا يصل القلب إلى ما يُسمى بالقلوب الضارعة، فكل هذه الأمور تصب في شيء واحد وهو إنشاء القلوب الضارعة، وهذا القلب الضارع هو القلب السليم، غير الميت أو المشروخ، وسبب الشرخ هو محبطات الأعمال، وخلو القلب من الرحمة. وإذا كانت الحسنات يذهبن السيئات، فهناك محبطات للأعمال، مثل التي تؤذي الناس، وتفسد في الأرض، وتكرُّ على الخير بالبطلان. والخلاصة أن القلب الضارع هو الذي يمنع صاحبه من فعل كل سوء، ويدفع صاحبه لفعل كل خير.

وفي خلاصة واضحة يقول فضيلة مولانا:

القلب الضارع أن تجعل قلبك مع ربك (اجعل قلبك مع ربك). فاهتم بنفسك واشتغل مع الله. فالقلوب الضارعة هي المتعلقة بالله أي التي تتلَقَّى ما أنزله الله فتُحْسِن تطبيقه، وتكثر الذكر بالله. ولقد حاول النابتة تجزئة الدين وتفكيكه حتى صار مجموعة من الأحكام لا رابطة بينها وبين تقوى الله، ومن ثَمَّ فلابد من البحث عن ضوابط الأمور وتطبيقها والذي يرجع كله إلى الذكر والفكر، وطريق الله، والعمل بمرتبة الإحسان، والمراقبة، فإن مِفتاح هذا الدين هو الحنيفية السمحاء (إنما بُعِثتُ بالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ)، أي السهلة، وهذه السهولة هي العميقة التي فيها المفهوم الصحيح للطاعة والعبادة (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا).

ولما كانت هذه المفاهيم ترتبط ارتباطا وثيقا ببعض المفاهيم التي تتسبب في كَمٍّ من التخبط بين المريدين؛ استوجب أن يتناول فضيلة مولانا الإمام العلامة لمحة سريعة

مبسطة على مفهوم الإرادة ومقتضيات البشرية، وما يتعلق بذلك من مفاهيم الوهب والكسب والأخذ بالأسباب، حيث يقول:

إن المعاني التي يستشعرها الإنسان من التجليات الإلهية منها كسبي، ومنها وهبي، والكسبي هو ما يقوم به المرء، وله إرادة في ذلك، ويحاول أن ينسبه إلى نفسه، أما الوهبي فمعناه أنه من عند الله هبة. وعلى الحقيقة فإن الكل من عند الله، حتى الكسبي من عند الله، ولكن بالرغم من ذلك يمكن التفصيل ببعض الأمثلة.

يظهر معنى الكسبي إذا كان أن الالتفات إلى جهة الإنسان، ومن ذلك أن شخصا عنده اختيار أن يصلي أو لا يصلي، فأراد الصلاة، وكذلك أن يتأمل أو لا يتأمل، فأراد التأمل، أو أن يفكر بهذه الطريقة، أو لا يفكر، فالله سبحانه وتعالى ترك له الاختيار. فقوانين البشر واضحة لا خلاف فيها، ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف:29]، ولن يأتي إليك شخص من قبيل الألوهية يهددك بالقتل إن لم تؤمن.

والحقيقة أنه تعالى خلق هذا الإنسان، وما يعمل ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات:96]، ولكن هل تدخل إلى هذه المسألة من قِبَل الله البشر، أم من قِبَل البشر الله؟ فلو دخلت من قِبَل البشر الله يكون الكسبي لأنك من اختار، ولكن إذا كانت من قبل الله البشر، فهو الذي خلق وهو المتفضل على كل شيء، وكذلك ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر:62]، وأيضا ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:284]. وهذا الاختيار لأننا عقلاء، فلدينا إرادة، وهي مسألة واضحة جدا، ألا ترى أنه لا يوجد من يقهرنا على الصلاة، أو افعل ولا تفعل، أو أفكر أو لا أفكر.

أما الذي هو في قِبَل الله، فله قوانين أخرى، فالرب رب، والعبد عبد، وهناك

فارق بين المخلوق والخالق، والله خالق كل شيء، ولا إشكال في ذلك. وعلى هذا فلا توجد مشكلة أو أزمة في رؤية كل جانب على حدة، أما الجمع بين الاثنين على مستوى البشر فيحتاج إلى وقفة لبيان الثواب والعقاب المترتب، وهو الحديث عن سر القدر، وهو الوصلة بين الاثنين، والتي أمرنا سيدنا النبي ﷺ بالإيمان بها، أي نؤمن بالصفات الإلهية الواضحة التي لا خلاف فيها، وكذلك نؤمن بالصفات البشرية الواضحة بدون شك، وألا نتحدث في سر القدر الذي لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب، ولا حتى سيدنا رسول الله ولا سيدنا جبريل لأن المعرفة تحتاج إلى إحاطة، والإحاطة غير موجودة.

فنحن جميعا ندرك البشر من حولنا وأننا بشر ولحم ودماء وعظام، وعقل وأعصاب، وجسد، حتى الروح عندما تخرج نعرف، أما الإله فلا نراه، وعندما يأتي يوم القيامة سوف ندرك سر القدر الذي آمنا به بعقولنا، وبالمنطق الذي يقول لنا طالما أننا لا ندرك الطرفين، فكيف نصل لهذا الأمر، والسبب معروف ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:103]، وهو سبحانه وتعالى متعالٍ على الكائنات ولا يكون تحت الحس، فلا يمكن أن ندرك العلاقة بينهما.

إلا أن هذا التفصيل من شأنه أن يفتح القضية المعروفة باسم مسير أم مخير، وأن الإنسان يجهل القدر، إلى آخر ما يقوله البعض، فلا يستطيع هؤلاء الربط أو الوصل بين الطرفين، مما اضطر بعضهم إلى محاولة فكها بألفاظ غير مناسبة فينشغلوا عن هدف الخلق. وهنا ينصح مولانا بألا ننشغل بمثل هذه الأمور، بل علينا أن نعيش حياتنا على طبيعتها كما نراها، فلا يوجد من يقوم بتحريكك عن بعد، أن يكرهك على شيء، فاعمل واجتهد، ولا تدخل نفسك في مثل هذه المشاكل التي لا يوجد لها حل لديك، فالخلاصة أنك لن تدرك الإله، فكيف تقوم بالمناقشة في هذه النقطة ولا تتركها

نعمل. قل: سوف أترك كل هذا وأعمل وأسير في الكون لأنه تعالى أمرنا بذلك، ولقد تأكدت عن طريق ما وصلنا من الوحي ومن المرسلين، ومن الكتب المنزلة، التي اقتنعت بها، وآمنت بها، وتمسكت بها، أن الله يرضى عن هذا، وأن هذا فيه الخلاص، فلسوف أعمل وأذكر وأصلي وأصوم وأزكي، ولن أتعطل.

خلاصة الأمر تأتي في قول فضيلة مولانا الإمام العلامة: القلوب الضارعة هي قلوب خابتة لله ساجدة لله، وإذا سجد القلب لله لا يقوم أبدا.

التصوف الفلسفي ومدارس التصوف:

للتصوف مدارس ثلاث، كل منها لها مشرب خاص، كما يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة، المدرسة السلفية، ومدرسة التصوف السُّنِّي، ومدرسة التصوف النظري أي الفلسفي[1]. وقام فضيلة مولانا الإمام العلامة بشرح تاريخ هذه المدارس الثلاثة وتطورها في العديد من دروسه، ويمكن تلخيص ما جاء عن فضيلته في الجدول المقارن التالي:

(1) ويشير فضيلة مولانا الإمام العلامة إلى أن تفصيل الأنواع الثلاثة لعبد القادر محمود في كتابه (الفلسفة الصوفية في الإسلام).

المدرسة	التصوف السلفي	النظري (الفلسفي)	التصوف السُّنِّي
ملامح المدرسة	التصوف هو الزهد بمعانيه المنتشرة أو الإحسان أو الأخلاق، إلا أن المصطلحات لم تستقر بعد، والقواعد لم يتم تدوينها بعد. وكان اهتمام الزهّاد الأوّلين يدور في الأغلب حول فكرة الموت ويوم الحساب ومصيرهم بعد الموت من عذاب جهنم ونعيم الجنة، مما دعاهم إلى الزهد والإكثار من النوافل	تذوق نتج عنه حالة انفعالية تأتي بمصطلحات اصطلاحية خاصة لا يفهمها إلا من كابد مثلهم وبذل مجهودا غير عادي، حيث يعمد أصحابه إلى مزج أذواقهم الصوفية بأنظارهم العقلية. وانتقل فيها الزهد من الممارسة العملية والسلوك التطبيقي إلى مستوى التأمل التجريدي والكلام النظري. ولقد سطروا كتبهم لكثرة توارد المعارف على قلب العارف، ولعجز اللغة عن هذه الأحوال العالية جدا والتي توصلوا إليها	التصوف هو تزكية النفس وتربيتها، وهو متصل بالعمل وبالذكر والفكر، وبترتيبات مأخوذة من الكتاب والسنة لعمل برنامج يومي للإنسان حيث يستفيد من كتاب الله المنظور (الكون) وكتاب الله المسطور (القرآن) في تحصيل المعرفة. ولذلك ينبغي لشيخ الطريقة أن يكون عالما تقيا ليعمل على الربط بين محاسن الشريعة والعقول السليمة، بين الشريعة والحقيقة
أئمتها	أصحابها: من النُّسَّاك والزهّاد والعبّاد والبكّائين، مثل الإمام مالك - أبو حنيفة - الشافعي - إبراهيم بن أدهم -- الفضيل بن عياض - الجنيد - رابعة العدوية.	يمثلها محيي الدين بن العربي (٦٣٨هـ)، ومنها: عبد الكريم الجيلي - ابن سبعين - العفيف التلمساني الفارابي - البسطامي - السهروردي	يمثلها الغزالي في الإحياء، ومنها: أبو طالب المكي في قوت القلوب - القشيري في رسالته - الجيلاني - ونبت منها الشاذلي، وصولا إلى طريقتنا العلية الصديقية الشاذلية لشيخها د. علي جمعة.

تابع: مدارس التصوف:

المدرسة	التصوف السلفي	النظري (الفلسفي)	التصوف السنّي
أساسها وملخصها	مشارب متعددة مثل ابن حنبل، والحارث المحاسبي رفعا للواء درجة الإحسان ملخصها أن تكون الدنيا في يدك لا في قلبك	موضوعاته الأساسية: المجاهدات والمواجيد، والكشف والحقائق الغيبية المدركة، والتصرفات في العالم والأكوان وعلوم الأسماء والحروف، وإنما قالوا بالتصوف الفلسفي ردا على الفلسفات الكثيرة التي انتشرت في عصرهم	السلوك وصولا إلى الانجذاب إلى الله تعالى. فالزهد والكرامات غير دالّة على كمال التصوف، فالكرامة الحقيقية هي كمال الاستقامة.
كتبها	لم تظهر الكتب المعتمدة في هذه الفترة شأن سائر علوم الشريعة واللغة، فكان همّهم الاتباع والاقتداء ما استطاعوا. إلا أن البعض ألف فيه تحت عنوان الزهد كالبيهقي وهنّاد وابن حنبل.	فمثلا ابن عربي وضع مفتاحا لقراءة الفتوحات المكية في مقدمتها. قال ابن العربي في الفتوحات المكية: (من قال بالحلول فدينه معلول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد) - فصوص الحكم لابن عربي - الإنسان الكامل للجيلي	استقرت قواعده وكتبه ومصطلحاته وصار علما نجده عند أبي طالب المكي (قوت القلوب) - الغزالي (الإحياء) - القشيري (الرسالة)، وسائر مؤلفات شيخ طريقتنا الدكتور علي جمعة، وشيوخه الرائد محمد زكي إبراهيم، والإمام عبد الحليم محمود.
التوصية	يستحب قراءة سيرتهم وما توفر من كتبهم والتحلي قدر الإمكان بما يطيق المرء من خصائصهم	نؤيد مقولتهم (كتبنا حرام على غيرنا) لأنها مكتوبة بمصطلحات ورموز، أو بطريقة لا يفهمها إلا من عاناها، فمن يقرأها من غير مفاتيحها يظن ظنونا باطلة ويعتقد اعتقادات منحرفة هم أنفسهم يأبونها.	يوصى بقراءة كتبهم الأساسية ويستحب عدم القراءة المتعمقة منها إلا على يد الشيخ العالم العارف

وباستقراء التاريخ الصوفي، وسيرة علماء التصوف الإسلامي ومسيرتهم على مدار التاريخ، نجد أنه من النادر أن يجد المرء العالم الطرير الوارث المتمكن الذي يستطيع أن يهضم بل ويعيش هذه المدارس الثلاثة - بالطبع بعد اكتمال صورة وإطار المدارس الثلاث - حتى جاء القرن الماضي فظهرت مجموعة من الورثة المحمديين الذين تعلم وتربى على أيديهم فضيلة مولانا الإمام العلامة، وبخاصة الرائد الزكي إبراهيم، والدكتور حسن عباس زكي، وشيخ الإسلام الدكتور عبد الحليم محمود، وغيرهم حيث جُمِع لفضيلة مولانا خصال هؤلاء القمم الأعلام وخصائصهم، وذابت في قلبه مشاربهم ومناهجهم، فاستخلص منها منهجه الخاص في كيفية الجمع المتميز لهذه المدارس الثلاث، فتراه الصوفي السلفي الزاهد العارف المتمسك بالسنة المطبق الواعي لقاعدة المدرسة الصوفية السلفية بجعل الدنيا في يديه لا في قلبه، فما من أحد رآه إلا وتأكد من أن الدنيا لا تساوي عنده جناح بعوضة، وأنها بحق مَعْبَرَة للآخرة، بتحويل برنامجه اليومي إلى ذكر وفكر، بعمل اليوم والليلة، وأذكار الصباح والمساء، فلا يحزن على المفقود ولا يفرح بالموجود، وكأنك أمام أحمد بن حنبل، أو الحارث المحاسبي، أو الإمام مالك، بل الشافعي، في تصوفهم وزهدهم، وعندما يدقق الناظر في أسلوب فضيلة مولانا الإمام العلامة ومسيرته الحياتية، بل وطريقته العلية تجدها عين التصوف السني بوراثته للشاذلي صاحب الطريقة وسلسلته المباركة، وبكونه واحدا من كبار علماء الشريعة والحقيقة وكأنه غزالي عصره، أو قشيري زمانه، فهو شاذلي وقته، وأن هذه المسيرة متصلة بترتيبات مأخوذة من الكتاب والسنة، من أجل إقامة وإعداد وتنظيم برنامج عمل يومي للإنسان يستفيد فيه من كتاب الله المسطور، ومن كتاب الله المنظور، وأن الأساس هو السلوك حتى نصل إلى الانجذاب إلى الله سبحانه وتعالى، أما إذا تعمق المرء في كلام

فضيلة مولانا الإمام العلامة وتأريخه للتصوف، نجد أنه بالإضافة إلى بيانه للفكر الصوفي الراقي الذي يحفظ مرتبة الإحسان، يتكلم في الفلسفة المجردة أو الفلسفة الصوفية ويحللها وينقدها ويصحح مسارها وكأنه أحد أعلام التصوف الفلسفي، إلا أن هناك نوعا من الاختلاف الواضح بين أعلام هذه المدرسة وبين فضيلة مولانا، حيث امتلك موهبة التعبير عن هذه الفلسفات بكلمات سهلة وبسيطة يفهمها حتى الرجل العادي، فلدى فضيلة مولانا الإمام العلامة القدرة على التعبير عن الأشواق والوجدانيات التي تجر الإنسان إلى حالات مع الله سبحانه وتعالى، رغم أن اللسان يعجز عنها، ولكن الحاضرين أمامه لا يخلو واحد منهم من انتقال حال الشيخ إليه، فيتذوق، ويهيم، وأي التباس يحدث تجد الشيخ من فوره يعمل على البيان والتوضيح، حتى إنه يفك الرموز المستغلقة على الناس ويبسطها لهم، حتى قام كثير من الناس بتغيير فكرتهم عن ابن عربي، وغيره من أعلام المدرسة الفلسفية. وهنا يتضح الفرق بين فضيلة مولانا وبعض مشايخه، حيث إن الرائد الزكي على سبيل المثال صرح في أكثر من موضع بأن الأسلم هو عدم الخوض أو الكلام عن التصوف الفلسفي، بينما اقتحم فضيلة مولانا هذا المجال مبينا للناس وموضحا، حتى إن فضيلته أعلنها صريحة قائلا: ومن التطبيقات التي تبين بوضوح صحة مقولتهم أن ابن عربي قد وضع مفتاحا لقراءة الفتوحات المكية في مقدمتها، وقال ابن العربي في الفتوحات المكية: من قال بالحلول فدينه معلول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، وكذلك جاءت الكتب الأخرى مثل فصوص الحكم لابن عربي، والإنسان الكامل للجيلي. فأخذ أعداء التصوف والإسلام في الكذب بكل طريقة وفي الاجتزاء وفي الخلط، ويأتي كل منهم بعبارة من هنا على عبارة من هناك، مرة يتهمونهم بالحلول ومرة بالاتحاد ومرة بوحدة الأديان وبتكافئها، فضلُّوا وأضلُّوا،

والسفهاء كثير، وقد ساروا خلف كل ناعق ومنافق، فهاجموا الصوفية، وخرجوا عن الأشعرية الذين هم السواد الأعظم، ونبذوا المذهبية، وتركوا الفقه وراءهم ظهريا، فضعفت فيهم علوم اللغة وعلوم الفكر والمنطق والتوحيد وأصبحت أمَّة لا معنى لها! وهذا ما حذرنا منه رسول الله ﷺ وقال: (أَنْتُم يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْزَعُ اللَّهُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ)، وهنا نتساءل: متى كان العدو يهابنا؟

كان العدو يهابنا عندما كنا علماء.

والسؤال: متى كنا علماء؟

الإجابة بسهولة ويسر عندما كنا ندرك كتاب الله المسطور مع كتاب الله المنظور، ونعرف الوصل بينهما، وكان ينتشر الإسلام عندما كان هناك تطبيق عملي بعيدا عن ألاعيب السياسة، وغيرها.

دخل الإسلام إلى الناس، لما رأوا أهل الله، لما عاش أهل الله بينهم فشاهدوا صِدْقَهم، ولمسوا إخلاصهم، وكذلك تأييد الله لهم كما تحدثنا السيرة عن السيدة نفيسة وغيرها. ولقد جعل ابن عربي الحب عمود رؤيته للكون، فالحب طاقة، وقال في إحدى إشاراته رؤية القلوب على قدر صفائها ونورها، ورؤية الأبصار على مقدار قلوبها.

وعلى الرغم من ذلك فإن فضيلة مولانا الإمام العلامة يحذر من قراءة كتب التصوف الفلسفي من غير شيخ، حتى يتمكن المريد من مفاتيح الفهم، والله أعلم.



ملاحق

مـــلاحـــق

- تراجم لبعض مشايخ مولانا الذين اجتمع بهم في التصوف وغيره.
- مولانا في عيون أهل الله
- مواقف مختارة من حياته
- من بعض كرامات مولانا

تراجم لبعض مشايخ مولانا الذين اجتمع بهم في التصوف وغيره

يتناول هذا الجزء من البحث كوكبة مهمة من السادة الأكابر المشايخ الذين أثروا في فضيلة مولانا الإمام العلامة، تأثيرا كبيرا في مجال التصوف والسلوك واستفاد من معاصرته لهم، ومنهم من تربى عليهم فضيلة مولانا مباشرة، وأجازه بالتربية والتسليك والطريق.

وسوف يجد القارئ كلاما مختصرا بعض الشيء عن مشايخ مولانا حيث إنه يتم حاليا الإعداد لمشروع ضخم موسوعي حول مشايخ مولانا كافة في العلوم الشرعية والتصوف والعلوم العملية والاقتصادية والمحاسبية والإدارية وغيرها يجمع سير هؤلاء الأعلام الذين شاركوا في تشكيل هذا الإنسان.

وهذه الكوكبة تشتمل على مجموعة مختارة من مشايخ فضيلة مولانا، كأمثلة تبين كيف اختلطت المشارب المختلفة والمتنوعة وذابت في بوتقة واحدة هي قلب فضيلة مولانا من غير تضاد أو تصارع أو تسبب تشتتا، بل كانت كُلًّا متكاملا وكأن القدَر يؤسس رجلا يناسب عصره قادرا على تحمل أعباء الخلافة لهؤلاء الأكابر، والتشرف برفع لواء الوراثة المحمدية، علما وعملا، وسلوكا وتربية، وهو وإن كان نسقا جامعا، إلا أنه في انتقاء دقيق لا يتعلق بتركيبته الروحية الخاصة به فقط، بل يمتد لما يناسب حال المريد، والذي هو على اختلاف مفظع، لكنه لا يخرج عن مشرب الشيخ، فيما ساعد المراقبين والمحققين إلى القول بأنها الوراثة المحمدية الكاملة. وتفاصيل هذه التركيبة الجامعة الشاملة يتم تناولها في الجزء الخاص بالتربية التكاملية الجامعة تحت عنوان الشيخ والمنهج.

ويبدأ الحديث أولا عن السادة النقشبندية وسلسلتهم المباركة التي تسلمها فضيلة مولانا الإمام العلامة، ثم الانتقال إلى السلسلة الشاذلية الشريفة وعلى رأسها المثلث المبارك، وهم من أجازوا مولانا بطريق الشاذلية، ثم نخبة من كوكبة المشايخ المتنوعة التي التقاها فضيلة مولانا الإمام العلامة وتأثر بهم، وأخذ عنهم أيضا.

أولا: السادة النقشبندية

كتب الإمام العلامة يقول:

* دخل الإمام الولي العارف بالله تعالى شيخ العارفين صاحب المواهب السنية والبركات والفيوضات العلية الشيخ **محمد أمين البغدادي النقشبندي** مصر مربيا ومرشدا في سنة 1914م، فسعدت بحلوله أرض الكنانة، ومات بها سنة 1940م، ودفن بعد ذلك بمسجد الظاهر جاشنكير بالجمالية بالقاهرة[1]، وضريحه معروف يزار. وفاز بقربه الخواص والعوام الذين شاهدوا نورا تبدى من محياه؛ فأشاع الضوء والأمن في رحب المكان والزمان، ونالوا عطف قلبه الرحيم الذي عم كل كائن وكل إنسان.

ولد رضي الله عنه ببلدة السليمانية بالعراق في الثامن من شهر ربيع الثاني 1286هـ، نشأ يتيما وترعرع في حضانة والدته الطاهرة النقية الحسيبة النسيبة السيدة أمينة، مع رعاية خاله المحمود السيرة والسريرة له نظرا لوفاة والده حيث أدخلاه المكتب لحفظ القرآن الكريم وتبحر في العلم الشريف المنقول منه والمعقول، وكان حُجة في الفقه الشافعي، وأجاد العربية والتركية والفارسية.

أخذ العهد عن غوث السالكين مولانا الشيخ عمر الملقب بضياء الدين، ودخل

(1) جاشنكير (أي متذوق الطعام قَبْل السلطان).

الخانقاه وسلك الصالحين[1]، ولقبه شيخه بـ «الأمين» لطاعته وإخلاصه، ورأى في صغره الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه جالسا وعليه الهيبة والنور حين وقف أمام قبره الشريف في بغداد.

عاش شبابه زاهدا بعيدا عن مباهج الحياة وزخارفها، وكان جوادا كريما يحب العزلة والانفراد بعيدا عن الناس، وقد تعلق قلبه بمحبة الله تعالى والشوق إلى سيدنا رسول الله ﷺ، ولكنه لم يحصل على إذن شيخه سيدي عمر ضياء الدين الذي طلب منه الانتظار، وقد توالت الأحداث إذ انتقل شيخه إلى رحمة الله تعالى وخلفه ابنه الشيخ محمد نجم الدين، وبعد عامين من وفاة شيخه ودع الخانقاه وانقطع في بيته للعبادة عامين؛ ثم جمع أهله ووزع عليهم ماله وتركته وخرج متوكلا على الله سبحانه وتعالى يسير على الشاطئ حتى أدرك سفينة فسافر إلى أرض الحجاز، وفي المدينة المنورة رأى سيدنا رسول الله ﷺ مناما، ومع استمرار الطاعة والمجاهدة والاعتكاف كشف عنه الحجب ورأى الرسول ﷺ يقظة وطار فرحا بهذا اللقاء، وظل بالمدينة المنورة ثلاثة عشر عاما متمتعا بجوار الحبيب المصطفى ﷺ، ومكث في مكة ثلاثة أعوام، وتوجهت نفسه إلى زيارة مصر لزيارة ريحانة رسول الله ﷺ مولانا الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه، والإمام الشافعي رضى الله عنه، فدخل مصر عام 1914م، ولازم مسجد سيدنا الإمام الحسين رضي الله تعالى عنه، وكان يواظب على زيارة سيدنا الإمام الشافعي والإمام الليثي وسيدتنا سكينة بنت مولانا الحسين رضى الله تعالى عنهم.

واستقر بمصر في مسجد بيبرس جاشنكير في حي الجمالية، وبعد خمس سنوات

---

(1) الخانقاه (معرب فارسية: خانگاه) هو المكان الذي ينقطع فيه المتصوف للعبادة، اقتضت وظيفتها أن يكون لها تخطيط خاص، فهي تجمع بين تخطيط المسجد والمدرسة.

من الاختفاء وعدم الظهور وعدم الاختلاط بالناس، انتشر بأمر الله تعالى اسمه فلم يلبث حتى توافدت عليه جموع من العلماء والطلاب من مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وتركيا والحجاز والسودان والحبشة وكذا من صعيد مصر والعراق وبخارى واليابان والهند والصين، وأقبل عليه علماء الأزهر الشريف فكان يجلهم ويرحب بهم ومن هؤلاء العلماء (الشيخ حسونة النواوي شيخ الأزهر، والشيخ عبدالرحمن قراعة مفتي الديار المصرية، والشيخ بسيوني، والشيخ عبدالمجيد سليم، والشيخ محمد بخيت المطيعي وغيرهم).

وقد انتشر الطريق ببركة الشيخ بين جميع الطوائف في أنحاء البلدان، ونالت مصر الكثير من بركات الشيخ رضي الله تعالى عنه، وكان رضي الله عنه كثير الدعاء لمصر وأهلها الذين أحبهم وأحبوه وبخاصة في أحوال الشدائد والمحن التي مرت بها البلاد والتي رفع الله تعالى ببركاته ودعواته تلك الكروب، وظهرت له كرامات كثيرة لا تعد ولا تحصى دون رغبة منه ولا قصد وكان ظهورها لطفا بالبلاد.

وكان رضي الله عنه عندما يأكل يأخذ نصف وجه الرغيف أو ربع الرغيف ويغمس اللقيمات في الخل ويأكلها، مطبقًا حديث الصحيح (نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ)، والخل طهور بدخوله حمض الخليك.

وكان الإمام البغدادي يأكل قليلًا حتى يذكر كثيرًا فكثرة الأكل تبعد عن الطاعة والذكر، لذا كان الإمام البغدادي صاحب وجه منير ومستجاب الدعاء بسبب ذلك فكان قريبا من الله بكثرة الذكر.

انتقل رضي الله عنه إلى الرفيق الأعلى في السابع عشر من ذي الحجة عام 1358هـ، ودفن بمقابر باب الوزير قرب الدراسة بالقاهرة، وبعد 25 عاما جاء تكريم

الله تعالى له بتحقيق رغبته حيث كان رضي الله عنه كثيرا ما يقول وهو بمسجد بيبرس (أحب أن أكون هنا) فتم نقل جثمانه الشريف إلى الضريح المقام بمسجد بيبرس جاشنكير بالجمالية وكان ذلك يوم الأحد 15 جمادى الآخر عام 1383هـ الموافق 10 أكتوبر سنة 1965م نفعنا الله تعالى بمدده وفيض نوره وبركاته آمين يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ويروي فضيلة مولانا عن الشيخ البغدادي الكرامة الآتية: حدث مع سيدنا الشيخ محمد أمين البغدادي وهو في طريقه قابله شخص يسمى محمد ذُهْنِي - الذي أصبح شيخا بعد ذلك - يتمايل من السكْر وقال له: أعطني ريالا؟ فأعطاه ريالا، فاعترض التلامذة قائلين: أتُعْطِي سكرانا!؟ إنه سيذهب عند الخمار ليشرب الخمر؟! وبعد ثلاثة أو أربعة أيام وجدوا محمد ذهني آتيًا لهم يبحث عن الشيخ قائلا: أين الشيخ الذي كان هنا وأعطاني الريال؟ فقالوا له: لماذا؟ قال لهم: كلما أشرب أتقيأ إلى أن عِفْتُ الخمر وتركتها. ثم لَازَمَ أحمد ذهني الشيخَ هنا في الظاهر جاشنكير إلى أن توفي رحمه الله تعالى، وحدثت في وفاته كرامة، فقد أنطقه الله بالشهادتين بعد ما مات. هذا الرجل بعد أن سار مع سيدنا الشيخ محمد أمين البغدادي شهرين أو ثلاثة أو أربعة وتاب إلى الله وحسن حاله وأصبح من المصلين، وذات يوم قال له: يا سيدنا الشيخ هل من يتبعكم يَفْتَقِر؟! قال له: لماذا؟! قال له: لقد كان دخلي ستة جنيهات من الذهب وأصبح ثلاثة أول ما أن سلكت طريقكم هذا، فهل هذه عادة الله معكم؟ ونحن فَسَقَة يعطينا ستة ونحن أتقياء يعطينا ثلاثة! قال له: إذن نحسبها، كم كنت تعطي الخَمَّار؟ قال له: ثلاثة. قال له: إذن ليسوا من حقك، فأنت لم تعد تعطيهم الخمار فربنا بعث لك بما يخصك. الثلاثة كان يعطيهم لك ويكتب عليك ذنبا والآن لا يعطيك ولا يكتب عليك شيئا بل يكتب لك الحسنات.

أرأيت الإنسان كيف هو قاصر النظر ولا يدري أين الخير، ولذلك قلنا إن طريقنا هذا مقيد بالكتاب والسنة. اتبع الكتاب والسنة ولا تتدخل فيما يكْثُر أو فيما يقل هذا غيب يعلمه الله تعالى. إنسان أيضا الله يشفيه فيقلل رزقه، نعم فالنقود كانت للطبيب والدواء ولم تكن لك فانتبه لهذه المعاني.

وقال كذلك فضيلة مولانا الإمام العلامة: واشتهر للإمام محمد أمين البغدادي سبعة تلاميذ، هم الشيخ عبد العزيز الشريف، والشيخ أحمد حماده، والشيخ أحمد مرسي، والشيخ محمد الأمير، والشيخ تمام عبد الله، والشيخ شرف الدين، ولم يذكر مولانا السابع، بل قال: على أن الشيخ البغدادي لم يأذن لأحد من مريديه بإعطاء الطريق، فانقطعت السلسلة أيضا من طريقه، فكان يقول: الطريق موقوف إلى المهدي.

* **وقال أيضا:** كان شيخنا **الشيخ أحمد حمادة النقشبندي** الأصولي المعمر رحمه الله رجلا تقيا نقيا مستجاب الدعاء وكنا نرى الناس على بابه صفوفا بالطوابير يلتمسون منه الدعاء ويشكون له سوء حالهم، فيدعو لهم. وكان الشيخ أحمد حمادة النقشبندي أحد مشايخ الأزهر الذي يتبع المذهب الشافعي، وكان ذاكرًا ويقرأ القرآن بالعشرة وزاهدًا في الحياة الدنيا، ويصلي 12 ركعة ضحى و11 ركعة قيام ليل.

* **وقص فضيلة مولانا الإمام العلامة عن الشيخ أحمد حمادة قائلا:** من الأمثلة الواقعية لمستجابي الدعوة، الشيخ العظيم جدا أحمد حماده، وهو لم يتزوج، وكان منقطعا لعبادة لله، وتوفي وله 92 عاما، وكان يسكن خلف السيدة سكينة بنت سيدنا الحسين رضي الله عن الجميع، وذلك في شقة لا يدفع لها مقابل حيث إن صاحب البيت اعتقد فيه الولاية، وأنه رجل صالح، من أولياء الله، إلا أنه كان لا يستغل إلا غرفة واحة فقط، يستقبل فيها الناس ويصلي الضحى 12 ركعة، وقيام الليل 11 ركعة، وذات

مرة ترك قيام الليل. وصاحب البيت كان يشعر بالشيخ أحمد حماده وهو يتوضأ في الليل، وفي هذا اليوم لم يشعر به، فلما نزل له وجده قد مات، وهو اليوم الوحيد الذي لم يقم الليل فيه. وسبب ذلك بسيط جدا، وهو أن الشيخ أحمد حماده كان يحفظ القرآن بالقراءات العشرة، وكان يجلس في صحن الأزهر، وفي مسجد سيدنا الحسين يعلم الناس القراءات العشرة، وكان يقرأ المجموع للإمام النووي لأنه كان شافعي المذهب، وكان عالم من علماء الأزهر ولا يعرفه أحد. وكان يتوضأ ويجلس في فناء الأزهر يصلي الضحى فيستغرق مع ذكر الله فتأتي الشمس حارقة شديدة الحرارة في الصيف فلا ينتبه ولا يشعر بحرارتها من كثرة استغراقه مع ربه، نقول له ادخل يا سيدنا في الظلة، وهو غائب! وبعد أن ينتهي من الصلاة يدخل في الذِكر، وبعد الذِكر يدخل في القرآن، وبعد أن يختم ورده من القرآن - وكان يحفظ القرآن بالقراءات العشر - يقرأ في المجموع للإمام النووي فقد كان شافعيا. وهكذا كان جالسا للعبادة دائما. وعندما كنت في شبابي، والكلام هنا لمولانا، رأيت شيئا غريبا جدا عن الراجل، قد لا يصدقها البعض، وكان الشيخ أحمد حماده لديه خاصية عجيبة، أنه لا يستطيع القيام للصلاة، فإذا حضرت صلاة الفريضة يطلب أن نحمله حتى يقف في الصف ويشرع في الصلاة، فنجده يقوم قياما كاملا تاما حتى تنتهي الصلاة، وفور التسليمتين لا يستطيع الوقوف فيطلب حمله مرة أخرى، بمعنى البطارية قد نفدت، أي أنه يشحنها على قدر صلاة الفريضة، ولا يستطيع أن يكمل بعد ذلك. أما السنن فيصليها جلوسا. فهذا الرجل لا علاقة له بالدنيا، بل هو ذا كرا. وهذا الصنف من الناس يصفه الإمام السيوطي (بتوع ربنا)، ومثلهم لابد من وجودهم في الأمة، حتى يدعو فيستجاب له. وكان يحضر إليه الناس وينتظمون في صفوف ليسألوه الدعاء لهم في مصالحهم

الدنيوية، كالتعيين في وظيفة، أو النجاح في الامتحانات، أو الحصول على تأشيرة سفر، أو خطبة، وهكذا، فيدعو لهم الشيخ، دون أي مقابل على الإطلاق، وذات مرة تتبعت كل من سألوه الدعاء فوجدت حاجاتهم قد تم قضاؤها على خير، كلهم بلا استثناء، فإن أراد غيري تصديق ذلك فنعم، وإن رفض فما عساي أفعل له، وقد رأيت ذلك بعيني.

* أما الشيخ العلامة أحمد محمد مرسي النقشبندي، **فيقول عنه فضيلة مولانا الإمام العلامة:** هو من التلامذة الأوائل المتقدمين، كان تجسيدا للحب، والرحمة، والجمال والخلق القويم يمشي على رجليه، فكان نموذجا للاقتداء، وهو الحجة التي سوف يحاسبنا الله عليها لو كان هذا الشخص بيننا في عصرنا الحاضر، وعلى الرغم من ذلك، فقد توكل على الله حق توكله، وكانت الدنيا تأتي إلى يده، وتذهب، ولا تدخل قلبه أبدا.

* وقال عنه كذلك: هناك الواصلون إليه أصحاب الدرجات العلا، أصحاب درجة القرب، وهؤلاء رزقهم الله من سَعَةٍ وأجزل لهم العطاء في قلوبهم وأرواحهم وعقولهم وأنفسهم، فأنفقوا من هذا العطاء لمن حولهم حتى إذا ما رأيته ذَكَرْتَ الله وكان سببا لرؤية رحمةِ الله في العالمين. كان منهم سيدنا الشيخ محمد أمين البَغْدَادي رضي الله تعالى عنه وأرضاه، كان منقطعا لذكر الله مخلصا في قلبه له سبحانه لا يتوجه لسواه، جاءه الشيخ أحمد مرسي مرة ومعه أخته الصغيرة، وكان هناك طبيب عيون كبير قد عرضها عليه فقال له: لقد عميت وأصبحت لا ترى، قد أخذ الله حبيبتيها، فحمل البنت - وسنها تسع سنين حينئذ - وذهب بها إلى الشيخ (وكان الشيخ يجلس في مسجد الظاهر جاشنكير وهو بعد سيدنا الحسين على يدك اليمنى أمام حَمَّامَات الجمالية كان يجلس في الخلوات هناك حيث كان يجلس في الخلوة الثانية على يدك اليسرى

وأنت داخل، ودفن في هذا المسجد). وقال له: الطبيب يقول إنها أصبحت عمياء فماذا أفعل؟!. فقال له الشيخ: هذا قَدَر الله يا أحمد، قال له: نعم هذا قَدَر الله، فادعُ الله سبحانه كما أعماها أن يرد بصرها، قال له: ماذا أفعل؟!،هذا قدر الله أن يذهب بصر البنت، فقال له: أنا لن أقوم من مكاني - أرأيت الدلال على الله، والثقة في الله. أرأيت شأن الواصلين إليه كيف يكونون رحمة للعباد - فقال له: أنا لن أقوم من هنا حتى تجد حلا، فقال له: إذن أغلق الباب، وقم بفك الغماض الذي يغطي عينها.. فقام بفكه، فصلى على رسول الله ونفخ فيها، وقال اللهم صل على سيدنا محمَّد، ونفخ نفخة في عينيها فَرُدَّ بَصَرُ الفتاة إليها وتعلقت برقبته - كان الشيخ أحمد مرسي حينئذ بلا لحية وسيدنا الشيخ مُلْتَحي - فقالت له: ما هذا؟ وتعلقت في لحيته، وهذا يعني أن الفتاة تبصر، فقال لها: لحية. فسألته: ولماذا يكون لديك لحية؟! فقال لها: لأني رجل، فقالت له: وأخي أحمد، أليس رجلا؟! فقال لها: رجل إن شاء الله، فقالت له: إذن ولماذا لا يوجد لديه لحية؟! فقال: يكون له إن شاء الله. فأطلق الشيخ أحمد لحيته من حينئذ. قال له الشيخ: لوجه الله لا تخبر أحدا ما حييت - كانوا يحبون ستر أنفسهم لأنهم إذا عُرِفُوا فسوف يقف الناس لهم صفوفا ويتحول الشيخ إلى شبه الدجاجلة، وهذا هو الفرق بين الدجال الذي يعلن عن نفسه إنه عنده قدرة الشفاء وعنده مقدرة كذا وكذا، وأولئك الواصلين إليه ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق:7] - فقال: نأخذ العهد. وأخذ العهد على ذلك. فقال له: ماذا أفعل الآن؟ لو ذهبت إلى بيتي فسوف يجدونها مبصرة وهذا شيء غريب. فقال له: اذهب إلى الطبيب مرة أخرى يكشف عليها فيجدها شفيت بإذن الله. فقال له: حسنا، وذهب إلى الطبيب وأغمضها مرة أخرى بالغماض فالطبيب فتحه وكشف فقال له: ما هذا؟! أين كنتم؟! ومن الذي

كنتم عنده؟! فقال له: لم نكن عند أحد.. فقال له: أنت لا تقول الحقيقة، فالبنت كان عندها انفصال في الشبكية ولقد وُصِلَ هذا الانفصال. فكيف وُصِلَ؟؟! عليك أن تخبرني حالا عمن فعل هذا؟ فقال له: لا أحد إنه الله الذي فعل هذا.. فقال له: أنا أعلم أن الله هو فاعل هذا ولكن مَن الذي أجرى الله على يديه هذا في الظاهر؟ وخرج أحمد بينما حَدَثَت للطبيب حالة جلال، وقال للمرضى عنده: يا إخواننا جاء كم الفرج! جاء كم الفرج!

ويقول الإمام السيوطي: لابد منهم في الأمة، يعني لابد من ناس تُخْلِص وتنقطع عن علائق الدنيا وتحب الله ورسوله ﷺ حتى تكون نبراسا للآخرين فلا تبقى المعصية هي الشائعة، لابد من واحد أو اثنين أو ثلاثة تلجأ إليهم الأمة لطلب الدعاء، يدعون الله فيستجيب.

* ومما قصه فضيلة مولانا عن الشيخ أحمد مرسي أيضا: لا تَحْقِر عبادَ الله، فَمَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ، وذات مرة قابل سيدنا الشيخ أحمد المرسي رجلا منورا عند مقام سيدنا الحسين - هو أسمر إنما وجهه كله يشع نورا - فأضمر في نفسه وهو بعيد أن يُقَبِّلَ فوق يده، فلما قَرُبَ منه مسح هذا الرجل يده في أنفه بصورة مُنَفِّرة منه، ولكن الشيخ أحمد مرسي كان واعيا فهو تربية مشايخ، فَقَبَّلَ فوق يديه، فقال له: يا بني أنا مصاب بهذا الداء - الذي هو الزكام والرشح - وأَصْبِرُ عليه إن شاء الله ثم دعا له: اللهم قِهِ هذا، اللهم قِهِ هذا، فرأينا سيدنا الشيخ أحمد إلى أن مات وله ثمانية وثمانون عاما لم يمسك منديلا، ولم يستعمله، وكان له ابن وذات مرة كان يجلس إلى جوار سيدنا الشيخ وجاءه قليل من الزكام فعطس، فقال له الشيخ: يا أخي ألا ترى لنفسك حلا، قال له: أحضره لي وأنا أقبل يديه! فأنت عمرك لم تُصَب بالزكام من وقت دعا لك ذاك الرجل.

إذن الدعاء مستجاب فربنا كريم وكل هذه بركة، فإياكم أن تفقدوها، وإياكم أن تتركوا الله، وإياكم أن تتركوا البركة، وإياكم أن تتركوا الدعاء، وإياكم أن تستهينوا به فالدعاء والصلة بالله لا يوجد شيء أحسن منه. قف أمام الله وأمام بابه حتى يرضى عنك ويفتح لك.

* وقال فضيلة مولانا أيضا: لما لاحظ سيدنا الشيخ محمد راشد على تلميذه سيدنا الشيخ أحمد المرسي رحمهما الله شيئا عجيبا لم يعتاده منه، فسأله إلى من تذهب من المشايخ بعد أن تنتهي من الدرس عندي، فكأنك تذهب لأحد كبار أولياء الله. فأنت كل يوم تأتيني وعليك خيمة من نور تختلف عن خيمة أمس، وأنت لم تبلغ هذا المبلغ بعد، فلابد من أن هناك أحدا يقوم بإلباسك إياها، فمن هو؟؟! فقال له: والله أنا لا أعرف إلا شيخا اسمه الشيخ محمد أمين البغدادي فهذا هو الذي أعرفه فقط وليس في ذهني أحد آخر. قال له: هيا خذني إليه. قال له: إنه لا يقابل أحدا. قال له: هيا بنا يقابل أو لا يقابل سأذهب إليه، أنا مكثت أبحث عن مثل هذا منذ زمن بعيد. وسيدنا الشيخ محمد راشد كان مدرس التفسير وكان من هيئة كبار العلماء وكان إمام الخاصة الخديوية رضي الله تعالى عنه، فذهب إلى الشيخ محمد أمين البغدادي، وقال له: يا مولانا أنا كبرت في السن وقد رأيت الأنوار على هذا الولد فأنت كل يوم تلبسه نورا جديدا فعرفت أنك ولي من أولياء الله انظر! عرف ولم يره؛ عرفه من الأنوار التي تظهر على التلميذ، هؤلاء هم أرباب البصائر.

وقال سيدنا الشيخ راشد لسيدنا الشيخ البغدادي: أنا رجل قد كبرت وبلغت سبعين عاما وأريد شيئا يحرك قلبي فإنه لا يريد أن يتحرك. فرد سيدنا الشيخ البغدادي:

وهل هذا معقول! فأخبرني بعمل صالح تعمله هو خبيئة لك عند الله. قال له: لا عمل لي إلا أنني إلى الآن وأنا أقوم الليل بركعتين منذ أربعين سنة لا يعرف عن ذلك أحد من الخلق لا زوجتي ولا أولادي ولا أي أحد، أقوم الساعة الثانية ليلا في الخفاء وأصلي ركعتين ثم أعود للنوم مرة أخرى فيظنون أني نائم فهذا هو العمل الصالح الوحيد الذي بيني وبين الله تعالى. فقال له سيدنا الشيخ أمين: سوف أزورك.

فذهب إليه ودخل المكتبة فوجدها مكونة من أربع غرف ممتلئة بالكتب حتى تصل إلى السقف وكان السقف مرتفعا، فقال له: قرأت كل هذا يا شيخ محمد ؟! قال: قرأته وجلدت الكتب بيدي - فهو كان مُجَلِّدًا تعلم التجليد في إسطنبول - فقال له: وأين وجدت قلبك في كل هذا ؟! قال له: ما وجدته حتى الآن. قال له: إذن تأتي وتذكُر معنا، فجاء به وأجلسه أمامه في الذِّكْر وقاموا بذكر الله فصرخ الشيخ محمد راشد صرخة كبيرة، فالشيخ أحمد مرسي لم يجد هذا الموقف مقبولا ولا معقولا لديه، فلماذا يصرخ؟! ولما خرجوا قال له: والله يا بُني لقد شعرتُ بأصابع يده تتحرك في قلبي!

ثم يقول مولانا: هؤلاء هم أرباب القلوب، والناس لا تريد أن تصدق ولا أعرف لماذا؟! فما هو المستحيل في ذلك وما هي الخرافة في ذلك أن يوجد ناس طيبون؟! قد يقول أحدهم: إنهم لم يجدوا من يفعل معهم ذلكَ !

وإني أقول لهؤلاء: وهل عندك مثل خبيئة هذا الرجل أو هل أنت في مثل حاله وكمال إقباله على الشيخ!! سل نفسك أولا!

يقول سيدي ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه:

لا تطلب من الشيخ أن تكون ببالك، ولكن اطلب من نفسك أن يكون الشيخ ببالك،

فبقدر ما يكون ببالك تكون بباله، فذاك أول قدم تضعه في السلوك.

وقد لازم فضيلة مولانا الإمام العلامة الشيخ أحمد مرسي ملازمة تامة ولمدة ثلاث سنوات متتاليات كل يوم، وتأثر به، وبأخلاقه، ومشربه، وعلمه، وعندما سُئل الإمام العلامة من أحد طلبته: **إن كل ما قرأناه في كتب السادة الصوفية وأخلاقهم نراه متمثلا فيكم، بل ونفهمه من خلالكم، ومن خلال تصرفاتكم ومواقفكم.**

فكان يقول وهو يبتسم: الشيخ أحمد مرسي، أي أن الشيخ أحمد مرسي - رضي الله عنه وعن شيخنا - هو الذي طبع عليه هذا الذي ترونه.

* ومن كرامات الشيخ أحمد مرسي أن فضيلة مولانا الإمام العلامة كان يقوم على خدمته (وهكذا كان مولانا مع كل مشايخه دون استثناء، دائما في خدمة مشايخه بصورة مخلصة مستديمة)، **فرأى الشيخ أحمد مرسي شيخَه الشيخ محمد أمين البغدادي في رؤيا، وهو يقول له: علي بيخدمني كتير قوي، ممكن تديله هدية، فقال له الشيخ البغدادي: انظر يا أحمد، فنظر فرأى نهرين، أحدهما كبير والآخر أصغر، فقال له: هما لعلي.**

فاستيقظ الشيخ أحمد مرسي، ولما حضر فضيلة مولانا إليه كالمعتاد، قال له: واد يا علي (ينادي على مولانا)، الشيخ البغدادي يبشرك بنهرين، وقام بتأويل الرؤيا أن **النهر الكبير هو نهر الولاية، والنهر الصغير هو نهر العلم.**

وكما سبق وذكرنا ونتوه هنا أيضا لقول فضيلة مولانا في أحد لقاءاته مع مقدمي الطريقة:

على سبيل المثال كان الشيخ محمد أمين البغدادي حوله 30 فقط، نهض منهم 7 فقط، منهم الشيخ أحمد مرسي، وهؤلاء هم الذين مسكوا المجتمع وأثروا فيه لئلا ينهار. وانتبهوا فإنه لولا وجود الشيخ أحمد مرسي لكَفَرَ أصحاب الطبقات الراقية.

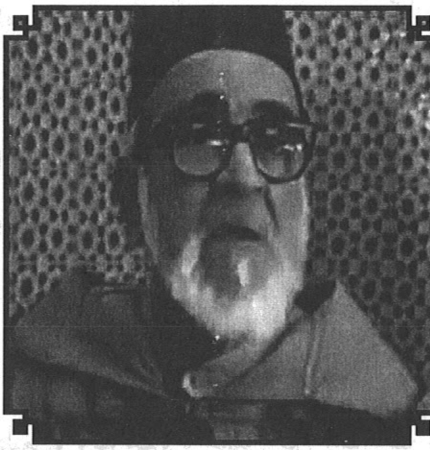
وعلى مثاله كان الشيخ إسماعيل صادق العدوي، ومن تلامذته محمد هاشم العشيري، وأخوه هو حسين العشيري، وهو درويش كبير تزوج ليلى سامي شرف، ومعلوم من هو سامي شرف، إلا أنه قَبِلَ أن يزوج ابنته حسين العشيري بسبب الشيخ إسماعيل أي كرامة له. فانظروا كيف كان التأثير على هذه الطبقات. وهناك أنبه إلى أن التف حول الشيخ إسماعيل عدد لا يزيد عن 40.

وكذلك قال عنه في لقاء آخر: الشيخ أحمد مرسي درس في الأزهر وولد ١٨٩٧ أي أواخر القرن ال١٩ ودرس في الأزهر مدة كبيرة وقرأ في مسلم واللغة والأصول وكذا إلى آخره. ولقد صاحبتُ الشيخ- والكلام لمولانا- لمدة ثلاث سنوات كظله كل يوم فسمعت منه حكاوى وقصص ومفاهيم ومواقف تجعل الشخص غير الأزهري أزهريا، لماذا؟ لأن هذه عقلية، لأن الأزهر منهج، والأزهر عقلية، والأزهر نفسية، والأزهري شخصية معينة.



ثانيا: السادة الشاذلية

* السيد عبد الله بن الصديق الغماري



(علَّامة الدنيا الحافظ المحدث خاتمة الفقهاء المحققين قدس الله روحه ونور ضريحه). محدِّث الديار المغربية، العلامة الأصولي، المفسر اللغوي، المسند الشاعر، الحافظ المتفنن في شتى العلوم، وريث المعقول والمنقول، سليل العترة النبوية الطاهرة.

هو الشريف الحافظ السيد أبو الفضل عبد الله ابن الولي الكبير سيدي محمد الصديق بن سيدي أحمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن محمد بن عبد المؤمن الغماري الطنجي بن محمد بن عبد المؤمن بن علي ابن الحسن بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن سعيد بن مسعود بن الفضيل بن علي بن عمر بن العربي علال بن موسى بن أحمد بن داود بن إدريس ابن مولانا إدريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن ابن الإمام علي. وُلد في آخر يوم من جمادى الآخرة سنة 1328هـ - 1910م طنجة، في أسرة مشهورة بالحسب والنسب والعلم، وانتقل إلى رحمة الله تعالى في طنجة عام 1413هـ (1992م). ويعود نسبه أيضا من جهة الأم إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمه حفيدة العلامة الولي سيدي أحمد بن عجيبة الحسني صاحب تفسير البحر المديد.

تلقى تعليمه الأولي بالزاوية الصديقية على الفقيهين: محمد البراق الأنجري، ومحمد الأندلسي المصوري، وأخذ العلوم الشرعية واللغوية عن شقيقه أحمد، وعن خاله أحمد بن عجيبة، ثم رحل سنة 1343هـ/1924م إلى فاس لاستكمال دراسته، فالتحق بجامع القرويين، وأخذ عن شيوخه، كالشيخ أحمد القادري، وشيخ الجماعة عبد الله الفضيلي، والشيخ الحسين العراقي، وغيرهم. ومن العلوم التي درسها بالقرويين: علوم العربية والفقه المالكي وعلم الفرائض والتوحيد والمنطق، ثم رجع إلى طنجة سنة 1346هـ/1927م، فدرس على والده الشيخ محمد بن الصديق النحو والبلاغة والفقه المالكي، ثم التحق بمصر فدرس بالجامع الأزهر سنة 1349هـ/1930م، وأخذ عن عدد كبير من العلماء، من أمثال الشيخ محمد حسنين مخلوف، والشيخ محمد بخيت المطيعي، وغيرهم، وحصل على إجازات عدد كبير من العلماء، كما حصل على شهادة العالمية الأزهرية سنة 1361هـ/1942م، وتعددت نشاطاته العلمية بمصر، إلى أن رجع إلى المغرب عام 1390هـ/1970م.

وحضر عدة شروح منها: شرح الخرشي، وحاشية أحمد بن الخيّاط وحضر شرح البخاري للقسطلاني وجمع الجوامع شرح المحلي من أوّله إلى كتاب السُّنّة. وأجازه السيد مهدي العزوزي.

عمل الشيخ مدرسا للعلوم الشرعية بالجامع الأزهر بصفة تطوعية، وعينته وزراة الأوقاف المصرية مفتشا للدروس التي تُلقى في مساجدها، وبعد عودته من مصر استقر بمدينة طنجة خطيبا بالزاوية الصديقية، ومدرسا للعلوم الشرعية بها، وأخذ عنه العدد الجم من طلبة العلم، ولم يبق قطر إسلامي إلا وله فيه تلامذة.

من مشايخه والده، وشقيقه أحمد، والعلامة القاضي أبي بكر بناني (ت1392هـ)، والعلامة القاضي الشهير بالصنهاجي (ت1365هـ)، والعلامة يوسف النبهاني

(ت1350هـ)، والعلامة الشيخة آمنة الدمشقية رحمها الله تعالى.

كان رحمه الله تعالى عالما قَلَّ أن يُضاهَى في العلوم الشرعية، واللغوية، والمنطق، محيطا بدقائقها، ومستحضرا للنصوص وأقوال العلماء، وحججهم في المسائل المختلفة، مع سَعَةِ الاطلاع على أدلة المذاهب الفقهية الإسلامية والعقائدية، وكان يمتع بذاكرة قوية وسرعة في البديهة، وقد وصل في علم الحديث بالخصوص، إلى درجة عالية، حتى اعتبر حافظ العصر، إذ كان يستظهر آلاف الأحاديث بأسانيدها، ومعرفة رجالها. وله أقوال انفرد بها عن كثير من العلماء، وله تحقيقات لم يُسبق إليها مع تواضع قلَّ نظيره.

وكانت له رحمه الله جهود مشكورة في الدعوة إلى الله تعالى داخل المغرب وخارجه، ومن ذلك زيارته للمسلمين بأمريكا، وتأثيره البالغ فيهم، حتى إنه بعد مقابلته للملاكم العالمي محمد علي كلاي، نقلت مجلة فيكارو عن هذا الأخير قوله: أتمنى أن تكون لي روح مثل روح الشيخ عبد الله بن الصديق.

أخذ الطريق عن والده الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن الصديق بن أحمد بن عبد المؤمن الغُماري الشريف الحسني.

توفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة 19 شعبان 1413هـ/ الموافق 12 فبراير 1993م، ودُفِن بجوار والده رحمه الله تعالى بالزاوية الصديقية، الكائنة بشارع القادرية بمدينة البوغاز المعروفة بطنجة في شمال المغرب، وحضر جنازته الآف المشيعين.

ومن مؤلفاته:

الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج للبيضاوي - تخريج أحاديث لمع أبي إسحاق الشيرازي في الأصول - عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى في آخر الزمان - إتحاف

الأذكياء بجواز التوسّل بسيد الأنبياء - الأربعون حديثًا الغُمارية في شكر النعم - الأربعون حديثًا الصديقيّة في مسائل اجتماعية - الاستقصاء لأدلّة تحريم الاستمناء - حسن البيان في ليلة النصف من شعبان - فضائل القرآن - قرّة العين بأدلّة إرسال النبيّ إلى الثقلين - جواهر البيان في تناسب سور القرآن - نهاية الآمال في شرح وتصحيح حديث عرض الأعمال - الحجج البيّنات في إثبات الكرامات - دلالة القرآن المبين على أن النبيّ أفضل العالمين - النفحة الإلهية في الصلاة على خير البريّة - إعلام النبيل بجواز التقبيل - إتقان الصنعة في بيان معنى البدعة - كيف تشكر النعمة - الإعلام بأن التصوّف من شريعة الإسلام - حسن التفهّم والدَّرْك لمسألة الترك - تمام المنة ببيان الخصال الموجبة للجنّة - كمال الإيمان في التداوي بالقرآن.

ويقول فضيلة مولانا الإمام العلامة في الفيلم الوثائقي "الولي بن الولي": صاحبت العلامة محدث الدنيا ومُسْنِدَها الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري، وكان آية من آيات الله في الأرض يحفظ الأحاديث بأسانيدها.

هو شيخ طريقتنا، هو الولي بن الولي بن الولي بن الولي، سيدي عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، وكان أبوه هو الذي يتولى الدفاع عن بلاد المغرب في منطقته، وكان معه أكثر من ستين ألف مقاتل يحملون السلاح. وهم أشراف حسنيين من أبناء الأدارسة. ولد شيخنا عام 1910م، في العائلة كلها من العلماء. وكان هو ثاني أولاد السيد محمد بن الصديق، وكان له من النجابة والتحصيل ما شهد به الداني والقاصي. ولقد تخصص في الحديث حتى إنه كتب مقالات ظن بها شيخ الإسلام الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر وقتها أنه أمام رجل كبير فطلب أن يراه فلما التقاه وجده شابا صغيرا، فقال له ظننتك شيخا كبيرا، وطلب منه أن يأخذ العالمية الأزهرية، فنال

العالمية الكبيرة التي تعد نوعا من الأستاذية، فهنأه علماء الأزهر قائلين نهنئ العالمية بالشيخ عبد الله. والتقى العديد من العلماء وتعاون معهم، وسجل نفسه في العشيرة المحمدية، وطلب منه الشيخ زكي إبراهيم أن يلقي بها بعض الدروس.

درَّس السيد عبد الله جمع الجوامع مرتين بالأزهر الشريف كل مرة في أربع سنوات بالرواق العباسي، وكان شيخا للأكابر، وكنا مثلا نظن أن بعضهم أقران له، مثل الشيخ صالح الجعفري، إلا أننا رأينا استقبال الشيخ صالح له استقبال التلميذ لشيخه، فدرس عليه جمع الجوامع في أربع سنوات.

واجه محنة كبيرة بعد ثورة يوليو 1952، اتهم فيها ظلما، وتم سجنه، وفي سجنه ترقى في مدارج العبودية، وظل مدة 11 سنة في محبسه في المكتبة وألف فيها عدة كتب.

وكان السيد عبد الله حجة في الرسم والضبط القرآني وهو علم يندر وجود المرجع فيه، وكان يقرأ بالقراءات وكان شيخا لمقرأة.

وكنا نتشوف إلى لقائه بعدما قرأنا كتبه، وكانت أول معرفتي به بحثا عنه عن طريق علي يوسف صاحب مكتبة القاهرة والتي كانت تطبع كتب الشيخ، فكنت أسأله: أين الشيخ عبد الله؟ فيقول لي: هو في المغرب. حتى حضر إلى مصر، وحينئذ وجدت علي يوسف يدلني على مكانه في شبرا الخيمة عند ابنته، فأخذت العنوان لأذهب إليه، ولكنني لم أجده في العنوان، فتوسلت إلى الله تعالى أن يدلني عليه وتركت نفسي لله، فوجدت نفسي أدخل بيتا وأصعد إلى الدور الأول وأطرق الباب، والمفاجأة، أن يكون هو مكان الشيخ عبد الله. وبدأت صحبتنا له، وكنا دائما ننزل سويا إلى منطقة الأزهر الشريف التي يحبها، ويصلي الجمعة بمسجد أبي الدهب.

وأخذنا عنه العلم الشرعي، وعلم الطريق والسلوك إلى الله تعالى، وألبسني خرقة الصحبة بيده الشريفة، فأهل الله يرون بركةً في الثياب التي تُعطى من جيل إلى جيل، ومن طبقة إلى طبقة. وأذن لي أن أكون شيخا للطريقة الصديقية الشاذلية في مصر، وهي تأخذ أورادها وسلسلتها من الطريقة الدرقاوية الشاذلية، وكان إمامُها السيد محمد بن الصديق والد شيخنا الشيخ عبد الله.

وبدا جسده يحتاج إلى رعاية طبية، وبعد صراع مع المرض ثلاث سنوات، انتقل الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري إلى الرفيق الأعلى سنة 1993م، وشهد جنازته في مشهد عظيم أكثر من عشرين ألف إنسان ودَّعوه إلى مثواه الأخير في طنجة بجوار والده في الزاوية الصديقية الدرقاوية بطنجة.

رضي الله تعالى عن هذا الولي الصالح الذي ترقى في مراقي العبودية، ونال ما نال الحبيب المصطفى من مصائب الدنيا التي يريدها الله تعالى بلاءً لأنبيائه ثم الأمثل فالأمثل حتى يسيروا في سلوكهم إلى طريق الله.

وجدير بالذكر أن فضيلة مولانا الإمام العلامة قد قرأ على الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري - محدث العصر بلا منازع - صحيح البخاري وموطأ مالك، وأجازه الغماري بالرواية والإفتاء، وكتب في سيرته الذاتية أن فضيلة مولانا الإمام العلامة كان من تلاميذه، وقال عنه (والشيخ علي جمعة المصري، عالم فاضل، كريم الخلق، حصل على الدكتوراه بتفوق)، وكانت الخطابات متبادلة بينهما. وكان يقول للناس (إذا التبس عليكم أمرا وأنا مسافر، اسألوا الشيخ علي)، فكان يرى أن الشيخ علي جمعة هو صاحب مصر.

* ومما حكاه مولانا عن سيدي أحمد بن الصديق الغماري:

العطاء والحب والسخاء والجود من صفات النبوة، وهذا الكلام لم يكن في الصحابة فقط ولكننا شاهدناه في مشايخنا، منهم الشيخ أحمد بن الصديق الغُمَارِي. كان يجلس قريبا من الجامع الأزهر، وجاءه فقير يسأل، وكان معه ورقة المائة جنيه - كبيرة الحجم (قيمة المائة جنيه في هذا الوقت كانت تكفي لشراء بيت، ومعنى ذلك أنها تكفيه للصرف منها لمدة سنة أو ما يقارب. ولكن انظر إلى تمسكهم بالسُّنَّة ورقة قلوبهم واعتمادهم على الله، فهو لم يهتم بالأرزاق، فلقد قال النبي ﷺ: "إِذَا أَتَاكَ السَّائِلُ فَأَعْطِهِ وَلَوْ كَانَ رَاكِبًا فَرَسًا")- ولم يكن في جيبه غيرها، وسأله الفقير، فقام بوضع يده في جيبه فأخرج المائة جنيه فلم يَرُدَّهَا وأعطاها لهذا الفقير، ولكن كان هناك سمسارا - رغم أن السيد أحمد كان حريصا ألا يراه أحدٌ مُخْرِجًا النقود - رأى طرف الورقة فقط فعلم أنها مائة جنيه، فقام صارخا رافعا صوته قائلا: الحقوني، الشيخ أعطى هذا الرجل مائة جنيه، أأنت مجنون؟! تعال أيها الرجل الفقير، يريد أن يجري خلف الرجل لاسترجاع المائة جنيه، وحاول أن يفعل أي شيء، فقام الشيخ أحمد بن الصديق ليختفي عن أنظارهم حتى لا يجدوا أحدا إذا أمسكوا بالرجل وأخذوا منه النقود فلا يجدوا من يردونها إليه. انظر إلى الفرق بين هذين القلبين: القلب المتوكل، والقلب الذي لا يتحمل أن يرى المائة جنيه تُعْطَى وأن هذا لا يجوز من وجهة نظره فهو لم يفكر فوق هذا. فالحمد لله رب العالمين أن أبْقَى في أمة سيدنا محمد ﷺ أمثال هؤلاء. وشاهدنا من مشايخنا من لا يُحْصِي النقود لا دخولا ولا خروجا. يضع يده في جيبه ويُعْطِي.

* وحكى فضيلة مولانا أيضا:

وكان الشيخ أحمد بن الصديق الغماري شيخنا وشقيق شيخنا السيد عبد الله بن الصديق الغماري قد التقى الشيخ محمد أمين البغدادي وزاره في خلوته بالظاهر جاشنكير، قال له الشيخ محمد أمين البغدادي: اتفضل يا سيدي أحمد بن الصديق أنت تطلع أمامي، والشيخ محمد أمين البغدادي أكبر منه سنًا ويقول للشيخ أحمد بن الصديق الغماري: اتفضل يا سيدي اطلع أنت الأول علشان أنت الكبير . فيقول: وكيف أتقدم وأنا أرى نور النبوة يتلألأ في صدرك! كان رحمه الله حافظا للأحاديث بأسانيدها وكان من كبار الحفاظ.

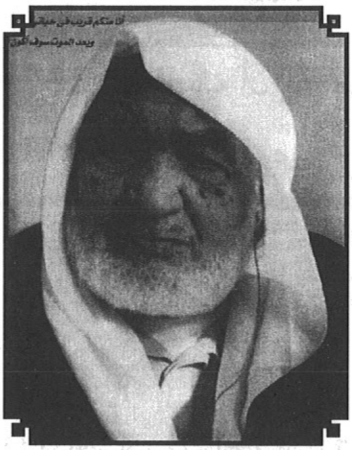
انتبه! فمن يرى أنوار النبوة في صدر الحافظ للحديث النبوي إنما هو ولي كبير !

فانتبه للكلام وهو يقول كيف أخرج وأرى أنوار النبوة تتلألأ في صدرك رضي الله تعالى عنهم، ولم يقبل الشيخ محمد أمين البغدادي أن يخرج، فخرج الشيخ أحمد بن الصديق وقام الشيخ محمد أمين البغدادي بالدعاء للشيخ أحمد بن الصديق.

نستفيد من هذه القصة أن سنة سيدنا رسول الله ﷺ وأحاديثه هي أنوار لكل من يحفظها، وأن الشيخ محمد أمين البغدادي رضي الله تعالى عنه يبين لنا هذه الآداب التي تعني أنه لابد من الجمع بين الظاهر الطاهر، وبين الباطن النقي فلا هذا يغني عن ذاك ولا هذا يحل محل هذا أبدًا، فالظاهر والباطن أخوان بهما تتم التقوى.

وهكذا يعلمنا أهل الله رضي الله تعالى عنهم.

* الرائد محمد زكي إبراهيم



مجدد العصر الحديث ورائد ومؤسس العشيرة المحمدية:

هو الإمام الأزهري الفقيه المحدث، مجدد التصوف الإسلامي، الشاعر، بقية السلف الصالح: محمد زكي إبراهيم، رائد العشيرة المحمدية، اسمه: محمد، ولقبه: زكي الدين، وكنيته: أبو البركات، شريف حسيني أبا وأما.

ولد بالقاهرة عام 1906م، بمنزل والده بحي بولاق أبو العلا، ووالد الشيخ هو العالم الأزهري الشيخ إبراهيم الخليل بن علي الشاذلي، صاحب كتاب (المرجع: معالم المشروع والممنوع من ممارسات التصوف المعاصر).

وفي البدء، نقدم أنموذجا من تعريفه هو رحمه الله تعالى بنفسه حينما أرادوا منه- وذلك في أحد المحاضرات التي كان يلقيها- أن يعرفهم بنفسه وألحوا في ذلك فرد عليهم بهذه الأبيات ثم انطلق من بينهم كالسهم لا يلوي، ولا يدركونه! ولعل هذه الأبيات ترسم الخطوط الرئيسية لشخصية الإمام الرائد من حيث تواضعه ورجاؤه لخالقه وخوفه منه، إلى جانب إنكاره لذاته على الرغم من علمه الغزير:

(فضيلتي) أنني مُقرٌّ .. بأن شأني هُوَ (الرذيلهْ)
أخافُ ذنبي؟ رجاءَ ربي .. وليس لى دونها (فضيلهْ) !!

ولما ألحوا عليه قال:

ماذا تُفيدُ مِنَ اسمي! .. وهْمٌ يجرُّ لوهْمِ !!
قد ضلّلتنا الأسامي! .. جهلا، فحسبُك علمي

فلما أقسموا عليه أن يذكر لهم اسمه، قال:

اسمي (محمدُ) واسمي .. إذا أردت (زكيٌّ)
يا ليت أنِّيَ باسمي .. هذا وذاك حريٌّ !!
عدوتُ قدريَ أنْ قَدْ .. زَعَمْتُ أنِّيَ شَيٌّ !!

فهو الإمام الفقيه المحدث الشاعر بقية السلف الصالح عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، واللجنة الدينية العليا بمحافظة القاهرة، والمؤتمر العالمي للسيرة والسنة، ومؤسس مجلة المسلم، وشيخ الطريقة المحمدية الشاذلية، وعميد معهد إعداد الدعاة، وعضو لجان وهيئات شتى شعبية ورسمية ودينية. يُعْرَفُ التصوف الشرعي الراشد في العصر الحديث به، حيث جمع في تصوفه بين علمي الشريعة والحقيقة، فربط فكره الصوفي بفكرة الإصلاح من القمة.

وقد حصل إمامنا على عديد من الأوسمة والأنواط، ورموز التقدير من العديد من الرؤساء والزعماء العرب، من مصر وغيرها (الرئيس عبد الناصر، والرئيس السادات، والرئيس حسني مبارك، والمشير السلال)، ومن المحافظات، والنقابات، وكذلك حصل على عديد من شهادات التقدير والزمالة المحلية والعالمية.

وخاض الإمام بحور العلم فخرج منها بعيد المدى، شديد القُوَى، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يجيب الناس إذا سألوه، ويُعظِّمُ أهل الدين، إذا

نظرت في علمه فقد احتاج إليه السادة، وإذا نظرت في ثقافته فقد نهل من عصره وزيادة. فهو وإن كان شيخا أزهريا صوفيا لم يحبِسْ نفسَه في قُمْقِمِ التصوف، ولم يتقوقع في صدفة التدين المتأخر، ولم يعِش في عصور الجمود الماضية، بل كان كما قال عن نفسه رجل «مُعَمَّمٌ وَمُقَفْطَنٌ» ولكنه يثقِّفُ نفسه ويزودها بكل ثقافة تأتي من المشرق والمغرب باحثا عن الحكمة جاريا وراء الحقيقة، وكما كان يقرأ تاريخ الإسلام والفلسفة وتدرُّج المذاهب ونشوء الفرق والنِّحَل ويتابع الصوفية والسلفية وتطور تاريخ المسلمين وأدباء العرب وقَصَّاصِيه وناقديه ومُهَرِّجيه ومفسديه، كان يدرس ملامح الفن القوطي وتدرجه إلى الريسانس، إلى الكلاسيكية القديمة فالجديدة، إلى الرومانتيكية، إلى التأثرية، إلى الواقعية، إلى الرمزية، إلى الالتزامية إلى التجريدية، حتى بيكاسو في التصويرية وأندريه في الأدب واسترافنسكى في الموسيقى، وكان يقرأ لشكسبير وبوب وشيلي وبيكون وهيجل، ونيتشه وجيته وسارتر. وكان فضيلته يجيد عدة لغات شرقية وغربية (الإنجليزية والفرنسية والألمانية والفارسية) ويترجم منها إلى العربية، فترجم شعر إقبال الصوفي إلى شعر عربي، وترجم لبعض شعراء أوروبا وبخاصة الشاعر الألماني (هايني راش). وقد شارك في كثير جدا من الأعمال الإسلامية والجمعيات والهيئات الدينية والاجتماعية الرسمية والشعبية وكان أول من أسس (حلقة) صوفية إسلامية للشعراء جمعت خيرة شعراء عصره. وأعجب بشعره بل شهد له شوقي والعقاد وحافظ وأبو شادي وغيرُهم، ووصفوه فقالوا:

حين تراه تخاله وكأنه قد بُعِث لتوِّه من بين رجال القرن الأول الهجري يسعى نوره بين يديه ومن خلفه، يكسوه ملامح أهل اليقين، تعلو جبينه لفحات الجلال، وتبدو في قسمات وجهه نفحات الجمال، وتتدفق على وجنتيه دلائل الكمال، لا تملك

إلا أن تشهد له ذاتُك بالتقديم وسِرُّك بالتعظيم.

وتلقى عن الإمام الكوثري والشيخ أحمد بن الصديق الغماري، والشيخ الباقوري، والشيخ حسنين مخلوف، والإمام الحافظ التيجاني، والأمير عبد الكريم الخطابي المغربي، وغيرهم.

وظلت حياته حافلة بالدعوة إلى الله حتى لبى نداء ربه، ورحل في هدوء كما كانت حياته في بساطتها وسكينتها فجر الأربعاء 17 جمادى الآخرة 1419هـ - 17 أكتوبر 1998 بعد (92عاما) قضاها في الدعوة الصوفية الربانية على بصيرة ونور من ربه. ودفن مع أبيه وجده بجوار مسجد مشايخ العشيرة بقايتباي بالقاهرة بمصر المحروسة.

ويتسم أسلوب الإمام الرائد في مصنفاته (وبخاصة العلمية منها) بما يلي:

* عمق الفكرة وطرافتها.

* الاعتماد على الأسلوب العلمي، وسلوك طريقة الفقهاء فيذكر الدليل على كل ما يقدمه، مع إشارته إلى اختلاف المذاهب فيما يتناوله من موضوعات.

* الميل إلى الإيجاز والتركيز غير المخل بالغرض، مع جذالة اللفظ ومتانة التركيب، والتلقائية مع الحرص الشديد على عدم استخدام اللفظ الغريب.

* الحرص على ضرب الأمثال الذي هو سمة الصوفية الذين مارسوا التربية.

ويتضح من مؤلفاته أهدافه العامة كما يلي:

* العمل على جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم.

* تطهير التصوف من الدخيل والمدسوس.

*تأييد التصوف الحق، وتوضيح صورته المشرقة، وشرح قضاياه ومسائله بالدليل والبرهان.

* ردع خصوم التصوف المفترين عليه من خلال الردود العلمية المفحِمة.

ومن أهم مؤلفاته: أبجدية التصوف الإسلامي - أصول الوصول - فواتح المفاتح - السلفية المعاصرة - عصمة النبي ﷺ - الدليل إلى الطريقة المحمدية - مراقد أهل البيت في القاهرة - ليلة النصف من شعبان - معالم المجتمع النسائي في الإسلام- الخطاب - البداية - الفروع الخلافية - في رياض الاسم الأعظم - المشروع والممنوع - ديوان البقايا - خلاصة أحكام الصيام - الحديث الضعيف، إضافة إلى ثَبَتِهِ المعروف في علم الحديث، وغير ذلك من المؤلفات.

ولقد قطع الرائد مدارج السلوك الصوفي على يد والده، وأتم مسيرة الأسماء السبعة ثم الثلاث عشرة، ثم التسعة والتسعين، حتى انتهى إلى الاسم المفرد والأعظم، ودخل الخلوة الصغرى والكبرى مرات، وأجرى الله على يديه الكرامات.

ومن أقواله:

ليس التصوفُ رقْصُ الراقصين وَلَا .. طبلٌ وزمرٌ وتصخابٌ وتهييجُ
ولا هو الذكرُ بالألفاظِ ساذجةً .. مُحرَّفاتٍ، ولا صَعْقٌ وتشنيجُ
ولا مواكبَ راياتٍ ملوَّنةٍ .. فيها لما يُغْضِبُ الدَّيَّانُ تَرْوِيجُ
ولا هو العِمَّةُ الكُبرَى ولا سِبَحٌ .. حولَ الرِّقابِ ولا جَمْعٌ مَفَالِيجُ
ولا التَّعطُّل أو دعوى الولاية أو .. صُنْعُ الخوَارِقِ أوكِذْبٌ وتَدْبِيجُ
وَلَا وِشَاحٌ وَعُكَّازٌ وَلَا نَسَبٌ .. إلى النبيِّ، مِنَ البُهتانِ مَنْسُوجُ
ولا الإجازاتُ تُشْرَى بالدَّراهِمِ، أوْ .. وظائفُ صَرْفُهَا بالزَّيفِ مَمْزُوجُ

وَلا مظاهرَ آثامِ الموالدِ، أوْ .. تُكاثُرُ بِرِجَالٍ خَيْرُهم عُوْجُ
وَلَيْسَ بِالفَلْسَفَاتِ الهُوجِ يَنْقِلُهَا .. كَالبَبّغَاوَاتِ جَهْلًا، قِلَّةٌ هُوْجُ.
إِنَّ التَّصوُّفَ (فِقْهُ الدِّيْنِ) قَاطِبَةً .. وَالفِقْهُ بِالدِّيْنِ تَوْثِيْقٌ وَتَخْرِيْجُ،
هُوَ الكِتَابُ وَمَا جَاءَ النَّبِيُّ بِهِ .. وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى هَذَا مُحَجُوجُ
إِنَّ التَّصَوُّفَ سِرُّ اللهِ يَمْنَحُهُ .. مَنْ قَدْ أَحَبَّ وَحُبُّ اللهِ تَتْوِيْجُ
وَإِنَّمَا الحُبُّ أَخْلَاقٌ وَمَعْرِفَةٌ .. ذِكْرٌ وَفِكْرٌ وَتَرْوِيْحٌ وَتَأْرِيْجُ
إِنَّ التَّصَوُّفَ: تَحْقِيْقُ الخِلَافَةِ فِي .. أَرْضِ الإِلهِ وَإِلَّا فَهْوَ تَهْرِيْجُ.

<u>كلمة مولانا الشيخ الدكتور علي جمعة في رثاء شيخه الرائد الزكي</u> فور الانتهاء من دفنه بمسجد المشايخ بالعشيرة المحمدية، وحيث نزل فضيلة مولانا الإمام العلامة إلى القبر الكريم لدفن شيخه بيده، ثم صعد إلى الناس فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، هذا يوم جلل وخطب عظيم، حيث ننعي إماما من أئمة المسلمين كان يمثل سلفنا الصالح ويحيي مآثر الصالحين، ويسير على الأرض فيذكرنا بالله ويعلمنا كيف نتبع رسول الله ﷺ ويصدق عليه كل ما قيل. وقد كان وارثا محمديا كاملا وكان داعيا وكان عابدا وكان عالما، جمع فأوعى واتفق عليه الناس في الشرق والغرب وما عاداه أحد إلا عاد وأحبه، وكان مثالا من الأمثلة القليلة في تاريخ المسلمين للأئمة العظام الذين جمعوا بين كل مناحي العلوم وكل اتجاهات الحياة. رحم الله إمامنا ورائدنا وعالمنا رحمة واسعة وندعو الله سبحانه وتعالى أن يورثنا ولو بعض أدبه مع الله ورسوله، فقد استغرق في لفظ الجلالة حتى تلألأت الأنوار في قلبه وفاضت على

وجهه وأثر فيمن حوله. ولقد كان يستحيي من رسول الله ﷺ وكلما رآه في منام أو يقظة لا يستطيع أن ينظر في وجهه الشريف حياء منه ﷺ وإنزالا له منزلته. وبعد هذا وإذا كان قد وصل إلى درجة يقول فيها: ما رأيت رسول الله ﷺ وهو لا يكاد يفارقه وذلك من استحيائه أن ينظر إلى وجه النبي الشريف ﷺ، بعد أن وصل إلى هذه المرتبة فليس في حاجة منا إلى رثاء إنما نرثي أنفسنا لفراقه لنا. اللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ونور قلوبنا بأدب ذلك الإمام، اللهم ومن علينا بوراثة منه يا رب العالمين ولا تقطع خيرك عن الأرض بموته يا أرحم الراحمين.

وقال عنه فضيلة مولانا الإمام العلامة ينعيه: حفظ الله تعالى لنا القرآن، وحفظ لنا عترة آل بيت المصطفى ﷺ كعلامة فارقة على وجود النسل الشريف، وفي كل عصر يقيم الله تعالى الحجة على الناس بعالمٍ حتى إننا قد التقينا هذا العالم الجليل الفذ الماتع الذي كان قد اتصل بسيدنا رسول الله ﷺ سببا ونسبا فهو من أهل بيت المصطفى، وهو من علماء الشرع الشريف، وهو من أهل الله الذين لانت قلوبهم لذكر الله والذين لهجت ألسنتهم بذكر الله، والذين تفجرت قلوبهم بالأنوار وكشف الأسرار وبإخراج الأغيار عنها، وكانت الدنيا تتلألأ بين يديه ولا تدخل قلبه؛ لأن قلبه كان مشغولا بالله سبحانه وتعالى. هذا هو شيخُنا رائد العشيرة المحمدية سيد من السادات وعالم من العلماء فضيلة الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم رضي الله عنه. ترك لنا تراثا مكتوبا ومسموعا منه دروس في التفسير والفقه والرقائق القلبية، وشعر في دواوين متعددة، وترك لنا كتبا مطبوعة منتشرة تعالج قضايا العصر وتعيش هذا العصر بما فيه من تغير وتطور وتدهور، تعيشه بالسلف الصالح والمسلم الصالح. الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم لم يمت لأن كلماته قد بقيت وإن كان قد انتقل إلى الرفيق الأعلى بين الناس فهو قد ترك العلم النافع

الذي يبقى للمسلم حتى بعد انتقاله ووفاته الظاهرة إلا أنه يعيش فينا بكلماته وبهدايته وبدلالته على الخير. هنيئا لمن استمع إلى هذا التراث، وندعو الله تعالى أن يمكننا من أن نعيش هذا التراث لا أن نفهمه فقط ولا أن نعتقد فيه فقط، ولا أن ننفذ بعضه فقط بل نعيشه في حياتنا صغارا وكبارا حتى نُعَلِّمَ أبناءنا حب رسول الله ﷺ وهو ركن الإيمان، وفي أسرنا ومجتمعاتنا وجماعاتنا حتى يكون ذلك العبد الرباني الذي يعمر الأرض ويزكي النفس من خلال عبادة الله سبحانه وتعالى، والحمد لله رب العالمين.

وقال عنه فضيلة مولانا الإمام العلامة في برنامج كلمة حق عام 2012 الحلقة 32:

نريد أن نتعلم من التجربة الرائدة الناجحة الناجعة للعشيرة المحمدية كيف يقوم المجتمع الأهلي بوظيفته ومهمته في المجتمع المصري، وهذا أمر نحن نحتاج إليه ونفتقده تماما. عندما نقول إن المجتمع الجديد الذي نريد أن ندخل فيه هو مبني على ثلاثة أركان: **الحكم الراشد**، ثم **التعليم والتربية** بمعناها الواسع الذي يشمل التدريب والقيم والأخلاق والثقافة العامة ومكون العقل، وكذلك المجتمعية، وهي الانتماء إلى الوطن، وأن يكون هناك **وصل جيد بين الحكومة الراشدة والشعب**، وهذا الوصل هو الذي يقوم به المجتمع الأهلي. فنرى أن هذه الأركان الثلاثة - والتي اتفق عليها عقلاء البشر - هي التي تطور المجتمع وتقوم به.

وإن نموذج العشيرة المحمدية هو النموذج الناجح القابل للتكرار والاستفادة والتحليل، ونعرف كيف نجح، ولما نجح، وكيف نكرره، وكيف نعيش في ظلال هذه التجربة الناجحة.

وكان وراء هذه التجربة الناجحة سيدنا وشيخنا محمد زكي الدين إبراهيم، وهو عالم أزهري، وهذا معناه أنه لابد أن نعلم وأن نعرف قبل أن نهرف، فالوعي قبل السعي، فكثير من الناس تعمل، وقد تكون مخلصة لكن ليس عندها الصواب، وليس عندها

العلم، فأول شيء وأنا أنظر إلى هذا الوليّ الشيخ المرشد المربي الرائد أرى فيه أولا العلم، حيث أراد أن يكون متبحرا في أمور الدين فتعلم، وعرف طريقه فتعلم، وهذه أول صفة من صفاته، فإن علم الدين ليس هو التدين، فعلم الدين له أركان، هي الطالب والأستاذ والمنهج والكتاب والجو العلمي المشتمل على العلوم المساعدة، وكل هذا فعله الرائد عندما دخل إلى المعهد الذي يعمل على تخريج العلماء، ولذلك إذا أراد المرء أن يكون طبيبا فعليه الالتحاق بكلية الطب..، وهكذا، ولم نمنع أي شخص عن كلية الطب بسبب لونه أو جنسه وغير ذلك، فإن من أراد أن يتعلم الطب فعليه الالتحاق بكلية الطب، وعلى ذلك فلا يجوز لحلاق القرية الذي يقوم بالختان أن يعين نفسه طبيبا للقلب المفتوح.

وعرف أن العلم وحده لا يكفي، حيث يقول الفضيل بن عياض: إن الله لا يقبل العمل إلا بالإخلاص والصواب، والإخلاص يأتي من التقوى، فاتقى الله، في نفسه وفيمن حوله، وعرف أن هذا هو الوعي، أن تكون مخلصا وأن تتعلم، ولكن هذا ليس من أجل أن تعتزل في كهف من الكهوف، ولا أن تعتزل المجتمع، بل لابد عليك من العمل الصالح، والعمل الصالح لا يتأتى إلا بالنزول إلى هذا المجتمع وخدمته، فكان وهو يبني العشيرة المحمدية يُصدر مجلة المسلم، ويبني المدارس والمستشفيات، والمستوصفات، ويقوم بالتكافل الاجتماعي، وبناء المساجد، وبالتعليم، وبالرحلة من أجل التعليم، أي أنها منظومة متكاملة لبناء المجتمع.

فالوعي قد استوفيناه بالإخلاص والصواب، والسعي لابد أن يكون سعيا حثيثا لخدمة المجتمع والناس.

وبذلك نكون أمام تجربة فريدة حيث إننا في واقعنا افتقدنا هذا المنهج فتصدر

كل أحد قبل أن يتعلم، وافتقدنا الصواب، وافتقدنا العمل المدني الناجح المتكرر الذي هو وصلة بين الحكم الراشد وبين المجتمع، فافتقدنا بذلك المجتمعية society وقد يعني بها البعض المجتمع، ولكن نقول لهم إنها في هذه المنظومة وهذا السياق لا تعني المجتمع، وإنما الوصلة بين الحكم الراشد والمجتمع المتشوف للعمل وعمارة الدنيا.

وقد يقول البعض إنه لم يسمع عن العشيرة المحمدية، فنقول إن هذا أيضا جزء من الخلل ألا نسمع عن تجربة ناجحة لها أثرها في المجتمع المصري، وأننا حينما نتكلم عن هذه التجربة إنما لنستخرج المعاني من أجل الغد، ومن أجل أمل فسيح وعمل صحيح،

ومن أجل ماذا نفعل غدا؟ من أجل مجتمعنا وعهدنا الجديد والدنيا التي نريد أن ندخلها، فتقوى بذلك مصر ويكون لها الريادة مرة أخرى.

وهذه هي رؤيتي عن سيدي الشيخ محمد زكي إبراهيم العالم.

ولقد كان الشيخ محمد زكي إبراهيم وليا من أولياء الله الصالحين حيث جعل الدنيا في يده ولم تدخل قلبه وظل ينام على فراش إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى في حجرة لا تتجاوز المتر في مترين، فهو لا يريد الدنيا ولا يريد تفاخرا، إنما كان زاهدا، الزهد ليس معناه الفقر بل الزهد أن تكون الدنيا في يدك وأن تكون صاحب قرار وعمل اقتداء بسيدنا رسول الله ﷺ حيث كان متواضعا في حجرات زوجاته وفي ملبسه ومشربه ومأكله ومركبه وغير ذلك، ولكن كان سيد الدنيا ولا يزال سيد الدنيا إلى يوم الدين.

إذن فنحن أمام نموذج نعرف سر النجاح منه، نعرف لماذا نجحت العشيرة المحمدية، لأن صاحبها كان مخلصا، وزاهدا، وفي طُهْرٍ دائم، وكان رجلا ذاكرا يذكر الله تعالى كثيرا، وعلم أبناءه، وتولى العشيرة من بعده السيد عصام، وهو ابنه، وسرُّه،

وخليفته، وذات يوم قاموا بدعوتي في العشيرة المحمدية لإلقاء درس، فقمت بإلقاء الدرس، فسمعني السيد عصام فنزل ببعض الأوراق في يده، وطلب مني قراءة هذه الأوراق، فوجدتها أوراقا قديمة كتبها ليلقي درسا بعد درسي، فإذ بها عين ما قُلت وذكرته في درسي، فقلت له: هذا لأننا تربينا على مربٍ واحد، وأخذنا من مشكاة واحدة، فلم أجلس معه وأرتب، ولم يجلس معي ويرتب، إلا أنه قد جاء في خاطره نفس ما جاء في خاطري، حتى بذات العناصر، حتى نفس الآيات والأحاديث التي سوف نستعين بها، وهذا كلام عجيب رأيناه بأعيننا وعشناه، وهذه هي طريقة تكوين المدرسة، وأنه لم يترك بنيانا بل ترك إنسانا، وربَّى فأحسن التربية، فجزاه الله عنا خيرا.

وفي بعض الأحيان كان يرسل رسالة مغلقة إلى شيخ الأزهر ولا أدري ما بها، فأسأله عن موضوعها فيخبرني فأضمر في نفسي أن شيخ الأزهر لن يلتفت إلى هذا الكلام، وقلت ذلك لمن كان بجواري وقتها، إلا أن للشيخ زكي صلة روحية خاصة بهؤلاء الناس، فعندما سلمت الرسالة فإذ بشيخ الأزهر يستلمها، ويستجيب لها، بل ويفعل فورا، وخلع عمامته إجلالا وقال سوف أنفذ ما فيها حرفا حرفا، فما كان مني إلا أن ذُهِلت وكما يقول المصريون "وضعت يدي في الشق"، فظاهر الموضوع أنه لن يتم، لكنه تم بأمر الله، والسر في ذلك أنه صدر من القلب فوصل إلى القلب، ولو صدر من اللسان لوقف عند الآذان، فهذا الكلام الذي يحكونه عن الأولياء في كتبهم رأيته بنفسي في هذا الشيخ مرات عديدة، إذن فهو كلام حقيقي، ولذلك لابد علينا أن نقوم بالعمل بهمة، ولا نتدخل بحولنا وقوتنا، فكل الحكم العطائية بُنِيَت على لا حول ولا قوة إلا بالله، وتشرح هذا المعنى.

وهناك ملمح آخر ينبغي الحديث عنه، حيث إن المولى عندما يفتح على إنسان

كما فتح على الشيخ محمد زكي إبراهيم فلا نتعجب فالله تعالى قادر على أن يجعل أمةً في نَفْسٍ وعالمًا في عالمٍ، وقد كان سيدنا عالِمًا بمعنى الكلمة، فعلى سبيل المثال نجد أن الشراح لبعض الموروث من بعض الأوراد يقولون عنه هذا بالسريانية، فلا تمر هذه الكلمة عليه مرورا عابرا، بل يجلس مع أساتذة السريانية في جامعة القاهرة الجلسات الطويلة يبحثون عن معاني هذه الكلمات وهل هي من السريانية، ولذلك فعندما يتكلم ويحقق فإنما يحقق عن علم، فكان يحقق إلى هذا المستوى الذي يفتقده كثير من الناس، وهو ما نحتاجه الآن، نحن نحتاج إلى هذه العقلية العلمية التي تتبع الحق وليست العقلية الخرافية التي تسير وراء الأساطير، فنحن الآن مهتمون بالمكون العقلي المصري، ونعتز بمثال الشيخ محمد زكي إبراهيم لأنه اهتم ببناء المكون العقلي المصري.

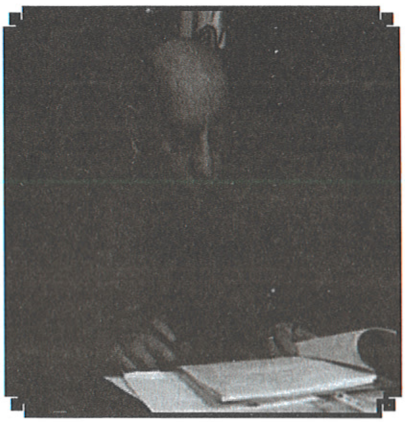
ولقد كتب الرائد الزكي وقال إنه يعيش عصره واقعا ولكنه لا يعيشه أخلاقا؛ لأنه ليس إمَّعة ولذلك كان يرفض كل دَني وكل سفاسف الأمور، وهذه هي النفسية التي نسعى إلى إبرازها، وتقليدها، ونتمثل بها، وندرسها لنعرف كيف وصل إلى هذا ونريد أن نكون مثله: نفكر بجلائل الأمور، ونفكر بطريقة علمية، ونتتبع، ونجعل الوعي دائمًا قبل السعي، من غير اعتزال للمجتمع أو المعلومية والواقع، بل اعتزال الأخلاق الردية، وسنظل نعمر الدنيا، ونزكي النفس، وسنظل في عبادة الله لأن هذا هو الذي نراه خلاصا لنا في الدنيا والآخرة.

فالشيخ محمد رحمه الله، وقد كان بيننا، وقابلنا، وتربينا على يده، ونعلم جيدا أن هذا الرجل من عصرنا، ورأى التليفون، والتليفزيون، والسيارة، وغير ذلك بمعنى أن الزمن لم يتركه، بل عاشه، وعندما نقصُّ سيرته للناس يظنون أنه كان شابا في العشرين حتى يستطيع القيام بكل هذه الأمور التي قام بها، والعجيب أنه ظل أكثر من ثلاثين

عاما من إجمالي 92 عاما عاشها، وهو طريح الفراش مريض لا يستطيع الحراك، ومع ذلك لم يتوقف عطاؤه حتى آخر لحظة من حياته، حتى إنه قد قام برثاء نفسه في قصيدة أسماها قصيدة الرحيل، وهذا قبل أسبوع من وفاته عام 1998م.

إن شخصية الشيخ محمد زكي إبراهيم معين لا ينضب، وأنا أتذكر موقفه من النساء عكس ما كانت عليه الكثير من الجمعيات والكيانات المجتمعية، فكانت نساء العشيرة ينزلون الشيخ منزلة الأب، وكان نشاط النساء في العشيرة المحمدية كبيرا جدا، فكان يهتم بها جدا لأنها الأم التي تربي البيت، فهي المدرسة التي تصنع الشعوب، وقد استطاع الشيخ زكي أن يحول كل هذه المعاني إلى عمل، ونجح في ذلك، وترك أسس هذا العمل، ولم نسمع أن هذه المحاولة لتربية النساء وتعليمهن فشلت، بل نجحت نجاحا مبهرا ومتفردا، ولذلك نريد أن يتكرر هذا النموذج، ولكن ينبغي كما قال أن يكون القائم على ذلك صاحب بصيرة، ويعرف نفسه جيدا، حتى يفتح الله عليه، أما الدعاوي فسوف تموت بموت أصحابها حتى لو كان خلفه مئات الآلاف من البشر ومات هذا الإنسان لا نجد بعده شيئا. فحتى تبقى الأعمال لابد وأن نفهم الحقائق: حقيقة الدنيا، وحقيقة العلم. فالشيخ زكي قصة لا نستطيع أن نختزلها في لحظات ولكننا ننبه الناس إلى هذا النموذج، فمصر ولاّدة، وأتت لنا بنماذج تكفينا إلى يوم الدين أن نعود بهذا البلد إلى مرتبة ومصاف البلاد العظمى. والناس حينما تقول كان عندنا أم كلثوم وعبد الوهاب وغيرهما، لا ينتبهون إلى أنه كان عندنا محمد زكي إبراهيم، وأن هذا الولي وإخوانه من الأولياء هم الذين حافظوا لمصر على عروبتها وإسلامها وللمصريين على هويتهم وحضارتهم، في نفس العصر الذي كان فيه من يُذكرون ثم يُتركون. نريد أن نبرز أمثال هؤلاء العلماء الأجلاء في مشروع النهضة.

*** الدكتور حسن عباس زكي الوزير الإنسان حكيم هذا الزمان شيخ الطريقة القاضية الشاذِلية:**



ولد الأستاذ الدكتور حسن عباس زكي في ٢ يناير عام ١٩١٧م، في مدينة بورسعيد بمصر من أسرة عريقة وهو ينتسب للإمام الرفاعي من جهة والدته.

تولى عددا من المناصب داخل مصر وخارجها، وحصل على العديد من الأوسمة الدولية والمحلية.

يذكر له أنه نجح في الإفراج عن أرصدتنا الإسترلينية عام 1959م والتي بلغت حوالي 90 مليون جنيه قام بتوفير الاعتمادات اللازمة لبدء الإرسال التليفزيوني في 21 يوليو 1960م، كما نجح في إقناع الرئيس عبد الناصر بإلغاء الفائدة على المزارعين في بنك التسليف الزراعي، بهدف تخفيف وطأة الربا على الفلاحين، وقد تم ذلك فعلا في 22 يوليو 1961م، فلقد كان وزيرا لوزارة الخزانة والتموين والاقتصاد في الفترة من 1957 - 1972 في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فله تاريخ حافل كما أنه مُنَفِّذ قرار تأميم قناة السويس.

كان قامة اقتصادية وفكرية وإسلامية لا تُعَوَّض تولى وزارة الاقتصاد، وكان عضوا بمجمع البحوث الإسلامية، وبعد قرن من العطاء الفكري والاقتصادي الإسلامي

توفي يوم الخميس 5 صفر 1436هـ الموافق 27 نوفمبر 2014م، ودفن - حسب وصيته - قرب بعض شيوخه في قرية شبلنجة بمحافظة الشرقية، بجوار شيخه قطب الوجود الشيخ عبد الفتاح القاضي.

وقال عنه فضيلة مولانا الإمام العلامة أثناء تشييعه جنازته من مسجد السيدة نفيسة بالقاهرة: كان مثالا يحتذى في الالتزام وفي حب رسول الله ﷺ وكان يعمل لمصالح البلاد والعباد، ولم يرَ منه أحد إلا كل خير، وبموت هؤلاء العلماء والأتقياء تبكي السماوات والأرض.

وكان الدكتور حسن عباس زكي عالما ومفكرا كما كان عارفا بالله، قدوة للمجتمع ليس في مناحي الاقتصاد والفكر والمعرفة فقط وإنما قدوة أيضًا لإسهاماته في خدمة الإسلام الوسطي وكان من أولياء الله الصالحين.

ولم تقف إسهاماته وإبداعاته الفكرية عند أعتاب مصر فقط ولكنها امتدت إلى البلدان العربية، وفي رحلة عطائه للوطن أسس ورأس العديد من الكيانات الاقتصادية.

ولقد وهب حياته للبحث عن المعرفة فقد ترك مكتبة بها 20 ألف كتاب، ووهب حياته للبحث عن المعرفة فأسَّس المركز العالمي للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية ليضم صالات اطلاع ويمثل منتدى فكري.

أما عن الطرق الصوفية المُجاز بها فضيلة العارف بالله سيدي الأستاذ الدكتور حسن عباس زكي حفظه الله:

- الطريقة الرفاعية، حيث أخذ العهد والمبايعة من خاله السيد محمود الصياد عن طريق جده الشيخ الصياد وهو في سن حوالي أحد عشر عاما، وقد أجازه

بها الإمام الرفاعي نفسه في رؤيا منامية لا ينساها فضيلة العارف بالله ويعتبر مرجعا في الطريقة الرفاعية وأصولها لا ينازعه فيها منازع.

- الطريقة الخلوتية وأخذها عن أحد أولاد الشيخ محمد راغب السباعي.
- الطريقة الوفائية وأخذها في الأربعينات عن أحد أولاد سيدي علي الوفا الحسني الشاذلي.
- الطريقة النقشبندية وأخذها من أحد علماء باكستان وكان مقيما بجدة وهو طريق ثرائه الروحي.
- الطريقة الشاذلية وأخذها عن شيخنا وإمامنا وقدوتنا فضيلة العارف بالله سيدي الشيخ عبد الفتاح القاضي قطب عصره ووحيد زمانه في عام 1959 سلوكا وتربية وتزكية فصار علما من أعلامها. وقد أجازه الشيخ القاضي بالتربية والتسليك حال حياته.

وقالوا عنه: حقا كان الأستاذ الدكتور حسن عباس زكي هو صمام الطريق وبخاصة الطريقة الشاذلية القاضية (نسبة للشيخ عبد الفتاح القاضي) فقد أعطاها جهده وماله وجاهه، فقد كان له الفضل في انتشارها في جميع أرجاء المعمورة ومازال يعطيها الكثير والكثير حتى أنه اختار مدفنه بجوار شيخنا القاضي رضي الله عنه، والشيخ العارف بالله القطب الكبير العالم الأزهري سيدي الشيخ عبد الجليل قاسم الحسيني الخليفة الأول للشيخ القاضي، وبالقرب من ضريح شيخنا العارف بالله قطب الدعوة والإرشاد العالم الأزهري سيدي الشيخ جودة غنيم قاسم الخليفة الثاني للشيخ القاضي. وبهذا يكون أستاذنا الدكتور حسن عباس زكي هو ثالث الثلاثة أئمة الطريقة وخلفائها.

ومن أقواله: مما يؤلمني أن أكبر مشكلة نعاني منها الآن هي أننا قد نسينا القلب واستعلينا بالعقل على القلب، وهي مسألة خطيرة لأن القلب هو محل الإيمان. فالعقل تفعيل للقلب، والقلب هو الذي يحوي السر الإلهي، والنور الذي يشع في الإنسان.

وقال عنه فضيلة مولانا الإمام العلامة:

في حفل تكريم الدكتور حسن عباس زكي باسم منابع الأمل 2008:

يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:269]، وكلما رأيت شيخنا وأستاذنا وعالمنا وركنًا من أركان رجالات مصر وهذا العطاء المستمر لهذه السنين المباركة التي وكأن الله سبحانه وتعالى استجاب دعاء ولي من أولياء الله الصالحين أن ينفع اللهُ به، وقد نفع الله به، ونرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا به في الدنيا والآخرة. أقول: كلما رأيته رأيت الآية وكأنها تنطق له وعنه.

أتى اللهُ سبحانه وتعالى الدكتور حسن عباس زكي هذا الخير الكثير والحكمة. والحكمة فيها عقل وعلم وتقوى وقلب واستقامة، وكل ذلك رأيناه ونراه يمشي على رجلين في صورة مجسدة هي حُجَّة على الناس هي الدكتور حسن عباس زكي، فهو يصلح أن نقول عنه وأن نطلق عليه أنه حكيم هذا الزمان، وأنه حكيم هذا البلد فالدكتور حسن منذ صغره وكما هو واضح من لقاءاته ومن سعيه يحب العلم، والعلم أحد أركان الحكمة، والدكتور حسن يحب العقل ويحب أن يتبحر في كيفية تفكير الإنسان وأركان ذلك وكيفية التفكير المستقيم واطلع على كتبٍ غريبة عجيبة في هذا المضمار يعلمها ولا يعلمها كثير من الناس، وأتذكر أنهم كانوا يُعَلِّمُوننا أبياتا فيها منازعة بين العلم وبين العقل تقول:

عِلمُ العليمِ وعقلُ العاقلِ اختلفا .. ى مَنْ منهما قد أحرزَ الشرفا،
فقال العلمُ أنا أحرزتُ غايتَه .. وقال العقلُ أنا الرحمنُ بي عُرِفَا،
فأفصحَ العلمُ إفصَاحا وقال له .. بأينا الرحمنُ في فرقانه اتصفَا،
فبانَ للعقلِ أن العلمَ سيدُه .. فقبَّل العقلُ رأسَ العلمِ وانصرفَا.

وظننتُ أن هناك نزاعًا بين العقل والعلم من هذه الأرجوزة التي أعلت شأن العلم حتى قال العلماء: وشرفُ العلمِ فوق كلِّ شرف، ومن ذاق عرف، ومن عرف اغترف، ولكن لما رأيتُ الدكتور حسن عرفتُ أنه لا مخاصمة بين العلم والعقل أصلا، وأنهما عندما انصرفا في الأرجوزة أحب أحدهما الآخر وحلا معا في الدكتور حسن عباس زكي، فهو العاقل، والعقل جزء من الحكمة وهو العالم والعلم جزء آخر وهو اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد فالعلم والعقل معا يكونان الحكمة التي من اللهُ علينا برؤيتها في صورة ذلك العالم الجليل الأجل.

مرحبا بسيدي حسن في هذا اليوم المبارك .. الرجل الذي لم تشغله مناصب الدنيا والأداء العالي بالذكاء المحيط .. لم يشغله ذلك عن ذكر الله، ولا عن إقامة الصلاة ولا عن القيام بكل واجب يرتئيه .. فلم تشغله دنيا عن دين ولا دين عن دنيا وكأنه قد استجاب الله له في دعاء الصالحين الموروث الذي كان يقول: اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا .. نخلى قلبه من كل قبيح وحلاه بكل صحيح فتجلى اللهُ في قلبه فالحمد لله رب العالمين أن أدركناه وأخذنا عنه ما أردناه وندعو الله له بدوام الصحة والعافية.

ثالثا: كوكبة من المشايخ



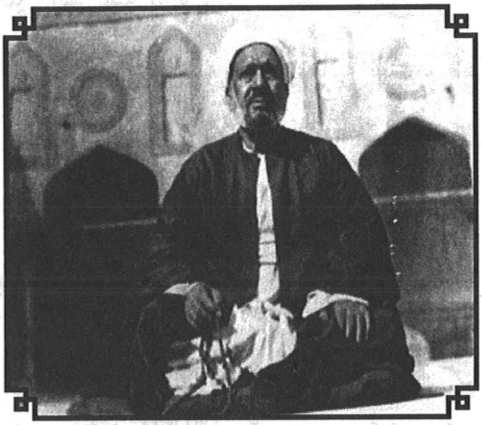
* الشيخ محمد الحافظ التيجاني الشريف الحسني، شيخ الطريقة التيجانية، ورئيس تحرير مجلة الطريق إلى الله، ولد في قرية كفر قورَص (مركز أشمون - محافظة المنوفية) عام 1315هـ، وتوفي في القاهرة. تلقى علومه الأولى وحفظ القرآن الكريم في كُتّاب قريته، ثم التحق بالتعليم الأزهري وأكبّ على دراسته حتى نال الشهادة العالمية. متتلمذًا على كبار علماء الأزهر. اشتغل بالوعظ والإرشاد، وقام بتدريس علوم الحديث والتفسير في الأزهر، وتخرج على يديه عدد من كبار علماء الأزهر. كان نشطًا في مجال الدعوة إلى الإسلام: فزار بلادًا عديدة داعيًا إلى الله ورسوله، كما أصدر مجلة «طريق الحق» عام 1950.

ومن أوجه نشاطه الديني: مشاركته في بعض البرامج الإذاعية في إذاعة القاهرة، وله برامج أخرى في غرب أفريقيا وشرقها، كما نشط في العمل السياسي مناهضًا للاستعمار الإنجليزي وساعيًا إلى التعريف بقضايا وهموم وطنه، وقد كوّن مع أصدقائه جماعة "اليد السوداء" لمقاومة الاستعمار في مصر.

تنقل في الطريق من الخلوتية ثم الشاذلية ثم النقشبندية فتكون في هذه المدارس الروحية عن طريق المجاهدة والخلوة زمنا طويلا، ثم ساقه سائق السعادة إلى طريق ختم الأولياء، وهي الطريقة التيجانية حيث التقى بالأستاذ الواصل والمربي الكامل

سيدي أحمد السباعي التجاني رضي الله عنه سنة 1337هـ / 1918م، فقرأ بعض كتب الطريقة في داره ثم أخذها عنه، واتصل بأكابر علماء الطريقة في إفريقيا الشمالية وإفريقيا السوداء، فأجازوه في الإرشاد والدعوة إلى الله، وأسس زاويته الرئيسية بمنطقة المغربلين بالقاهرة، وفتح الله على يده الكثير من الزوايا التجانية في كثير من الدول كتركيا، وماليزيا، وفلسطين .. إلخ، كما أنه ألف عشرات الكتب وأفتى ودرّس ودافع عن الإسلام دفاعا مستميتا. وأسس مجموعة من المجلات. فكانت مجلته "طريق الحق" أطول عمرا وأكثر إفادة وشمولا، انتفع بها الناس في أنحاء المعمورة كافة تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

يقول فضيلة مولانا الإمام العلامة: صاحبت السيد محمد الحافظ التيجاني، وقرأت عليه شيئا من علم الحديث، وأجازني به.



* الشيخ صالح الجعفري، وهو العارف بالله تعالى فضيلة الشيخ صالح بن محمد صالح بن محمد رفاعي الجعفري الصادقي الحسيني الذي يتصل نسبه العالي بالإمام جعفر الصادق بن سيدنا محمد الباقر بن سيدنا على زين العابدين بن سيدنا ومولانا الإمام الحسين رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، ولد ببلدة دنقلا بشمال السودان عام 1328هـ، وبها حفظ القرآن، ثم وفد إلى مصر، ليتلقى العلوم بالأزهر الشريف، وأخذ طريق سيدي أحمد بن إدريس عن سيدي محمد الشريف، من طريق السيد محمد بن علي السنوسي، وعمل مدرسا بالجامع الأزهر الشريف. وكانت حلقة درسه الشهيرة بعد صلاة الجمعة بالأزهر الشريف جامعة إسلامية صوفية تعمقت فيها أصول الدين والشريعة علمًا، وكانت فيها أصول روحانية التصوف تربيةً، فكانت مظهرا للحقيقة الصوفية، وكان منهجه: أدبني ربي فأحسن تأديبي، بما ورثه من هدي نبوي عظيم ، من الدوحة المحمدية الطاهرة نسبا، العظيمة أثرا، نفخ فيها الإيمان من روحه، فخلصت خلوص الزهد والورع والتقوى والصلاح، وسطعت سطوع الهدى وصفت صفاء الفطرة، التي تبلورت فيها محمدية الإسلام الموروثة، وصوفية الصفاء الموهوبة، فصار لسانا لهادية الخلق، ففي دنيانا فجر للناس من ينابيع الحكمة وكنوز العلم والمعرفة وأسرار القرآن الكريم، فجاء بالجديد والغريب من التفسير الذي لم يسبقه إليه الأوائل ؛ ذلك لأنه لم يكن يملك عقلا

مكتسبا، وإنما كان يملك عقلا موهوبا ملهما من الله - عز وجل - مقتديا برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فكان يعطي من كنوز عقله، ومواهب فكره، وفيوضات قلبه، وروحانية روحه، ومن إنسانية نفسه، فكان يخاطب الخواطر والضمائر، ويجيب على تساؤلات العقول، وهواجس النفس، فكانت حلقة درسه جامعة إسلامية، علمية المذهب، صوفية المشرب، تربط بين الشريعة والحقيقة، والظاهر والباطن، والنفس والروح، والعقل والخاطر.

ويقول فضيلة مولانا الإمام العلامة عن الشيخ صالح الجعفري: ولدت في بني سويف وجئت إلى القاهرة وعندي 15 سنة، فبدأت أذهب إلى مسجد الأزهر، وكنا نرى شخصا وكأنه من القرن الرابع الهجري، وكأنه الغزالي أو الجويني أو الباقلاني أو ابن فورك، في هيئته وكذلك في النور الذي يخرج من وجهه، وفي ملابسه وإلقائه، وجلسته، وطريقة التفاف الناس حوله، وهكذا، فكنا نتساءل: من هذا الشخص الذي يبدو وكأنه مندوب القرن الرابع الهجري؟ فقالوا لنا: هذا هو سيدنا الشيخ صالح الجعفري.

وكان الشيخ صالح مربيا وكان على الطريقة الإدريسية، وكان عالما أزهريا من الطراز الأول، وكان متصدرا للناس فكان يُفتِي، وكان يجلس لدرس الجمعة، وقد سُجلت هذه الدروس، وبعد انتقاله رحمه الله تعالى قام أولاده ومريدوه وتلامذته بتفريغ هذه الدروس. وكان الشيخ صالح شاعرا أيضا فجمعوا له ديوانا كبيرا، وجمعوا فتاويه أيضا وطُبِعت طبعة أخيرة مدققة قدَّمتُ لها.

وكان الشيخ صالح يحكي عن نفسه أنه كان في الطلب فكان يحدث له حال فكان يأخذ عشرين كتابا ويصعد إلى التل المجاور للأزهر حيث كانت كل هذه المنطقة

مقابر، وعليها الآن مشيخة الأزهر، وخلفها مسجد الشيخ صالح حيث دفن هناك وكان اسمها حديقة الخالدين حيث كان يُدفن فيها علماء الأزهر الشريف عبر التاريخ، وكان اسمها مقابر المجاورين، الشاهد أنه كان يحدث لسيدنا الشيخ صالح حال فيصعد إلى هذا التل الذي دُفِن فيه بعد ذلك، فكان الله يفتح عليه، ويستجيب دعاءه في هذا المكان، ويعينه على استذكار العشرين كتاب في سويعات قليلة، فأوصى الشيخ صالح أن يُدفن في هذا المكان.

الشاهد أننا كنا نذهب إلى درس الجمعة فكان يبدأ كلامه قائلا: حدثنا علماء الأزهر الشريف بالسند المتصل إلى منتهاه في اللغة والتفسير والحديث والأصول والفقه وغيرها من علوم الشرع المنيف، ثم يبدأ الدرس ونجده على سبيل لمثال ألقى علينا نحوا من ثلاثين حديثا كما هي مكتوبة في كتب الأحاديث تماما، فكان حافظا. ومثل ذلك وأكثر من الآيات دون خطأ في التلاوة، وكذلك نجده ألقى على مسامعنا بعض الفوائد في النحو والصرف وعلوم اللغة، ويتضمن كلامه الشعر أيضا وهو موزون تماما دون أي خطأ، وغير ذلك الكثير جدا. وهذا هو العلم الذي عندما افتقدناه وتصدر كل بغاث الأرض وصلنا إلى النابتة والإرهاب.

عندما كنا نستمع إلى سيدنا الشيخ صالح كانت تحدث لنا ثقة، وكان قلبه حديث عهد بربنا، فكلامه يخرج من قلب ضارع له علاقة بالله.

والشيخ صالح كان من الجعافرة من السودان وكان أسمر اللون إلا أن وجهه كان يشع نورا وتنجذب إليه إذا نظرت إليه، وكان صاحب دعاء مستجاب وكان صاحب علم وكان شاعرا وكان أديبا وكان صاحب طريقة يدل بحاله وقاله على الله سبحانه وتعالى.

ذات مرة كان يصلي بنا الظهر، ثم التفت فسأله أحد الحضور:

يا مولانا ما معنى الصلاة ذات الجناحين؟

فنظر الشيخ صالح إلى السقف وقال: سبحان الله الحمد لله الذي حفظ علينا العلم، هذه الكلمة لم أسمعها منذ أربعين سنة، وهنا يظهر أثر نية الطالب السليمة في السؤال فيوفق الله تعالى الأستاذ في الإجابة، فيقول الشيخ صالح: سمعت هذه الكلمة من الشيخ فلان من علماء الأزهر القدامى، ومعناها أنك تدخل خلف الإمام في الجماعة في الركعة الثانية فتقرأ الفاتحة ومعها سورة ثم تصلي مع الإمام الثالثة والرابعة، ثم تقرأ ركعتك الرابعة بفاتحة وسورة فكأن ذلك هما الجناحين؛ أي فاتحة وسورة وفاتحة وسورة، فالحمد لله أن حفظ علينا العلم.

هذا هو الشيخ صالح الذي يطول الشرح في شأنه لأنه كان وحيد دهره وفريد زمانه رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

*** الشيخ/ محمد علوي المالكي، (1367- 1425هـ):**



أحد أبرز علماء الدين المسلمين من أئمة المذهب المالكي، ويُلقب بمحدّث الحرمين. تنقّل بين الكثير من الحواضر العلمية في العالم الإسلامي ليأخذ عن كبار العلماء، وسمحت له علاقته الشخصية الجيدة بالملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود دون إقصائه من قبل المؤسسة الدينية الرسمية التي تتبع المذهب الحنبلي وتعارض الصوفية. له مؤلفات كثيرة في علوم الحديث والفقه المالكي وواقع العالم الإسلامي.

واجه الصعُوبات والعَنَت والتضييق ومصادرة الرأي وقمْعِهِ، حينما لم يقبل بالمفاهيم المَغلُوطة - التي ارتفعَ صوتُها واستشْرفَ خطَرها في زمنِهِ - التي ارتفعَ صوتُها واستشْرَفَ خطرَها في زمنِهِ - القائمة على تبديع وتفسيق الآراء المخالفة للرأي الواحد خاصة في موضوعات: الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وشدَ الرِحال بزيارة النبي ﷺ، وغيرها من المسائل، فنشرَ كتبه في تصحيح تلك المفاهيم مع كامل التقدير لصاحب كل رأى مخالف أو مُتفق، والتي قوبلتْ بهُجوم شَرِس وتَجْريح في عقيدته ونَسَبِه وديانتِه لم تُثنِه عن قول الحق والثباتِ عليه.

الشَّيْخُ فِي عُيُون أهل الله

يحظى فضيلة مولانا الإمام العلامة الشيخ علي جمعة بقبول فريد ليس فقط بين محبيه ومريديه من أبناء طريقته، وأبناء الصوفية بوجه عام، بل على كافة المستويات والأصعدة، فترى المسلمين في أرجاء الكون يتحدثون عنه، وتشاهد وتسمع كلمات السادة علماء الإسلام والصوفية في الثناء عليه، حتى غير المسلمين أشادوا بفضيلته وبدوره في نشر السلم والسلام في أرجاء المعمورة، وبلغات العالم كافة، وقرأنا معا نبذة من كلمات السادة العلماء عن فضيلته في الجزء الأول من هذه الدراسة، وفي الجزء الحالي الذي بين أيدينا، نترك الفرصة ليتجول بعض الخاصة في فَلَك مولانا، كلٌّ يُعبر عما رآه أو لامسه من حقائقه، وبلغته مع ترجمة ما أمكن ترجمته إلى العربية، ولذلك اختص هذا الجزء بكلمات:

- بعض السادة الأكابر المعاصرين التي قالوها عن فضيلته في مناسبات مختلفة، وحتى لا يطول المقام، تم اختيار كلمتين موجزتين، معبرتين، من بعض الكبار، فهم كثر يستحيل تسجيل كلماتهم جميعا عن فضيلة مولانا، خصوصا وأنه تم إصدار كتابا تذكاريا بمناسبة مرور سبعين عاما على ميلاد فضيلة مولانا بالهجري كتب فيه أكثر من خمسين من أعلام ومفكري ومشايخ العالم، فلا داعي للتكرار.
- ثُلَّة من أبناء فضيلة مولانا الإمام العلامة مقدمي طريقته الصديقية الشاذِلية.
- كوكبة من مريدي طريقته الصديقية الشاذِلية، من قدامى السالكين مع فضيلة مولانا الإمام العلامة، وممن انتسب إليه مؤخرا، مع ملاحظة عدم ذكر أسماء المقدمين من أبناء مولانا الإمام العلامة الذين ذُكِرُوا في كلام المريدين.

- بعض من كلمات محبيه ومن أبناء الطرق الأخرى.

- بعض من كلمات المسلمين وغير المسلمين من أنحاء العالم في مناسبات مختلفة.

- موجز من الكلمات الدالة التي سطرها أهل العلم والتقوى والورع والفكر في الكتاب التذكاري الذي صدر بمناسبة مرور سبعين عاما هجريا على مولد مولانا الإمام العلامة.

حيث تم تناول كلمات كل هؤلاء دون رقيب أو توجيه، بل تم نقل كلمات بعضهم المنشورة في شتى الوسائل، ومن قام بالكتابة لهذه الدراسة خصيصا فقد أُتيحت الفرصة للكل أن يعبر كما يريد، وبغض النظر عن الجنس أو اللون أو العرق أو الجنسية، مع الاعتذار للقارئ الكريم عن وجود بعض الأخطاء اللغوية أو في الصياغة حيث لم يتم التدخل في هذه الكلمات.

ولما كانت الكتابة عن فضيلة مولانا من أصعب الصعوبات، وأشق المسائل، وأدق الأمور، حتى إن البعض لا يستطيع التعبير بالكتابة، فمن باح راح، إلا أنه قدر الإمكان تم وضع بعض مما تيسر من كتابات أو كلمات ألقيت في مناسبات متنوعة، فكما هو معلوم في مثل هذه المواقف (والعجز هنا شأن النطق، والحكم لشوق أو ذوق)، ولولا خشية زيادة حجم الكتاب لتجاوزت الكلمات آلاف الصفحات.

أولا: كلمات بعض الأكابر والأفاضل:

دكتور أحمد عمر هاشم[1]:

الحديث عن فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة يستوجب أولا أن نتحدث عن شخصيته، والحديث عن أي شخصية يحتاج إلى التعرف على مفتاحها، ومفتاح شخصية الأستاذ الدكتور علي جمعة الخلق الرفيع والتواضع الجم والذوق العالي.

عرفته قبل أن يكون أستاذا وبعد أن كان أستاذا، وعرفته قبل أن يكون مفتيا وبعد أن أصبح مفتيا، فما تغيرت شخصيته بحال من الأحوال، فكان صاحب شخصية - ولا زال - واحدة لا تتغير بالمناصب، بل يزيدها المنصب تواضعا، ورفقا. تلك شخصية العلماء النبلاء الذين نعتز بهم، وهو في طليعتهم، يجمع بين الفقه وعلوم الحياة.

ومن ناحية أخرى فهو طيب العشرة، سمح المعاملة، من اقترب منه أحبَّه، وهو بعيد كل البعد عن الإعجاب بالنفس لأنه في تواضعه الجَمّ يقترب من قلوب كل الناس، وهو صادق في قوله، مخلص في عمله، محب للناس جميعا فما رأيناه حمل ضغنا ولا تكلم في أحد إلا بما هو خير حتى الذين حاولوا أن ينالوا منه وتلك شيمة العلماء النبلاء والدعاة إلى الله على حكمة وهدي وبصيرة، فمن أجل ذلك تخلق هو بالخلق الحسن وطَبَّقَ ما يدعو إليه قبل أن يدعو الناس إليه.

---

(1) من كلمة أ.د. أحمد عمر هاشم عن مولانا الإمام العلامة بالمركز الإعلامي لدار الإفتاء المصرية.

الحبيب علي الجفري:

قال: إن مجلس فضيلة الإمام العلامة الدكتور علي جمعة لهو مجلس يشهده أهل السماء قبل أهل الأرض كما ثبت في الأحاديث الصحاح،[1] وإن هذا المجلس متصل بذلكم المجلس، فهذا المجلس مرتبط بشيخنا الإمام العلامة الشيخ علي جمعة حفظه الله وأمد في عمره، ويحضره كوكبة من سادة أهل العلم والفضل من مدرسة هذا الإمام، فهذا المجلس متصل السند، فشيخنا الإمام حضر مثل هذه المجالس في شبابه عند أشياخه، وأشياخه أيضا جلسوا مثل هذه المجالس عند أشياخهم، وأشياخهم عند أشياخهم، فامتدت سلسلة النور بالمجالسة، إلى مجلس كان صدره سيدنا محمد رسول الله ﷺ وكان حُضَّارُه ساداتنا الصحابة، مجلس أعظم شيخ في الوجود، وأعظم مريدين في الوجود، فالمجلس متصل بتلك المجالس، فعندما يخبرنا أنه يأتي زمان يُسْتَفَتَح فيقال: أفيكم من رأى رسول الله؟، فيقال نعم، فيُسْتَفَتَحُ بهم فيفتح الله لهم، ثم يأتي زمان يقال هل فيكم من رأى من رأى رسول الله؟، ثم يأتي زمان فيقال: هل فيكم من رأى من رأى من رأى رسول الله؟ فثبت بهذا الحديث تسلسل الرؤية والمجالسة والصلة، فالميزة التي جعلت الصحابة أفضل الخلق بعد الأنبياء هي المُجالسة لسيدنا رسول الله ﷺ. واستمرت هذه السلسلة النورانية المباركة من المجالسة في مجلسكم هذا، فلمجلسكم هذا امتداد إلى الأعلى، ومدد من الأعلى، فامتداده من سلسلة السند ومدده من رأس السند وهو سيدنا محمد ﷺ إذا اهتز أدناها اهتز أعلاها[2].

---

(1) ومن ذلك ما ورد في فضل مجالس الذكر

(2) من كلمة الحبيب الجفري أثناء الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لعام 2017 بمسجد فاضل.

وقال أيضًا: جمع الله تعالى لفضيلة الإمام العلامة الدكتور علي جمعة بين تأسيس علمي صحيح فيه أخْذٌ عن العلماء وقراءة للمتون تحقيقا مع الشروح والمراجع، والأخذُ للخلاصات التي وصل إليها هؤلاء العلماء من ثمرات أعمار طويلة تراكمت مع من كان قبلهم لتجتمع فيما أخذه عنهم، إضافة إلى ذلك أتقن الأخذ الأكاديمي فبلغ إلى أعلى درجات الأستاذية، أضف إلى ذلك أنه مع الأخذ العلمي ربط هذا الأخذ بمسلك في التزكية، وأخذ مشربا في التزكية عن المربين المرشدين ليمتزج نور الإقبال على الله مع نور العلم في ذاته وفي نفسه. ولم يقف عند ذلك بل توجه إلى شأن معرفة الواقع المحيط به فالحكم على الشيء فرع عن تصوره، وسائر العلوم الأخرى ومستجداتها(1).

(1) من كلمة الحبيب الجفري عن مولانا الإمام العلامة بالمركز الإعلامي لدار الإفتاء المصرية.

ثانيا: كلمات بعض مقدمي طريقتنا العلية الصديقية الشاذلية:

دكتور يسري رشدي جبر[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين،

بعد حمده والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والتسليم التامان الأكملان على سيدنا محمد رحمة للعالمين ودليل الحائرين والسالكين إلى حضرة الحق والحقيقة قياما بحقوق الربوبية والألوهية بتحقيق مقام العبودية الحقة وعلى آله وتابعيه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن التعريف بمولانا وشيخنا فضيلة الأستاذ الجليل والحبر الفهامة والبحر العميق الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي زمانه في بلده وسائر أقطار الإسلام لمن الأمور التي تضيق بها العبارة، وذلك لأن معرفتي به منذ حوالي أربعين عاما من يوم التقيت بسيدي عبد الله الصديق الغماري في شهر رمضان 1400هـ، وكان يقرأ علينا كتاب الشمائل المحمدية للإمام الترمذي.

ومنذ هذه الفترة إلى يومنا هذا وأنا أتابعه وأحرص على مجالسه ومتابعة فتاويه ونصائحه وخطبه وقراءة مؤلَّفاته. وقد تحققت فيه بشارة سيدي عبد الله الصديق عندما كان كثيرا ما يحاوره ويسأله عن دقائق في علم الأصول، فيقول له: يا شيخ علي سوف تصبح شيخا كبيرا. وكان يوصينا إذا سافر أن نراجع مولانا الدكتور علي جمعة فيما التبس علينا من أمور ديننا ودنيانا، ووجدته وكل من تعامل معه بعيد النظر دقيق الفهم والإدراك للواقع المعاش وللأحكام الشرعية، سهل العبارة يأخذ بيدك من أيسر

(1) أستاذ الجراحة، وكبير مقدمي الطريقة الصديقية الشاذلية. وعلى علو قدره، كتب في تواضع يذيل كلمته بقوله (كتبه الفقير إلى الله تعالى، أحد تلامذته، ومقدم طريقته الصديقية الدرقاوية الشاذلية).

طريق إلى فهم ما التبس عليك من قضايا وشبهات ببركة ما يُكِنُّه في قلبه من حب لله ولرسوله وتوقير واحترام لمشايخه، ورحمته وشفقته بكل من تعامل معه وسخاؤه وكرمه وإكرامه لكل من لجأ إليه في ضائقة أو ضرورة فجعله الله مِفتاحا للخير مِغلاقا للشر.

وكان من بركة الارتباط به وحضور مجالسه أن عافانا الله من الانخراط مع أي من الفرق الإسلامية المختلفة التي كانت تموج موج البحر في الساحة الإسلامية وأغرت كثيرا من الناس لاتباعها أو التعاطف معها فكان نبراسا يضيء لنا ويأخذ بأيدينا إلى الفهم الصحيح وما أخذنا برأيه في مسألة أبدا إلا ويتضح لنا مع مرور الزمان مدى بعد نظره وثقوب فهمه ونضوج رأيه؛ ولذلك أحمد الله كثيرا أن جعلني في زمانه وعرفني بمكانه ومكانته.

ولا شك أنه أعاد منهج الأزهر الشريف إلى ما كان عليه من تلقي الكتب الأمهات والمراجع من المصنَّفات بالتلقّي المباشر من الشيخ إلى التلميذ من خلال جلساته اليومية في رواق الأتراك بالأزهر الشريف حيث قرأ كتب الأحاديث المسنَدة والفقه والأصول والعقيدة فأزال من أذهان تلامذته وقلوبهم شبهات الفرق الضالة وخوارج العصر ووضع أقدامهم ثابتة على طريق الحق وعقيدة أهل السنة والجماعة، وحبّبهم في ذكر الله وسلوك طريق التصوف القائم على الكتاب والسنة فكوَّن مدرسته من مئات بل آلاف العلماء الذين يستضاء بهم في ظلمات الجهل وأعاد لدار الإفتاء المصرية مجدها بل ألبسها ثوب العالمية فصارت دار الإفتاء المعتمدة في العالم الإسلامي أجمع بفضل منهجه وأسلوبه والفريد في فهم قضايا العصر مع جرأة في مواجهة الخصوم وإظهار عوار أفكارهم، فكان سببا لإظهار ضلال هذه الفرق كلها، في وقت كان أغلب العلماء يتجنب إظهار الإنكار عليهم أو تفنيد أفكارهم، فجزاه الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء

وأعاننا على القيام بحقه وحفظ غيبته والدفاع عن شخصه ومنهجه وطريقته التي تقوم على الذكر والفكر والتعلق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحب الصالحين وإكرام العلماء ونشر الخير للناس أجمعين مع عدم الالتفات إلى تشويش وضوضاء السفهاء المتعالمين، وبارك له ولنا في عمره وجهده وأثابه عنا وعن المسلمين خير الثواب وحسن الختام.

دكتور موسى محمود شومان:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه في مبدأ الأمر ومنتهاه، ورضي الله عن أشياخنا وإخواننا، وأبنائنا، وبناتنا، وأولياء الله أجمعين، أما بعد:

ففي بداية كلمتي يطيب لي أن أستعير مقولة جدنا الرائد الزكي: (والعجز هنا شأن النطق)، فكيف للثرى أن يكتب عن الثريا، وهو سر الوصول وباب القبول، وهو محتسب الصوفية في عصره، صاحب مصر ورجل العصر، قُطب الأقطاب الذي لا يخشى في الله لومة لائم، الذي أتته الإمامة تقول لبيك.

هو الإنسان، وهو الوالد، وهو الشيخ، وهو الصديق. هو الوليّ وبالله قويّ، وهو المحب الذي عَلَّمَنَا الحب، أناديه فأقول: أبي الحبيب سر الوصول وباب القبول إلى حضرة سيدنا الرسول ﷺ.

علَّمنِي حب الله عز وجل، وعلَّمنِي حبَّ سيدنا رسول الله ﷺ، حتى صار الناس يقولون لي أنت من المحبين، حتى إن الكثير ممن يلقاني يقول لي وكأننا نسمع مولانا يتحدث من كثرة ما أتحدث بكلماته وحتى حركاته، وما ذلك إلا لما زرعه في قلبي ووجداني، وكان دائما يقول لي: (الذي بيننا وبينهم سيدنا رسول الله ﷺ).

وعلمني ألا أتعلّق بالآثار، بل المؤثر، فلا أفرح بالموجود، ولا أحزن على المفقود، فصارت الدنيا عندي كلما رأيتها تذكرت حاله معها فاقتديت، وعشت شيخي والحمد لله، أحرص دائما على المعنى الذي غرسه في قلبي (هيا بنا نعيش نبينا ونحيا حبيبنا بنا لا بغيرنا، وأن الصوفي من هاجر إلى نبيه عبر قلب شيخه)، فإنه من لم يعش شيخه، لم يشْتَمّ من رائحة الطريق شيئا.

منذ عرفته صار الكِبْر في قلبي يذوب شيئا فشيئا، وصارت الرسوم تضمحل شيئا فشيئا، وصرت أذوب حبا في سيدنا رسول الله ﷺ عبر قلب مولانا، وأذوب حبا في مولانا ذوبان السكر في الشاي كما يحلو أن يقول لنا، وكلما رآني يوجهني إلى الأفضل ولا يتركني إلا وقد استجاب قلبي وطُوِّعَت جوارحي لتوجيهاته، والتي يأخذني فيها شيئا فشيئا، وكان يقول لي (وَسَّعْهَا يا موسى) حتى صرت بفضله ومدده أتحمل أضعاف أضعاف ما كنت أتحمله سابقا، وما زالت هذه الكلمة تضيء أمامي كلما ضاق صدري أو ضاقت بي الدنيا.

في أول لقاء مع فضيلته - منذ سنوات كثيرة - أعطاني شوكولاتة فخمة هدية، وقال لي:]اعلم أن الحب لا ثمن له[، وذلك أنني منذ قبّلت يده الكريمة صارحته بكل ما كان في قلبي، فتبسم، وفاض قلبه حنية وحنانا وحبا وودا للفقير. ووالله لم نرَ في عطاياه إلا كل خير، فهو الوارث المحمدي الذي يتمثل سيده ﷺ في عطائه، الذي هو عطاء من لا يخشى فقرا، فالدنيا في يده ولم تدخل قلبَه، فعطاؤه مُذْهِل، لم يلجأ إليه أحد إلا لبَّى طلبه، جابرا لخاطره، ماليا وماديا وروحيا.

ومن كرامات فضيلته أنني لم أوفق في لقائه رغم محاولة الكثير من المريدين والمحبين التنسيق لذلك، إما لسبب عندي، أو لانشغال فضيلته، حتى جاء يوم عيد

ميلاد زوجتي فذهبنا إلى الأزهر الشريف تبركا ولم يعلم أحد بوجودنا في الأزهر، وكان مولانا في مكتبه برواق الأتراك، وفجأة حضر مسئول تنظيم مواعيد مولانا ودخل من باب الأزهر على شارع الأزهر فوجدني جالسا - وكانت معرفتي به سطحية وقتها - إلا أنني فوجئت ومن معي بندائه على الفقير: هيا يا دكتور موسى، امض معي، فقلت إلى أين؟ فقال لمقابلة مولانا، فقلت: ولكن لم أطلب اللقاء اليوم، ولا أعرف هل مولانا لديه الوقت أم لا؟ فقال لي: هذا ليس شأني، أنا عندي تعليمات واضحة أن تدخل اليوم للقاء مولانا، وعلى باب المكتب تركني، فقلت له: وهل يترك الخليل خليله، فقال لي: إلى هنا دوري أما أنت فادخل على بركة الله يفتح الله لك، فوجدت مولانا جالسا في مكتبه، وهالة النور لا تغادره، والبسمة تعلو محياه، وعيناه تناديني أنْ أقْبِل ولا تَخَفْ، وقال لي: أهلا يا موسى، وكان الحوار الذي قصصت بعضه عاليه، والشوكولاتة، وغير ذلك أسرار من نور الرب، تنقدح بعلم في القلب، لا أبوح بها، فمن باح راح، ومَنْ كَمَنَ كَمُلَ. ثم أعطاني السبحة والوِرد، ويومها لم أستطع النوم لأحاسيس يتعذر وصفها.

وانتظمت مع فضيلته في كل مكان وكل درس ومكاني دوما جالسا عند قدمه اليسرى لدرجة أن من توفيق الله تعالى أن مَكَّنَ الفقير من عدم التخلف أو الغياب عن أي درس من دروسه بعدها، بل وفقني الله تعالى لخدمة مولانا وكنت أول من بدأ مشروع تفريغ دروس مولانا وتنسيقها لإخراجها في كتب، لحزت قصب السبق والحمد لله رب العالمين، نخدمة مولانا لا يعلو عليها شيء، فكانت فتح الفتوح، وكشف السطور والمستور، وإلهامات القلب، وبهجة الروح، حتى طار السِّر، فلم أجد إلا وخدمتي تزداد وتزداد حتى تغلبت بمدده على مرض يدي وفقراتي المزمن، التي لم

تقف حاجزا أمام خدمتي لمولانا، حتى تفوقت في عملي رغم مرضي، وتجاوزت سن المعاش وأنا وبفضل الله تعالى ومنته على عهدي بخدمة أبي وحبيب القلب والهوى.

ومن كراماته أن أصيب الفقير فجأة بجلطة محققة في القلب وأخذوني إلى المستشفى فاقدين الأمل، وأدخلوني إلى غرفة العمليات وأنا في غياب عن الوعي، ولكني سمعت الممرضة تقول الراجل بيموت، الراجل مات، ولا أجد مكانا لحقْنِه - حقنة خاصة لابد من أخذها لإجراء عملية القسطرة - حتى هلت طاقة نور في غرفة العمليات فإذ بمولانا في كوكبة من آل البيت والمشايخ وكأنها حلقة النور المحمدي تقول: اطمن يا موسى .. كله خير، وفورا صاحت الممرضة لقيت الوريد .. لقيت الوريد، الراجل صحي، الحمد لله. وتم إجراء العملية بسهولة وأنا متيقظ جدا وأتابع كل شيء، والعجيب كل العجب أن مولانا لم يتصل بي ولم يحدثني إلا بعد خروجي من المشفى، فوجدته يهاتفني بنفسه تليفونيا، ويقول: (خرجت خلاص من المَشْفَى يا شيخ موسى؟! حمدا لله على سلامتك، أرسل لك بعد قليل السائق الخاص بي لتعطيه عدة نسخ من كتابك «إرشاد العقول فيما تيسر من أسماء الرسول ﷺ»» - والذي أكرمني الله تعالى بتأليفه منذ فترة - فهناك بعض الأجانب من دول مختلفة نريد أن نهديهم إياه قبل سفرهم»)، وكأنها استمرارا لما حدث داخل غرفة العمليات.

حقا إن المداد لا يكفي للحديث عن فضيلته، إلا أن الكلمات الآتية جاءت كنوع من التعبير البسيط حيث تشرفت بإلقائها أمام فضيلته، ومن فضل الله أنه تفضل بقبولها، وسُرّ بها، وذلك في افتتاح الساحة الصديقية المباركة بالسادس من أكتوبر، قلت فيها:

لا شَيْخ إلا العَلامَة عَليّ ..
فَهُوَ الإمَام وَهُو الْوَلِيّ ..
هُوَ السَّيّد وَالنُّور جَلِيّ ..
هُوَ صَاحِب مِصْرَ الأبِيّ ..
وَسِرّ الْوُصُولِ لِسِيدْنَا النَّبِيّ ..
فَقُمْ وَنَادِي وَقُلْ يَا عَلِيّ ..
فِي كُلّ أمْرٍ خَطْبٍ جَلِيّ ..
نقول جميعا: (يَا عَلِيّ) 3مرات
أغِثْنَا يَا وَارِث الرائد الزَّكِيَ ..
والشَّرِيف حَسَن صِمامُ الرُّقِيّ ..
وابْن الصّدِيقية عَبْدالله الْحَيِّ ..
فَأنْتَ الْقُطْبُ الْوَارِثُ الْمُحَمدِيّ ..
وَحَامِل لِوَاءِ سُلالَة الشَّاذُلِيّ ..
فَسَنَدُك مَوْصُولُ عَلِيّ ..
للشَّاذُلِيّ وَاسْمُهُ عَلِيّ ..
لِزَوْجِ سِتِنَا الْفَتَى عَلِيّ ..
أهْلُ عَبَاءَة سيدنا النَّبِيّ ..

إلَي قَلْبِ رَسُولِنَا النَّبيّ ..
مَنْ هُوَ عَلَى الخُلُقِ عَليّ ..
وَبَابُ القَبُولِ لِحَضْرَةِ العَليّ ..
لِحَضْرَةِ مَوْلانَا الأعْلَى العَليّ ..

الشيخ/ أشرف سعد الأزهري

كليمات في المولد العلي لوريث سيدنا النبي، وهي من خصائص الإمام الرباني:

يُولد الوارث المحمدي فتحيا الأمة بأسرها، ليست مجرد ذكرى لمولدك الشريف سيدي، بل هي مناسبة عظيمة لنفحات ربانية ومنح إلهية وفيوضات قدسية على هذا الكون لحظة استنار بنور وجودكم الذي هو شعاع من نور الحبيب الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، نوركم الذي إذا أشرق على مجالس العلم فأحياها، وعلى مجالس الذكر فحلاّها، وعلى القلوب فما سوى الله خَلاّها، وعلى مصر فأشرقت فيها السُّنَّة بنور محياها، وعلى التصوف فاشرأبت النفوس لمن هداها وزكاها، يا سيدي هذا ليس مولد فرد وإنما هو مولد أمة اشتاقت بعد طول عناء وعنت إلى مجدد يحي ما اندثر من سنن ويقبر ما أحيي من بدع، ويرفع سيف الحق بيده الشريفة فيجتث أعناق الفتن التي أطلت برؤوسها، واليد الأخرى للفقراء والمساكين والمرضى وطلاب العلم والمحتاجين، يد تجاهد ويد تبني وتمي وتعمر، وعين على الأمة ساهرة، وقلب معلق بخالقه لا بالدنيا قلب امتلأ بنور الله تعالى حبا ورحمة وشفقة على جميع خلق الله تعالى، مولد الإمام هو مولد لأرواحنا ونعمة من الله علينا لو عشنا أعمارا فوق أعمارنا ما وعيناها حق الوعي ولا فهمناها حق الفهم ولا شكرناها حق الشكر، فلا نقول إلا الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ولا حرمنا الله من نعمة وجودكم في قلوبنا وفي حياتنا سيدي الإمام.

الشيخ صدقي العطار:

إنه الوالد في تعامله مع أولاده يحنوا عليهم في كل أمر، إنه العالم يعلم العلماء ليحثُّوا الناس على حب الله ورسوله وحب الأوطان، إنه الصديق يقف بكل ما يملك ليفرج عن أصدقائه مما هم فيه، إنه المتواضع يعامل الكل بالحب والعطاء، إنه القطب مربِّي الأقطاب ومُيَسِّر ومُفهم أسرار الطريق إلى الله.

منْ سَمِع عنه اشتاق إلى الجلوس معه، ومن دنا منه لا يهدأ له بال إلا برؤيته، ومن جلس تحت قدميه متعلما فتح الله عليه ببركته، فإنه ما حل في مدينة أو قرية أو بلدة إلا وحلت فيها البركة والخير والجمال، وما نظر إلى أحد إلا وصار من كُمل الرجال.

الكل يحبه ويوقره، كقبس من الحب النبوي.

هو كثير العطاء، وكريم السجايا، ولا يرد من جاءه بل يجبر الخواطر حتى يدهشك، وهو لا يحزن على المفقود ولا ينشغل بالموجود، بل إن قلبه معلق بمولاه، ونَظَره دائما على خطى حبيبه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

جعله الله يفك الكروب، ويغيث في أشد غياهب الدروب، فهو لا يرى لنفسه قط مِنَّة وفضلٍ على أحد، إنما يجعل الأمر كله بالله والى الله، وهو جابر قلوب المساكين، ومربي الأيتام والأرامل والمحتاجين .. من خالطه عن قرب يعرف أنه نفحة من نفحات الله ومدد من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إنه فضيلة الإمام صاحب السمو العلامة الدكتور علي جمعة حفظه الله ورعاه.

تعلمت منه كل خير وفهَّمني دقائق في طريق القوم، وأنقذني من ضلالات النفس، فجزاه الله عني خير الجزاء.

الشيخ أحمد فايز[1]:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد، فقد مَنَّ الله علي أن أنهل من معين معارف مولانا الإمام نور الدنيا والدين سيدي الشيخ علي جمعة حفظه الله، فهو معين لا ينضب ودائم التدفق يغمر الخاص والعام بمنافع الله بها عليم. قد جالستُ مولانا الإمام في عديد من حلقاته وقرأتُ مؤلفاته، على رغم قصر المدة وصغر السن فبفضل الله أرى كيف فكره قد سبق زمنه وأدرك بفرط ذكاءه ونور بصيرته كيف كان ينبغي على المسلم أولا وعلى العالم ثانيا أن يعيش زمنه وكيف يؤدي واجبه في نقل هذا الدين الحنيف إلى العالمين وإلى من بعدنا بصورة صحيحة لافتة للنظر. هذا قد شهده القاصي والداني، وكذلك شهدت به جميع مؤلفات مولانا الإمام.

فنفسي الضعيفة قد رأته كيف كان محبا ومُجِلًّا للنبي ﷺ، وكيف حمل تلامذته الكبار في أن يسلك نفس المنوال في تربية الصغار. فحب الله ورسول الله هو سر في قوة شخصية الإمام العلامة. فاللهم احفظ مولانا الإمام وأفض علينا من علومه وبركاته بجاه نبيك الأمين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

Segala pujian khas milik Allah. Selawat dan salam ke atas penghulu kita Nabi Muhammad Sallahu alaihi Wasallam, juga ke atas ahli keluarganya dan para sahabat baginda.

Sesungguhnya Allah telah mengurniakan kepadaku peluang untuk ku minum dari telaga ma'rifat Maulana al-Imam Nuruddin Ali Jum'ah -hafidzahUllah- maka iaitu telaga yang tidak kering, lagi sentiasa

(1) أحمد فائز محمد خليل الشهير بالفاتح الماليزي الأزهري، مقدم الطريق الشاذلية الصديقية بماليزيا المحمية.

memancar melimpahi golongan khas dan am dengan manfaat yang banyaknya itu hanya Allah sahaja yang mengetahui.

Saya telah duduk bersila di guru mulia pada beberapa majlis, dan telah saya baca beberapa tulisan beliau, dan meski sedikit tempoh bersama dengan sang guru, mudanya umurku, maka dengan kurnia Allah semata-mata, saya telah melihat bagaimana fikiran beliau mendahului zamannya, dan beliau mendapati dengan kepintaran dan mata hatinya yang becahaya bagaimana sepatutnya seorang muslim pertamanya, dan seorang alim keduanya, hidup di zamannya, dan bagaimana dia dapat melaksanakan kewajipannya pada menukilkan agama yang lurus ini kepada sekalian alam, dan kepada generasi selepas kita dengan gambaran yang sahih lagi menarik perhatian. Hal demikiam telah disaksikan sendiri oleh orang jauh mahupun dengan, dan juga sekalian tulisan beliau.

Maka diriku yang lemah ini juga telah melihat bagaimana cinta dan takzimnya beliau terhadap Nabi Sallahu alaihi wa sallam dan bagaimana maulana al-Imam telah mendidik para guru-guru saya seperti Sheikh Ahmad al-Hajin, Sheikh Amru al-Wardani, dan Sheikh Isam Anas. Maka cinta Allah dan Rasul itu rahsia kekuatan peribadi maulana al-Imam.

Semoga Allah sentiasa memelihara mawlama al-Imam, dan melimpahkan ilmu dan keberkatannya ke atas kami dengan berka Nabi Muhammad Sallahu alaihi wasallam.

أ. خالد غز:

أحياناً يجد المرء نفسه عاجزًا عن التعبير عن مكنون نفسه، وما يختلج داخله من مشاعر، ولا يجد سبيلا إلى بلورة ذلك في كلمات خشية أن تخونه الكلمات فلا تسعفه فيما يسعى إليه حثيثا، فيكون كمن فسر الماء بالماء، ومن ذلك أن يُكَلّف مثلي بالتحدث عن مشاعره وعميق إحساسه تجاه شيخي فضيلة الإمام علامة زمانه مربي النفوس ومنقي القلوب سيدي علي جمعة رضي الله تعالى عنه. ومن منطلق محبتي وعلى قدر استيعابي أوجز في كليمات ما تفيض به السماوات مما نكنه لشيخنا، فنقول وبالله تعالى التوفيق: شيخنا وسيدنا ومربينا ووالدنا سيدي علي جمعة رضي الله تعالى عنه هو النسمة التي أرسلها المولى تعالى إلى الفقير في أحلك فترة مرت بي في حياتي بعد وقوعي في تيه لم أقدر على الخروج منه بنفسي وحتى ضاقت علي الأرض بما رحبت وضاقت علي نفسي ولم أجد لها من دون الله كاشفة وبعد طول إلحاح والتجاء إلى المولى تعالى في فريضة الحج التي مَنَّ الله تعالى بها علي والتي جاءت على غير موعد ولا ترتيب. وكان فضل الله تعالى علي عظيما حين أطلت علي شمس العناية فبددت الظلمات التي أحاطتني من كل مكان بمعنى الكلمة. وجدت في سيدنا حنانا وعطفا وسعة صدر: ينظر إليك فكأنه يقرأ ما يعتمل في صدرك، فإذ به يفاجئك بما لا تتوقعه، وإذ به يُلبّي مطلبك دون أن يُراق ماء وجهك في سبيل الطلب، وحق له أن يراق في سبيل هذا الحسن والجمال. وجدت في حضرته الكرامة الظاهرة التي لا يسعى إلى أن يبديها بل هي سر لا يظهر إلا لمن قدر الله تعالى أن يراها والحمد لله رأينا منها ما أثلج قلوبنا. وجدت في حضرته حزم الوالد المربي مع لين ورفق وحنان ينظر إليك نظرة فإذا بتلك النظرة تخترق شغاف قلبك إلى معقل الروح فتشع عليها شعاعا من

نور تذيب ما علق بها من آلام وأدران فتخرج من مجلسه وقد امتلأت نورا وازددت بهجة فما تلبث قليلا إلا وقد نزعت نفسك في طلب العودة والانتظار في شوق لمعاودة اللقاء. وجدت في سيدنا المثل العليا الذي كنت أبحث عنها متجسدة في صورة آدمية نورانية، لم يدعُ قط لنفسه بل دوما يوجهني إلى ربي ويدفعني في الطريق إليه عز وجل دون تكلف ولا مشقة، يصبغ عليك من المحبة التي يبدو أنها ملأت أركان حضرته حتى فاضت وعمَّت من حوله فلا تجد نفسك إلا مدفوعا إلى حبه، كل ذلك مع هيبة تكسوه فتبيتُ حائرا كيف يجتمع كل هذا الحب الذي يملأ النفس حتى تكاد تفيض منه العين من رشحها مع نار الهيبة له! فسبحان من جمع النار والماء. وجدت في حضرته مثالا حيا للتفاني في العمل والإخلاص فيه ابتغاء مرضات الله تعالى مع كفاءة وقدرة إبداعية وتنظيمية تتناغمان لتنتج في أيام قليلة ما لا تنتجه المؤسسات في أعوام. وجدت في حضرته سعة في الصدر واهتماما يندر عند غيره رغم مسئولياته الجسيمة ومشغوليته الكثيرة في تلطف من حضرته وتودد يستوعب جهل المريد وأحواله المتقلبة دون كلل ولا ملل رضي الله تعالى عنه. وجدت في حضرته ثباتا عند الشدائد لم أكن أتصور أن أشاهده واقعا ومن ذلك- ويشهد الله على قولي- ما شاهدته من حضرته حين تجرأ عليه -حفظه الله- أهل الشر من الجماعة الإرهابية في محاولة للنيل منه وقد كنت ضمن من كانوا داخل المسجد وسمعنا طلقات الرصاص التي أفزعت الكثيرين، وكنا مستشرفين للاطمئنان على حضرته مفزوعين عليه فلا نستطيع خروجا من شدة التزاحم، فإذا بحضرته يدخل إلى المسجد في زمرة من المصلين وحين وقعت عيني عليه وجدته مبتسما فاطمأن قلبي وتعجبت لأمر هذه الابتسامة التي شعت علي سكينة وأمانا حفظه الله.

تعلمت من حضرته في أيام ما لم أتعلمه في أعوام، يعطيك ثقة في نفسك ويكتشف فيك ما لا تكاد تعرفه حتى أنت عن نفسك. تعلمت من حضرته أن أعمل وأجتهد في عملي ولا أنتظر النتائج أو أستبق الأحداث فكلٌّ ميسر لما خلق له وكُلٌّ مُقدَّر من العلي الأعلى. تعلمت من حضرته ألا أتشبث بالدنيا أو ألقي لها بالا فهي أهون عند الله من جناح بعوضة، وأن أتركها لمن نازعني فيها غير آسف عليها، وأن الدنيا تجري وراء من يهرب منها فتلقي بنفسها بين يديه فنستخدمها في مرضاة الله تعالى، وأن ندعو الله تعالى: اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا.

هذا غيض من فيض ما يعتمل في قلب الفقير حبا وتقديرا لمولانا وشيخنا ووالدنا ومربينا وهو نذر بسيط يكاد لا يوفي شيئا من قدره وشأنه الذي لا يعلمه سوى ربه سبحانه وتعالى. رضي الله تعالى عنه وأرضاه وأطال لنا في عمره ومتعه بالصحة والعافية وأمدنا بمدده وحققنا بحسبه ونسبه.

الشيخ حنيف أرشد(1):

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [فاطر:28]. والصلاة والسلام على أكرم وأشرف وأحب خلق الله سيدنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أما بعد:

فهذا كلام في عَلَم من أعلام الإسلام، ونبيل من نبلائها، وسيد من ساداتها العلامة الدكتور فضيلة الشيخ نور الدين علي بن جمعة المولود سنة 1371 من الهجرة

(1) حنيف أرشد، مقدم الطريق الشاذلية الصديقية بالفلبين.

في مدينة بني سويف جمهورية مصر العربية، حيث وُلِد الشيخ ونشأ في أسرة تهتم بالعلم النبوي الشريف. وكان أبوه وجدّه من الفقهاء كما أشار هو نفسه إليه في أحد محاضرته. ولذا كانت حياة الشيخ في طريق العلم من أول يوم وقد قال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللّٰهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

كذا بدأ الشيخ دراسته في جامعة الأزهر وحصل على الإجازة العالية من كلية الدراسة الإسلامية سنة 1979م ثم حصل على ماجستير في أصول الفقه من كلية الشريعة والقانون سنة 1985م بتقدير ممتاز ثم حصل على دكتوراه في أصول الفقه من كلية الشريعة والقانون سنة 1988م. فحياة الشيخ كلها في خدمة الإسلام وفي طريق العلم وقد قال الحبيب ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللّٰهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ». ولقد بذل الشيخ جهده في تعليم الناس ونشر العلم، فقد قام بتدريس الناس الفقه والتصوف والعقيدة وعلوم كثيرة في أماكن مختلفة في مصر وخارجها، وقام بتأليف الكثير من المؤلفات في العلوم والمسائل المختلفة، حتى صار مفتيا للديار المصرية عام 2003م وحتى 2013م وأدى وظيفته جيدا ولم يخش إلا الله فيها، وقد قال الرسول ﷺ: «إِنَّ اللّٰهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ».

ففضائل الإمام كثيرة جدا لا تتسع لها صفحة أو صفحتين ولذا اقتصرتُ على بضع منها، فاللهَ أسأل أن يعطي شيخنا المزيد من الخير والشرف والبركة وأن يكثر من ينتفع من علوم الشيخ وفضله أكثر ممن انتفع ومازال ينتفع، واللهَ أسأل أن يحشرنا مع الشيخ في زمرة الحبيب المصطفى ﷺ وتحت لوائه وأن يجعل شيخنا من خيرته، آمين آمين آمين يا رب العالمين. وصل ناللهم على سيدنا ونبينا وقرة أعيننا محمد الذي

آمنا به ولم نره وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم إلى يوم الدين عدد خلق الله وزنة عرشه ومداد كلماته، والحمد لله رب العالمين.

وهذه هي ترجمة كلمته باللغة الفلبينية التغالوغية (Tagalog)، لغة العاصمة:

Sa ngalan ng Allaah ang Mapagmahal, Maawain بسم الله الرحمن الرحيم

Ang papuri ay maging sa Allaah lamang, ang Siyang nagsabi sa loob ng kaniyang aklat: Katotohanan ang silang mga natatakot sa Allaah ay yaong mga maalam lamang. At pagpapala at pagbabati ay nawa'y mapa sa pinaka marangal pinaka kalugodlugod at pinaka mamahal na likha ng Allaah, ang ating pinuno na si Muhammad anak ni Abdullaah. Ang siyang ipinadala bilang isang awa sa sanlibutan at siyang nagbibigay ng mabuting balita at siyang nagbabanta mula sa parusa. Siyang nagiimbita patungo sa Allaah – ng Kanyang pahintulot. Nawa'y ang pagpapala ng Allaah ay mapasa kanya sa kaniyang pamilya at sa kanyang mga kasamahan na silang malilinis at mabubuti.

At ang susunod:

Ito ay isang sulatin patungkol sa isang importanteng tao sa Islam at isang kalugod-lugod at isang pinuno na siyang nag ngangalang Dr. Ali anak ni Gomaa. Ang siyang ipinanganak noong taong 1371, ng kalendaryong Hijra, sa siyudad ng Banu Suweif sa bansang Egipto.

Isinilang at lumaki ang Shaykh sa loob ng tahanan na labis na pinapahalagahan ang kaalamang mula sa Kalugod-lugod ng Propeta (nawa'y mapasa kanya ang pagpapala ng Allaah at mabutihing pagbabati). Maging ang kaniyang ama at lolo ay kabilang sa mga maalam sa Islam – tulad ng kaniyang sinabi sa isa sa kaniyang pagpupulong. Sa ganoon ay sa landas ng kaalaman ang kinagisnan

ng Shaykh. Sinabi ng Propeta: sino man ang gustohin ng Allaah na matamo ang kabutihan ay bibiyayaan ng kaalaman.

Sinimulan ng Shaykh ang kaniyang pagaaral sa Unibersidad ng Al-Azhar at natamo niya ang pinaka mataas na lisensya sa kaalamang Islam mula sa Kolehiyo ng Araling Islamiko noong taong 1979. Noong taong 1985 ay natamo niya ang antas na masteral sa larangan ng Usul al-Fiqh mula sa Kolehiyo ng Sharia at Batas. Sa taong 1988 naman at natamo niya ang antas na doctoral sa larangan ng Usul al-Fiqh mula sa Kolehiyo ng Sharia at Batas. Sa ganoon ang buhay ng Shaykh ay nakaayon lamang sa pagserbisyo sa Islam. Sinabi ng Pinakamamamahal na Propeta: sinomang tumahak ng landas patungo sa pagaaral ng Islam ay papadaliin ng Allaah - dahil dito - ang daan papuntang Paraiso.

Ang Shaykh ay ginamit ang kaniyang kakayahan upang magturo sa tao at palaganapin ang kaalamang Islam. Siya ay nagturo sa tao ng Fiqh, Tasawwuf, Aqeeda, at madami pang iba sa loong ng Egipto at sa ibang bansa. Siya din ay nagsulat ng madaming aklat tungkol sa iba't ibang hanay ng kaalaman. Noong taong 2003 ay itinalaga siyang Mufti ng Egipto na siyang ginampanan ng maayos, na walang takot maliban sa Allaah, hangang taong 2013. Sinabi ng Propeta Muhammad: Katotohanang si Allaah, mga anghel Niya, ang mga naninirahan sa kalangitan at sa lupa, maging ang langgam sa kaniyang bahay at isda sa loob ng dagat ay binibigyang pala ang siyang nagtuturo ng kabutihan sa tao.

Ang mabubuting gawain at katangian ng Shaykh ay madami at hindi kakasya sa isa o dalawang pahina lamang kung kaya't ako'y nagbanggit ng kaunti. Si Allaah ay aking hinihingian na bigyan ang

Shaykh namin ng madami pang kabutihan at padamihin pa ang makakuha ng kabutihan mula sa kaalaman niya mas madami pa kaysa sa mga nakatamo na ng kabutihan mula sa kanya. Si Allaah ang aking hinihingian na buhayin kami sa Araw ng Paghuhukom kasama ng Shaykh namin sa loob ng grupo ng Pinakamahal at Piling-Pili na Propeta (nawa'y ang pagpapala ng Allaah at mabuting pagbabati ay mapa sakanya) at sa ilalim ng kaniyang bandila at isama ang Shaykh namin sa pinakamabuting nilalang ng Allaah. Ameen, ameen, ameen, ya Rabbal 'Alamin.

At nawa'y ang pagpapala ng Allaah at mabuting pagbabati ay mapa sa pinuno namin, propeta namin, pinaka maganda sa mata namin na si Muhammad. Ang siyang pinaniwalaan namin kahit hindi namin nakita. At nawa'y ang pagpapala ng Allaah at mabuting pagbabati ay mapa sa kanyang pamilya at kasamahan na silang mabubuti at malilinis. At nawa'y ang pagpapala ng Allaah at mabuting pagbabati ay mapa sa mga sumunod sa kanilang yapak. Pagpapala at mabuting pagbabati na kasing dami ng nilikha ni Allaah, kasing bigat ng Kaniyang trono, at kasing dami ng Kaniyang salita. At lahat ng pagpupuri ay sa Allaah lamang, taga likha ng sanlibutan.

Haneef Arsad

Muqaddim ng Pilipinas

وهذه أيضا ترجمتها بلغة التاؤوسوغية (Sinug)

Ha ngan sin Allaah Makasi Malasa بسم الله الرحمن الرحيم

In katan sin pudji iban sanglit tuput pa Allaah in nagparman halawm sin kitab Niya mulliya: sabunnal tuud in nagmamabugah pa Allaah daing ha mga ipon Niya amura in mga ulamaa. Salawat iban salam pa

siya mulliya daing ha katan, labi marayaw daing ha katan, iban labi kiyalasahan sin Allaah daing ha katan amuna hi Muhammad anak hi Abdullaah. Amun siya piyturun bilang rahmat pa katan alam sartah magdirihil habal marayaw iban maglalang pa tau daing ha siksah. Damikkyan in siya ini magtatawag harap pa Allaah daing ha ijin Niya iban in siya ini biyah sapantun palitaan landuh in sahaya.

In sumunud:

In ini bissara tungud ha hambuuk kakilahan 'alim iban nakurah sin Ummat Islam amuna hi Fadilatu Ash-Shaykh Ali anak hi Gomaa in piyaganak ha tahun 1371 itungan Hijri halawm daira Banu Suweif ha hulah Misr.

Piyaganak in Shaykh iban simulig halawman sin mga sila labi in lasa iban sub pa ilmuh daing ha Nabi. Sartah in amah iban apuh niya bilang daing ha mga sila mapantuk ha ilmuh fiqhi biyah na sin nasabbut niya ha hambuuk muhadarat. Ha bihayadtu halawm daira sin ilmuh in kabuhi sin Shaykh daing ha panagnaan adlaw pa. Nagsabda in Nabi: hisiyu-hisiyu in kabayaan sin Tuhan dihilan karayawan, pahatihun Niya siya sin agama Islam.

Bihan hantang timagnah in pagtuntut ilmuh sin Shaykh halawm sin Al-Azhar University sartah nahasil niya in sataas-taas ijaza daing ha Kulliyah sin Dirastul Islamiyyah ha tahun 1979. Pagubus ha tahun 1985 nahasil niya in masteral ha Usul al-Fiqh daing ha Kulliyah Shariah wal Qanun sartah in grade niya mumtaz. Ha tahun 1988 isab nahasil sin Shaykh in doctoral ha Usul al-Fiqh daing ha Kulliyah Shariah wal Qanun. Ha bihayadtu in kabuhi sin Shaykh duun hadja ha paghidmat pa agama Islam way naig. Nagsabda in Nabi: hisiyu-hisiyu

in limawag dan hasupaya manuntut ilmu, tantuh paluhayun sin Allaah para kaniya ha sabab sin ini in dan harap pa Sulgah.

Hiyanglah sin Shaykh in kusug iban waktu niya ha paghinduh sin agama iban pagpasaplag sin ini. Naghinduh siya sin fiqhi, tasawwuf, aqidah, iban kaibanan ilmuh sartah ha dugaing-dugain tampat – halawm naka sin Misr iban ha guwah niya. Iban nagbaktul daisab siya mga kitab tungud ha dugaing-dugaing ilmuh sin agama Islam. Ha tahun 2003 biyutang siya mufti sin Misr sartah tiyunay niya in amanat ha way pagbugah pa hisiyu-hisiyu malaingkan Allaah sambil naubus in amanat niya ini ha tahun 2013. Nagsabda in Nabi: sabunnal tuud in Allaah iban malaikat Niya, iban in mga sila naghuhulah ha kalangit-langitan iban sila naghuhulah ha ginlupaan, sambil in sanam halawm bay niya iban ista halawm dagat, nagsasalawat pa manghihinduh karayawan pa tau.

In kalabbiyan iban karayawan sin Shaykh mataud tuud dih maubus sulatun halawm hambuuk pa duwa katas hangkan piyahawpuh ku na sadja. Tuhan Allaah in panginduwaahan ku bang man Niya dihilan in Shaykh namuh mataud pa karayawan iban pataurun pa in sila makakawah paidda daing kaniya labi mataud pa daing sin sila nakakawah na paidda daing kaniya sartah masi-masi da in paghasil nila paidda daing kaniya. Tuhan Allaah in panginduwaahan ku bang man Niya kami buhiun magbalik ha adlaw qiyamat iban in Shaykh namuh halawm tumpukan sin Nabi sallAllaahu ʻalayhi wa sallam iban ha sawm panji niya iban bang man sin Allaah hilamud in Shaykh namuh daing ha mga sila mataas in darajat ha hadarat Niya. Ameen, ameen, ameen ya Rabbal ʻAlamin.

Salawat pa Nakurah namuh iban Panghuh namuh iban landuh namuh kalasahan amuna hi Muhammad. Amun piyaratsaya namuh siya ha wala

namuh siya nara magkitah. Iban salawat pa ahli niya iban pa kasahabatan niya amun katan sila ini tau marayaw iban malissin. Salawat pa mga sila miyagad kanila sambil pa adlaw qiyamat. Salawat pa katan sila ini biyah sin taud sin piyapanjari sin Allaah iban buhgat sin Aras Niya iban taud sin Kalam Niya. Iban katan sin pudji iban sanglit tuput pa Allaah.

ثالثا: كلمات بعض من كبار تلاميذ وأبناء مولانا:

دكتور محمد عبد العاطي:

حضرة مولانا..

أمسكت بحاسوبي الشخصي وعزمت على الكتابة، وكنت متكئا فجلست لتذكري قول أحدهم:«لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيتكئ» فسأكون في حضرت مولانا وبالمناسبة «حضرت مولانا» هو ديواني الشعري في حضرت مولانا وسيدنا وكبيرنا (أبي د. علي جمعة).

منذ فترة طويلة لم أكن على معرفة بفضيلة مولانا، وكنت أعمل في مجال البحث والتحقيق، وسألني أحدهم إن كنت مستعدا أن أكون في شرف خدمة مولانا في مكتبه الخاص؟ فأبديت موافقتي وتحمسي...وذهبت لملاقاة سيدنا والرهبة آخذة بعنان قلبي...فدخلت على فضيلته فاستشعر ارتباكي وأفاض عليّ أبوته التي أحالتني من حالة الرهبة إلى هدأة السكينة.

وكان أول ما لامسته فيه أبوة تملؤها الرحمة

«وَلمست فيه أبوَّة ً فيّاضةً .. شَمَلَتْ لَدَيْهِ القَاصِي قَبْلَ الدَّانِي».

هكذا بدأت علاقتي بأبي علي جمعة، كنت قبلا يتيم الأب فعوضني الله به خير الآباء، هو السند والملجأ والمرشد والدليل.

إذا أهمني أمر أفر إليه، وإذا ضاقت مذاهبي ألجأ إليه، معنى أن يكون لك أب هو أن تكون لك قيمة، يرعاك من الزلل ويهديك إلى الصواب، ويشعرك بالأمان.

وأنا في حضرته أتبختر فخرا واعتزازا وأتيه على الدنيا افتخارا ومقاما، فمن له مثل مالي من شيخ وولي وأب؟ إنه مولانا علي جمعة.

تضيقُ بنا الحياةُ وتستبدُ .. فنلتمسُ من الشيخ وئاما
تحنُّ نفوسُنا شوقا إليهِ .. ونلتحمُ بمجلسهِ التحاما
نسارعُ حين يأمرُنا نلبي .. ونلتزمُ محبتَهُ التزاما

دكتور مختار محسن الأزهري[1]:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد.

فإن من نعم الله الكبرى علي أن التقيت سيدي وشيخي الإمام العلامة الأستاذ الدكتور علي جمعة الذي ما رأت عيني مثله؛ فمنذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها وأنا قد وقع في خاطري حديث المصطفى صلى الله عليه آله وسلم «عرفت فالزم!» نعم عرفته إماما ومعلما ومتبعا لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عرفته والدا وشيخا ومفتيا، عرفته دالا على الله ومرغبا في سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عرفته مدافعا عن الدين ومتصديا للمبتدعة والمارقين، عرفتُه فلزمتُه! فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

تشرفت بالجلوس في حلقاته التي بدأها في الأزهر الشريف المعمور قبل عشرين سنة وقد أحيا بها مجالس العلم وأعاد إلى الجامع الأزهر روحه من جديد، درس لنا العلم

---

(1) الباحث بدار الإفتاء المصرية ومن كبار تلاميذ مولانا وأبناء الصديقية، وقد تقلد عند طباعة الكتاب مدير إدارة الحساب الشرعي بدار الإفتاء المصرية.

وسقانا حب العلماء، والتعلق بالأولياء، دلنا على مفاتيح العلوم، وفتح لنا مغاليق القلوب.

ولا بأس أن أستدِرَّ بعض ذكرياتي عن تفاصيل مجلسه المبارك الذي غيَّر ليس فقط حياتي بل كان سببا في ظهور جيل جديد يحمل العلم ويتأدب بأدب أهل الله.

كان الشيخ يأتي الأزهر مع شروق الشمس وكأنها إشارة إلى شروق أنوار العلم والهداية على ربوع مصر بعد أن طال ظلام الجهل وساد المتشددون فيها سنين عددا. وكلما اقتربت الساعة من السابعة كلما تعلقت أعين طلاب الشيخ وقلوبهم بموضع واحد تهفوا إليه أرواحهم وتتجه له أبصارهم وهو المدخل الغربي [غرب القبلة] للجامع الأزهر حيث كان الشيخ يدخل منه إلى الجامع الأزهر الشريف كل صباح. نعم (حضر الشيخ)، قالها أحد الطلاب لمن بجواره ثم يمم وجهه تجاه المكان الذي يدخل منه الشيخ مهرولا! تعم أركان المكان الفرحة العارمة والاغتباط المفعم بالمحبة والشوق ويهرول أولئك الطلاب في استقبال شيخهم ومعلمهم الذي ترك الدنيا وراءه لأجل تلك المهمة والأمانة التي أقامه الله فيها؛ أمانة الدين ومهمة تبليغ العلم الشريف.

لم أشعر في حياتي بفرحة تضاهي تلك الفرحة المتجددة التي تحصل لنا عندما نجد الشيخ قد دخل لساحة الجامع الأزهر الشريف والنور يكسو وجهه وهو يسير في همة تجاه مجلسه المبارك الذي بدأ برواق المغاربة ثم انتقل بعد فترة وجيزة لرواق الأتراك.

يجلس الشيخ في مكانه ويفتح الكتاب الذي نقرؤه وفي يد كل طالب نسخة من الكتاب فيقرأ هو أو يعهد لأحد طلابه المجيدين للقراءة الصحيحة أن يقرأ، كان ربما يدخل الشيخ باسما ضاحكا ويمازحنا في لطافة وود فيضفي على جميع الطلاب سعادة لا توصف لنبدأ الدرس في غاية النشاط والانتباه، ويقول الشيخ في بدء المجلس: ها بسم الله

اقرأ يا ولدي! فيقرأ من كان مُعينا للقراءة وينساب النور وتعم السكينة أرجاء المكان.

تغير نظام حياتي ونظام حياة الكثير ممن يحضرون المجلس حيث عودنا مجلس الشيخ عدم النوم بعد الفجر والاستعداد للدرس فور الانتهاء من الصلاة وبالتالي دفعنا ذلك لترك الكثير من العادات السيئة والأوقات المهدرة التي كانت تضيع علينا، وعندها أدركنا سر قول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم بارك لأمتي في بكورها» [رواه أبو داود] وأدركنا أن الشيخ رضي الله عنه يتتبع سنة المصطفى ﷺ ويحرص على تعليمها فكما قال سيدنا محمد ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء» [رواه الترمذي وأبوداود]، فرضي الله عنكم يا سيدي يا من بعثتم في قلوبنا الشوق إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

اللهم اجمعنا وإياه وجميع أهلنا ومشايخنا وأحبابنا بحبيبك ومصطفاك صلى الله عليه وآله ولا تفرق بيننا حتى نلقاه وأنت راض عنا يا كريم.

رابعا: كلمات بعض مريدي طريقتنا العلية الصديقية الشاذلية:

وهي كلمات متنوعة تأتي كمثال فقط لما في قلوب أبناء مولانا، ومنهم الذكر، والأنثى، والمصري، وغير المصري، ومنهم العربي، وغير العربي، فهو تنوع طبيعي لأبناء مولانا على مستوى العالم أجمع.

د. أحمد خميس شتيه[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان الأدومان المتلازمان على سيدنا محمد واسطة عقد النبيين وسيد أولي العزم من المرسلين وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، وبعد:

فإن الواقف أمام سيدي نور الدين الشيخ علي جمعة شخصا وعلما يصاب بالحيرة، ويحتاج إلى مزيد من التأمل والتدقيق في هذا الفضل والتوفيق الذي منحه الله إياه، وهذا الفيض الغامر من العلوم والمعارف التي اختصه الله بها فَعَلا بها كَعْبُه على أهل زمانه، ولقي هذا القبول في القلوب والقوابل. وإن من الخير الذي أجراه الله عز وجل على يد الإمام العلامة حفظه الله تلك الصحوة التي شهدتها أروقة الأزهر الشريف على يديه. وهذا الجيل من العلماء الذي تخرج على يديه، ولا شك فإن هذا من علامات القبول الإلهي الذي منحه الله لشيخنا. وإن المتأمل في تاريخ شيخنا مع شيخه السيد عبد الله بن الصديق الغماري عليه سحائب الرحمة والرضوان يعلم قدر شيخنا الذي آثر ألا يظهره حتى أظهره الله. فليس من طالب علم يجهل قدر سيدي الغماري وسعة علمه وتمكنه واجتهاده. وقد كان رضي الله عنه ينصح طلابه بأن يأخذوا عن الشيخ علي إذا غاب

(1) مدرس الدراسات الإسلامية بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة دمنهور، ومن أبناء الصديقية.

هو. وكان يخبرهم بفضله ويعلمهم بأنه أنجب أبنائه. وإنه لمن دواعي الشرف أن جعلنا الله ممن أخذ عن سيدي علي جمعة علما وسلوكا. فتلك نعمة تقتضي الشكر.

فاللهم جاز شيخنا عنا خير الجزاء وأفض عليه من نفحاتك وبركاتك وإمداداتك، واحفظه يا مولانا من كل سوء، وأمد في عمره المبارك، وأدم النفع به، وأهلنا لشرف النسبة إلى طريقه، آمين.

د. حسناء الطبلاوي:

استيقظ يوميا لأجد رسالة جديدة على الواتساب تحمل فيديو أو صوره أو مقطع لسيدنا الشيخ علي جمعة، أراه مبكرا في يومي، وأستأنس بوجهه الجميل، وافتح الفيسبوك يوميا عشرات المرات وأراه في عشرات المرات في بوستات مختلفة تحمل صورته من محبيه أو تحمل كلامه ونصائحه.

احتار في شيء ما، فأفتح محرك البحث جوجل واكتب الشيء المحير وبجانبه علي جمعة لئلا يظهر لي أي فتوى ليست منه.

يكلمني شيخي في موضوع، وأحيان لا أقتنع ولا أستطيع البوح أدبا، فأبحث عن جدي بالنسب الروحي علي جمعة فأجده يقنعني بحنية الجد لا بخوف الأب، ولا يقلل ذلك من شأن شيخي، بل يزيده ويزيدني حبا فيه، فهو سر الوصول للسر الأكبر سيدي علي جمعة.

تعرضت لمأزق شديد وتعودت في كل مأزق أقرأ الفواتح كما علمني شيخي: زيادة في شرف سيدنا ﷺ، وكذلك لسيدنا الحسين وستنا زينب وستنا عائشة خاصة، ولآل البيت عامة ولسيدي علي جمعة، وشيخي (....) خاصة، ولكل أولياء الله عامة طلبا منهم المدد، ولم يخذلني الله أبدا.

أرى كل ذلك وأسأل نفسي: لماذا وكيف؟ كيف أحببته ذلك الحب ولم تره عيني حقيقة حتى الآن، ولم أجلس معه، وكيف ألجأ له بدون تفكير في كل مأزق؟ وكيف أطلب منه المدد في كل مصيبة؟ وكيف وثقت فيه هذه الثقة العميقة؟ ومتى حدث كل ذلك؟ ولا أجد إجابة سوى المحبة، التي زرعها شيخي في قلبي لهذا الإنسان الشيخ الجد، هي المحبة اللي ترقق القلوب وتألف بين الأرواح وتجعلنا نحلق في سماء لا تنتهي من الرحمة، والرحابة والاتساع، ومحبة الأكوان، فهو الباب لكل ذلك، وأكثر بمدد سيدنا النبي ﷺ حبنا لسيدنا الشيخ هو باب حبنا لسيدنا النبي ﷺ وسر وصولنا.

مهندس. أحمد محمد نعمت الله:

إذا بحثت في أهل الأرض عمن أقربهم سنداً وعملاً لسيدنا رسول الله ﷺ لربما عدت إلى حيث ابتدأت، إلى أرض الكنانة مصر، وذهبت لتقبل رأس و قدم الإمام العلامة نور الدين علي جمعة رضي الله عنه، فهو بحق - على الأقل بالنسبة لي - أقرب الناس لسيدي رسول الله ﷺ فيكفي رؤيته وسماع كلامه يومياً ليذهب عنك السوء، سوء الفهم للدين وسوء الغم والهم الناتج عن ذلك. بارك الله في شيخنا العلامة وحفظه الله لنا ومد الله في عمره.

Si tu cherchais parmi les peuples de la planète celui qui est le plus utile et le plus proche de notre prophète paie et bénediction sur lui (salal Allaho alayhi wa Salam), tu retournerais sur les terres de Kenenah en Egypte ou tout a commencé pour trouver l'imam Nour Eldin Ali Gomaa pour embrasser sa tête et ses pieds.

Pour moi c'est l'homme le plus proche de notre maitre et messager d'Allah, et il suffit de le voir, écouter ses paroles au quotidien pour que le mal s'éloigne de toi.

Une mauvais interprétation de la religion peut entrainer la tristesse qui en résulte.

Qu'Allah bénisse notre Cheikh, le protège et lui accorde une longue vie.

غادة سمير المصري:

كثيرا ما كانت تجذبني القراءة في كتب التصوف الإسلامي، وطالما شعرت بانجذاب شديد لما أقرأ لاستشعاري أن هناك دائما خطا يربط بين كل ما اقرأ، وأن هناك تأكيدًا على معاني نحتاجها كثيرا كالسمو الروحي، والحب الذي كنت أراه محورا يدور في فلكه كل من ارتاد طريق التصوف وكَتَب عن عالَمِه، ولكنني كنت تائهة لا أعرف من أين يبدأ الطريق، حتى أرسل الله تعالى لي من قبيل الصدفة والهبة مَنْ حَدَّثَنِي عن الطريقة الصديقية الشاذلية، وفجأة بدأت أشاهد في كل مكان صور لمولانا الإمام في صفحات الوسائل الاجتماعي أو من خلال أحاديث له أشاهدها دون سعي مني لذلك، وكأنها إشارات من الله تخبرني بالطريق الذي كتبه لي.

وبحثت حتى اهتديت للوصول إلى الطريقة وكان من خلال خبر قرأته بأحد المواقع عن الطريقة، وكانت أول زيارة لي لمسجد فاضل، مسجد مولانا الإمام الذي تعشقه بمجرد دخوله، وكان ذلك عقب صلاة الجمعة، حيث جلست لألتقي مولانا

لأول مرة، ولا أبالغ عندما أقول شعرت أنني وجدت ضالتي وما تمنيته ودعوت الله به، منحة الله بعد سنوات عجاف، كل ما كنت أبحث عنه الشيخ العالم المربي والأب الذي تحبه بمجرد مشاهدته، شيء كهالة من النور تحيط به، تنقلك إلى عالم من الصفاء والسمو والحب، لا مكان لكراهية، لا حديث عن شيء سوى حب الله وحب سيدنا رسول الله ﷺ وآل بيته وسير الصالحين.

عرفت الحب في الطريق، حب شيخي، وحب إخواني وأخواتي في الطريق الذي يجمعنا مجالس الذكر، ومجالس الصلاة على سيدنا الحبيب وحب شيخنا وكل شيوخنا وأساتذتنا في الطريقة، عرفت كيف يكون الذكر رفيق وكيف تكون مسبحتي رفيقي الذي لا أتركه، تغير العالم بداخلي وحولي، على يد شيخي الحبيب بتتابع دروسه وحضورها ومشاهدة كنوزه المرئية والمسموعة، وعرفت كيف يشرق القلب بذكر الله، كيف يصبح الوقت أغلى عند الإنسان من هدره فيما لا يجدي ولا يفيد، فالدقائق التي تهدر دون فائدة نذكر فيها الله ونصلي على رسوله صلوات الله عليه.

تعلمت منه أن طريقنا مقيد بالكتاب والسنة ودون ذلك ليس طريقنا، تعلمت منه جميل القول والابتسامة، تعلمت منه أن أرتب يومي الصلاة وقراءة الأوراد ومجلس الصلاة على سيدنا النبي، أصبح كل ذلك أسلوب حياة، ليس من أجل إدراك غاية كما تعلمنا منه، ولكن حب لرب العالمين وسيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله، عرفت كيف يكون حبك للشيخ كنت أتعجب قبل ذلك عندما اقرأ ما يكتبه بعض المريدون عن شيخهم كنت أراه نوعا من المبالغة، ولكن منذ عرفت مولانا الإمام، عرفت كيف يكون حبك لشيخك الذي لم تختاره ولكنه اختيار الله لك، توفيق منه وهبة من هو وحده الذي يعلم متى يمنحك إياها، ومتى يكون استعدادك لقبولها.

الحمد لله الذي منحني العمر حتى أقابل شيخي ومعلمي مولانا نور الدين والدنيا سيدي علي جمعة.

صلاح الدين أسامة:

لم أكن أعرف مولانا الإمام العلامة نور الدين علي جمعة قبل توليه الإفتاء، فانتظرت لأشاهده في أول لقاء تلفزيوني له بعد توليه المنصب وقد ترك ذلك اللقاء أثرا طيبا لفضيلته في قلبي، إذ أن لمولانا حضور طاغي يمكِّنه من أن يملك قلوب وعقول كل من ينصت إليه، واستمرت متابعتي لفضيلته عبر هذا البرنامج الذي أصبح ضيفا مستمرا عليه ليزداد إعجابي بعلمه الغزير وكثرة اطلاعه ومعايشته للواقع إلى جانب سماحته واعتداله وخفة ظله، وكان أول لقاء حي بفضيلته عام 2005 خلال ندوة ألقاها بجامعة القاهرة، وكنت وقتها في الصف الأول في كلية التجارة، وقد ترك هذا اللقاء أثرا طيبا في قلوب الحاضرين ووجدت الابتسامة ترتسم على وجوه الجميع من طلاب وأعضاء هيئة تدريس إعجابا وحبا وتقديرا لفضيلته.

وازدادت متابعتي له ليزداد معها إعجابي وحبي له، وإدراكي أن مولانا ليس بشخص عادي بل هو يتحدث بنور الله فيخترق القلوب بطلاقة واندهاش ويأخذك إلى عالم آخر.

ولما كانت فضائل مولانا عديدة لا يمكن أن أحصيها، سوف أركز على أهم ما لاحظته، فبجانب علمه الواسع ودماثة خلقه وتسامحه وطيبة قلبه الذي لا يحمل حقدا لأحد ولا غِلا مع تقواه وخشيته من الله، نجد جوده وكرمه العظيم والذي نسمع الكثير عنه بالمصادفة والأمثلة على عطائه الواسع كثيرة جدا لو سردناها ما انتهينا،

وأشهد الله أن كل ما يقوم به مولانا من هذا الخير لا يقوم بالإعلان عنه ونكتشفه بالصدفة البحتة رغم أن شبهة المراءاة بعيدة تماما عن فضيلته.

ومن سمات شخصية فضيلته أيضا حبه الشديد لسيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فعلى الرغم مما يتميز به مولانا من الهيبة والوقار وقوة الشخصية إلا أنه سرعان ما نجد عيناه تدمعان إذا ذُكر سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رغما عن محاولاته كتمان ذلك الشعور بالانكسار والحنين، فما هذه الطاقة العظيمة من الحب والمنزلة الرفيعة التي وصل إليها مولانا ليبكي كلما سمع اسم سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فنسأل الله تعالى أن يبارك لنا في أنفاسه، ويديم علينا نوره، ويحفظه لنا.

سيدة حسن حسن:

كنت أميل إلى التصوف ولكن الخوف كان شديدا من الالتحاق بأي طريقة، وكذلك الحيرة، فقررت الذهاب إلى أمي ستنا زينب رضي الله عنها - وهي أمي - حتى أسألها وأعرف رأيها في هذا الأمر، وحكيت لها ما بداخلي، وكان ذلك يوم الخميس، فإذ بي يوم الجمعة مباشرة أسمع صوت مولانا عند ستنا يخطب الجمعة، فخرجت من المنزل ركضا مسرعة وجلست استمع إلى صوته، وكاد الجنون يصيبني، وعلمت أن ذلك إشارة وبشرة خير. ثم رأيته مناما في ذات اليوم جاءني طبطب على قلبي وجبر خاطري.

ثم رأيته بعدها مناما أيضا وهو جالس في اجتماع وكدت أصاب بالجنون وأحاول بكل الوسائل أن أدخل لحضرته، وبالفعل تمكنت من الدخول والوصول إلى حضرته، وجلست أمامه على الأرض، وخاطبته قائلة: أنا من بناتك .. أنا بنتك .. فمد

يديه الاثنين أمامي فقبلتهما وخرجت، فهم فضيلته بالخروج ومعه ثلاثة شيلان بثلاثة ألوان: ألقى بالأزرق، ثم الأحمر، ثم نظر إلي وقال لي: خدي انتي الأخضر، فألقاه إلى يدي، وهو مشرف علينا من مكان علوي، فوجدته سجادة صلاة خضراء من القطيفة، فحمدت الله تعالى.

أقول ذلك لأني متأكدة من أن اتصال وتواصل حضرته الباطني عالي جدا، فهو نور الدين والدنيا، ويتبسط مع كل الناس، وصاحب مواقف، وبفضله بعد غياب استطعنا السير بمسيرة صوفية في شارع عام، بكل ثقة وحرية وأمان.. يضاف إلى ذلك حرصه الشديد على كل شخص في الطريقة، فهو الأب وهو الشيخ، والحمد لله رب العالمين.

محمد طلعت الشاذلي:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على خير خلقه المصطفى ﷺ، أردت أن أكتب عن مولانا ولو شيء بسيط من مناقبه الكثيرة فاستفتحت بصلاة الفاتح والتمست الفتح والعون من الله بجاه رسول الله ﷺ فليس من السهل الكتابة عن مولانا فهو من هو .

هو: الشيخ المربي، والشيخ المجدد، الوارث المحمدي، غريق النور،

هو قطب مصر، وشاذلي العصر، وعالم الأولياء وولي العلماء،

هو الوالد طيب القلب ذكي الروح قبل كل شيء،

هو من علمنا الذكر والفكر والاستقامة على النهج القويم وسَلَّحنا بسلاح كتاب الله وسنة الصادق الأمين ﷺ، وقال لنا طريقنا هذا مبني على الكتاب والسنة، ولا دخول إلا خلف الرسول ﷺ ولا وصول إلا باتباع أبا البتول.

هو من جدد فينا حب النبي ﷺ حيث كان يكرر دائما: أحبوا النبي ﷺ وعلموا أولادكم حب النبي ﷺ.

علمنا ألا نحمل للدنيا همًا بقوله خليها على الله، وعلّمنا أن نحب كل شيء لأنه من خَلْقِ الله ومن أحب الله أحب خلقه، فعلمنا احترام الجميع حتى الجماد، وعلمنا إن لينا سند دنيا وآخرة هو رسول الله ﷺ.

زرع مولانا نور الدين في قلوبنا الاستقامة والصبر الذي يأتي من بعدهم النور والجبر، رضي الله عنه وأرضاه، فهو غريق النور، وليس من سمع كمن رأى نور مولانا يخترق القلوب والأرواح، الذي إذا نظرت له تمنيت لو يتوقف الزمان وإذا تبسم طار القلب فرحا، فهو من رجال الله أظهر الله على يديه الحق بعد ما عاداه خوارج العصر، ولكل خوارج عليّ، وجدد به الدين في الأرض وأضاء الله به قلوب الشباب بعد التشتت والتخبط، فهو إمام العصر الذي جدد الله به الدين في الأرض، وأضاء به قلوب الشباب بعد التشتت والتخبط، فهدى الله به القلوب وشرح به الصدور ونَوَّر به الأرواح بعدما اشتد ظلامها.

حفظه الله ونفعنا به دنيا وآخرة، وبارك في عمره وعمله وصحته ورفع قدره بين الأولياء وجعله بصحبة سيد الأنبياء.

وهذا ما كان من الفقير متحدثا بأضعف الحديث عن مولانا نور الدين فأرجو من حضرته التماس العذر، نخادمك بالجهل موصوف، وحضرتك بكثرة العلم والفتح معروف، رضي الله عنكم وأرضاكم سيدي أ.د. علي جمعة، وكل عام وحضرتك قمر حياتنا وحبيب قلوبنا.

كل عام وحضرتك تاج رؤوسنا وشيخنا، والحمد لله الذي جعلنا في زمانك، وجعلنا من أبنائك ورزقنا ذلك من غير حول منا ولا قوة.

هبة وفا:

أنا شخصيًا مش عارفه أعد إيه ولا إيه، كنت وأنا صغيرة نفسي أشوف مولانا الشعراوي وربنا مكتبهاش، ولما توفي تعلق قلبي بمولانا غريق النور علي جمعة، وكنت بتابعه وبحبه لله في الله بدون أسباب، وبدون مقابلة، وبدون معرفة شخصية، غير أني أحب أحاديثه بالتلفاز، ومرت الأيام والسنون وتزوجت وأنجبت، وهو في خلفية قلبي وأمام عيني وانشغلت كثيرا إلى أن تكتّلت عليّ المشاغل والمشاكل، ومررت بأصعب مرحلة وابتلاء في حياتي وفرقني القدر عن أغلى أحبائي وأصبحت وحيدة، وما أن وجدت صورة لشيخي (...) معه إلا وانتفض قلبي بين جنباته وأسرع نبضه، فطلبت صداقته لأجل عيون مولانا وأن أعرف ماصلته به، وكان أغلى يوم بحياتي، وكان فتحا ونصرا وجبرًا خاطر ونهاية ابتلاء ربما امتد لسبعة عشر سنة، وما أن زرته ودخلت الطريق وفي أول شهور لي، إلا وفَتح لي الله عوضا وخيرا ببركته .. بركة الطريق وبركة دعائه ونصيحته ورؤيته ووصاياه ورؤى كثيرة له تبشرني، ومن حينها وأنا تحولت من امرأة بائسة كثيرة الابتلاء تائهة، إلى امرأة هادئة، وصبورة، ومجبورة، وزاهدة في متاع تلك المغرورة، ومنبسطة الكف بالدعاء والصلاة النارية دوما على لساني، وأوراد الطريق وأسماء الله الحسني، فكان الحسن كله، وكان الجبر كله، وإلى الآن ما أن أقصر في وردي إلا ويأتيني واردي يحذرني وما أن أنشط إلا يبشرني، فيا رب أدمه نعمة في حياتي وكل أصحاب الطريق الذين هم خير صحبة وخير قلوب، وفاض نهر الخير بهم وعرفت أسرار عجاب وعالم كنت لا أتخيل وجوده، فهو جنتي قبل جنتي فلله الحمد عليك يامولانا.

أيمن الشواف:

أحمد الله على نعمة مولانا نور الدين والدنيا سيدي وشيخي د. علي جمعة، وأحمده أن أجاب دعائي (اللهم دلني على من يدلني عليك)، فالحمد لله رب العالمين.

علمني سيدي الشيخ د. علي ذكر الله حتى أدخَلَه في يومي بشكل مستمر محاولا التحقق بالقلب الضارع، صباحا ومساء لا ينقطع يومي من ذكر الله والحمد لله رب العالمين. علمني فضيلته حب الله، وحب النبي المصطفى والحبيب المجتبى ﷺ وأن الصلاة على حضرة الرسول هي مفتاح الوصول.

علمني رضي الله عنه أنه لا حول ولا قوة إلا بالله وأن الفاعل الحقيقي هو الله، وأنه لا يحدث في الكون إلا ما أراد، فأتحقق بمقام الرضا.

علمني فضيلته أن الرب رب والعبد عبد وهناك فارق بين المخلوق والخالق فأتحقق بمقام العبودية.

علمني فضيلته أن (هذا الأمر دين، فانظر عمن تأخذ دينك)، فابتعدت عن النابتة الخوارج.

علمني سيدي أن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق.

ومما أنعم الله به عليّ أن أخرجني من الاكتئاب بحبه وحب نبيه عن طريق سيدي الشيخ نور الدين رضي الله عنه.

هذا بعض مما تعلمته من سيدي وشيخي نور الدين والحمد لله رب العالمين.

حماد غريب:

بمنتهى الصراحة كنت أشعر في بداية الأمر وكأنه يقلد الشيخ الشعراوي خاصة عندما كنت أراه في التلفاز ولذلك لم يكن يجذبني حديثه إلى أن رأيته في المنام، وبعدها بفترة وجيزة كان اللقاء الأول مع مريدي الطريقة وكانت أول مرة أحضر للشيخ وأراه فتبدل الحال وتوالت بعد ذلك حضور اللقاءات لأنهل من علمه وأنواره وأتمنى أكون جواره دوما، نفعنا الله بعلومه في الدارين.

رحاب العطار:

سلام من القلب على من تمسك بنا، وأحبنا كما نحن عليه، وأتيحت له الفرصة لترك أيدينا، ورفض بل وأحكم قبضته بشدة ليزداد تمسكه بنا.

هو قدوتي بل قوتي بل مسندي، وإذا ذكرت خصاله من أي فضل أبتدي، جمع الحنان كغيمه في قلبه العذب الندى، من جاد لي من دون حد من بداية مولدي حسبي نعيما في حياتي أن هذا والدي.

آية جمال:

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:191]، هذا ما يحثنا عليه دائمًا شيخنا الإمام العلامة الدكتور على جمعة رضي الله عنه ونفعنا بعلومه آمين.

وكما يقول لنا دائمًا: الذكر والفكر هما جوهر السير في الطريق الى الله سبحانه وتعالى، ويذكر أن الطريق إلى الله مقيد بالكتاب والسنة ذاكرًا لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر:7]، في

تأكيد على السير وفق سُنة رسول الله ﷺ. وإذا جلست إلى مولانا الإمام العلامة الدكتور علي جمعة وتحدثت في أي مجال من مجالات الحياة يجيبك ويتبادل معك الحديث، ودائمًا لديه المعلومات الصحيحة السليمة في كافة المجالات ويعلمنا دائمًا ان الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان على هذه الأرض لنعمرها وأن عمارة الكون جزء من عبادة الله الواحد حيث تعمر الأرض بالعلم.

يساند مولانا أبناءه ويسير بهم في الطريق إلى الله عز وجل ولا يتوانى في الإجابة عن أي تساؤل أو استفسار مهما كان صغيرًا أو بسيطًا أو صعبًا، فدائمًا لديه الرد الوافي بالدليل والإسناد الصحيح، فيقدم النصح والإرشاد بقلب حاني وصدر رَحْب، لذلك يلقبه أبناءه بسلطان الشاذلية ورجل العصر وصاحب مصر. وهو أيضا يؤكد دائمًا على ضرورة الالتزام بما شرع الله ويقول (ملتفت لا يصل)، وأن (الاستقامة هي عين الكرامة)، في إشارة واضحة إلى أن السير إلى الله لا يحتاج الى كرامات تشتت وتشغل بال السائر عن طريقه.

سالي أنس:

كانت أول متابعتي لحضرة مولانا الإمام العلامة سيدي علي جمعة من خلال برنامج البيت بيتك، فأحببت طريقته البسيطة، وطريقة حضرته في توصيل المعلومة، وابتسامته الجميلة، وأكثر ما لفت انتباهي بكاء حضرته عند ذكر سيدنا النبي ﷺ، فبدأ انجذابي لحضرته وحبي الشديد له بعد سنين عديدة من متابعتي لحضرته ولا أعلم أنه شيخ مسند، ومن كبار مشايخ التصوف، كنت أرى فيه بشاشة وإشراقًا وجمالًا، وشعرت بأن حضرته مختلف عن مشايخ كثيرة نراها في الإعلام و بحثت عن فضيلته

وبرامجه وكتاباته، فتيقنت أنه وارث محمدي لا محالة، وشعرت بتقصيري الشديد وجهلي بالله وبسيدنا النبي، وبدأت محاولاتي للقرب من الله، وكنت لا أعلم طرقًا صوفية ولا الفرق بينها ولا مشايخها، ولكني أُحب مولانا وأرى أنه على خير وطريقه طريق النور، وقرأت منشورًا منقولًا عن مولانا أن من لا شيخ له فشيخه هو سيدنا النبي بشرط أن يصلي على سيدنا النبي لا يقل عن 1000 مرة يوميا ففعلتها، وفي أول يوم رأيت مولانا في الرؤيا نجلس وكأننا أصدقاء وفي الخلف حلقة ذكر، وأنا أسأل مولانا عنها وحضرته يُجيب ويضحك معي، وأشار لي على طريق قالي: امش فيه هتلاقي رزقك بعدها بأيام قليله جدا فاستطعت التواصل مع شيخي مقدم الطريقة الصديقية العلية (...)، وسمعت من مولانا علاجا للفتور في العبادات 1000 يا وارث بين المغرب والعشاء، ومن أول يوم التزمت بصلاتي ولا أفوت فرضا ببركة سيدي علي، وبمجرد رؤيتي لصورة سيدي علي بحس باضطراب في قلبي من شدة بهائه وهيبته، أرى في مولانا نور سيدنا النبي وجمال سيدنا النبي. **الفرق** بين أبناء ومحبي سيدي علي ومن يهاجم حضرته نحن رأينا نور وجمال سيدنا النبي في مولانا الإمام، وهم على أبصارهم غشاوة فلم يروا وهو نفس الفرق بين الصحابة مع جلال قدرهم وبين المشركين، فالصحابة رأوا نور النبوة وكمال سيد الخلق، والمشركين رأوا يتيم أبي طالب. **إجابة** مولانا على أي استفسار لي يسعدني سعادة بالغة حيث يخطف قلبي وتدمع عيني من شدة السعادة والفرح وهذا الإحساس زاد من استحضاري؛ لأن سيدنا النبي يرد علينا السلام ويستغفر لنا الله فزاد حبي وشوقي وعشقي لسيدنا النبي. **إن** مولانا الإمام العلامة حقا هو نور الدين والدنيا، وهو من عرفنا على سيدنا النبي ومن علمنا الحب ومن علمنا رقه القلب ومن عرفنا الطريق إلى الله ومن يأخذ بيدنا إلى الله ومن يُحسن تربيتنا. إن ميلادي

الحقيقي عندما اتصلت بسند سيدي علي لسيدنا النبي. ربنا يبارك ويمد في عمر مولانا ويمتعه بالصحة والعافية ويأخذ بيدنا ويُنير طريقنا.

دمت لنا عونا وسندا مولانا الدكتور علي جمعة.

صفية بنت شافعي (من ماليزيا):

الحمد لله، قد شرفني الله تعالى بأن يختارني بوصولي إلى بلاد مصر المحفوظة لأواصل دراستي في جامعة الأزهر الشريف. وقد كرمني الله تعالى وأشكر الله كثيرا بنعمته العظيمة، ليعرّفني على مولانا نور الدين والدنيا فضيلة الشيخ علي جمعة ويرزقني حضور مجالسه وسماع دروسه وأتلقى منه أثناء دراستي هناك، ولو كنتُ في حال نقيصة ومذنبة ولا أعرف كلمات العربية جيدا.

ومضى عام بعام وما زلتُ ملازمة أن أحضر درسا مع مولانا إذا وجدتُ فرصة. وكنتُ أحيانا في حال الحزن والشوق الى أسرتي في بلادي شوقا شديدا. ولما أحضر درسا مع مولانا وأستمع إلى كلامه في الذكر وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وحكاية عن الصحابة رضي الله عنهم، يذهب حزني وشوقي واستغرق في المحبة إليه الذي يرسلني إلى حقيقة الحب. تعلّمتُ من مولانا كيف نعيش في هذه الدنيا. وذكرتُ دعاء من مولانا الذي انبعثتُ به وأثّرت به قلبي، وهو (اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا). هذا الدعاء قد يعلمني من هو أنت سواء طالب العلم أو مالك الدولي أو أعضاء الحكومة، غنية أنت أو فقيرة لا تقع الدنيا في قلبك ولا تنشغل بها، بل خلي قلبك بالله، وهو القادر على كل شيء وهو مدبر عن أمورك في كل وقت وحين. والحمد لله الذي يرسلني إلى مولانا نور الدين ويعلمني بوسيلته حقيقة.

Dengan nama Allah yang Maha Pemurah lagi Maha Pengasihani, Selawat dan Salam keatas Junjungan Mulia dikalangan para Nabi dan Rasul,serta keatas Ahli keluarga Baginda dan para Sahabat.

Alhamdulillah,Allah swt telah kurniakan satu kemulian buat saya dengan keizinannya dapat saya menjejakkan kaki ke Bumi Mesir bagi menyambung pengajian saya di Universiti Al-Azhar Asy-Syarif.

Sesungguhnya adalah satu kemulian daripada Allah swt dan saya sangat bersyukur kepada Allah swt dengan nikmatNYA yang Agong dapat saya mengenali susuk tubuh yang sangat dihormati dan disegani. Beliau ialah Maulana Nuruddin waddunia AlFadhil Syeikh Ali Juma'ah.

Dan saya direzekikan lagi dapat menghadiri majlis-majlis ilmu Beliau,serta mendengar pengajian-pengajian Beliau dan bertalaqqi daripada Beliau.Walaupun dalam keadaan saya yang serba kekurangan pada ketika itu,yang penuh dengan dosa dan tidak memahami Bahasa Arab dengan baik.

Tahun berganti tahun,saya tetap menghadiri dan mengikuti kelas bersama Beliau sekiranya ada peluang.Adakalanya perasaan sedih dan rindu pada keluarga di Malaysia membuak-buak. Namun,tatkala menghadiri kelas Maulana,dan mendengar bicara Beliau dalam membacakan Zikir dan Hadith Saiduna Rasullullah

ﷺ،serta kisah para sahabat رضي الله عنهم،telah menghilangkan rasa sedih dan rindu saya.Bahkan saya telah tenggelam dalam lautan cinta kepada Beliau yang telah menghantar saya kepada hakikat cinta yang sebenar.

Dan saya masih ingat sepotong doa yang saya dengar dan pelajari daripada Maulana,yangmana doa itu telah menjentik hati saya dan memberi kesan yang mendalam pada hati saya.Doa itu ialah " Ya Allah,jadikanlah urusan dunia itu hanya pada tangan kami,dan janganlah KAU jadikan ia didalam hati kami ".

Doa ini telah mengajar saya bahawa siapapun kamu samada seorang pelajar,pemimpin negara atau anggota kerajaan sekalipun,kaya atau miskin janganlah kamu meletakkan dunia di hati kamu dan jangan disibukkan dengannya.Sebaliknya kosongkanlah hati kamu dengan Allah swt.Dan DIAlah yang Maha Berkuasa keatas setiap sesuatu.Dan DIAlah yang mengaturkan setiap urusan kamu pada setiap ketika.

Segala puji bagi Allah swt yang telah menghantarkan dan menemukan saya dengan Maulana Nuruddin,dan Allah swt telah mengajar saya melalui wasilah Maulana tentang hakikat cinta dan hakikat kehidupan dengan jalan ilmu dan zikir.

Sesungguhnya Maulana adalah individu yang sangat penting dan berpengaruh pada zaman ini kerana Beliau merupakan salah seorang ulama dan rujukan para ulama yang lain dalam masalah semasa yang berkaitan dengan agama.Maulana juga telah menulis pelbagai jenis kitab sebagai rujukan ummah dan bersandar kepadanya.Ini merupakan sumbangan dan pengorbanan Maulana dalam menyampaikan dakwah Islam kepada seluruh umat,dan hadiah yang istimewa untuk generasi semasa dan akan datang.

Saya berharap pada suatu masa akan datang,saya diberi peluang lagi oleh Allah swt untuk hadir dan duduk dalam majlis ilmu dan zikir bersama Maulana dengan hati yang ikhlas dan khusyu mengharapkan redha Allah swt.

Terima kasih diucapkan kepada Maulana,semoga Allah membalas segala kebaikan buat Maulana Nuruddin waddunia dengan segala kebaikan disisiNYA.

Saya memohon kepada Allah swt yang Maha Agong agar DIA menghimpunkan kita lagi bersama para kekasih yang lain di syurga firdausi yang tertinggi bersama dengan kekasihNYA Saiduna Rasulullahﷺ.

محمد نور الدين عزم (من ماليزيا):

من أكبر نعم الله عليّ في حياتي أن منّ الله عليّ بالجلوس في حلقات الدروس لسيدنا ومولانا الإمام نور الدين والدنيا علي جمعة حفظه الله تعالى وأخذ العلم منه ومن أبناه المشايخ الكرام. هذه النعمة العظيمة لا تُقَوّم بالدراهم ولا بالدنانير وأرجو الله تعالى يديم هذه النعمة - نعمة تلقي العلوم وفهم الدين الصحيح من مدرسة سيدنا ومولانا الإمام علي جمعة - أرجو الله أن يديمها لي ولأبنائه وإخواني طلبة العلم خصوصا من بلادي ماليزيا وللأمة الإسلامية في العالم جميعا.

كانت بداية معرفتي لاسم مولانا نورالدين قبيل سفري من ماليزيا إلى مصر للالتحاق بجامعة الأزهر الشريف في شهر سبتمبر سنة 2005. حيث أوصاني أستاذي بعدم الاكتفاء بدروسي الجامعية وحثني بالبحث عن حلقات العلم لمشايخ الأزهر التي تدرّس فيها كتب التراث خصوصا دروس مولانا الإمام نور الدين علي جمعة. لم أعرف شيئا عن مولانا الإمام قبل ذلك. أقول بصراحة بأن نحن معظم الماليزيين في ماليزيا لا نعرف عن مصر إلا الأزهر الشريف وشيخه الأكبر

وبعد وصولي إلى القاهرة في منتصف شهر سبتمبر عام 2005 حضرت الدروس في الجامعة وبدأت أبحث عن حلقات العلم في الجامع الأزهر. الحمد الله وجدت الدروس في الجامع الأزهر وحضرت بعضها ولكن لبعض الأسباب لم أحضر بعدُ لمجلس مولانا الإمام.

وبعد مرور حوالي تسعة أشهر من حضور الدروس الجامعية وبعض حلقات المشايخ في الجامع الأزهر ما زلت أشعر بأنني لم أجد بعدُ الدروس المناسبة للمبتدئين مثلي، وفي ذات ليلة أرى في المنام أن أحد العلماء ممن كنت أقتدي بهم جاءني وقال

(سأذهب بك إلى أعلم أهل الأرض)، (وأنا أذكر حتى الآن كلامه لأن هذه الرؤيا هي أول الرؤى المنامية أراها باللغة العربية). أتساءل في نفسي من هو هذا الرجل والشيخ يسوق السيارة وأنا في ورائه وعندما وصلنا فتحتُ باب السيارة فوجدت أن هذا أعلم أهل الأرض هو سيدنا ومولانا الإمام نور الدين والدنيا الشيخ علي جمعة حفظه الله. وبعد انتباهي من نومي أتساءل في نفسي ما هي علامة أو إشارة من هذه الرؤيا وازداد عزمي قوة للجلوس في دروس مولانا الإمام بعد تلك الرؤيا.

بعد بضعة أيام من تلك الرؤيا ذهبت إلى الجامع الأزهر لحضور الدرس فوجئتُ بوجود الإعلان عند باب رواق الأتراك. هذا الإعلان يتكلم عن أول دورة علمية صيفية ستقام في فترة الإجازة عام 2006 تحت رعاية فضيلة مفتي الديار المصرية الدكتور علي جمعة التي سيدرسون في تلك الدورة مشايخ من أبناء وتلامذة مولانا الأمام. وكم شعرت بالفرح بهذا الإعلان وقلت في نفسي لعل هذه الدورة هي المرادة من تلك الرؤيا وفرصة لي لآخذ العلم من مولانا الإمام من خلال أبنائه الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

عندما بدأت تلك الدورة، حضرت لفضيلة الشيخ (...) من تلاميذ مولانا، وكان يقرأ لنا في تلك الدورة مقدمة المجموع للإمام النووي رحمه الله، وشعرت بالراحة في قلبي والحمد لله وجدتُ المجلس المناسب لي في تلقي العلوم ومنذ ذلك اليوم لازمت دروسه وببركاته بدأت أحضر والتزم قدر إمكاني مجالس التفسير لسيدنا الإمام التي تقام في الأزهر ومسجد السلطان حسن. وبعد ذلك اليوم قويت الصلة في قلبي بمدرسة الإمام وازداد حبي وتقديري لفضيلة الإمام وأبنائه المشايخ. لم أكن مبالغا إن اعتبرت تلك الدورة الصيفية هي بداية حياتي الجديدة لأنها سبب في زيادة معرفتي واتصالي

بمدرسة مولانا الإمام الشيخ علي جمعة.

إن أكبر ما تعلّمت في حياتي من مولانا الإمام هو حب سيدنا رسول الله ﷺ. لقد غرس رضي الله عنه في قلوب الطلبة حب سيدنا رسول الله بأقواله وأحواله. كان رضي الله عنه عندما يتكلم عن سيدنا رسول الله ﷺ تدمع عيناه. وكان ذلك أغلب حاله. لاحظت ذلك في جلوسنا في دروسه. كثيرا ما يوصي بقراءة السيرة والشمائل وكثرة الصلاة على النبي ﷺ. وكان من كلامه المبارك (الذي بيننا وبينهم هو سيدنا رسول الله ﷺ).

ومن أهم ما استفدت وتعلمت من فضيلة مولانا الإمام وأبنائه المشايخ هو الفهم الصحيح لدين الله عز وجل عقيدة وفقها وتصوفا وذلك من خلال تعلّم علوم الدين بمناهجه الصحيحة من قراءة تراث الأمة ومعرفة كيفية الربط بينها وبين الواقع الذي نعيش فيه. لقد صحّح رضي الله عنه ما علق في أذهاننا من شبهات وفهم سقيم للدين من أمثال الجماعات الإرهابية والسلفيين وأيضا من أمثال الليبراليين والعلمانيين. هذا الفهم الصحيح للدين هي من أكبر نعم الله تعالى لنا المسلمين اليوم.

وذكرُ فضيلة مولانا الأمام لا يتسع لها المقام ولكنني أختم بذكر ما رأيت أنها من أهم فضيلة مولانا الإمام ألا وهي أبنائه وتلامذته المشايخ الكرام الذين تربّوا على يديه ثم هم بعد ذلك يواصلون المسيرة في تعليم الأمة ونشر الفهم الصحيح لدين الله. هذه الطبقة من المشايخ والعلماء التي تخرجت على يدي فضيلة الإمام في اعتقادي هي من أكبر كراماته رضي الله عنه. نفعنا الله وأمة الإسلام بمولانا الأمام وأبنائه ومدرسته وأدام الله لنا هذه النعمة ببركة سيدنا رسول الله ﷺ آمين.

Antara nikmat Allah yang terbesar dalam hidup saya adalah Allah S.W.T memberi taufiq dan peluang ke atas saya untuk dapat duduk di dalam halaqah-halaqah ilmu Sayyiduna dan Maulana Al-Imam Nuruddin wa Dunya Ali Jum'ah Hafizahullah dan mengambil ilmu dari beliau dan anak-anak murid beliau yang mulia. Nikmat yang amat besar ini tidak dapat dinilai dengan emas perak dan wang ringgit dan saya berharap dan memohon kepada Allah agar nikmat ini yakni nikmat bertalaqqi menuntut ilmu dari Madrasah Maulana Al-Imam Ali Jum'ah ini sentiasa dikekalkan dan berpanjangan buat saya, anak-anak dan keturunan saya juga buat saudara-saudara saya para penuntut ilmu khususnya dari negara saya Malaysia dan umat Islam diseluruh dunia umumnya.

Titik mula pengetahuan saya tentang nama Sayyiduna Al-Imam adalah beberapa ketika sebelum saya bermusafir menuntut ilmu ke Mesir untuk melanjutkan pelajaran ke Universiti Al-Azhar As-Syarif. Ketika itu sekitar September 2005 seorang guru saya telah berpesan kepada agar tidak berpada dengan hanya menghadiri kelas-kelas pengajian di Universiti sahaja. Beliau memberi galakan agar saya mencari halaqah-halaqah pengajian ilmu oleh para Masyayikh Al-Azhar yang mana di dalamnya diajarkan kitab-kitab

Turath khususnya pengajian oleh Maulana Al-Imam Nuruddin Ali Jum'ah Hafizahullah. Sebelum itu saya tidak pernah mendengar tentang nama beliau. Saya boleh menyatakan dengan jelas bahawa kebanyakan rakyat Malaysia tidak mengetahui tentang Mesir melainkan tentang Al-Azhar dan Syaikhul Azhar.

Selepas saya tiba di Kaherah pada pertengahan bulan September 2005, saya mula menghadiri pengajian di Universiti dan pada ketika itu juga saya mula mencari-cari kelas pengajian dan halaqah ilmu di Masjid Al-Azhar. Alhamdulillah syukur pada Allah saya menemui dan mendapati banyak pengajian di Masjid Al-Azhar oleh para masyayikhnya. Saya juga mula menghadiri sebahagian daripada pengajian yang dijalankan di Masjid Al-Azhar itu, akan tetapi atas beberapa sebab saya belum dapat menghadirkan diri ke majlis-majlis halaqah ilmu oleh Maulana Al-Imam.

Setelah berlalu hampir sembilan bulan berada di bumi Mesir dan menghadiri pengajian di Universiti dan halaqah ilmu bersama para masyayikh, saya masih merasakan bahawa saya belum menemui pengajian yang benar-benar cocok dan sesuai dengan tahap permulaan seperti saya. Pada masa itulah, saya bermimpi pada suatu malam bertemu dengan seorang ulamak yang mana

saya sering membaca kitab-kitab karangan beliau. Beliau telah datang kepada saya dan berkata "aku akan membawa engkau untuk bertemu dengan orang yang paling alim di atas muka bumi ini". Saya sangat mengingati lafaz yang beliau ucapkan kerana itulah kali pertama saya bermimpi dalam bahasa Arab. Saya tertanya-tanya dalam hati siapakah orang yang disebut sebagai orang yang paling alim di atas muka bumi ini. Ulamak yang datang dalam mimpi saya itu memandu kereta dan saya duduk di belakang beliau. Apabila sampai ke tempat yang dituju,sebaik sahaja pintu dibuka saya melihat orang dimaksudkan dengan orang yang paling alim di muka bumi ini adalah Sayyiduna Maulana Al-Imam Nuruddin Ali Jum'ah Hafizahullah. Apabila saya bangun dari tidur, saya tertanya-tanya apakah petanda dan maksud mimpi ini. Pada masa yang sama juga tekad dan keazaman saya untuk hadir dan duduk di dalam majlis dan halaqah ilmu oleh Maulana Al-Imam menjadi semakin kuat dan berkobar-kobar.

Selang beberapa hari dari mimpi tersebut, saya telah hadir seperti biasa ke Masjid Al-Azhar untuk menghadiri pengajian-pengajian yang telah saya ikuti dan saya telah dikejutkan dengan satu iklan yang diletak di hadapan Ruwaq Al-Atrak. Iklan yang

diletakkan itu menyebut tentang satu Daurah Ilmu yang bakal dijalankan pada cuti musim panas 2006 di Masjid Al-Azhar As-Syarif. Daurah Ilmu ini adalah dibawah seliaan khusus dan anjuran oleh Fadhilatul Imam Mufti Ad-Diyar Al-Misriyyah Prof Dr Ali Jum'ah yang mana pengajian-pengajian akan dipimpin oleh anak-anak murid kanan beliau hafizahumullah. Alangkah gembira hati saya apabila membaca iklan tersebut dan terlintas dalam hati saya bahawa mungkin inilah alamat dan petanda dari mimpi saya sebelum ini. Inilah peluang untuk saya mengambil ilmu dari Maulana Al-Imam melalui jalan anak-anak murid beliau yang mulia - semoga Allah meredhai mereka semua.

Sebaik sahaja Daurah tersebut bermula, saya mula menghadiri pengajian oleh salah seorang murid kepada Maulana Al-Imam. Beliau membaca pada ketika itu Muqaddimah bagi kitab Al-Majmuk Syarah Muhazzab oleh Al-Imam An-Nawawi rahimahullah. Saya mula merasai ketenangan dalam hati apabila mula mengikuti pengajian beliau. Segala puji bagi Allah saya sudah menemui majlis ilmu yang bersesuaian dengan tahap saya dan bermula pada hari itu saya terus melazimi pengajian-pengajian bersama beliau. Dengan berkat bimbingan beliau, saya telah dapat mula menghadiri dan

bermulazamah sekadar termampu akan majlis-majlis pengajian Tafsir Al-Qur'an oleh Maulana Al-Imam. Pengajian Tafsir tersebut pada ketika itu kebiasannya dijalankan di Masjid Al-Azhar dan Masjid Sultan Hassan. Bermula dari permulaan Daurah Musim Panas itulah ikatan hati saya dengan Madrasah Maulana Al-Imam Nuruddin Ali Jum'ah dan para muridnya menjadi semakin kuat. Tidaklah keterlaluan kiranya saya menyebut dan menganggap Daurah Musim Panas tersebut adalah permulaan baru dalam hidup saya kerana dengan sebab daurah tersebutlah saya mula mengenali dan ada hubungan dengan Madrasah Maulana Al-Imam.

Perkara yang paling besar dalam hidup saya yang saya dapat pelajari dari Maulana Al-Imam adalah cinta kepada Sayyiduna wa Habibuna Rasulillah ﷺ. Beliau telah menanam dalam hati kami para pelajar akan cinta terhadap Baginda melalui ucapan beliau juga hal keadaan beliau. Maulana Al-Imam setiap kali menyebut akan nama Sayyiduna ﷺ dan berbicara tentang Baginda pasti akan bergenang air mata beliau. Itulah kebiasaan kebanyakan keadaan beliau. Beliau sering berpesan kepada para pelajar untuk memperbanyakkan membaca Sirah dan Syamail Baginda. Beliau juga sering berpesan untuk memperbanyakkan selawat kepada

Baginda Nabi ﷺ. Antara ucapan beliau yang amat berkat adalah "..,perbezaan kita dengan mereka (yakni golongan yang menyeleweng) adalah Baginda Rasulullah ﷺ).

Antara perkara yang paling penting yang saya pelajari dari Maulana Al-Imam dan para murid beliau adalah faham yang sahih tentang agama Allah ini pada segenap bidangnya Aqidah, Fiqh dan Tasawuf. Kefahaman yang benar itu diambil melalui pengajian agama dengan mengikuti manhaj yang tepat dengan mempelajari kitab-kitab turath ummah dan memahami cara yang betul untuk menghubungkan apa yang terkandung dalam karya-karya turath ummah itu dengan realiti semasa alam yang kita hidup sekarang padanya. Maulana Al-Imam telah membetulkan segala syubuhat juga kefahaman pincang tentang agama yang telah melekat dalam minda kami yang disebarkan oleh aliran eksterimis semisal Salafiah juga seperti golongan liberal dan sekular. Faham ad-Deen dan Islam yang sahih ini adalah sebesar-besar nikmat Allah ke atas saya dan kita semua umat Islam hari ini.

Berbicara tentang Maulana Al-Imam sememangnya tidak akan cukup ruangnya akan tetapi saya ingin mengakhiri catatan saya dengan menyebut apa yang saya lihat dan percaya ianya

adalah kelebihan terbesar beliau. Kelebihan tersebut tidak lain dan tidak bukan adalah anak-anak murid beliau para masyayikh yang telah beliau didik dengan tangan beliau sendiri sehingga mereka pula keluar sebagai ilmuan dan pakar rujuk bagi ummah. Barisan masyayikh murid-murid beliau inilah yang menyambung perjalanan beliau untuk mendidik dan menyampaikan faham yang sahih terhadap Agama kita yang mulia ini. Lapisan generasi masyayikh ini yang mana mereka adalah keluaran Madrasah Al-Imam pada iktiqad saya adalah Karamah terbesar beliau radhiyaAllahu 'anhu.

Semoga Allah memberikan manfaat buat kita dan ummah seluruhnya dengan beliau, dengan anak-anak murid beliau dan dengan madrasah beliau. Dan semoga Allah mengekalkan dan memanjangkan akan nikmat ini dengan berkat kemuliaan junjungan besar kita Sayyiduna Rasulullah ﷺ Aamin.

حمزة صلاح الدين حسين مجبر (من ليبيا):

بدأ حبي للصوفية من مشاهدة شرح دروس الحكم العطائية للعلامة الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي، فلما عرفت أنه لابد للسالك في سبيل الله من شيخ مربي ترددت كثيرا بالرغم من تعدد الطرق الصوفية وكثرة المشايخ لم أجد قلبي، فالتجأت إلى الله تعالى بالدعاء والاستخارة، فقلت اللهم اختر لي الطريقة التي ترضها لي وأكرمني بالشيخ الذي يأخذ بيدي إليك. فسبحان الله، وبعد فترة وجيزة رأيت رؤيا بشارة وكانت هي السبب في دخولي للطريقة الصديقية الشاذلية ومعرفة مولانا بالرغم أني لم ألتق مولانا إلى الآن باختصار الرؤيا: سمعت صوتا كأن أحد يخاطبني، ولكن لم أر شيئا قال لي امش للشيخ الدكتور علي جمعة فقلت له لماذا قال لي أنت تريد شيخ للطريقة عايش موجود لكي تتصل به. فلاحت لي صورة مولانا وهو جالس وعليه الوقار والسكينة فاستراح قلبي بعدها قمت بالبحث عن كيفية التواصل فوفقني الله بأن سهل علي الدخول في هذه الطريقة عن طريق وسائل الاتصال الحديثة (الفيسبوك) من قبل الشيخ (....) وهو أحد أبنائه المقدمين المباركين للطريقة الصديقية. فبدأت أشاهد وأسمع كلام مولانا في معظم دروسه وبرامجه وخاصة الدروس الصديقية الشاذلية فبفضل الله تعالى ومَنِّه رأيت مولانا في أكثر من رؤيا وكأنه يعرفني فدمعت عيناي فرحا وازداد حبي له وتعلقت روحي به فصرت كلما انظر إلى صوره، أر من ورائه السلسلة المباركة المتصلة بسيد الخلق أجمعين محمد ﷺ. وكما يحب أن يقول مولانا دايب دوب. أسأل الله العظيم أن يجمعني بك قريبا شيخي وتاج رأسي من فوق. أحبكم في الله، وختاما أقول:

حبكم في القلب ساكن من قبل أن نلقاكم فكيف إذا لقيناكم وهامت العين برؤياكم وطربت الروح بسماعكم لعمري ما نسيناكم.

خديجة الشاذلية:

مولانا الإمام الذي يجد عنده كل محتاج من العلم ما يقتنع به عقله ومن الرقائق والتوجيهات ما يملك عليه قلبه وكلّ هذا يولّد فيه سكينةً تجعله يحيا لله وبالله ولا يلتفت إلى ما سواه، فهو اقتناع العقل مع سكينة القلب حيث تغدو الروح آمنة مطمئنة، وكيف لا يكون ذلك وفي حضرته اتصال العين والقلب بسيّدنا رسول الله بالسند المتصل. قصدتُ حضرته في العلوم الشرعية فوجدت سؤلي، في الفقه وأصوله، في التفسير والحديث والعقيدة، في السيرة وفقهها. كل قسم من هذه الأقسام قد اندرج تحته فيض من الدروس والمجالس العلمية من تلك التي أحياها فضيلته في الأزهر الشريف وفي غيره، وعدد ليس بالقليل من المحاضرات والمقالات واللقاءات التي اعتمد فيها فضيلته أسلوب التوضيح والتبيين السهل على المتعلم ومع تلك العلوم الشرعية ستجد سلسلة من البرامج واللقاءات التي اتخذت من أصول التفكير المستقيم موضوعاً لها، وما أروعها وأغناها من سلسلة (وقال الإمام - مكونات العقل المسلم - درجات المعرفة - مكتبة المفتي) وسيصادفك في تلك البرامج ما تنبهر عند سماعه من ذكرٍ لمسائل دقيقة جدا من العلوم الكونية والتي لا يحيط بها إلا متخصص في ذلك الفن أصلا! فتتساءل: إلى أي مدى من بحر العلم وصل مركب فضيلته؟! وإذا ما قصدت باب الأخلاق والتزكية: فمن مثل مولانا شرح الحكم العطائية؟ أو من مثل حضرته في تلك البرامج التي شرح فيها بالتفصيل دقائق التصوف وعلاقة المريد بشيخه فأزال كل الأوهام وقضى على تلك الأكاذيب التي كانت تنسب إلى هذا القسم الجليل من الدين (شرح منازل السائرين - رب لترضى - الدروس الشاذلية - طريقنا إلى الله) لقد اكتفيت بذكر هذه العناوين لأعمال فضيلته كأمثلة، ولو قصد الراغب وبحث لوجد

الكثير معها، وسأبتعد عن وصفي للمشاعر ولمكانة فضيلته في قلب أحبابه، وذلك لأنّ هذه الحروف أضعف بكثير من القدرة على التعبير عن تلك العوالم التي يطوف فيها المحبون وهم يرددون: الله مقصود الله، ومن ذاق عرف ومن عرف اغترف.

عبير علي:

عن مولانا أتحدث:

في بداية الأمر لم أكن أحبه، وما كنت أعلم أن حضرته صوفيا إلا أني كنت أحب الصوفية من بعيد لبعيد، وطلبت من صديقتي التيجانية أن أحضر درسها مع شيخها، فقال لها أن أواظب على صلاة الفاتح عشرة مرات يوميا إلى أن يتبين الأمر، ولكني لم أستطع المداومة، فعلمت أنه ليس طريقي، وقصصت الموضوع على صديقة قريبة من مولانا، فأرشدتني إلى طريقته، فقلت لها سأستخير ووجدت قلبي يميل إلى أخذ الورد، إلى أن جاءت مقابلة مع مولانا.

وكان يلقي درسا في فاضل فوجدت وجهه غريق بالأنوار فقلت لعلها أضواء التصوير فنظرت على من يجلس بجواره فوجدته شخصا عاديا فقلت في نفسي إنها أنوارا تشع من وجه مولانا وليست الأنوار معنوية كما كنت أظنها او أظن أنها تعبير مجازي أن يقال فلان وشه منور، ولكنه كان شيئا حسيا منظورا وملموسا

وعندما تقابلنا مع مولانا وجدت قلبي يكاد يخرج من بين أضلعي فعلمت وقتها قدر وهيبة وعظمة من أقف أمامه وتوالت اللقاءات وعلمت وتأكدت أن حضرته يحمل من مشكاة سيدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحب والعطف والحنية واللين والإحتواء والتشجيع والتطبيب وسعة الفكر والرأي والتفتح فحضرته أكاديمية تمشي

على الأرض ولديه مستويات جمة في توصيل المعلومة فيحاور الطفل والشاب والكهل ويمكنه أن يشرح أعقد المسائل بيسر وسهولة.

حفظ الله مولانا نور الدين وأمدنا بمدده.

هاجر أحمد علي:

مولانا الأستاذ الدكتور علي جمعة، مَن عَلَّمَنَا الحب وأنار به القلوب من أخرجنا من الجهل إلي العلم والنور ومعرفه الحقيقة.

نفديك بأرواحنا يا سيدي يا نور الدين.

يعجز اللسان عن وصف فضيلتك فأنت إمام الأئمة وأنت بدر التتمة سيد العصر ومدد مصر يا سيدي يا نور الدين.

وهذه بداية طريقي إلي الله، ففي عام 2019م ذهبت إلى مولانا الإمام وطلبت من فضيلته أن يعطيني الورد، وأن يكون شيخي في الطريق إلي الله فوافق فضيلته وأعطاني الورد وكانت نصيحة فضيلته الأولي لي أن أستمر دائما في أورادي حتى لو انقطعت أعود مرة أخرى وأستمر.

وبعد فترة ذهبت إلى فضيلته مرة أخرى وقلت له يا سيدي يهاجمني الكثير ويريدون أن يشككوني في الطريق وفي أورادي وفي منهجي الأزهري الأشعري، فقال لي: يا بنيتي الورد هذا شيء بينك وبين الله لا بينك وبين الناس فكلامهم لا يعني لكِ شيء ولا تجعلي كلامهم يؤثر عليكِ وعلى استمرارك في الأوراد.

ثم سألني بالنسبه للأزهر قال لي هل منهج الأزهر منهج حديث؟ قلت له لا قال

لي فكيف أشك به وهو منهج أهل السنة والجماعه وأصدق من يأتون بمناهج جديدة مؤلفة لا أصل لها في الدين.

أدامك الله لنا سيدي خير أب وخير معلم وخير شيخ حفظك الله سيدي ونفعنا بعلومك في الدارين.

يارا عبيد:

على شط المعاني وقفت عاجز .. رجوت الله في سري لابحر
وقلت يارب بالامام سيدي نور الدين .. من بحر الشعر امددني ببيت
فجاءتني المعاني تقول شعرا .. في وصف امام العصر تفيض حبا
غريق النور يا سيدي وسندي .. وَهَبْت النور مصر والبلاد
رضيت الله واكرمت العباد .. نظرت لتلاميذ صغار
فصاروا بسر نظرتك ائمه كبار .. بنيت مدرسة في مصر تنير
وصار فاضل منارة للعلم .. وان عجز الشعر عن البيان
وإن عجز القلب عن إظهار من فضل الإمام .. فيارب وكلتك كي تجازي خيرا إماما عن خير أمة

لا أملك إلا عجزي وبعض الكلمات التي توفي وتكفي فكيف تبوح المعاني عن قدر الإمام؟!! وكيف تصف الألسن والقلوب الجمال والجلال؟!! وماذا أقول عن قطب الزمان؟!!

فيا سيدي وسندي وقطب الأقطاب كيف أصف ذاك الحنان؟! وأنا ما رأيت مشكله لاحت أمامي إلا ووجدتك أمامي يا إمامي، أصف لك ما بي، فأجد الحل عندك وكلمة لا تخافي منك سيدي رضي الله عنك تهدىء البال، أراك أبي في منامي

فاستيقظ ونفسي قد زارت الجنان، وإن نمت على هَمّ قرأت الفاتحه لك أبي وسيدي وشيخي، ففورا يذهب ما بي من آلامي وإن رجوت شيئا توسلت بالحبيب رسول الله ﷺ وبك سيدي، فيجيبني الله في راحه وسلام وإن أرسلت إليك رسالة بسؤال أو بحكي وفضفضة حتي أجدني أبدءها دوما قائله أبويا وسيدي وشيخي فالحمد لله علي ما من الله به علينا من فضل ومن مدد يا أبو البنات وحبيب الرحمن وإن اختلفت مع عائلتي في أمر يعتريني كعريس يأتيني نحتكم إليك راضيين وأرضى بحكمك يا أبي وسيدي وسندي وإن رأيت رسول الله في منامي أرسلت إليك رسالتي مسرعة فرحه فتبشرني قائلا خير أو تصف وتفسر لي المنام يا أبي قبل أبي و يا سيدي وشيخي ماذا أقول في خاتمة كلامي، غير أني ادعو الله دوما أن يجازيك سيدي بما عنده، فأنت المدد سيدي ودمت السند لنا نحن أبناؤك مريديك وختاما الفاتحه إليك على الله يختم لنا بالحشر معك يوم القيامة ويرحمنا بك يا أبي وسندي.

رابعا: كلمات محبي مولانا وبعض أبناء الطرق الصوفية الأخرى:

ونوردها مرتبة أبجديا في غير تفضيل لواحد على الآخر، وفي غير قيد على ما تم تسطيره، فقط تصرف يسير جدا في الضبط اللغوي.

محمد عطية الخالدي[1]:

سيدي المربي الدكتور علي جمعة محمد لم أره يدعو إلى طريقة، وإنما أقام بنيان كل من اقترب منه .. همُّه الأمة كلها .. أصلح بداخلي بين الروحانية وبين المادية، ووضع رجلي في طريق الإنسانية .. قلب معلق بمولاه، ويد تسعى في الإعمار .. لا يدعو لذاته، ولم يرسم صورة ملائكية لنفسه، بل كان واقعيا ابن وقته .. سد كل الأبواب للتعلق به، وأخذ بيد من رافقه للتعلق به سبحانه.

تخطى بنا كثيرا من أوهام وعثرات السالك في الطريق، ودائما يدلنا على المعيار النبوي .. لم أخرج من مجلسه إلا وقد أروى ظمئي من الروحانية المحاطة بالواقعية، وقد استطاع أيضا أن يغذي عقلي وفكري.

لم أتعلم منه الذكر وحسب، بل علمني كيف أفكر حتى إنه عند عرض أي موضوع استحضره في روحي ويظهر فكر الشيخ المربي للتعامل مع المواقف بواقعية.

جعل مني طفلا أمام بعض المواقف، وأسدا في الأخرى.

هذه بداية لعصيفور يرتوي من بحر على قدري.

---

(1) نجل الشيخ عطية الخالدي نائب الطريقة البرهامية الشهاوية الخلوتية بالبحيرة.

محمود جمال[1]:

الحمد لله أن اختص كل زمان بعلماء هم أنجم الهداية لمن وفق إلى النجاة من بحر تلاطمت أمواجه من فتن ومضلاتها، وخص من بينهم درة فريدة في هذا العقد المنظوم، وهو منهم بمثابة القمر بين النجوم، أو الشمس في رابعة النهار، أعني سيدي ومولاي الإمام العلامة الشيخ د. علي جمعة.

وقد رأيت أنواره بعيني لما جالست حضرته من غير ترتيب، فقد دعاني أحد الأحبة من تلاميذ الإمام أن أقابل مولانا في الأزهر الشريف، فذهبت وقابلته، وسعدت برؤياه، ثم أخذ بيدي إلى الإمام بعد خطبة الجمعة، وكان درسا لمولانا في تفسير سورة الأنعام، فجلست بين الحضور ولم يفصل بيني وبين الإمام إلا مسافة ما يجلس اثنان أو ثلاثة تقريبا، وكنت في المواجهة، ورأيت أنوارا تتلألأ على مُحيَّاه، وبسمة لا تفارق شفتاه، وكان يعطي كل جالس من نظره كأنه ينظر له هو، وكان من نظر فضيلته لي وبسمته أن استشعرت كأن أنامله قد اخترقت ضلوع صدري، ومست قلبي تقليبا، كالأب يحنو على ولده، وكأنه يعرفني.

كان هذا أثر النظر، بل لو قلت إن جل نظر فضيلته لي ما كذبت! رغم أن كل جالس نال حظه من النظر.

كنت منتشيا من أثر النظرة، ولها حلاوة في القلب وجمال وبهاء.

إنه الإمام العلامة سيدي د. علي جمعة.

---

(1) محمود جمال الدماطي الخطيبي الشاذلي من أبناء الشيخ محمد خليل الخطيب.

محمد رضا السنوسي الشرقاوى[1]:

كنت متحيرا كيف أكتب، وماذا أكتب، فالقلم يعجز عن التعبير، ومن فضل الله تعالى أن هاتفا أيقظني وقال لي اكتب، فكان الآتي:

فضيلة مولانا الإمام العلامة نورالدين والدنيا علي أبو الحسن جمعة الشاذلي (حفظه الله) لو كتبنا في حقه كتبا مليئة بحبر من الماس والله لن نوفي قدره العظيم الكبير إنه رضي الله عنه ظل طوال حياته مجاهدا في سبيل الله من أجل رفع كلمة الحق ونشر السماحة والإسلام الوسطى ومواجهة الآراء الفاسدة التي تسيء إلى الإسلام والمسلمين وضرب أفواه الفئات الضالة والمنحرفة وخوارج العصر وأعداء الدين وأصحاب العقائد الفاسدة في الداخل والخارج وبفضله ومدده ونوره أضاء الله به قلوب العباد، وزاد حب النبي في البلاد فهو رمز المحبة وتعلمنا منه كيف يكون حب الوطن، فهو رمز الوطنية رضي الله عنه ونفعنا الله به وبمدده وبعلمه في الدارين آمين، هو حامي الدين حقا وليس له مثال، فاللهم نور قلوبنا واسماعنا وأبصارنا بمدد مولانا نور الدين.

وفي ختام كلمتي يطيب لي أن أقص واحدة من الرؤى المباركة التي منّ الله تعالى على قلبي بها، حيث بدأت بسيدي أبي الحسن الشاذلي أنه دخل مسجد فاضل وجلس الأحباب حوله، والكل يقول: مدد ياشاذِلي .. مدد يا شاذلي، فإذا به يقول بدل متتعبوا نفسكو قولوا: (يا نور الدين نظره)، وإذ بسيدنا رسول الله ﷺ يدخل ويخطب ويقول من جاء فاضل ليرى (نور نورالدين) فهو في أمان.

---

(1) من أبناء الطريقة العزمية الشاذلية.

خامسا: كلمات من مشاهير العالم مسلمين وغير مسلمين:

(تم جمعها من مصادر متعددة):

* د. وليد الأنصاري، أستاذ الدراسات الإسلامية، أمريكا:

What strikes me most about Sheikh Aly as his son in law is his incredible generosity. He is very generous to me and to all his family and I am very grateful to him for that. In addition, what I have learned from him most is really how to apply all the Islamic principles that we hear about, and how he applies them in such a beautiful way, and makes it concrete and gives us a real example for all of us to follow. It is very inspiring. Moreover, of course every time I come I usually come to Egypt during the summers because we have our break in the university. During that, period and every summer that I come I learn incredible things from him that actually I am able to go back and publish on articles in the United States. Therefore, it is that very much a spiritual education when I am with him as well as intellectual education. I hope to take some of the lessons that I heard from Sheikh Aly back to the American Muslim community.

أكثر ما يجذبني بشدة في الشيخ علي كزوج لأحد بناته هو كرمه الشديد. فقد كان كريما غاية الكرم معي وبالطبع معنا جميعا، وأنا أشعر بامتنان بالغ نحوه لقاء ذلك الكرم. وأهم شيء تعلمته منه هو كيفية تطبيق المبادئ الإسلامية التي سمعنا عنها، فقد طبقها على نحو ملموس ورائع، وهو يعطينا مثالا واقعيا نسير عليه ونستلهم منه. وأنا أتي إلى مصر كل صيف حيث تكون إجازة الجامعة السنوية، وكلما أتيت إلى مصر نهلت من معين علمه الكثير ثم أعود إلى الولايات المتحدة وأضمن ما تعلمته في مقالات أنشرها هناك، إذن فهي استفادة روحية وفكرية، وأتمنى أن أنقل بعض ما تعلمته منه إلى المجتمع الأمريكي المسلم.

* الكاردينال ميكاريك، كاردينال الكنيسة الكاثوليكية بواشنطن، أمريكا:

I am delighted to have a chance to say a word about dear friend His Eminence the Grand Mufti of Egypt Sheikh Aly Gomaa'. I have had the privilege to being in his presence in a number of occasions because we worked together on the executive of the C 1 Group for Interreligious Dialogue, a very important work in the world today, important for the Christian community, for the West and important I believe also for Islam. Islam has made many tremendous contributions to Interreligious dialogue, and so many of them I have been touched by very thoughtful and gracious presence of Aly Gomaa'. He has become a friend of all of us as a wise man, as a courageous man, and as a man who really truly

believes in the need of us talking together and working together in the Interreligious dialogue.

Finally, I think that he brings as to say wonderful openness to the world. He is a very faithful son to Islam in every way, but he is also a man who understands our concerns, our needs, our difficulties as being not members the family of Islam, work together as to find the "common word" as we say in the document, and to find a way of working together. Working together for greater understanding, for greater tolerance, for greater peace. It is a man like the Mufti of Egypt as the constant of this endeavour, which we are involved so much today and which is so important for the future, for peace in the world especially for peace in the Middle East. All these areas that need great willingness to work together with man like Aly Gomaa' we are able to work together in a beautiful way and I'm so pleased that I had the chance to be part of the team which he and the other of the entire Abrahamic family work together.

لكم أنا سعيد أن أتيحت لي الفرصة للحديث عن صديقي العزيز فضيلة مفتي مصر علي جمعة، فقد شرفت بالتواجد في حضوره في مناسبات عدة لأننا نعمل سويا في الهيئة التنفيذية للمجلس العالمي للحوار بين الأديان، وهو جهد في غاية الأهمية في عالم اليوم، هام للمجتمع المسيحي وللغرب، وأعتقد أنه مهم كذلك للإسلام. لقد قدم الطرف

الإسلامي إسهامات كبيرة في الحوار، وكان لحضور علي جمعة المثمر والبناء لمشاركته على العديد من تلك الإسهامات لقد صار صديقا لنا جميعا، فهو رجل يتسم بالحكمة والشجاعة، ويؤمن إيمانا راسخا بحاجتنا للحديث معا والعمل معا في الحوار بين الأديان.

أعتقد أنه يملأ الدنيا بعقليته المتفتحة الرائعة، فهو ابن الإسلام المخلص بما تحمله الكلمة من معنى، لكنه أيضا رجل يفهم اهتماماتنا واحتياجاتنا والمصاعب التي تواجهنا باعتبارنا غير مسلمين نعمل معا للبحث عن -الكلمة السواء- على حد وصف الوثيقة، وعن طريقة نعمل وفقها معا رغبة في تحقيق درجة أكبر من التفاهم والسلام والتسامح. ورجال كمفتي مصر هم بمثابة حجر الزاوية في هذا المسعى الذي نجهد جهدنا من أجله اليوم، وهو أمر في غاية الأهمية بالنسبة للمستقبل والسلام في العالم وفي الشرق الأوسط بصفة خاصة، وكل هذه البقاع التي تحتاج إلى مزيد من التفاهم والشجاعة والاستعداد للعمل المشترك مع رجل مثل علي جمعة تستطيع العمل المشترك على نحو في غاية الروعة، ويسعدني أني كنت واحدا من الفريق الذي عمل هو فيه وغيره من أتباع الديانات الإبراهيمية معا.

* كلمة المطران ريتشارد تشارترز، بريطانيا:

It is a great privilege to be able to contribute to this program about the work of the Grand Mufti. I have had many opportunities to work with him in Cairo and the United States. He has always been an extraordinary ambassador, very loyal to his own religious calling and tradition, an ambassador for Egyptian culture generally and yet with the ability to make relationships and to enter into

dialogue in a creative positive way with people from other cultures. It really is a very remarkable gift that the Grand Mufti has.

إنها فرصة عظيمة أن أشارك في هذا العمل عن جهود فضيلة المفتي. لقد أتيحت أمامي العديد من الفرص للعمل معه سواء في القاهرة أو الولايات المتحدة، وقد كان نعم السفير المتمسك بدينه وتقاليده كما كان سفيرا للثقافة المصرية على وجه العموم، وفي الوقت ذاته يقيم العلاقات ويدخل في حوارات إبداعية إيجابية مع أصحاب الثقافات الأخرى وهذه ميزة كبرى من مزايا فضيلة المفتي.

*** كلمة د. دافيد فورد، أستاذ ورئيس قسم الدراسات الدينية، جامعة كامبريدج، بريطانيا:**

Dr. Aly Gomaa' came to Cambridge and I remember having a good deal of time with him then talking about many things and being immensely grateful for his contributions to both in public and behind the scenes to the discussions that produce such a valuable communicate not least emphasizing how important the Scriptures of Christianity and the Qur'an are for the engagement between the two faiths, and when he did the final press conference in Lampas palace with Rowan William, the Archbishop of Canterbury. I have been thinking how the two together had come to a remarkable agreement in not just the content of what we intent to common communicate but also in the tone, in generosity of it.

لقد أتى د. علي جمعة لكامبريدج وأذكر أني أمضيت معه قدرا طيبا من الوقت حينئذ وأنا ممتن له غاية الامتنان لما قام به من إسهامات ظهر بعضها وخفي البعض الآخر في الحوارات التي غالبا ما ينتج عنها مثل هذا التواصل القيم ليس أقلها التأكيد على أهمية النصوص المسيحية والقرآن في الربط بين أتباع الديانتين. وأذكر يوم انعقد المؤتمر الصحفي النهائي في قصر لامباس مع روان ويليامز كبير أساقفة كانتربرى، حيث خطر ببالي كيف أنهما قد توصلا إلى اتقان جيد ليس فقط من حيث مضمونه ولكن من حيث نبرته ونبله.

*** الدكتور ستيف كيلالا رئيس مركز دراسات السلام والاقتصاد بأستراليا:**

إن الشيخ علي جمعة كرّس نفسه للصالح العام، ليس للمسلمين فحسب، ولكن لجميع الإنسانية بما يجعله يمثل وجهة مشرفة للعالم الإسلامي لسعيه الدؤوب لتوضيح منهجية السلام الذي يمثل الفكرة الأساسية في الدين الإسلامي ، وأن السواد الأعظم من المسلمين البالغ عددهم مليار ونصف المليار محبون للسلام، علاوة على تحذيره في كافة المنتديات الغربية من خطورة الاعتماد على تفسيرات مشوهة ومحرفة لا أصل لها في الدين الإسلامي، مؤكدًا أن هذا يعد اعترافًا وتقديرًا لدوره الفاعل، وجهوده المؤسسية الكبيرة في نشر التسامح والتفاهم بين الشرق والغرب، والأديان على مستوى العالم. وأشار إلى أن الدكتور علي جمعة قيادة دينية لها قبول في العالم أجمع، ويملك قدرات وإمكانيات هائلة للتواصل مع العالم.

سادسا: مستخلص الكلمات الدالة مستل من الكتاب التذكاري:

صدر في أوائل عام 2020م الموافق لعام 1441هـ إصدارا تذكاريا يحتوي على مقالات وكلمات لأكثر من خمسين شخصية عالمية من كافة دول وقارات العالم بمناسبة بلوغ فضيلته عامه السبعين من عمره المبارك بالتقويم الهجري، اجتمعت كلماتهم على الحب والرحمة، يجاورهما العلم والصبر، والرؤية الثاقبة، والمنهج القويم، تشرف المؤلف بأن يكون واحدا من الذين قاموا بإعداد هذا الإصدار التذكاري، ومن ثم يجمع تلخيص أهم ما ورد عن فضيلة مولانا الإمام العلامة في النقاط التالية:

مفتي زمانه – الحصن الحصين من الانخراط مع أي من الفرق الإسلامية المختلفة المتشددة – صاحب مدرسة ألبسها ثوب العالمية - أعاد لدار الإفتاء المصرية مجدها - يحسن غاية الإحسان - يربي إلى منتهى ما تكون التربية - الوالد المربي، والشيخ المعلم - بنى المؤسسات، وأسس المشاريع العلمية، وأصدر الموسوعات - نشر العلم والطريق – العالم المربي الذي أقامه الله في نفع الناس - لا تجالسه وإلا وتباشر محبته قلبك، وتسري إلى روحك، وتأخذ بأركانك - لا يدري سوى الله وحده كم من محب لمولانا الإمام العارف في بقاع الأرض شرقا وغربا، ولله الحمد والمنة – له رسوخ واضح في العلم - علمنا الموضوعية والحياد العلمي والخروج عن الذات عند النقد العلمي - قام بواجب وقته حق القيام، وظهرت عليه الأحوال من آفاق الوجود، وقام لله تعالى بحق الشهود، واستولى ذكر الحق عليه، فلا يرجع إلا لله، ولا يشهد سواه - أقامه الله في عباده إقامة آتاه رَحْمَةً مِنْ عِنْده وَعَلَّمَهُ مِنْ لَدُنه عِلْمًا - رزقه الله رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا - النجم الأغر والجبل الأشم والطود الشامخ - مفتاح شخصيته الإخلاص لله تعالى والتوكل عليه في كل ما يقول وكل ما يعمل وما يأتي وما يذر،

والخروج عن رؤية النفس وعدم الالتفات إلى السوى، والاعتصام بلا حول ولا قوة إلا بالله حتى صارت منهج حياة يعيش بها ولها ويربي أتباعه عليها، فاصطفاه الله تعالى لمرتبة كبيرة من مراتب الوراثة المحمدية والولاية الربانية، لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى - علامة فارقة في تاريخنا المعاصر: في الأزهر الشريف، ودار الإفتاء، وتاريخ التصوف المعاصر، والدعوة والتربية، والحياة الاجتماعية والخيرية، وأيام الفتن - جدد معالم التصوف - اجتمعت في قلبه الشريف روافد عدة من أنوار الولاية الصوفية، واتحدت في ذاته المباركة أسرار لا متناهية من الوراثة المحمدية - صاحب الحوزة الأزهرية التي أحدثت تغيرا واضحا في حياتنا الفكرية المعاصرة وناهضت الأفكار المتشددة، وغيرت كثيرًا من المفاهيم المغلوطة، وحرَّكت المياه الراكدة، وأحيت الهمم - توظيف التراث في خدمة الواقع - أعاد صياغة العقول وترتيبها وتهذيب النفوس وإصلاحها - عالم موسوعي فريد ذو شخصية ثرية مباركة - الوالد الحنون الذي يرعى أولاده، ويتتبع شؤونهم وأحوالهم، ويحمل همومهم ويساعد في حل مشاكلهم المالية والاجتماعية والأسرية - ما تحرر من كلمات إنما هي على قدر الكاتب وليس على قدر الشيخ - البحر الخضم الذي ليس له ساحل في شتى العلوم الشرعية والكونية - صاحب الحنان والعطف وسعة الصدر - تجسدت فيه المثل العليا في صورة آدمية نورانية - لم يدعو قط لنفسه - مثال حي للتفاني في العمل والإخلاص - يداعب تلاميذه برقة - عَلَم من أعلام الإسلام، ونبيل من نبلائها، وسيد من ساداتها - معين لا ينضب ودائم التدفق يغمر الخاص والعام بمنافع الله بها عليم - حب الله ورسول الله هو السر في قوة شخصية الإمام العلامة - يسير في هذا العالم بالود والمحبة والشفقة والصبر والاحترام والتعاون والابتسام والإتقان والإحسان والإخلاص - عالم رباني جليل

- علم غزير وخلق كريم - نسيج وحده- يتصف بالرجولة في الإيمان والفحولة في العلم مع طيبة القلب وفي الخير بحر لا ساحل له - دعا إلى توليد العلوم كمنهج مناسب للخروج من الأزمة الطاحنة التي تمر بها الأمة - صاحب نقلة نوعية لتطوير وتحديث وتجديد علم الفتوى - يعتمد اليسر منهجا عاما في الحياة عامة وفي الفتوى خاصة - فاق في همته العالية كل أقرانه، وأنه يوزن في ذلك بعشرات، بل مئات، الرجال - وارث محمديّ قد امتلأ حبًّا لله تعالى ورسوله ﷺ وأهل بيته رضي الله عنهم، ثم فاض بهذا الحبّ على كل الناس - ما اقترب منه أحدٌ إلا نال من خيره وفضله ونواله، ولا يملك من يعاشره إلا أن يشهد له بأنه ممن يرجى خيره ويؤمن شره - يتبرع بكتبه هدية لطلابه وكل من طلبها - كان لا يتخلف عن طلابه رغم مشاغله، فلم يؤثر عنه غياب - حرصه واضح على حماية طلابه من لصوص الفكر، وقُطَّاع طرقه - استكمل له كل دروب العلم والحكمة في أمور الدنيا والدين - يحترم العلم والمنطق، ولا يحيد عن الأصول الإسلامية الصحيحة - ظاهرة إنسانية تستحق المتابعة حيث يتصف بالتسامح والوعى الاجتماعي على المستوى الشعبي والإنساني - موسوعة معارف متعددة ومتنقلة ولديه وعي كبير بالتاريخ والثقافة بجميع فروعها وكذلك بما هو جديد وحديث في شتى العلوم بما فيها التكنولوجيا - فقيها أصوليا، أزهري المنهج والطريقة - تمتاز مصنفاته بميزتين مهمتين جدا تحديد المقصد بعناية، وإصابة الهدف بوضوح، كما أنها تجمع بين الإمتاع والإقناع - سمة فتاواه الاجتهاد - تلقى الشيخ دائما في مستصعب الأمور والنازلات معبرا عن شرع الله أصدق تعبير - من السالكين في الطريق إلى رب العالمين فقد تلقى السلوك سندا على أشياخ العصر وسادة الزمان، وصار رأس الطريقة الصديقية الشاذلية - فكر الإمام العلامة ميثاق شرف للعالم المعاصر - فيه الجد والاجتهاد والإقبال على العلم بكل ما

فيه من سَعَة وأدب - يستطيع أن يُخاطب كلًّا على قَدْرِه، ويُحادثه بما يُوافقه، ويُمازحه بطيبِ الكلام، وجميل العبارات - يناقش بعقلية العالم المستنير بكلام مولاه، وبيان رسول الله - يتحدث بكل فهم وأدب، ويناقش الموضوعات بعلم ثابت، ودقة العالم - له جلساته العلمية، ومناقشاته الفقهية، ومدارساته في كثير من الفنون – له رؤية إنسانية فعالة لدور الدين في الحياة - يتمتع بالذكاء المتفرد والمتميز ولكنه أيضا أعطاه الله موهبة الذكاء العاطفي والحضور والكاريزما ومع أنه "رجل علم" إلا أنه أصبح له جاذبية جماهيرية تفوق "رجل السياسة" - من أكثر الناس مصداقية عندما يتكلم في وسائل الإعلام - عازف عن المنصب والقوة والجاه مستغرقا في أبحاثه العلمية - يمثل أهم خصائص الأخلاق العلمية ألا وهي المصداقية – له خصائص فريدة وسمات عزيزة بوأته مراقي الفلاح وصعدت به قمة مدارج السالكين، ليكون باب المريدين المشتاقين إلى رب العالمين - علامة الديار بلا مدافع ومقدم الشيوخ بلا منازع - مبنى طريقته على التيسير والرفق واللين - المفوه المتقد الذهن، التقي النقي عمدة المتقين الزاهد الورع - لا يبارى في علمه، الموسوعي في معارفه مصباحًا للهداية ودليلاً لسبل الرشاد - زينت شجاعته بحلمه فلا يخشى في الحق لومة لائم – يعالج كل ما يحتاجه الواقع وما استحدثه الزمن – مجلسه في التفسير يريح القلب، وفي الفقه سهل العبارة، والفتوى طبيبا، والحديث كأنك في زمن الرسول، والتصوف تخلق بخلق الأنبياء، واللغة وكأنه سيبويه أو الخليل أو المبرد – صاحب علمٍ أصيل وعقلٍ مستنير وجرأةٍ بالرأي وتقديرٍ حكيم لحاجات الناس وضرورات الوقت - يخاطب الناس بلغة العصر، ويعمل على تصحيح المفاهيم - حافظ على الميراث النبوي نَضِرًا منيرًا بسند متصل عن العدول، ونمَّاه واستثمره - وضع خارطة طريق لغزل العلم بالحياة والاجتماعي بالديني - خادمًا

لمجتمعه؛ فيؤسس وعي شعبه، ويحافظ على المنهج الرشيد في تدين أبنائه ويولد العلوم التي تنهض به، ويحرس منظومة قيمه - يعيش عصره، ويخدم مصره، ويحقق مهمة عمارة الأرض - لا يرفض التراث، ولا يعيش في مسائل التراث وفي زمانه، ولا يقف على مسائله - يدعو إلى الفهم العميق للنموذج المعرفي الإسلامي، باعتباره مدخلاً فعالاً في بيان حقيقة هذا الدين للعالمين - واجب الوقت الآن هو البيان وليس الرد ولا الهجوم - نحن نتعامل مع هذا العالم بقلب مفتوح نأخذ من كل ما فيه من خير من أجل ثلاثة أشياء: عبادة الله، وعمارة الأرض، وتزكية النفس - السيرة مدخل مهم لفهم الدين ونموذج أصيل لتطبيق الأحكام الشرعية - يدعو ونعمل لبناء منظومة القيم من خلال أسماء الله الحسنى للتخلق والتعلق بها - مواجهة أفكار الجماعات المتطرفة عنده واجب شرعي - ضرورة استثمار قيمة الوطنية في التحفيز لإبراز محاسن الدولة المسلمة مثل ما قامت به الدولة المصرية - يؤمن بأن التجديد في الفكر الإسلامي سنة ماضية - رسم بالأعمال التنموية التي يشرف عليها معالم "خُلُق العناية" في فضاء الإسلام - التقي النقي الولي المهاب، والشيخ المربي الذي فصل الخطاب، والذي من أتيناه من باب ففُتِح لنا به ألف باب - صاحب اللحظة اللطيفة، وصاحب البيان لما يشغل الأذهان، ذو المنطق السويّ في الطريق إلى التراث الإسلامي، إمامُ العصرِ، ومبدع الكلام الطيب، وسمات العصر، داحضُ المتشددين في كتابه المتشددون، وناقد الغلو، وناقض التشدد والسفه - الأصولي الفقيه، والألمعي النبيه، منارة العلم وركيزة من ركائز الدعوة إلى الله - هو الأخ الصالح والشيخ الفالح والمعلم الناجح - هو الأنموذج للعالم المحقق، والأصولي المدقق، حامل لواء الدعوة إلى الله تعالى علما وعملا، المتفهم لأحوال زمانه، الجامع بين الأصالة والمعاصرة، الخائض في لُجِج بحر العلوم بهمة فتية

نادرة، الناقل لتراث الأجداد للأحفاد بسلامة وبساطة وسهولة قلَّ أن تُوجد في أمثاله - هو المتكلم في شتى المتون والفنون حائزا للسبق، لم يقف على ساحل واحد من علوم الشريعة ولكنه تبحر في الفقه وأصوله، والحديث وعلومه، واللغة وآدابها، والبلاغة بأقسامها، والتفسير وعلوم القرآن إلى غير ذلك من العلوم النقلية والعقلية - برع فضيلته وتميز بأسلوب فريد فقدم الدين بأصوله بأسلوب عصري صبغه بما حباه الله من قبول وقدرة إقناع، وفهم عميق وسعة اطلاع، فحبب العلم للطلاب وجذب للحقيقة الأحباب - توسع فضيلته في دائرة معارف العلوم الدنيوية دارسا للاقتصاد والسياسة والقانون والفيزياء والكيمياء والرياضيات متكلما في كل ما سبق بحنكة المتخصص - لا يألو جهدا في القيام بكل ما يستطيع في سبيل رفعة الدين ونشر الإسلام الصحيح والدفاع عن مقومات الأمة المصرية بوطنية صادقة حقيقية خالصة مبنية على مكارم الأخلاق المحمدية - صاحب المواقف الدقيقة الحرجة التي يضن الزمان بمثله، فيسجلها التاريخ وتنتقل من جيل إلى آخر، وتحفظ النفوس صورته كقدوة صالحة وعالم عامل - العالم الرباني والوارث المحمدي - أقامه الله تعالى منذ نعومة أظافره مقبلا عليه ينهل من العلوم الشرعية والكونية - عالما موسوعيا يشبه بغزارة علمه وسعة ثقافته واتساع أفقه ورؤيته المستقبلية الرعيل الأول من القمم الشوامخ من علماء الأزهر الشريف - حصَّل المعارف والعلوم بمنهج الرعيل الأول من أهل العلم والمعرفة - صاحب ورائد فن الإدارة وعبقرية التطوير والتجديد والعمل بروح الفريق- يفتح بيته لطلاب العلم للدراسة الخاصة عليه - رجلا أربعينيًّا شديد الوسامة في غاية التأنق له حضور "كاريزمي" كاسح، وتنطق عينيه بالذكاء البالغ - تجد فيه رسم الإمامة في الدين بكماله علمًا وعملا - مجبول على البذل بلا تكلف، ماديًّا كان البذل أو معنويًّا - لا يضن على طالب

بمعلومة أو إرشاد أو تفهيم، وقد أوتي موهبة استثنائية يقتدر بها على إيصال أعقد المسائل وأعوص العبارات بأيسر الطرق وأقرب الأمثال - قرأ التراث وامتلك ناصيته وفهم لغته العلمية بعمق، ثم عبر عن ذلك في اختياراته وفتاويه وبحوثه ودروسه بطريقة أقرب للعصر، مع كون مضمونها لم يخرج عن قواعد الشريعة وعلوم الإسلام وتراثه - عقلية تنزع للتجريد والبحث عن الكليات والعلل البعيدة للقضايا والأشياء – له دور وطني مهم شجاع حيث وقف وقفة الأسد الهصور منذ اشتعال الفوضى في البلاد في 2011م، وعمل على نشر جهوده في مقاومة الفكر المتشدد، وتعريته للجماعات المتطرفة والإرهابية - صاحب علم عريض، ورأي مستنير، وإنتاج غزير - الإنسان المشرق، وإشراقته المعنوية في الحقيقة تتألق لأنها نابعة من قلب عامر بحب الحق بمراتبه وتجلياته كافة - عالم لغوي أصولي فقيه، له حضور فكري - إمام الأئمة وبدر التتمة، شمس الضحى وقطب الرحى - عالم موسوعي انتهج سبلًا لتبسيط صورة الإسلام والتيسير على المسلمين - يواصل عطاءه من علمه النافع وينشر فتواه من مخزون دراساته العميقة وقراءاته الواسعة - يمثل شخصية عالم متعدد الجوانب يملك من أسباب البحث العلمي ومناهجه وأدواته ما لم يتيسر للكثيرين من حملة الكتّاب وعلماء الدين الحنيف - هو السحاب الممطر والغيث الهتون، وهو موسوعة علوم وقاموس فنون - الوارثَ النبويّ، والغوثَ المحمديّ، والقطب العلويّ، والمرشد الوليّ - مفتيَ الديار وحاميَ الذمار وعالمَ الأمة الفرد ومجتهدَها الأوحدَ والمفكرَ الإسلامي الفذ والمؤرخَ العلامة وحاملَ هم القدس الشريف والوطنيَّ الشجاع والقائدَ المقدام والسياسيَّ المحنَّك والجوادَ المعطاء والإداريَّ الناجح - أقامه الله منذ نعومة أظفاره مقبلا على الله مقبلا عليه بصدق العبودية له وبطلب العلم بشغف وحب وإخلاص لله - يهتم بالمسلمين وما آلت إليه

أحوالهم في بلدانهم، وخاصة القضية الفلسطينية - هو مدرسة هدى وساحة علم نافع وعمل بناء مثمر للأجيال المتوالية والمتلاحقة في خدمة البلاد والعباد ونصرة الحق والعدل والسلام ورفعة شأن وطنهم وأمتهم والذود عنه، ورجل ذو همة يُحيي به الله أمة - الجبل الشامخ، والوتد الراسخ، الذي أنعم الله على من التقاه، وأخذ عنه - دقيق العلم، عظيم الفضل شريف النسب إليه ينتهي الكرم، وعنده يتصاغر الأكابر، وعلى بابه تجتمع الطلبة من مختلف الأقطار، وبعيد الأمصار - إذا تكلم أزال الإشكالات والاعتراضات عن أصحاب المتون والشروح والحواشي، ويدفع عن منهج السادة أرباب القوم - إذا رأيته توسمت فيه الصلاح والتقوى حيث يدخل شغاف القلب بشفافيته وتواضعه، وإذا جالسته أيقنت أنك تجلس مع نموذج من بقية السلف الصالح - رجل السياسة الشرعية لا الحزبية - قائم بإحياء ما انطمس من معالم الدين ودُرِس من جوانب الحق العلمية والعملية - رافع راية الوسطية في الدين - صاحب الكشف الصادق - يكرم طلاب العلم بعلمه وماله وجاهه فكل شيء يملكه مولانا مبذول لطلاب العلم لا يضن بشيء منه أبداً - يبقى بين ذكر الله ومذاكرة العلم - مولانا حجة على أبناء عصره وكأنه جاء من عصر السلف فإذا أملى العلم من صدره كتبت عنه مجلدات - من أجل العلماء رتبة - شيخ الإسلام - تعجز العقول أن تصف قوة عزمه والفهوم تتضاءل أن تعي مقداره بكل تفاصيله - تنقل مولانا الشيخ في حقول كثيرة من حقول المعرفة والتعليم وكان يبدع في كل حقل يعمل فيه - فتح باب الاجتهاد على مصراعيه في استنباط الأمور الشرعية - من كبار رجال التصوف في العالم الإسلامي الذين فتح الله عليهم وفتح على أيديهم دروب الصالحين - إن حياة شيخنا العامرة بالعلم والبحث والتدريس والإفتاء تعد أعجوبة العصر وظاهرة تستحق الدراسة - من أكبر

المدافعين عن منهج أهل السنة والجماعة ومن الذين أعادوا صياغة مسائل العقيدة وفق منهجية تتلاءم مع عصرنا جمع فيها بين المعقول والمنقول بأسلوب ليس بالمختصر المخل ولا بالمطول الممل - صاحب الابتسامة والبشاشة في وجه الجميع - يهتم بأمر من يطلب مشورته - يهتم بأمر أبنائه وطلبة العلم عنده ومريديه والقيام على خدمتهم، ويلاطفهم - لا يبسط رجليه أمام غيره - يقدم مقدم كل قوم ويجله ويكبره في عيون أتباعه ومحبيه - يحتشم مع أهل العلم والدين - مرجعا عظيما في قضاء حوائج الناس - صدره رحب - يؤنس المحزون ويفتح أبواب الخير - يحب إطعام الطعام - يدعو إلى التصوف المرتبط بالكتاب والسنة، تصوف الصحابة ومن بعدهم من التابعين وأتباعهم كأئمة المذاهب الأربعة - تأسيسه لطريقته الصديقية الشاذلية الصوفية ليست حدثا طارئا في حياته، بل إعلانا للمنهج في أسلوب الفكر والذكر - كم هو حسن المشاركة في الاحتفاء بالأستاذ الدكتور - ينتشر طلابه في بقاع الأرض كافة - برز بنموذجه المتفرد بين كوكبة العلماء الجادين، في سعيهم لإظهار الحق، وتغليب قوى الخير، في الوقت الذي تجنح ألسنة الجماعات الإسلامية المتطرفة، على اختطاف التراث الفقهي، ونصوصه الشرعية - صاحب مشروع التجديد الفقهي والإصلاح الديني من أجل النهوض بالمجتمعات المسلمة - عُرف عنه إبراز مشاهد الحياة النبوية الشريفة في التشريع الإسلامي - الداعي إلى الالتزام بمواثيق الشرف، وخاصة في الإعلام - له مكانة رفيعة بين العقول النيرة العاملة على الدفع بمستوى الأداء والرقي بالمستوى الفكري - عَلَمٌ من أبرز أعلام الأمة والدين يأتي في طليعة علماء العصر في القرنين (الحاضر والمنصرم) - من ثماره يعرفه الناس - علامة فارقة في تاريخ الأمة الإسلامية، ونبراسا لا تخطئه العيون - أقامه الله سبحانه وتعالى لنصرة دينه وسنة رسوله العظيم سيدنا محمد

صلوات الله وسلامه عليه، في زمن استشرى فيه الضلال الفكري والانحراف المذهبي - سماحة الشيخ من أهل الاصطفاء - لم تصرفه الدنيا بزخرفها ومناصبها عن رسالته العظمى - الفقيه المتجرد - تاج العارفين وقدوة المحققين - صاحب الفضائل ومفتي المعضلات من المسائل - وتشهد كل إبداعاته الفكرية وثمراته العلمية بأنه كان وافياً لرسالته صادقاً في حجته أميناً في أطروحاته - أُثمِّنُ دوره الريادي العظيم وأقدر جهوده الثرية في إزكاء جذوه العلم والمعرفة – صاحب الأسلوبِ السهلِ المرَّتبِ الذي ينساب في العقل، مع سعة الاطلاع العجيبة، وعَرْض الأقوال مع ذكر أصحابها وحججهم - تعلَّمنا منه الحرص على الوقت – هو العالم العامل الذي لا يغير منهجه، ولا يترك علمه الذي تعلَّمه، ولا يشتري دنياه بآخرته، وفي الفتن هو الميزانُ لمن وراءه من الناس وسلوكُه وقولُه قد ينقذ الناسَ وقد يهلكهم - فَقَه العصرَ وأهلَه - يهتم بمظهر الداعية الأنيق الذي يظهر به أمام الناس - عَلَم من أعلام الزمان وأحد تنفسات الأوان - نشأ متعشقا للمعرفة والاطلاع، متحملا ثقل الشعور بالمسؤولية تجاه وطنه وأمته، مع روح تهيم بمحبة الله والتعلق بحبيبه ومصطفاه - نفع الله به البلاد والعباد في شؤون معاشهم ومعادهم - تصدى لانتحال المبطلين وتحريف الغالين فواجه موجات الغلو وفلول خوارج العصر بلسانه وقلمه وطلبته – له الرُّسوخُ في ميراثِ الأنبياء عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ – صاحب الثبات في الفتن المضلة المظلمة، والقدم الراسخة في مواطن الشبهات، حين تضل الأفهام وتزل الأقدام - من أبصر الخلق بالفتن ومضارها وعواقبها وما يصلح فيها من الكلام والفعل - عالم كبير فخر لمصر والعالم الإسلامي - عمت فضيلته وبركته، فاستفاد الناس منه رؤية صحيحة لهذا الدين المتين، والشرع الحكيم – طلابه علماء، وهم تجلياته الحسنى ومظاهره الفضلى – ما من مشروع علمي أو خيري أو أثر للصالحين في

مصر إلا وتجد له قدم صدق وسابقة خير - فتح الله على يديه من مفاتيح الخير، وأغلق الله بسببه من مغاليق الشر عن مصر، وغير مصر - تسمع منه الإشارات والمفاتيح العلمية التي لا توجد في كتاب، وتستفيد منه الطرفة التي لا توجد إلا في غميس الكتب - لا يسمع بشيء من الذكر، إلا كان له ذاكرا، عن تقدم إذن، واتصال سند، وحقيق معرفة - تسمو همته في تطلُّب سبل الخير والفضل - حاله الصدق مع ربه، ومع نفسه وغيره - لولاه لضاع السند الأزهري - سيد مصر ونعمة العصر - مفتي مصر الأعظم - عاش واقعه دون أن يخرج عن التراث - تعمل الطريقة التي أنشأها على ترتيب وإصلاح التصوف من الداخل - الدكتور علي جمعة تاريخ - قمة شامخة وجبل أشم، عَلَم مفرد، ومفخرة علماء الأزهر بلا ريب - عالم رباني لم تفتنه الدنيا ولم تستهوه الشهرة - مجمع الخيرات - ما رأيت مثله يجمع بين العلم والسلوك - صانع المواقف التي تنحني لها هامات الرجال - الدكتور علي جمعة ساحة الحب - الدكتور علي مدخل الحب وباب الحب وساحة الحب وفيض الحب.

مواقف مختارة من حياة الإمام

دائما ما يتعرض الإنسان لمواقف في حياته يختارها الله له، حيث لا يقدر على مواجهتها، أو التعامل معها إلا من يكتب الله له التوفيق فيصير على قدرها، وتصبح تاريخا يتعلم منه القاصي والداني، خصوصا إذا ما كانت مواقف جسام، وكانت خاصة لرجال عظام.

وهكذا قَدَّر المولى جل في علاه أن يمر فضيلة مولانا الإمام العلامة بالعديد من المواقف في حياته العامرة بحب الله عز وجل وحب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآل وسلم، حيث يثبت لنا فضيلته أنه رجل العصر، القادر على حمل الأمانة، ممثلا للخلافة الأرضية، والوراثة المحمدية في غير نظر إلى ذاته، فلم يحدث أن دعا فضيلته إلى ذاته، بل كانت دعوته دائما إلى الله ورسوله، فكان بذلك القدوة الحقيقية.

ولما كانت المواقف التي مرَّ بها فضيلته أكثر من أن تُحصَى، فنذكر هنا مجموعة بسيطة من هذه المواقف كنوع من الرمزية الدالة على هُوية فضيلة مولانا الإمام العلامة الدكتور علي جمعة وشخصيته، وتبين بعضا من ملامح منهجه الصوفي. ولما كان توثيق هذه المواقف نوعا من التاريخ، فكان ذكر بعض الأسماء والشخصيات الأخرى واجبا، ليس من باب التشهير أو الشهرة لبعضهم، إنما من باب ما تعلمناه من فضيلة مولانا بتوثيق وصحة النقل.

* مع الحويني (23 ديسمبر 2011):

بدأت هذه القضية حين رفع فضيلة مولانا الإمام العلامة وقت أن كان مفتيا للديار المصرية قضية سب وقذف برقم 5564 جنح قسم أول كفر الشيخ ضد

الحويني لقوله (المفتي وُلِد ميتا)، وذلك في برنامج تليفزيوني، وألمح فضيلة مولانا عن استعداده للتنازل عن الدعوى في حال اعتذار الحويني، إلا أن الأمر تطور تطورا خطيرا حيث شن السلفيون هجوما حادا على فضيلة مولانا الإمام العلامة، ووصل بهم الأمر إلى التظاهر أمام محكمة جنح بندر كفر الشيخ التي يُحَاكم فيها الحويني بتهمة سب وقذف الدكتور علي جمعة، ونصب السلفيون منصة لمجموعة منهم لسب فضيلة مولانا، ورفعوا اللافتات المؤيدة للحويني بطريقة مخالفة للقانون.

ورغم كل ما حدث، جاءت المفاجأة من الوارث المحمدي بالتنازل عن دعوى السب والقذف، والتي كادت المحكمة أن تحكم لصالحه، حيث أكد فضيلة مولانا الإمام العلامة أنه تنازل بصفة نهائية عن جميع القضايا التي كان قد رفعها ضد أبو إسحاق الحويني يتهمه فيها بالسب والقذف، وأعلن فضيلة مولانا ذلك أيضا على الملأ أثناء خطبة الجمعة بمسجد فاضل، حيث قال: إن أحدهم أرسل لي رسالة يقول فيها أنت تتكلم عن العفو والصفح وأنت لم تعفُ وتصفح عن شخص شتمك فأين العفو والصفح! أُشْهِد الله أنني خلعت عباءة الخصومة بيني وبين أي أحد وأني ألغيت كل قضية قبل أن تبدأ أو كل خصومة حتى نبدأ صفحة جديدة، وحتى أبدأ بنفسي عندما أقف أمامكم، وقد بدأت بنفسي، لأني أحب أن يعفوَ الله عني، وأن يغفر الله لنا، وأن ندخل في محل نظره سبحانه وتعالى .

الناس نسيت العفو والذكر ونريد أن نرجع إلى الله.

***زيارة المسجد الأقصى (2012):**

يقص فضيلة مولانا الإمام العلامة هذه القصة بنفسه، في واحد من دروسه، حيث بين أنه في واحدة من خطب الجمعة بمسجد فاضل قام فضيلة مولانا الإمام العلامة بالدعاء إلى الله تعالى، فقال: دعوت الله تعالى ألا يقبضني إليه إلا وقد صليت في الأقصى، وبعد ساعات من هذه الخطبة اتصل بي مسئول أردني كبير وقال لي: يوم الأربعاء سنذهب إلى القدس الشريف، وقال لي: إن هذه أول مرة يذهب هو إلى القدس، وقال لي: هل تأتي معي؟ فقلت له: على البداهة: وهل استمعت إلى الخطبة؟ فقال لي: أي خطبة؟ قلت: خطبتي يوم الجمعة، قال: لا، لم تصل إلينا.

وهنا قال مولانا بصوت مرتفع في لحظة جلال (الله).

ويتابع فضيلة مولانا الكلام قائلا: وكانت البلاد تحت إمرة الجيش المصري المبارك[1]، فذهبت من غير استئذان من أحد، لأنهم لو منعوني لذهبت فلم أرد أن أحرج أحدا. وذهبت، وطُيِّر الخبر في يوم الثلاثاء، فرأيت الجانب المصري، يتصل بي ويسأل عن حقيقة هذا الخبر، فقلت لهم: نعم، هذه استجابة لدعوة وأنا لا ألعبُ مع ربي[2]، دعوت اللهَ فاستجاب لي في خلال ساعات، فقالوا لي: لا نرى ذلك، ونرجو منك العودة، قلت لهم: وأنا لا أعود إلا وقد صليتُ في القدس، فقالوا لي: إذن التفت إلى نفسك فإن الأمر خطير، وحياتُك محل عدوان، وعندنا معلومات، فقلت لهم: الأجل واحد، والرب واحد، والحمد لله رب العالمين، وإذا كان الله قد استدعاني من مصر إلى القدس لأموت فيها شهادة، فنعم الشهادة هي.

(1) يقصد مولانا أن ذلك كان في فترة تولي المجلس الأعلى للقوات المسلحة قيادة البلاد بعد أحداث 2011.

(2) وهنا ظهر التأثر الشديد في نبرات صوت فضيلة مولانا، ودمعت عيناه.

وذهبنا يوم الأربعاء، وصليتُ في القدس، ولما كنا في المسجد كان الناس يهتفون، ويهتفون كذلك في الشوارع وأنا ذاهب إلى كنيسة القيامة بعد ما صلينا في المسجد الأقصى ويطالبون المسلمين بأن يملؤوا القدس، فالموجود هم اليهود فقط من كل أرجاء العالم يحجون إلى القدس، فيسأل الناس هناك: أين المسلمون؟ لا وجود لهم لأن الإخوان المسلمين منعوا الذهاب إليها ورأوا أن في هذا نوعا من التطبيع، وخالت الخدعة على المسلمين، واستغاث أهل القدس فلم يذهب لهم أحد، فاضطر التاجر المقدسي أن يبيع الطواقي اليهودية حتى يأكل، وهو يريد أن يبيع المصاحف والمسابح وسجاجيد الصلاة والأشياء التي يشتريها المسلمون، ولكنه لا يجد المسلمين، واليهودي الذي يريد أن يشتري أرضه بالنقود وبعقد بيع - حرَّمناهُ فيما سبق وأسميناها أحكامُ الأمة - وأحكام الأمة تأخذ شكلا آخر غير أحكام الأفراد، وهذا حدث في الترنسفال في جنوب أفريقيا عندما سأل المسلمون عن حكم لباس القبَّعة والتي هي لا حرج في ارتدائها في لندن مثلا للمسلمين، ولكن في الترنسفال تكون علامة على المحتل البغيض فحرمها العلماء، وغير ذلك من المواقف المعلومة ... وهكذا فإن بيع أرض القدس لليهود وبخاصة الآن حرام، رغم أن البيع لليهودي ليس حراما أصلا، فكنا نبيع ونشتري معهم، ولكن الآن وفي القدس حرام.

ذهبنا إلى القدس وصلينا فيها واستقبلنا شعبها وحَمَّلَنا رسالة، وعند عودتنا وقد هبطت الطائرة في المطار، وجدتُ بعض العلماء يجتمعون، واستمعت إلى هؤلاء، وأحدهم وله انتماء إلى جماعة الإخوان الإرهابية، وانظروا إلى الفرق بين الحقيقة وبين ما يتخيله هؤلاء الناس! فبكل ثقة قال: أعلمُ أن أجهزة المخابرات العالمية اتصلت بالشيخ علي وأخذته إلى القدس لأغراض خفية، وهو لن يقول لنا الحقيقة لأن أجهزة المخابرات العالمية.

وجلس يتكلم بهذه الطريقة، وأنا أقول سبحان الله، ولا أدري ما أجهزة المخابرات العالمية هذه، فلا يوجد هذا المصطلح أصلا، وهذا وهمٌ في وهم، كما أنه لم يسمع الخطبة، ولم يسمع المكالمة التي جاءت بعد ساعات، ولكن هكذا يعيشون في الأوهام.

ويقول هذا الشخص: الأمر لم يتغير.

وكأنه كان في القدس أمس، فقلت له: بل تغير الأمر.

وكنا حينئذ في سنة 2012، فقلت له بعيدا عن هذا الهرت، والهرت هو الأحمق من الكلام، ومنها هرتلة أي الحمق في الكلام، وكما قيل كل داء له دواء يستطب به إلا الحماقة أعيت من يداويها. فقلت لهم:

أنا جئتكم من القدس برسالة تسمعونها والأجر على الله: أهل القدس يستغيثون بكم، اذهبوا يرحمكم الله، والسلام ختام، وتركتهم ومضيت.

وهنا لابد وأن نفهم أن هذا واجب، بمعنى اذهبوا إلى القدس حتى تُفْزِع بني صهيون عندما يشاهدوننا جماعات في جماعات فيخاف الصهاينة فهم جبناء. لماذا لا تريدون الذهاب إلى القدس! اذهبوا إلى القدس كي تروها ويزداد حبكم لها، فكما يقول المثل البعيد عن العين بعيد عن القلب. تخيل لك أن أحدا قال لك إن مكة قد احتُلَّت، فحينئذ سوف نذهب جميعا! فنحن دائما نذهب إليها ونشاهدها ونحبها وتعلقت القلوب بها، فنبذل في الدفاع عنها كل غال ورخيص، فالأمر سهل وبسيط جدا اذهبوا إلى القدس.

وفي اليوم التالي وجدت صلاح سلطان، وهو حاليا في السجن من أجل القتل

الذي قام به، والفساد الذي أفسده، والله أعلم بما تم الحكم به عليه، فأنا لا أتتبع هؤلاء الناس، فهذا الشخص ومعه صفوت حجازي الذي ارتدى ملابس النساء ليهرب إلى ليبيا، فوجدتهم عند دار الإفتاء ومعهم حوالي خمسة أو ستة من الأطفال ويسيرون في مسيرة يهتفون (ماشيين للقدس بالملايين)، فهم يعترضون على ذهابي إلى القدس، ويطالبونني أني كنت أتأخر لأدخل في معية الإخوان!

ثم بعد ذلك أذن الله أن يكشف الحق والحقيقة، وظهرت لنا حقيقة هذه الجماعة الإرهابية وذاق الناس ما ذاقوا على أيدي هؤلاء الإرهابيين، حتى خلَّص الله تعالى البلاد والعباد منها. وهذا الرجل مرسي الذي تشبث بالكرسي وقال: دونه الرقاب! قلنا له: ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن﴾ [آل عمران:26]، فقام وقال: عزيزي وصديقي المخلص نتنياهو!! ما هذا الذي يقوله مرسي، هل نتنياهو عزيزي وصديقي المخلص؟!! نقول في ذلك: خيبك الله، خيبك الله، أهذا الذي يقول (ماشيين بالملايين على القدس رايحين)!

إذن حل القدس في زيارتها، إذا استطاع كلنا زيارتها أكثر من مرة في العام فليفعل، اذهبوا لزيارتها من كل مكان، وهذا هو كلامي منذ سنوات لم أتراجع عنه. أما صاحب الغفلة، والمغرور بنفسه، لا يرى الواقع، إنما يرى ما تراه جماعته، أو تراه جماعته القديمة، وهي الشيوعية، حيث تجد صنفان يقولون نفس الكلام الإخوان، والشيوعيون، ولما كانت الشيوعية قد انتهت بقي منهم أفراخهم الذين يقولون عن أنفسهم (أنا مثقف)!

لقد ذهبتُ وبدعوة ربانية، دعونا الله فذهب بنا.

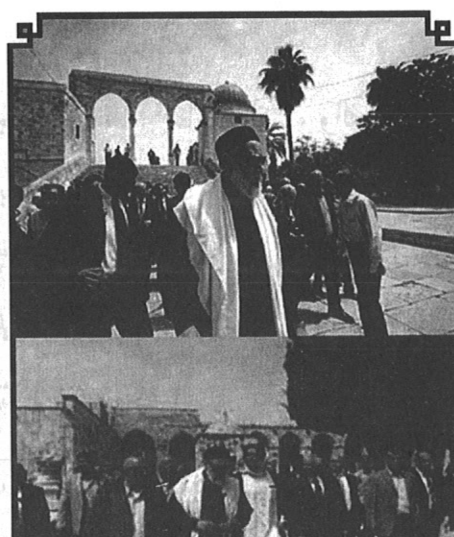
أما هؤلاء فلا يعرفون قراءة الكون ولا قراءة فعل الله، أو مراد الله، أو حتى قراءة الواقع، وحَلُّ القدس هو أن نملأها ليل نهار.

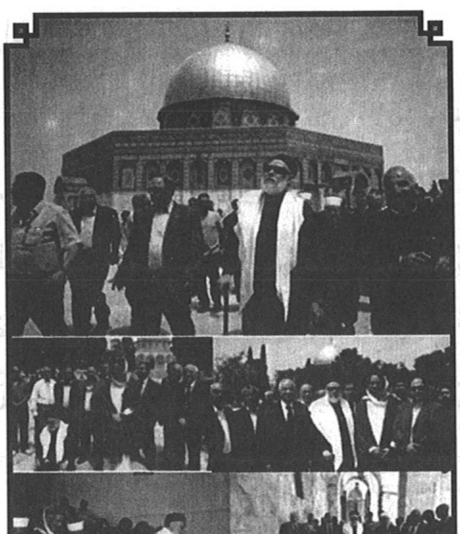
وفي معرض الحديث عن جوهر الزيارة وأثرها على قلب فضيلة مولانا الإمام العلامة وروحه نجد فضيلته يقول:

بيت المقدس نور من الأنوار، ولما دخلتُ المسجدَ دخلت خيمةَ نور، ولما سرتُ فيه قليلا دَخَلَ النورُ في فمي فملأ جسدي ولا يزال يفعل ذلك كلما تذكرت هذا النور. تعجبت لأنه نور خاص لا وجود له في الكعبة، ولا وجود له عند سيدنا النبي ﷺ وهو نور الأنوار وسر الأسرار وترياق الأغيار، ولكن نور المسجد الأقصى نور خاص به وكأنه تأتَّى من صلاة الأنبياء فيه، وساحة المسجد الأقصى 144 ألف متر مربع والإنسان يأخذ مترا مربعا يشغله بجسده، وقد صلى سيدنا النبي ﷺ بالسادة الأنبياء وعددهم 124 ألف، والبقية كانت من 20 ألف مَلَك في هذه القمة: قمة داريا. وهذه الصلاة يبدو أنها أنارت المكان نورا خاصا وفهمتُ حينئذ ما لم أكن قد فهمته من قَبْل أن سيدي علي بيومي كان يُسَمّى بغريق النور وكنت أتعجب وأقول لعله من المجاز فكيف يغرق أحدهم في النور؟! حتى دخلتُ الأقصى فغرقتُ في النور.

وهنا نلمح بعضا من أدب فضيلة مولانا ومنهجه الصوفي، حيث لا ينكر أن بعض العلم كان غائبا عنه لم يتعلمه بعد، وأنه فوق كل ذي علم عليم، وأنه لا يتورع عن مواجهة ما يترتب عليه موقفه دون خوف ولا تردد لاقتناعه بما يقدم عليه، وأنه يرى وبكل وضوح دوره في بناء الأمة وسبل إنقاذ الأقصى، وبالطبع لا يتحدث عن

كرامات المولى عليه من قبل التفاخر بل إقرارا للحق والحقيقة، وأنه ينكر على من لا يعيش في الواقع بل في غياب وكذب وافتراء.





محاولة الاغتيال الفاشلة (5 أغسطس 2016):

تعرض فضيلة مولانا الإمام العلامة لمحاولة اغتيال فاشلة يوم الجمعة الخامس من أغسطس 2016، خلال ذهابه من منزله إلى مسجد فاضل لأداء صلاة الجمعة، وأعلنت حركة تسمي نفسها "حسم" مسئوليتها عن الحادث. وذلك أن أربعة ملثمين مسلحين تركوا سيارتهم قرب فيلا فضيلة مولانا وبمجرد أن دخل الحديقة الأمامية للفيلا أطلق ثلاثة منهم عشرات الأعيرة النارية المكثفة من بنادق آليه بينما كان الرابع يحمل كاميرا.

وبالرغم من صعوبة الموقف الذي واجهه المصلون وبخاصة النساء والفزع الذي أصاب الجميع واجه فضيلة مولانا الموقف بكل ثبات حيث صار فضيلته هو الذي يطمئن الناس ويخفف عنهم، بل قام باستئذان خطيب الجمعة يومها ليخطب بنفسه ليفضح هؤلاء الإرهابيين وتكون رسالة لهؤلاء المفسدين بأننا لن نتركهم حتى يحقق الله فيهم قوله تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر:45].

ويرسل رسالة للعالم كله أننا لا نخاف وسنظل نبين المحجة البيضاء التي بينها لنا رسول الله ﷺ، حيث قال فضيلته خلال الخطبة: إن الجماعات الإرهابية، هي جماعات الكذب والافتراء على أنفسها وعلى الله، مستشهدا في حديث بالآية ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر:28] وقال كذلك: جاءت جماعة تكذب ليل نهار فصار الكذب كالنَّفَس لا تعيش إلا به، فأمرناهم بالمعروف ونهيناهم عن المنكر فأبوا كما أبى إبليس من قبل في الحضرة الإلهية.

وكتب فضيلته على صفحته بوسائل التواصل الاجتماعي:

(على عادة الخوارج كلاب أهل النار وحبهم للعيش في الدماء حاول شرذمة من الفئات الضالة الاعتداء عليّ عند باب المسجد، ولقد تعودنا من كلاب النار مثل هذه الأحداث الصبيانية والحمد لله لم تمنعنا تلك الخزعبلات من تعطيل شعيرة الجمعة، نخطبنا الجمعة وأقمنا الصلاة؛ لأن منهجنا عمارة المسجد وعمارة الكون وليس خراب الدنيا والآخرة، وعقيدتنا التعمير لا التكفير والتدمير، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:21]، وإن مات علي جمعة فهناك ملايين من علي جمعة ستخرج من أجل الدفاع عن الحق، وعمارة الأرض وتصحيح صورة الإسلام في العالم).

وأضاف فضيلة مولانا بعض التصريحات عقب الحادث مبينا أن هذه الشرذمة فاشلة تحاول تفويت الفرحة على الشعب المصري للاحتفال بالذكرى الأولى لقناة السويس الجديدة، وأن ما قاموا به حركة مذبوح ودلالة على أنهم في النزع الأخير، فهؤلاء جماعة فاشية واقعيا وسياسيا وهذه نهاية النهاية.

وعقب هذه المحاولة الفاشلة قام فخامة رئيس الجمهورية بالاتصال فورا بفضيلة مولانا الإمام العلامة للاطمئنان على صحته، والاطمئنان على نجاته عقب محاولة الاغتيال الفاشلة، مؤكدا أنه يتابع بنفسه عن كثب هذه المحاولة الفاشلة مؤكدا على تعليماته بسرعة ضبط الجناة في أقرب وقت ممكن.

وهنا لابد من ملاحظة مجموعة من المعاني، منها ثبات جأشه فضيلته، وبالرغم من أنه المستهدف، إلا أنه أخذ يطمئن الناس، ومن ناحية أخرى لا يغيب عن الوعي،

ولا يهدر الأصول والقواعد الشرعية فبالرغم من هذا الجو المشحون بالحزن والفزع، إلا أنه يستأذن خطيب الجمعة ليخطب هو، كذلك يبين في خطبته الأحكام الشرعية الخاصة بكلاب أهل النار، وغير ذلك من المعاني التي يمكن أن يستنبطها المرء من هذا الموقف. كذلك فإن هذه المحاولة الفاشلة لم تغير شيئا في موقف فضيلته من هذه الجماعات الإرهابية، ويدل على ذلك دلالة واضحة كما يقول فضيلة مولانا:

إنني دخلت المسجد وأديت الخطبة، بعد أن طلبت من خطيب يومها - وهو واحد من تلاميذي - أن يتنحى، وكنت أطبطب على الناس المصابين بالقلق والذين لا يريدون أن أصعد إلى المنبر، وكنت أقول لهم، لو أنني تمكنت من مطاردة هذه الثلة من الأوباش الخوارج لفعلت، ولكن الله تعالى أراد لهم الفشل بعد أن قاموا بإطلاق أكثر من تسعين رصاصة طاشت كلها، حتى إن المحققين معهم بعدما تم القبض عليهم كانوا يسألونهم عن كل هذا العدد الرهيب من الطلقات، ولم تستطيعوا إصابته ولو بطلقة واحدة؟ فيرد هؤلاء الأوباش قائلين: هذا هو ما نتحير من أجله!

منْ كَرَامَات مَوْلانَا

إن كرامات شيخنا الإمام العلامة رضي الله عنه معلومة ومعروفة ومشهورة على ألسنة الناس، وقد سبق بيان الكثير منها في ثنايا الكتاب، وكذلك فيما سطره أصحاب الكلمات التي أوردها الكتاب على ألسنتهم، وحقيقة الأمر أنه لا حاجة لنا في سرد أو تسطير كرامات مولانا كما شاهدناها ورآها الآخرون، وحضرها الكثير من الناس بعدد بلغ حد التواتر وزاد، فكلها أمور ظاهرة لكل أحد، ولا ينكرها إلا جاحد، وهي نماذج إشارية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فكراماته أكثر من أن تعد أو تحصى لا ينكرها عاقل، وتكفى الإشارة فوق كل ذلك إلى كلام السادة الأكابر والذي تحقق في شخص فضيلة مولانا، وهو أن من الكرامة كمال الاستقامة، فالاستقامة أكبر كرامة، وكذلك ما أجمع عليه الناس أن من أهم فضائل وكرامات مولانا الإمام أبناؤه وتلامذته المشايخ الكرام الذين تربّوا على يديه ثم هم بعد ذلك يواصلون المسيرة في تعليم الأمة ونشر الفهم الصحيح لدين الله. هذه الطبقة من المشايخ والعلماء الذين تخرجوا على يدي فضيلة الإمام هي من أكبر كراماته رضي الله عنه. والمُلاحَظ هنا أنها ذات الكرامة التي كانت لسيدي أبي الحسن الشاذلي حيث سألوه عن كتبه، فقال: كتبي أصحابي. إلا أن فضيلة مولانا الإمام، جمع الله تعالى له الفضيلتين: الأبناء، وكذلك المؤلفات، بل وزاد عليهما بالتسجيلات، وهو ما يناسب عصرنا الحالي. يضاف إلى ذلك استقباله للناس وقضاء حوائجهم بما ييسره الله له، وسعة صدره وحلمه مع الكافة، وتواضعه ولين الجانب، وبشاشته وتبسمه في وجه الكل، والجمع بين أسلوب اليسر والحب، المغلفين بالرحمة، والمطرزين بالحكمة.

خاتمة الرحلة

إنه من دواعي السرور أن يتشرف المرء بإصدار كتاب يعبر عن لمحة، بل قشرة يسيرة من المنهج الصوفي فضيلة مولانا الإمام العلامة سيدي نور الدين علي جمعة شيخ الطريقة العلية الصديقية الشاذلية عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، ومفتي الديار المصرية السابق، تحت عنوان «**رِحْلَةٌ فِي أَعْمَاقِ الْمَنْهَجِ الصُّوفِيّ للإِمَامِ الْعَلاّمَةِ**»، وأن يخرج إلى النور بمناسبة بلوغ فضيلته السبعين من عمره بالهجري.

والحمد لله رب العالمين، أن تم المراد وصدر الكتاب رغم كل ما واجهت الكتابة فيه من صعوبات، فالحديث عن مثل هذا الإمام لهو من أصعب الأمور وأدقها، ولعل كلمة الرائد الزكي إبراهيم هي أنسب تعبير عن هذا حيث يقول (والعجز هنا شأن النطق)، فكيف للثرى أن يكتب عن الثريا، وسيدي علي جمعة هو سر الوصول وباب القبول، وهو محتسب الصوفية في عصره، صاحب مصر ورجل العصر، وقطب الأقطاب الذي لا يخشى في الله لومة لائم، فهو الإنسان، والعالم النحرير، مجدد العصر، وهو الوالد، وهو الشيخ، وهو الصديق. وهو الوليّ وبالله قويّ، وهو المحب الذي عَلَّمَنَا الحب، والرحمة، وبين أن الحب لا ثمن له.

ومن مدخل الحب كان الالتجاء إلى الله تعالى وتوسلا بحبيب الله تعالى طلبا للعون على مثل هذا المرتقى الصعب، ومن ثم فإن ما كان فيه من توفيق فهو من الله تعالى ومدد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبر قلب شيخنا وإمامنا ومربي أرواحنا سيدي نور الدين، والذي تتشرف هذه الخاتمة بملخص سريع عن سيرته الذاتية، بعنوان الأمانة في ترجمة الإمام العلامة، تعبيرا عن مكنونها من التجريد،

ووصف الواقع من غير انحياز، وإنه وإن كان الحب ضروريا بل وموجود وبعمق، إلا أن تسطير السيرة الذاتية ينبغي أن يصف الحقيقة وإلا كان خيانة للأمانة وهو ما دعا المؤلف إلى اختيار هذا العنوان الذي يحمل في طياته التعبير عن صدق الكلمات، وإن كانت المجلدات لا تكفي.

الأَمَانَةُ فِي تَرجَمَةِ الإِمَامِ العَلَّامَةِ

ترجمة أولية موجزة وتعريف بفضيلة مولانا الإمام العلامة

نور الدين علي جمعة

شَيخِ الطَّرِيقَةِ الصِّدِّيقِيَّةِ الشَّاذِلِيَّةِ

وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

ومعها الفهرست الجامع

لمؤلفات الإمام العلامة

سطرها بمدد القلب والروح

مُوسَى بن مَحْمُود شُومَان الصِّدِّيقِيّ الشَّاذِلِيّ

خُوَيْدِمُ طَرِيقَتِنَا العَلِيَّةِ الصِّدِّيقِيَّةِ الشَّاذِلِيَّةِ

الأمانة في ترجمة مولانا الإمام العلامة

يتشرف الكاتب بتقديم هذه الترجمة الموجزة لهذه الشخصية النادرة الفريدة المتفردة التي وصفها الكبار والعظماء بأوصاف ملأت الكراريس والمجلدات، حيث أدهش بتفرده كلَّ سابقٍ ولاحقٍ، وكان موطنَ القدوة للأصاغر والأكابر، فما التمسَ فيه أحدٌ جانبَ خيرٍ إلا ووجده عليه ظاهرًا، ليس في أقواله فحسب، بل في أفعاله وهي أعلى الرُّتَب، مما يجعل الحديث عنه قاصرا والكلام يقف أمامه عاجزا، فهو الجبل الأشم والطود الشامخ والنجم الأغر.

إنه شيخنا الذي ننتسب إليه ظاهرا وباطنا، الإمام العلامة سيدي نور الدين علي جمعة، حفظه الله تعالى، أكتب عنه ملتزما ما تلقيته وأخذته عنه خاصة، أو تداولته وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي على مستوى العالم، وكذلك مما سمعته من كبار مقدمي طريقتنا العلية الصديقية الشاذلية أو قرأته لما سطروه، من غير مبالغة أو تهويل أو تغيير للحقائق، رغم أنه غيض من فيض، وقطرة من بحره رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

ولما كان لكل شخصية - ممن تلتف حولهم حضارات الأمم كالدوامة - مِفتاح يصنع منها رؤية تعيد صناعة التاريخ والحضارة، نجد أن مولانا الإمام العلامة لا يقيده مِفتاح، بل له مفاتيح تعمل في كل اتجاه مما يجعل الحديث عن هذه الشخصية من الصعوبة بمكان، فكيف بالثرى من الثريا. كذلك فإن لكل مفتاح من مفاتيح شخصية مولانا أسرار وأدوار تحتاج إلى مجلدات ومجلدات لبيان بعض منها، ومن ثم صار الأمر بالفتح وسار، إلا أن هناك خلاصة يمكن بيانها،

مفادها الإخلاص لله تعالى والتوكل عليه في كل ما يقول وكل ما يعمل وما يأتي وما يذر، والخروج عن رؤية النفس وعدم الالتفات إلى السوى والأغيار، والاعتصام بلا حول ولا قوة إلا بالله حتى صارت منهج حياته الذي يعيش بها ولها ويربي أتباعه عليها، فاصطفاه الله تعالى لمرتبة كبيرة من مراتب الوراثة المحمدية والولاية الربانية، لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، ومن ثم فكان كما قيل (والعجز هنا شأن النطق)، فلقد اجتمعت في قلبه الشريف روافد عدة من أنوار الولاية الصوفية، والشريعة المحمدية، واتحدت في ذاته المباركة أسرار لا متناهية من الوراثة المحمدية، علما وعملا وحالا. ومن ثم أضحت الكتابة عنه باستخدام جمل متجردة هي أقصر الطرق وأيسرها في التعبير عن ملامح سيرته الذاتية، ولم يبق إلا وضع كل كلمة في داخل إطار يناسبها وضمن موضوع يحتويها في محاولة قاسية صعبة لتقييد أفكاره تحت عناوين محددة، فالمرونة في العنوان لمثل هذه الكلمات شيء صعب المنال.

وإني لأرجو الله تعالى أن يكتب لهذا الإصدار القبول وأن ينفع به العالمين اقتداءً واستفادة، عسى أن ينهل القارئ منه ما يعينه على أداء الذكر والفكر، وطلب العلم والمعرفة، والسلوك والتطبيق، عبادة لله، وعمارة للأكوان، وتزكية للنفس.

ولقد كانت النية أن تصدر الأمانة في كتيب مستقل ولكن وجد أنه من المناسب وضعها كملحق لهذا الإصدار، وقبل البدء تقتضي الأمانة الإشارة إلى أن ما ورد بهذا الإصدار إنما هي طبعة أولية موجزة تمثل الملامح العامة للسيرة الذاتية لمولانا، كإصدار تجريبي يليه إن شاء الله إصدار أوسع وأشمل، نسأل الله تعالى

التوفيق لإصداره في شكل موسوعي، يتناول جوانب عديدة من حياة فضيلته كأصولي، ومفسر، وأديب، وفيلسوف، وحكيم، ومربٍ، وغير ذلك وما كان في هذا الإصدار من توفيق فهو من الله جل في علاه، وما كان من تقصير فهو من عجز الكاتب، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم.

كَتَبَهُ الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ خَادِمُ سُنَّةَ نَبِيِّهِ

مُوسَى بنْ مَحْمُود شُومَان الصِّدِّيقِيّ الشَّاذِلِيّ

غَرِيقُ الأَدَبِ

خُوَيْدِمُ طَرِيقَتِنَا الْعَلِيَّةِ الصِّدِّيقِيَّةِ الشَّاذِلِيَّةِ

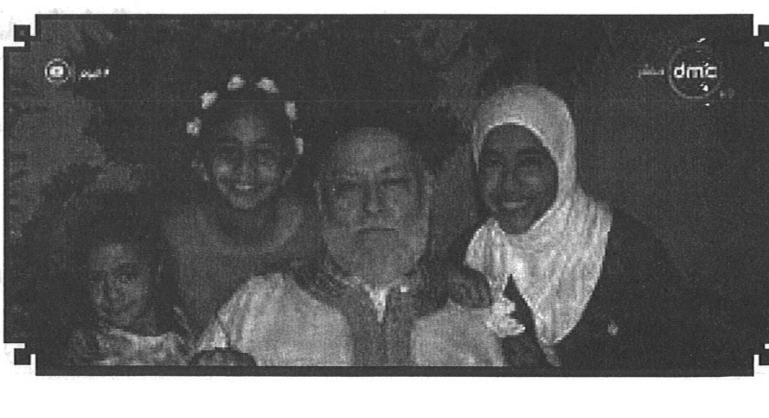
سيدي أبو الحسن نور الدين علي جمعة:



صورة الوالد رحمه الله تعالى

هو شيخنا وإمامنا ومربينا ومعلمنا وأستاذنا الإمام العلامة جامع علوم الحقيقة والشريعة: عَلِيّ بن جُمُعَة بن مُحَمَّد بن عَبْد الْوَهَّاب الشافعي الأزهري، الشاذِلي، المصري، المولود فجر يوم الاثنين 7 من جمادى الآخرة 1371هـ الموافق 3 مارس 1952م، بمدينة بني سويف، جمهورية مصر العربية، وهو ذات الوقت المبارك الذي ولد فيه سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وآله وسلم.

تزوج شيخنا عام 1974م، وله 22 عاما، وله ثلاث بنات تزوجن وأنجبن له ستة أحفاد (ثلاث بنات وثلاثة أولاد). ويقول فضيلته: (لقد تعلمت من حياتي أن أول شيء في هذا الاجتماع البشري هو إحسان العلاقة بين الرجل والمرأة، وأن هذه العلاقة هي التي تُبْنَى عليها الأكوان، وأن الأسرة هي الوحدة التي ينطلق منها البنيان).



من ألقابه وكناه وأوصافه:

كان يكتب لوالده: (نور الدين ذو الكُنَى .. أبو الحسن، وأبو عبادة، وأبو دُعا)، فيضحك والده.

ولذلك فمن الألقاب والأوصاف لفضيلته: نور الدين – أبو عبادة – أبو دعاء – أبو الحسن – فقيه العصر وصاحب مصر – سر الوصول وباب القبول إلى حضرة الرسول – مربي الأقطاب - الإمام المجدد - الشخصية المحمدية – الوارث المحمدي – الإمام العلامة – نور الدين والدنيا - مُرَبِّي الأَرْوَاح وَالأَشْبَاح، وغير ذلك مما يصعب حصره.

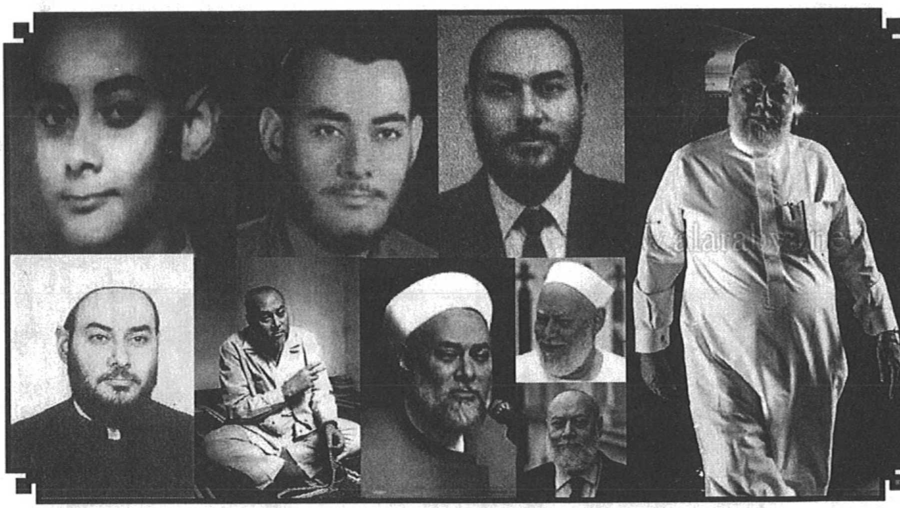


دراسته المدنية:

حصل على الثانوية العامة (1969م)، ثم التحق بكلية التجارة جامعة عين شمس، وحصل على بكالوريوس التجارة شعبة المحاسبة (1973م).

ولقد تلقى العلوم المدنية على عدد من الأساتذة المتخصصين في تخصصات أخرى نذكر من ذلك:

الاقتصاد الإسلامي على يد الدكتور عيسى إبراهيم عبده، وأُسُس علم الاقتصاد الغربي على يد الدكتور يحي عويس والدكتور علي لطفي (رئيس مجلس الوزراء الأسبق ورئيس مجلس الشورى المصري) والدكتور منيس عبد الملك، وعلم القانون الوضعي على يد الدكتور سامي مدكور والدكتور حمدي عبد الرحمن والدكتور حسين النوري وغيرهم، وتلقى علم الإدارة على يد الدكتور ماهر عليش والدكتور علي عبد الوهاب والدكتور سيد الهواري وغيرهم، أما علم المحاسبة فقد درسه على يد الدكتور الجزيري والدكتور العشماوي وغيرهم، وتلقى علم الرياضيات العليا على يد الدكتور فتحي محمد علي والدكتور داود منسي وغيرهم.



دراساته الأزهرية والشرعية:

فور تخرجه من كلية التجارة جامعة عين شمس، وكان قد قرأ (بل وحفظ) كل كتب الدراسات الأزهرية بجميع مراحلها الابتدائية والإعدادية والثانوية، التحق بكلية الدراسات العربية والإسلامية بجامعة الأزهر الشريف وحصل على:

* الإجازة العالية (ليسانس) من كلية الدراسات الإسلامية والعربية ـ جامعة الأزهر 1979.

* ماجستير أصول الفقه من كلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر 1985 بتقدير ممتاز.

* دكتوراه أصول الفقه من كلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر 1988م مع مرتبة الشرف الأولى.

*ترقى في الدرجات العلمية حتى الأستاذية، فصار من كبار علماء وأساتذة أصول الفقه.

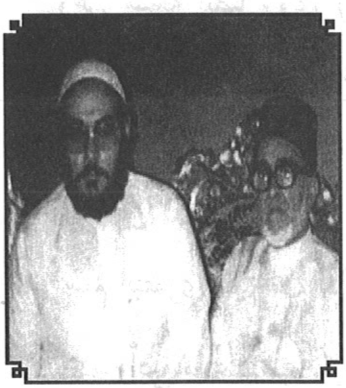


الإجازات العلمية:

* حصل فضيلته على أعلى الأسانيد في العلوم الشرعية وإجازات من أفاضل العلماء في العلوم الشرعية في الفقه والحديث والأصول وعلوم العربية، مما يصعب حصره، حيث تلقى على عدد كبير من مشايخ الأزهر ومصر وسائر البلاد الإسلامية، وروى بالسند المتصل العلوم والفنون الشرعية واللغوية المختلفة.

فدرس أصول الفقه على علامة وقته الشيخ محمد أبو النور زهير، وعلى المحقق الشيخ الحسيني يوسف الشيخ، وعلى خاتمة السلف الصالح الشيخ عبد الجليل القرنشاوي.

ودرس الفقه وقواعد الفقه على الشيخ جاد الرب رمضان الذي كان يلقب بالشافعي الصغير، والشيخ عبد العزيز الزيات إمام أهل العصر في القراءات، فقرأ عليه شيئا من مغني المحتاج في فقه الشافعية.



وقرأ القرآن بقراءة حفص على الشيخ محمد إسماعيل الهمداني، وبقراءة ابن كثير إلى سورة مريم على الشيخ عبد الحكيم عبد اللطيف شيخ مشايخ القراء ونهاية المحققين.

وقرأ البخاري كله على محدث العصر وخاتمة الحفاظ عبد الله بن الصديق الغماري.

ويروي شيخنا عن أكثر من خمسة وعشرين شيخا، نخص منهم بالذكر: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والشيخ عوض الزبيدي، والشيخ محمد علوي مالكي، والشيخ أحمد جابر اليمني، والشيخ عبد العزيز الغماري، والشيخ سعيد اللحجي.

ونذكر هنا بعض الأسانيد العالية في هذا الشأن:

* مُسْنِد المغرب العلامة الفقيه الأصولي السيد عبد الله بن الصديق الغماري (ت1413هـ)، بما في ثبته (ارتشاف الرحيق)، وأيضا بما في (ثبت العلامة الشبراوي)، وبما في (المعجم الوجيز) و (البحر العميق في مرويات ابن الصديق)، و (صلة الرواة بالفهارس والأثبات) الثلاثة لشقيقه الحافظ السيد أحمد بن الصديق رحمه الله (ت1380هـ).

* هذا ويتصل شيخنا بثبت الأمير: عن شيخه المذكور رضي الله عنه، عن المعمر محمد دويدار الكفراوي (ت1361هـ)، عن البرهان الباجوري (ت1277هـ) بالعامة، عن العلامة محمد الفضالي (ت1236هـ)، عن العلامة محمد الأمير الكبير (ت1232هـ) صاحب الثبت المشهور.

* وعن شيخه أيضا يروي (الإمداد بمعرفة علو الإسناد) للعلامة عبد الله بن سالم البصري (ت1134هـ) عن محمد إمام السقا (ت1254هـ)، عن والده البرهان السقا (1298هـ)، عن ولي الله ثعيلب الفشني (ت 1239هـ)، عن الشهابين الملوي (ت1182هـ) والجوهري (ت1181هـ)، عن عبد الله بن سالم البصري صاحب الإمداد رحمه الله.

وأعلى ما عند شيخه رحمه الله تعالى: روايته عن القاضي عبد الحفيظ الفاسي (ت1383هـ)، عن يوسف السويدي (ت1348هـ) عن العلامة المحدث السيد محمد مرتضى الزبيدي شارح (الإحياء) و (القاموس) (ت1205هـ)، وهو سند عال بالمرة، لا يوجد أعلى منه في الدنيا، وإن الشيخ يوسف السويدي

يروي عن المرتضى بناء على إجازته لجده وأولاده وأحفاده من بعده، على القول بجواز الرواية للمعدوم.

* العلامة المسند الراوية محمد ياسين الفاداني المكي (ت1410هـ) بما في أثباته المتعددة.

* العلامة الشيخ محمد الحافظ التيجاني (ت1398هـ) رحمه الله تعالى، يروي عن المحدث السيد عبد الحي الكتاني (ت1382هـ) بما في ثبته المطبوع المسمى (فهرس الفهارس).

* العلامة المحدث السيد المنتصر الكتاني (ت1419هـ) نزيل مكة المكرمة رحمه الله تعالى.

* العلامة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا الشهير بحامد (ت1404هـ) رحمه الله تعالى، عن السيد عبد الحي الكتاني (ت1382هـ) بما في (فهرس الفهارس).

* العلامة الشيخ إسماعيل بن عثمان زين اليمني المكي الشافعي (ت1414هـ) رحمه الله تعالى بما في ثبته المسمى (صلة الخلف بأسانيد السلف).

* الشيخ محمد زكي الدين إبراهيم (ت1419هـ) رحمه الله تعالى، عن محمد عبد الله بن إبراهيم العاقوري العربي الليبي المعمر (ت1390هـ تقريبا) نزيل مصر، عن الباجوري (ت1277هـ) بالخاصة.

هذا، ويروي شيخنا حديث الرحمة المسلسل بالأولية، عن جماعة من المحدثين من أوجه متعددة، ونخص منهم بالذكر:

يقول مولانا نور الدين والدنيا: حدثنا العلامة المحدث السيد عبد الله بن الصديق الغماري (ت1413هـ)، وهو أول حديث سمعته منه، قال حدثنا بهاء الدين أبو النصر القاوقجي (ت1357هـ) وهو أول حديث سمعته منه، قال: حدثني أبي أبو المحاسن القاوقجي (ت1305هـ)، وهو أول حديث سمعته منه، ثنا محمد عابد السندي (ت1257هـ) وهو أول حديث سمعته منه، ثنا عبد الرحمن بن سليمان الأهدل (ت1250هـ) وهو أول حديث سمعته منه، ثنا أمر الله بن عبد الخالق المزجاجي وهو أول حديث سمعته منه، ثنا ابن عقيلة (ت1150هـ) وهو أول حديث سمعته منه، ثنا أحمد بن محمد الدمياطي، الشهير بابن عبد الغني (ت1117هـ) وهو أول حديث سمعته منه، ثنا محمد بن عبد العزيز المنوفي وهو أول حديث سمعته منه، ثنا أبو الخير بن عموس الرشيدي (ت1002هـ) وهو أول حديث سمعته منه، ثنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت926هـ) وهو أول حديث سمعته منه، ثنا الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ) وهو أول حديث سمعته منه، ثنا عبد الرحيم بن حسين العراقي وهو أول حديث سمعته منه، ثنا أبو الفتح الميدومي (ت754هـ) وهو أول حديث سمعته منه، ثنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني (ت672هـ) وهو أول حديث سمعته منه، ثنا أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ) وهو أول حديث سمعته منه، ثنا إسماعيل بن أبي صالح النيسابوري المؤذن (ت470هـ) وهو أول حديث سمعته منه، ثنا أبو طاهر الزيادي (ت410هـ) وهو أول حديث سمعته منه، ثنا أبو حامد البزاز (الخشاب) (ت330هـ) وهو أول حديث سمعته منه، ثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم (ت260هـ) وهو أول حديث سمعته منه، ثنا سفيان بن عيينة (ت198هـ) وهو أول حديث سمعته منه، وإليه ينتهي التسلسل بالأولية على هذا المنوال عن عمرو بن دينار (ت125هـ)، عن أبي قابوس مولى عبد الله

بن عمرو، عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ت65هـ) رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحِمونَ يرحَمُهم الرَّحمنُ، (وفي رواية: تبارَكَ وتعالى) ارحَموا مَن في الأرضِ يرحَمْكم مَن في السَّماء». وهو حديث صحيح، أخرجه أبو داود، والترمذي، والحاكم في المستدرك وغيرهم.

* ولقد تلقى فضيلة شيخنا الإمام العلامة الفقه الشافعي بسند متصل لإمام الأئمة وناصر السنة محمد بن إدريس الشافعي (ت 204هـ):

قال سيدي نور الدين والدنيا رضي الله عنه:

حدثنا العلامة إسماعيل بن عثمان زين اليمني المكي الشافعي (ت1414هـ)، عن السيد محمد بن يحيى الأهدل (ت1352هـ)، عن السيد أحمد زيني دحلان (ت1304هـ)، عن الشيخ عثمان بن حسن الدمياطي (ت1265هـ)، عن الشيخ عبد الله الشرقاوي (ت1227هـ)، عن الأستاذ محمد ابن سالم الحفني (ت1181هـ)، عن الشيخ أحمد الخليفي (ت1109هـ)، عن الشيخ أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي (ت1096هـ)، عن الشيخ علي بن عيسى الحلبي (ت1044هـ)، عن الشيخ علي الزيادي (ت1024هـ)، عن المحقق أحمد بن حجر الهيتمي (ت973هـ) والشيخ محمد الرملي (ت1004هـ) والشيخ الخطيب (ت977هـ)، كلهم عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت926هـ)، عن الحافظ بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، عن الولي أحمد بن عبد الرحيم (ت826هـ)، عن والده الزين العراقي (ت806هـ)، عن السراج البُلقيني (ت805هـ)، عن العلاء بن العطار (ت724هـ)، عن محرر المذهب الإمام النووي (ت676هـ)، عن كمال الدين سلار الإربلي (ت670هـ)، عن أبي عمرو عثمان بن

الصلاح (ت643هـ)، عن والده عبد الرحمن الملقب بالصلاح (ت618هـ)، عن أبي سعد عبد الله بن عصرون (ت585هـ)، عن أبي علي الفارقي (ت528هـ)، عن أبي إسحاق الشيرازي (ت476هـ)، عن القاضي أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري (ت450هـ)، عن أبي الحسن محمد الماسرجسي (ت384هـ)، عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد المروزي (ت340هـ)، عن أبي العباس أحمد بن سريج (ت306هـ)، عن عثمان بن بشار الأنماطي (ت288هـ)، عن الربيع بن سليمان المرادي (ت270هـ)، عن إمام الأئمة وناصر السنة محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ).

وقد تلقى الإمام الشافعي العلم متصلا بالسلسلة الذهبية عن الإمام مالك بن أنس (ت179هـ) عن نافع (ت117هـ)، عن ابن عمر (ت73هـ) رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ.

ثقافته الموسوعية:

* شارك كخبير بمجمع اللغة العربية في إعداد موسوعة مصطلحات الأصول الصادرة عن المجمع.
* اشترك بوضع مناهج كلية الشريعة بسلطنة عمان حتى افتتاح الكلية المذكورة وشارك في الافتتاح كعضو مؤسس.
* اشترك في وضع مناهج جامعة العلوم الإسلامية والاجتماعية SISS بواشنطن.
* ألقى الدرس الحسني عام 1994 بحضرة جلالة ملك المغرب، الحسن الثاني ويدعى للدرس كل عام.
* عين مشرفا مشاركا بجامعة هارفارد بمصر بقسم الدراسات الشرقية.

* عين مشرفا مشاركا بجامعة أكسفورد لمنطقة الشرق الأوسط في الدراسات الإسلامية والعربية.
* مثّل الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا وشارك في محاضراتها الثقافية وفي تقويم الأساتذة المساعدين والمدرسين في لجان ترقياتهم.
* أسند إليه خطبة الجمعة ودرس الفقه الشافعي بمسجد السلطان حسن منذ عام 1998 حتى الآن.
* قام بالتدريس يوميا بالحلقة الأزهرية من بعد صلاة الفجر حتى قرب الظهر بقراءة كتب التراث في العلوم الشرعية والعربية، وأسس بذلك للدراسات الحرة.
* شارك في فحص النتاج العلمي للترقية إلى درجة أستاذ وأستاذ مشارك لكثير من جامعات العالم.

وغير ذلك كثير، وقد اقتصرنا هنا على ذكر أهم هذه الأنشطة.

الشيخ أصوليا وفقيها(1):

يعد علم أصول الفقه لمولانا العمود الفقري للهيكل المعرفي والثقافي لفضيلته، وحيث تلقى هذا العلم على أكابر علماء هذا التخصص في عصرهم، فصار إليه منتهى هذا العلم. ويرى فضيلته أن هذا العلم له مكانته العظيمة بين علوم الشريعة إذ يستوجب الاستمداد من النص مع إعمال العقل، حتى لا يحدث فارقا بين النص والواقع، مع الأخذ في الاعتبار تشابك هذا العلم مع كافة العلوم الشرعية.

---

(1) وهي مستلة من سيرته الذاتية على موقع دار الإفتاء المصرية، وبعض مقالات كبار العلماء في الكتاب التذكاري بمناسبة سبعين عاما هجريا من عمر فضيلته.

ومن ناحية أخرى تبنى فضيلته قضية التجديد في علم أصول الفقه، وصرف فيها جهوده فهو أصل الاجتهاد وأساسه الذي تقوم عليه أركان بنائه، وذلك من خلال مجموعة من الصور منها إعادة صياغة القديم بأسلوب جديد، وإعادة النظر في مسائله، ومنهج تفعيل وتشغيل القواعد الموروثة لذلك العلم عند التطبيق، وإعادة بناء هيكل ذلك العلم لعله أن تظهر مسائل جديدة، وجَعْل التجديد من طبيعة ذلك العلم، والعمل على دوام الاستفادة التبادلية مع العلوم الاجتماعية، مع إعادة ترتيب مباحث علم أصول الفقه طبقا للنظريات السبع التي أنشأها فضيلته بترتيبها (الحجية، والتوثيق، والفهم، والقطعي والظني، والإلحاق، والتعارض والترجيح، ثم المقاصد، وشروط الباحث)، وغير ذلك من الصور، وهي من أكبر الأدلة على مميزات عقلية مولانا التي تنزع إلى التجريد والبحث عن الكليات والعلل البعيدة للقضايا والأشياء.



ولقد قال عنه علماء عصره: الفقيه الأصولي والمجتهد المجدد يسبق الزمن ويسابقه من أجل خدمة الإسلام، ودائما تلقى الشيخ في مستصعب الأمور والنازلات معبرا عن شرع الله أصدق تعبير، حتى إنه أصدر فتوى أثناء توليه منصب الإفتاء بالديار المصرية بعدم جواز توريث الحكم في مصر، وترى له في الفتاوى ذات الصلة بالمعاملات رأيا

فقهيا متميزا، ويرجع ذلك لتميزه عن أقرانه من أكابر أهل العلم بالوعي بعلوم المحاسبة والرياضيات والإدارة، إلى جانب علمه بالفقه وأصوله، وعلوم الوسائل، وكثرة رحلاته ومشاهداته واطلاعاته، بما جعله فقيهًا مجتهدًا يصدر في رأيه الفقهي عن تصور واضح للأمور وتنزيل الفتوى على واقع الحال، وكان لا يتخلف عن طلابه رغم مشاغل دار الإفتاء الكثيرة، فلم يؤثر عنه غياب، وقد عمد في تدريس أصول الفقه إلى أن تكون لدينا الملكة في استنباط الأحكام، ومعرفة استمداد الحكم الشرعي، والعلل في أقسامه وأنواعه، ولم يرد من تلاميذه المعرفة فقط، فقد كان يطمح معهم إلى التطبيق.

أما عن الفقه والفتوى فهو كما قالوا عنه: علامة العصر ومفتي مصر، وهو فارس الميدان المتمكن المتبحر صاحب القدرة على الاجتهاد والاستنباط، من خلال مجموعة من القواعد الخاصة به، وأهمها: عدم التعصب والتقليد، وعدم الالتزام برأي في قضية ما إلا بالحجة الساطعة والبراهين القاطعة، والقدرة على الترجيح، مع التيسير وعدم التعسير، مع اعتماد المتغيرات الأربعة للفتوى من تغير الزمان والمكان والأحوال والأشخاص، والأخذ في الاعتبار عالم الأشياء والأحداث والأفكار.

ولقد تميز الشيخ حفظه الله بتمكنه في علم أصول الفقه وانفتاحه على المذاهب الثمانية وهي: المالكية، والشافعية، والحنفية، والحنبلية، والإمامية، والظاهرية، والزيدية، والإباضية، وتجلّى هذا الفهم العميق لأصول هذه العلوم ونشأتها في كتابه «تاريخ أصول الفقه» الذي يعتبر خارطة علمية لهذا الفن، وكان الشيخ يستأنس بالمذاهب الأخرى في فتاويه، نابذًا للجمود الفكري والتعصب المذهبي السائدين في هذا الزمن.

ويكفي في ذلك ما شهد به العالم أجمع لمولانا من جهود غير مسبوقة في تطوير مؤسسة دار الإفتاء المصرية ووضعها على رأس هيئات الإفتاء في العالم الإسلامي، واتخاذها مرجعية عالمية.

الحوزة الأزهرية[1]:

أحيا الله تعالى به العلم وحلقاته في الأزهر الشريف بعد طول موات، حيث جدد فضيلة مولانا الإمام العلامة ما اندرس من معالم التدريس العلمي القديم في أروقة الأزهر الشريف، حيث بدأ إقامة الحوزة العلمية على شكل حلقة صغيرة لا يتجاوز عدد الطلاب فيها عدد أصابع اليد الواحدة، ولا يمكن بأي حال لأي ناظر إلى هذه الحلقة أو البذرة الصغيرة البسيطة أن يتصور أنها سوف تستمر وتنمو وتتطور لتصبح أحد أهم روافد النهضة العلمية الحديثة لا في الأزهر الشريف وحده بل في العالم الإسلامي كله، حيث انتشر تلاميذه كعلماء عاملين في شتى بقاع العالم، وهذه سمة ظاهرة من سمات كل أعمال وجهود مولانا الإمام العلامة، فكثير من الأمور والأعمال تبدأ عنده صغيرة لا يكاد أن يراها أو يتصور مستقبلها المشرق الباهر أحد من الناس، ثم لا تلبث أن تنمو كشجرة كبيرة وارفة الظلال طيبة الثمار، والسر في ذلك هو الصدق والإخلاص والحب الذي يسقي الإمام به أعماله فيجعلها الله نامية مباركة.

لقد ابتعث الإمام العلامة في هذه الحوزة المباركة نمطًا فريدًا من التدريس لا يقتصر على فك مقفلات كتب التراث، ولا حل معضلاتها، بل اهتم جدًّا بربط التراث بالواقع المعاصر، وبالنوازل الحديثة، من خلال نمطين من القراءة لا ثالث لهما: كانت قضية امتلاك مفاتيح قراءة التراث وفهم أصوله ومناهجه وقواعده وأسراره، تساعدنا في تفعيل هذا الفهم في الواقع، وهذا النمط الفريد المنهجي الذي أحياه مولانا الإمام في قراءة كتب الفقه والأصول والتفسير والعقيدة والمنطق والجدل واللغة

(1) وهي مستلة من كلمة دكتور أشرف سعد كبير مقدمي الطريقة الصديقية الشاذلية بالكتاب التذكاري بمناسبة العام السبعين من عمر فضيلة مولانا الإمام العلامة بالتقويم الهجري.

والتصوف، وغيرها من العلوم ربطها بما يدور في الساحة المعاصرة من تطورات فكرية ونظريات فلسفية حديثة كالذاتية والموضوعية، والإطلاق والنسبية، والعلمانية الشاملة والجزئية، والقراءة التأويلية المعاصرة، والتاريخية، وكان من مميزات الحوزة العلمية النقاش المطول المفتوح الهادف الهادئ العميق، لم يكن مولانا الإمام أستاذًا بارعًا فذًا وحسب، بل كان مستمعًا رائعا، كان يسمع لنا ويتأمل كلامنا على سطحيته وبساطته، ولم يكن من عادة المشايخ أن ينصتوا لكلام طالب مبتدئ يُشَرّق ويغرب في الحديث حتى يصل إلى مبتغاه وسؤاله بصعوبة، فما يكون منهم إلا الإشاحة عن الطالب إذا لم يحسن صياغة السؤال، وهنا تبرز سمة أخرى من سمات مولانا الإمام ألا وهي سمة الصبر الجميل على طلابه، وسعة صدره على الاستماع لنا، مع ما يحمله الكلام ربما من ركاكة أو تكرير أو سطحية، وبعدما ينتهي الطالب من السؤال على طريقته يبدأ مولانا الإمام قبل الجواب - وبعدما قرأ ما في ذهن الطالب ولم يحسن التعبير عنه - في إعادة صياغة السؤال بطريقة علمية مختصرة ثم يبدأ في الجواب بشكل مفصل، ومن هنا فقد علم مولانا الإمام طلابه فن صياغة السؤال وترتيب الأفكار وحسن التعبير وترك الشغب والجدال العقيم جانبًا.

ومن هنا فقد تحولت الحلقة شيئًا فشيئًا إلى مجلس علمي جامع يلتف حوله كثير من الطلاب والدارسين والمفكرين من أنحاء العالم الإسلامي، وتخرج من هذه الحلقة الرائعة مئات بل آلاف الطلاب من المصريين والوافدين وكثير من العلماء المشايخ الذين أفادوا بمنهج مولانا الإمام جماهير الأمة الإسلامية شرقًا وغربًا، ومن كلماته: (الحوزة نسق مفتوح) بمعنى أنها لتخريج العلماء الذي يقومون بواجبهم في التعليم

والدعوة والتربية فتمتد آثارها إلى الأجيال تلو الأجيال وليست مجرد حلقة تعليم، فقد أحيا مولانا الإمام فكرة الإسناد والرواية والإجازة في كتب الحديث وغيرها.

وبالجملة كانت الطلبة ترى أنفسها أمام عالم موسوعي فريد نادر المثال في كافة جوانبه الشخصية والإنسانية، واسع الثقافة والاطلاع، شديد الصبر والجلد على البحث والمعرفة وتتبع المعلومات وربطها برباط عقلي وثيق.

هذا غيض من فيض فيما يمكن أن يقال عن تجربة الحوزة العلمية الأزهرية، وإلا فالحوزة قد أحدثت تغيرا واضحا في الحياة الفكرية المعاصرة وناهضت الأفكار المتشددة، وغيرت كثيرًا من المفاهيم المغلوطة، وحركت المياه الراكدة، وأحيت الهمم، حتى يكاد البعض يجزم أن معظم الجهود العلمية والمدارس الأزهرية التي قامت على المنهج الأزهري هي من نتاج هذه الحوزة المباركة.

ردت طريقة مولانا الإمام في العلم والتربية كثيرا من الشباب عن الأفكار المتطرفة الشاذة التي كانت رائجة، وأوجدت تيارًا أزهريًّا وسطيًّا قويًّا جذب قلوب الشباب وطلاب العلم إليه، واستشعر مشايخ وزعماء هذه الجماعات الحرج الحقيقي، فشنوا حربًا لا أخلاقية اتسمت بالغوغائية وقلة الديانة، لكن الله تعالى نصره ورفع قدره وأيده وزاد من انتشار وذيوع دعوته الشريفة في الخافقين، ولا زالت هذه الحركة المباركة هي حائط الصد القوي المنيع الذي يدفع ضلالات وانحرافات هذه الجماعات حتى هذه اللحظة.

كانت الحوزة الأزهرية ولا زالت رافدًا علميًّا مهما للطرق الصوفية، وللدفاع عن التصوف وإقامته في حياة الناس على قاعدة من العلم الشرعي الأزهري المتين، فقاعدة

الإمام في التصوف هي قاعدة الإمام الجنيد رضي الله عنه وأرضاه، طريقنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، كانت رحلة الإمام العلامة في بحار التصوف رحلة عميقة، فقد نهل كما ذكرنا من موارد صافية ومشارب نقية وعايش الأولياء وكان من أبنائهم الأوفياء المخلصين، صور لنا حياتهم وأحوالهم تصويرًا دقيقا، حتى رأينا هذا في أخلاقه رضي الله عنه وفي قوله وفي عمله، وكان من نتاج هذه المسيرة الصوفية المباركة أن أسس مولانا الإمام الطريقة الصديقية الشاذلية، التي أقامها على العلم والمعرفة والحب والإخاء والخدمة، وأقامها أيضا على احترام وتقدير كل رجال الله من السادة الصوفية، وعلى احترام الطرق الصوفية وأهلها ومشايخها الكرام، وأوصانا بالتواصل مع الطرق الصوفية والتعاون مع أهل الله تعالى على البر والتقوى، وعلى كل ما يدفع مسيرة التصوف في طريق الخير والحق، ولا شك أن كثيرًا من الآمال الطيبة معقودة على مولانا الإمام في تجديد المسيرة الصوفية، ونحن لا نزال ننهل وننهل من بحار وأنوار مولانا الإمام العلامة.

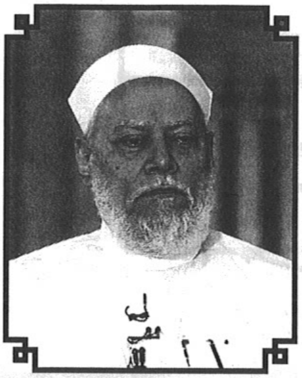
المشروع العلي لإحياء القلب الصوفي:

ما برح فضيلة مولانا الإمام العلامة في كل لقاء، وكل مناسبة، وكل فرصة، أن يلقي الضوء على مجموعة من الأفكار والنقاط التي لا ترسم منهجه الصوفي الخاص به فحسب، بل تضع الأطر المهمة واللازمة لأهل الصوفية في كل مدينة وقرية، وكيف لا وهو كما قيل عنه: (إمام الطريقة الصديقية الشاذلية: الوارث النبويّ، والغوث المحمديّ، والقطب العلويّ، والمرشد الوليّ؛ شاذليَّ السلوك، نقشبنديَّ الجذب، قادريَّ القدم، دسوقيَّ الشرف، رفاعيَّ التواضع، أحمديَّ الفتوة، جُنَيْديَّ التَّشَرُّع، عربيَّ التحقُّق، محمديَّ الوراثة، علويَّ اليقين، بكريَّ الصدق، عُمَريَّ العدل، عثمانيَّ الحياء، حسنيَّ السؤدد والهيبة، حسينيَّ الكرم والشجاعة، زينبيَّ الحب والفداء؛ صاحبَ الأحوال والمقامات، والأمدادِ والكرامات)[1].

ونظرا لاتساع منهج فضيلة مولانا الإمام العلامة وتشعبه مما يحتاج إلى قراطيس وقراطيس، نكتفي بإلقاء الضوء على عناوين أهم المهمات الرئيسية والأساسية في هذا المنهج: أصول وأساسيات - التصوف علم وعمل - العلاقات الصوفية وأطرافها - التصوف والحياة، علم وعمل - الذكر - الفكر - التخلية والتحلية منهج حياة - الأدب - التصوف وسيدنا رسول الله ﷺ وآل البيت - التصوف والتحديات المعاصرة كالتكنولوجيا ومتغيرات العصر والوعي الجمعي وتصوف الفتن، والفوائد والمجربات، وكتاب الله المسطور والمنظور، والسند، إلى غير ذلك من المحاور والتي تتجلى فيها المناهج التربوية والوجدانية عند الإمام من

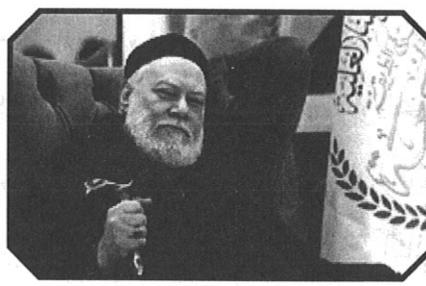
---

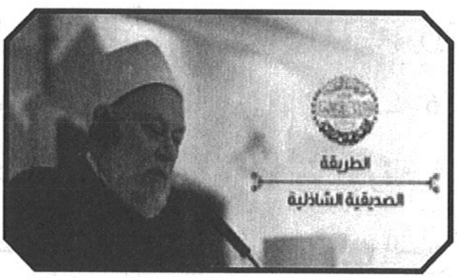
(1) وهي من مقال د. محمد وسام كبير مقدمي الطريقة الصديقية الشاذلية بالكتاب التذكاري بمناسبة العام السبعين من عمر فضيلة مولانا الإمام العلامة بالتقويم الهجري.



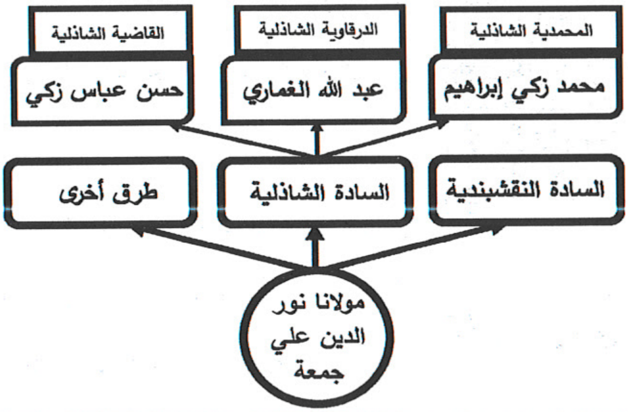
الرحمة والحب والجمال واللين (الرفق) والتيسير والاتباع والاحتواء، وكيف نتعرف ونمارس ثم نعيش المنهج الرباني.

والباحث المدقق في حال شيخنا حين يدرس مسيرته الصوفية لا يجد إلا وصفا واحدا متحققا لمولانا خلال رحلته الصوفية مع مشايخه، فالإمام لم يطلب الطريق، وإنما طُلِبَ له، جنبا إلى جنب مع ما يبذله في مجالات الخدمة محليا وإقليميا وعالميا.





ومن هنا تقرر إنشاء الطريقة الصديقية الشاذِلية لشيخها مولانا الإمام العلامة، وهي طريقة عَلِيَّة وَصْفٌ من العُلُو، وسميت بالصديقية بالنظر إلى الأسانيد حيث تلقى مولانا هذه الطريقة أول ما تلقيت عن سيدنا الشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الطنجي الدرقاوي، وهي شاذِلية حيث يسير السند بنا حتى نصل إلى الإمام أبي الحسن الشاذِلي، إلى منتهاه إلى سيد الخلق أجمعين.



بعض من أسانيد مولانا الإمام العلامة (أسانيد رواية وتسليك وعطاء)

فالطريقة الصديقية الشاذلية طريقة صوفية سُنِّيَّة شرعية رسمية مُعترفٌ بها من قِبَل المجلس الأعلى للطرق الصوفية بجمهورية مصر العربية، بالقرار رقم 2018/11م، وخاضعة لأحكام القانون رقم 118 لسنة 1976م بشأن نظام الطرق الصوفية، ولائحته التنفيذية، وتم إقرارها بقرار وزير الأوقاف رقم 167 لسنة 2018م، والمنشور بالوقائع المصرية بالعدد 174 في يوم الخميس السابع من ذي القعدة 1439هـ، الموافق الثاني من أغسطس 2018م.



الرائد محمد زكي إبراهيم



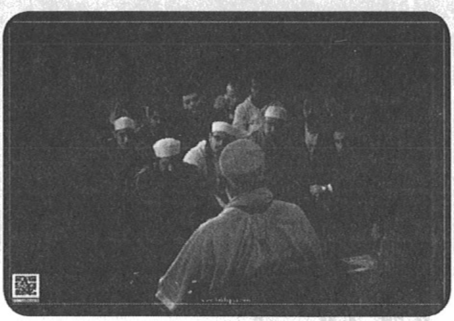
الدكتور حسن عباس زكي

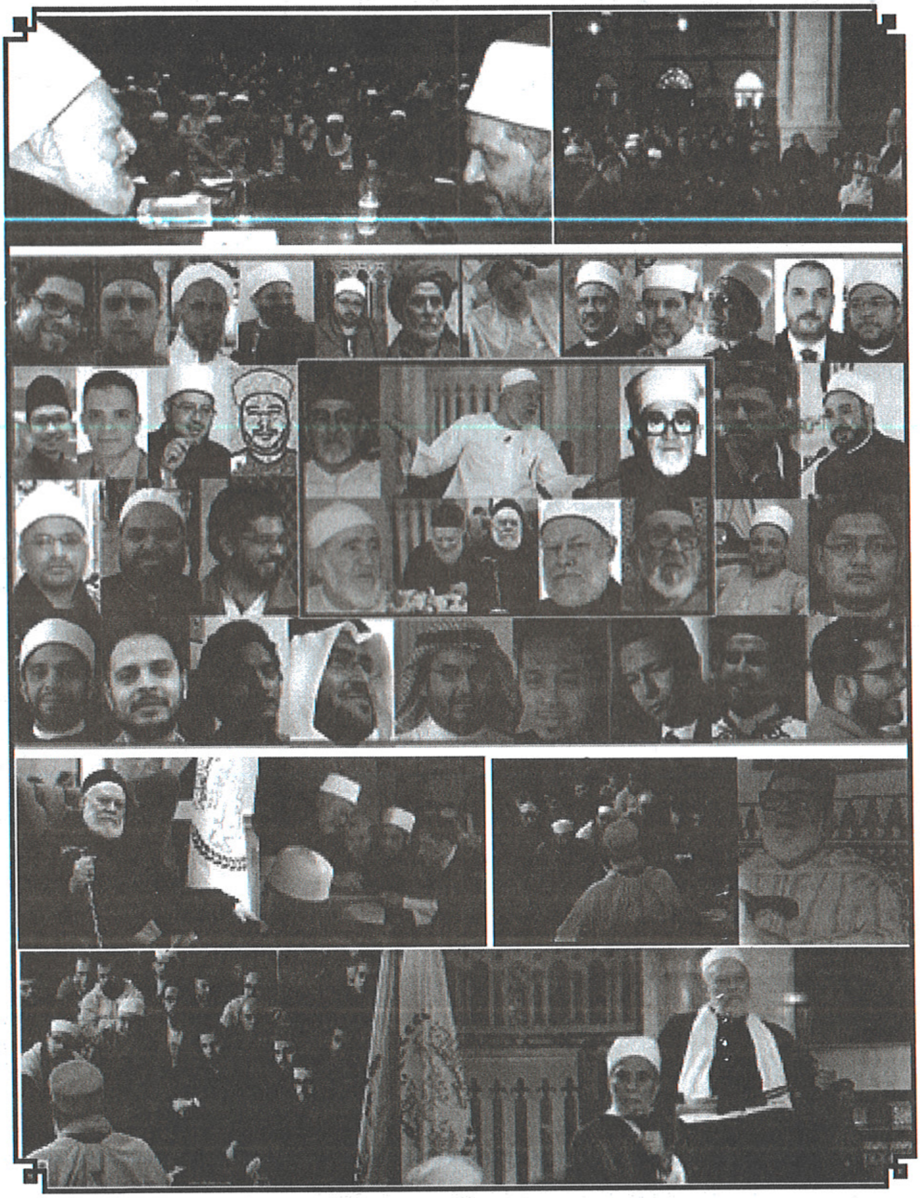


السيد عبد الله بن الغماري

وتنطلق نظرية الخدمة عند الصوفية الصديقية الشاذلية - كما قرر مولانا الإمام العلامة - من النسق المعرفي للحضارة الإسلامية Islamic Paradigm، المكون من أركان الإيمان، وعلاقة الإنسان بخالقه، في إطار من القيم العامة المطلقة التي تقوم على دعامة أساسية من توحيد الله، وقيم مهنية تقوم على فهم صحيح للطبيعة الإنسانية، وطبيعة الاجتماع البشري بكل مشتملاتها الروحية والسلوكية والبيولوجية والعقلية، وغير ذلك، سعيا إلى توفير الظروف المواتية والمناخ الملائم لتحقيق الغاية من الوجود الإنساني في تحقيق العبودية المطلقة لله تعالى والمتمثلة في النهوض بأعباء الاستخلاف من أداء النسك والعبادات، وعمارة الأرض، وتزكية النفس، داخل الإطار المرجعي والرؤية الكلية للإنسان والكون والحياة، في إطار المنظومة التربوية الأخلاقية القيمية الإنسانية، التي مؤداها وهدفها الإحسان، ومن ثم تصير الخدمة عند الصوفية عملية مستمرة تراكمية ديناميكية، تراعي محاور التغير الأربعة: الزمان، والمكان، والأحوال، والأشخاص، في عدم غياب عن الواقع.







مقدمو الطريقة الصديقية الشاذلية

وتلاميذ مولانا الإمام العلامة

ويضيف فضيلة مولانا: (ونحن نحب جميع الطرق الشرعية الرسمية مهما اختلفت المشارب والمناهج والأسماء، والفضل فيها والقرب من الله من حيث نفعها للناس وخدمتها للوطن وولائها للدين وأخذها بيد الخلق إلى طريق الحق. فلا نُكِنّ حقدا ولا ضغينة على أحد من أرباب الطريق، ونتبرك بجميع الأولياء والأصفياء والصالحين، وفي مقدمتهم السادة الأشراف آل البيت الكرام. وأن من جاءنا وانضم إلينا لله فليسرع ومرحبا به، ومن جاءنا لنفسه فليرجع، ومن عرفنا لله فهو معنا، ومن عرفنا لغيره فليدعنا، ومن نازعنا في شيء من أمور الدنيا تركناه له، ولا نبالي، وأننا لا نذم أحدا ولا ننقده ولا ننتقصه مهما كان، فغايتنا الله الله الله).

والطريقة الصديقية الشاذلية، كأي طريقة شرعية رسمية تخضع لقانون الطرق الصوفية المصري لها شيخ هو الرئيس الروحي والإداري لها، ويتولى مسئولياته في الإشراف على شئون طريقته مستقلاً عن باقي مشايخ الطرق الصوفية، وهو سيدي أبو الحسن نور الدين علي جمعة الشافعي.

وللطريقة مُقَدِّمِين (مُقَدَّمِين) عبارة عن نواب للشيخ بالدول المختلفة، ونواب للشيخ بالمحافظات المصرية، وخلفاء للشيخ، ومجموعة من السيدات المتابعات للنساء، ولا يكون الانتساب للطريقة صحيحا إلا من خلال أحد هؤلاء السادة والمذكورين في الدليل الصديقي.

وللطريقة كذلك متحدث إعلامي. ويقول فضيلة مولانا الإمام: (المقدم مأذون من الشيخ حتى تتسع الدنيا، فإذا أخذت الطريق من أحد المقدمين، كأنك أخذته من مولانا مباشرة، ولا خلاف ولا نزاع في ذلك، ولذلك فمن لا يستطيع أداء الأوراد في موعدها، أو يستكمل أعدادها، يراجع شيخه، أو المقدم الذي أعطاه الورد ليوجهه).

الوظائف والمناصب:

تقلد الشيخ العديد من الوظائف، وتم اختيار فضيلته لعدد كبير متميز من المناصب، ومن ذلك:

* عضو هيئة كبار العلماء.

* مفتي الديار المصرية منذ عام 2003 م وحتى 2013.

* عضو مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر الشريف منذ عام 2004 وحتى الآن.

* أستاذ أصول الفقه بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة - جامعة الأزهر.

* عضو مجمع الفقه التابع لمنظمة مؤتمر العالم الإسلامي بجدة.

* المشرف العام على جامع الأزهر الشريف منذ عام 1999م حتى عام 2013م.

* عضو مؤتمر الفقه الإسلامي بالهند.

* عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف منذ عام 1995م حتى عام 1997م.

* رئيس مجلس أمناء مؤسسة مصر الخير.

* عضو مجلس أمناء الجامعة المصرية للثقافة الإسلامية في كازاخستان عن الجانب المصري.

* عضو المجلس الاستشاري الأعلى لمؤسسة طابة بدولة الإمارات العربية.

* مشرف مشارك بجامعة هارفارد بمصر بقسم الدراسات الشرقية.

* مشرف مشارك بجامعة أكسفورد لمنطقة الشرق الأوسط في الدراسات الإسلامية والعربية.

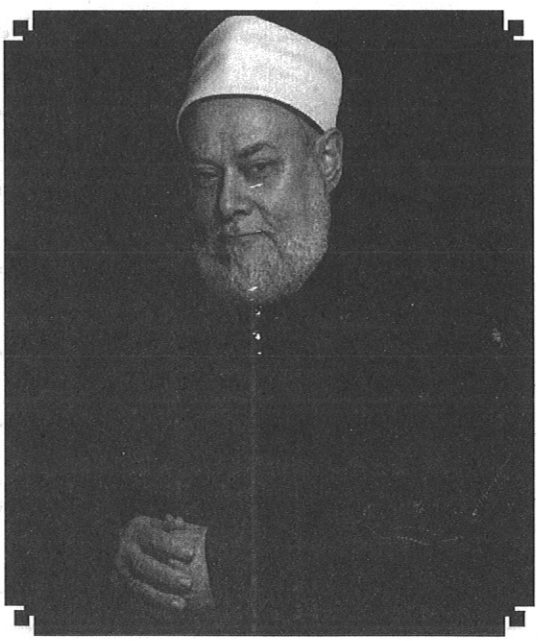
* رئيس مجلس أمناء أكاديمية الداعية المعاصر.

* عضو عامل في مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي بالأردن.

* عضو المجلس القومي لمكافحة الإرهاب والتطرف تحت رئاسة رئيس جمهورية مصر العربية.

* عضو لجنة تحكيم جائزة الملك عبد الله الثاني لأسبوع الوئام بين الأديان 2018م.

* عضو المجمع العلمي المصري (أقدم مجمع علمي بمصر) منذ عام 2018م.



الأنشطة الأكاديمية والعلمية:

أولًا: نبدأ ببيان مجموعة من أساتذته، نذكر منهم أكثر من ثلاثين من كبار علماء عصرهم:

- الشيخ/ عبد الله بن الصديق الغماري
- الشيخ/ عبد الفتاح أبو غدة
- الشيخ/ أحمد مرسي
- الشيخ/ عبد العزيز الغماري
- الشيخ/ محمد أبو النور زهير
- الشيخ/ الحسيني يوسف الشيخ
- الشيخ/ عوض الله حجازي
- الشيخ/ شعبان محمد إسماعيل
- الشيخ/ عبد الحميد ميهوب
- الشيخ/ حسن أحمد مرعي
- الشيخ/ عبد الله بن سعيد عبادي اللحجي
- الشيخ/ أحمد جابر اليمني
- الشيخ/ محمد الحافظ التيجاني
- الشيخ/ عبد العزيز الزيات
- الشيخ/ إسماعيل صادق العدوي

- الشيخ/ عبد الجليل القرنشاوي
- الشيخ/ الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الأسبق جاد الحق علي جاد الحق
- الشيخ/ محمد إسماعيل الهمداني
- الشيخ/ جاد الرب رمضان
- الشيخ/ إبراهيم أبو الخشب
- الشيخ/ محمد محمود فرغلي
- الشيخ/ السيد صالح عوض
- الشيخ/ على أحمد مرعي
- الشيخ/ إسماعيل الزين اليمني
- الشيخ/ محمد علوى المالكي
- الشيخ/ عوض الزبيدي
- الشيخ/ صالح الجعفري
- الشيخ/ أحمد حمادة الشافعي
- الشيخ/ محمد شمس الدين المنطقي
- الشيخ/ عبد الحكيم عبد اللطيف
- الشيخ / محمد زكي الدين إبراهيم

وغيرهم كثير.

ثانيًا: الإشراف العلمي:

ونذكر هنا بعض الرسائل العلمية التي أشرف عليها أو ناقشها وقام بتحكيمها، ومنها:

* تشنيف المسامع بجمع الجوامع لبدر الدين الزركشي، للباحث عبد الله ربيع محمد.

* دعوة جماعة التبليغ، نشأتها وأفكارها، للباحث عمر عبد الله عبد الرحيم أحمد.

* دراسة وتحقيق من أول باب المشترك والمؤول إلى باب دلالة النص من كتاب "مدار الفحول في شرح منار الأصول، للعلامة محمد بن مبارك شاه الهروي، للباحث مجدي مصلح إسماعيل شلش.

* الاستثناء عند الأصوليين، وأثره في الفروع الفقهية، للباحث عبيد الله ناجي عبيد أحمد.

* مشكلة تمويل الصناعات الصغيرة في مصر والبديل الإسلامي لتمويل هذه الصناعات، للباحث عبد المنعم محمود أبو الدهب.

* الإمام جمال الدين الإسنوي وأثره في أصول الفقه، للباحث أسعد عبد الغني السيد الكفراوي.

* نموذج الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية، للباحث عادل محمود مصطفى.

* القواعد الفقهية الكبرى وآثارها في المعاملات المالية، للباحث عمر عبد الله محمد كامل.

* المصطلح الأصولي: نشأته وتطوره، وضوابطه مع دراسة مسائل الأوامر والنواهي، للباحث أنور شعيب عبد السلام.

وغيرها كثير وكثير.

ثالثا: مناظرات ومساجلات علمية:

للشيخ مناظرات ومساجلات مع بعض معاصريه من الشيوخ والعلماء، ممن اختلف معهم في الرأي، والاختلاف طبيعة بشرية، ويلمس المتابع لذلك قوة الحجة لدى الشيخ حيث طوع الله تعالى له اللغة والبيان مع الالتزام بأدب العلم والمناظرة، بل إنه تنازل عن حقه وأسقط كل خصومة بينه وبين كل من خاض فيه، أو تناوله بسب أو شتم، بل قال في خطبة جمعة علنا أمام العالم أجمع: (إن أحدهم أرسل لي رسالة يقول فيها أنت تتكلم عن العفو والصفح وأنت لم تعفُ وتصفح عن شخص شتمك فأين العفو والصفح، ... ، أُشْهِد الله أنني خلعت عباءة الخصومة بيني وبين أي أحد وأني ألغيت كل قضية قبل أن تبدأ أو كل خصومة حتى نبدأ صفحة جديدة، وحتى أبدأ بنفسي عندما أقف أمامكم، وقد بدأت بنفسي، لأني أحب أن يعفو الله عني، وأن يغفر الله لنا، وأن ندخل في محل نظره سبحانه وتعالى، ... ، الناس نسيت العفو والذكر ونريد أن نرجع إلى الله).



ولعل من أشهر المناظرات ما كانت مع الأديب والمفكر أحمد عبد المعطي حجازي، والتي وصفت أنها مناظرة تليفزيونية دينية ثقافية بالمفهوم الصحيح، والذي أعلن فيه الأستاذ أحمد في نهاية اللقاء (تقديري لفضيلة المفتي كان ثابتا وهو تأكد في هذا اللقاء).

وكان الشيخ قد أعلن أيضا قائلا: (أتقدم باقتراح وهو استمرار النقاش خارج نطاق التلفزيون، أنا أدعو المثقفين والمفكرين بجميع الطوائف .. الأدباء والشعراء.. أدعوهم إلى Seminar سيمنار وأنا مستعد للجلوس معهم وأضيّفهم).

رابعا: مشروعات علمية وبحثية:

قام فضيلته بتنفيذ والإشراف على العديد من المشروعات التي لم يُسْبَق إليها من قبل، مثل:

* مشروع حفظ التراث.

* المكنز الإسلامي.

* إدخال كتب السنة بالكمبيوتر، وعمل برامج الاسترجاع.

* مشروع الاقتصاد الإسلامي (38 جزءًا).

* مشروع العلاقات الدولية (12 جزءًا).

* إعداد معايير تقويم أداء البنوك الإسلامية.

* مشروع التراث الاقتصادي الإسلامي (125 مجلدًا).

* إعداد مكنز الاقتصاد الإسلامي.

* إعداد مدخل الاقتصاد الإسلامي بمركز صالح عبد الله كامل.

* الاشتراك في إعداد دراسة (3 مجلدات) لفتاوى شركة الراجحي المصرفية.

خامسا: المؤتمرات التي شارك فيها:

* حضر فضيلته العديد من المؤتمرات العلمية (نحو أربعين مؤتمرًا) ، وقدم بها أبحاثًا، في العديد من دول العالم.

* مثَّل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق شيخ الجامع الأزهر الأسبق في عدة لقاءات دولية.

* شارك في لجان مجمع البحوث الإسلامية بتقويم مؤتمر السكان بالقاهرة، ومؤتمر المرأة ببكين.

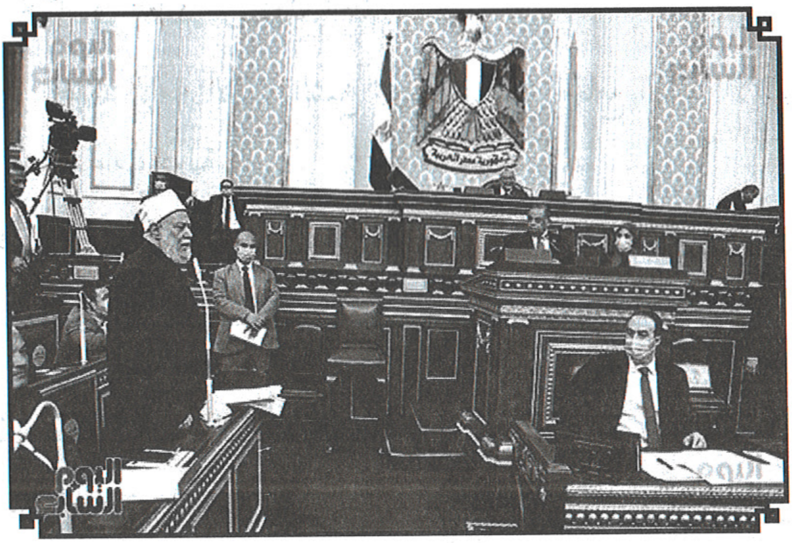
سادسا: الشيخ والتأثير العالمي:

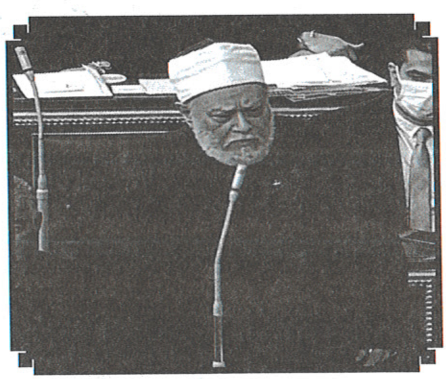
اختير الشيخ ضمن أكثر خمسين شخصية مسلمة تأثيرًا في العالم لاثني عشر عامًا على التوالي من (2009-2020) حسب تقييم المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية بعمّان في الأردن.

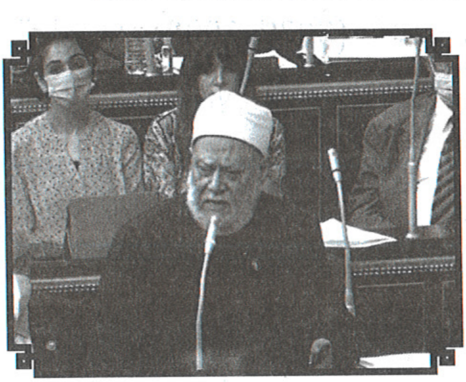
الشيخ برلمانيًا:

اختير الشيخ عضوا برلمانيا بمجلس النواب المصري في يناير عام 2021م، وتم ترشيحه رئيسا للجنة الدينية، وفاز بالتزكية.

وقال فضيلته عقب تعيينه بمجلس النواب: (أمانة أمام الله .. وبلدنا محروسة، وهي مسئولية كبيرة وبنقول يا رب)، وقال أيضا إنه تلقى خبر تعيينه في البرلمان بمشاعر لا توصف، لافتا إلى أن ما يمنحنا الله من عطايا يكون فيه جزء من المسئولية.







الشيخ رجل خدمة ومجتمع:

* اختير عضوا بمجلس أمناء صندوق تحيا مصر.

* رئيسا لمجلس أمناء مؤسسة مصر الخير.

* رئيسا لمجلس أمناء المؤسسة الصديقية الشاذلية للخدمات الثقافية والاجتماعية.

* شيخ الطريقة الصديقية الشاذلية العلية.

* دشن مولانا حملة أخلاقنا واصفا إياها بـالمباركة التي تعيد لمصر وجهها المشرق في تعاملها مع الحياة حبا وإخلاصا.

* مشروع ربط 200 بنك دم بشبكة إلكترونية موحدة.

* مبادرة أشرقت بمشاركة الإذاعة المصرية، وشركة صوت القاهرة للصوتيات والمرئيات، لنشر صحيح الدين الإسلامي والتصدي للمناهج المنحرفة من خلال إعادة نشر نخبة من الصوتيات والمرئيات من تراث كبار علماء مصر بأساليب تواكب العصر وتناسب وسائل التواصل الاجتماعي.

* حملة دعم الأم المصرية.

* حملة كشك الخير.

* إهداء مكتبة تضم مليون عنوان إلى المجمع العلمي المصري.

* حملة زكاة الغارمين.

وهناك مشروعات أكثر من ذلك بكثير تضيق مساحة الكتاب عن سردها.

الشيخ مفكرًا ومجددًا(1):

يُخلع لقب (المفكر) على الكاتب أو الباحث المتميز بسعة أفقه في طرح أفكار جديدة وتجديدية مهمة في المجال المعرفي العلمي والإنساني الذي اختص به. وإن الفكر الإسلامي السليم هو المطابق بجميع تصوراته لمصادر الشريعة ومقصدهما، ولا يمكن عقلا ولا نقلا أن يسمى المفكر مفكرا إسلاميا حتى تكون جميع تصوراته وثقافاته تُعرِّفُ بجوهر الإسلام وتحمل في مضمونها معنى العبودية والخشية لله، وأيضا دور مقاصد الفكر الإسلامي في جميع جوانبه هو تحقيق معنى عبودية الله ونفع الأخرين، وليس خادما للصراعات، والمجادلات الخادمة للنفس والهوى والشيطان.

والمدقق في إنتاج مولانا الإمام العلامة الفكري في مختلف المجالات، وخاصة المجال الإسلامي، وما استوعبه من الحواشي وحفظ المتون، يجد الاتساع الثقافي الشامل، المشيد على الكتاب والسنة، المبني على الإخلاص، وتحقيق العبودية، والتجديد الواعي للعلوم وخاصة في علوم أصول الفقه، والاجتماع الإنساني، والمقاصد العليا للشريعة وقضايا العصر، وليس أدل على ذلك من نظريته في إدراك الواقع بتراكيبه المتشابكة وإدراك النص، وأن نعرف كيف نعيش عصرنا بعوالمه الخمسة (عالم الأشياء، والأشخاص، والأفكار، والأحداث، والنظم) مع مثلث الفتوى والواقع والنص، وإعادة ترتيب المقاصد الشرعية الخمسة باعتبار التشغيل في الواقع المركب، وتكامل هذه المقاصد (النفس، ثم العقل، ثم الدين، ثم النسل، ثم المال) بما يبرز عالمية المقاصد الشرعية ويظهر الجانب الحضاري في الإسلام، من خلال الاتزان مع التراث بعدم

(1) وهي مدبجة مع ملخص مقال د. عمرو الورداني كبير مقدمي الطريقة الصديقية الشاذلية بالكتاب التذكاري بمناسبة العام السبعين من عمر فضيلة مولانا الإمام العلامة بالتقويم الهجري.

الوقوف على مسائل السلف، بل لابد علينا أن نأخذ بمناهجهم فمسائل السلف مرتبطة بأزمانهم ومشكلات الواقع الذي عاشوه، في حين أن مناهجهم اهتمت بكيفية تطبيق الوحي الإلهي على الوجود، أي تطبيق المطلق على النسبي، من غير تناقض أو تصارع، من خلال مداخل واضحة للتعامل مع التراث والاستفادة منها (الاختيار الفقهي، والفقه الوسيع، وتغيير المسلك، واللحظة اللطيفة)، مع احترام ما قدمه سلفنا الصالح من مجهود، حتى نصل إلى الفهم العميق للنموذج المعرفي الإسلامي باعتباره مدخلا فعالا في بيان حقيقة هذا الدين للعالمين، لما فيه من تحديد لمعالم ومكونات العقل المسلم.

يضاف إلى ذلك ما حفلت به مؤلفاته من تأصيل شرعي للعديد من المفاهيم كمفهوم الأمن المجتمعي، والإنسانية في الإسلام النظرية والتطبيق، وما قام بعرضه من تجديد في نظريات أصول الفقه بصياغة النظريات السبع لأصول الفقه (نظرية الحجية والتوثيق والفهم والثبوت والإلحاق والدلالة والاستدلال والإفتاء)، ونظرية الشروط، وأثر ذهاب المحل في الحكم، ومدى حجية الرؤيا عند الأصوليين، وقضية المصطلح الأصولي، علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية، والحفاظ على البيئة من منظور إسلامي، وألا نقف عند الظواهر فقط وإنما نتجاوزها إلى حقائق العلم، والعلم واسع فهو ليس محصورًا في العلم الشرعي وحده أو التجريبي وحده، فلابد من الجمع بين الكتاب المسطور (القرآن) والكتاب المنظور (الكون)، وأن واجب الوقت الآن هو البيان وليس الرد أو الهجوم كي نتعامل مع العالم بقلب مفتوح من أجل عبادة الله وعمارة الأرض وتزكية النفس.

إلى غير ذلك من أعماله، كمفكر إسلامي ومجدد عصره، الذي علم الأجيال كيف تسبح في عقول المجتهدين؛ ليفكروا كما فكَّروا، ويقوموا بواجب وقتهم كما قاموا،

ويفهموا مناهجهم دون أن يقفوا عند مسائلهم، مع إمكان الجمع بين الأصالة والمعاصرة، في إطار ملتزم بالحفاظ على إسلامية الهوية واللغة العربية، فالفكر واللغة وجهان لعملة واحدة كما يقول مولانا.

الجوائز والأوسمة:

* نال فضيلته وسام الاستقلال من الدرجة الأولى من الملك عبد الله الثاني عاهل الأردن.





* نال فضيلته نجمة القدس من الرئيس الفلسطيني محمد عباس.



3996

دولة فلسطين

الرئاسة

نحن

محمود عباس

رئيس دولة فلسطين

رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

قررنا تقليد

سماحة الشيخ الدكتور على جمعة

مفتي الديار المصرية السابق

وسام نجمة القدس

تقديراً لدوره في دعم الشعب الفلسطيني ونصرة قضيته العادلة ودفاعه عن القدس ودعم صمود أهلها، ودوره في نشر قيم التسامح والعدل بين الشعوب في العالم.

فلسطين في 20 من شهر ديسمبر سنة 2013 ميلادية.

محمود عباس

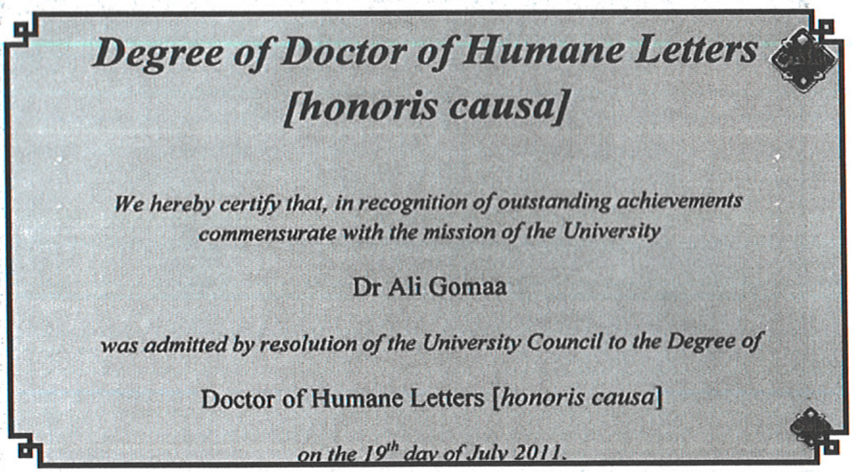
رئيس دولة فلسطين

رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية

* نال فضيلته الدكتوراه الفخرية من جامعة ليفربول البريطانية.







Degree of Doctor of Humane Letters
[honoris causa]

We hereby certify that, in recognition of outstanding achievements commensurate with the mission of the University

Dr Ali Gomaa

was admitted by resolution of the University Council to the Degree of

Doctor of Humane Letters [*honoris causa*]

on the 19th day of July 2011.

* نال فضيلته الدكتوراه الفخرية من جامعة أسيوط وكذلك من جامعة بني سويف.



* نال فضيلته درع الجيش المصري من الفريق الأول عبد الفتاح السيسي، القائد الأعلى للقوات المسلحة.

* وغير ذلك من الأوسمة والجوائز من العديد من بلدان العالم والرؤساء والملوك والأمراء.



مؤلفاته وأبحاثه العلمية:

كثيرة ومتعددة في جل المجالات، ومنها إشرافه على العديد من الموسوعات، حيث تُبيِّن اتساع هذه العقلية الفارقة التي يتميز بها مولانا، ونذكر من هذه المؤلفات ما يقرب من مائة كالتالي:

- الحكم الشرعي عند الأصوليين
- أثر ذهاب المحل في الحكم
- الأوامر والنواهي عند الأصوليين
- الإجماع عند الأصوليين
- القياس عند الأصوليين

- تعارض الأقيسة عند الأصوليين
- قول الصحابي عند الأصوليين
- آليات الاجتهاد
- مدى حجية الرؤيا عند الأصوليين
- التجديد في أصول الفقه
- قضية المصطلح الأصولي مع التطبيق على شرح تعريف القياس
- النسخ عند الأصوليين
- علم أصول الفقه وعلاقته بالفلسفة الإسلامية
- رؤية فقهية حضارية لترتيب المقاصد الشرعية
- النماذج الأربعة من هدي النبي في التعايش مع الآخر
- المدخل لدراسة المذاهب الفقهية الإسلامية
- الإمام الشافعي ومدرسته الفقهية
- الإمام البخاري وجامعه الصحيح
- صناعة الإفتاء من مجموعة سلسلة التنوير الإسلامي
- موسوعة الفتاوى المؤصلة
- مجلدات فتاوى الأستاذ الدكتور علي جمعة خلال فترة توليه دار الإفتاء المصرية

- البيان لما يشغل الأذهان
- تيسير النهج في شرح مناسك الحج
- الحج والعمرة أسرار وأحكام
- الجهاد في الإسلام
- الدين والحياة.. فتاوى معاصرة
- فتاوى البيت المسلم
- الفتاوى الرمضانية
- الفتاوى العصرية لمفتي الديار المصرية
- فتاوى النساء
- فتاوى المرأة المسلمة
- الكلم الطيب.. فتاوى عصرية
- الاستعداد لرمضان
- برنامج التربية الأخلاقية في السنة النبوية
- التربية والسلوك
- خطوات الخروج من المعاصي
- الدعاء والذكر
- سبيل المبتدئين (شرح البدايات من منازل السائرين)

- الطريق إلى الله
- مجالس الصالحين الرمضانية
- الوحي - القرآن الكريم
- البيئة والحفاظ عليها من منظور إسلامي
- حاكموا الحب
- التجربة المصرية من مجموعة سلسلة التنوير الإسلامي
- سمات العصر.. رؤية مهتم
- سيدنا محمد رسول الله للعالمين
- الطريق إلى التراث الإسلامي
- المرأة في الحضارة الإسلامية
- محاضرات في الفقه الصوفي للأحكام الشرعية العملية
- المرأة بين إنصاف الإسلام وشبهات الآخر
- قضايا المرأة في الفقه الإسلامي
- المكاييل والموازين
- من نبيك ؟! هو سيدنا محمد المصطفى ﷺ
- النبراس في تفسير القرآن الكريم
- النبي ﷺ

- وقال الإمام .. المبادئ العظمى
- المتشددون .. منهجهم ومناقشة أهم قضاياهم
- ضوابط التجديد الفقهي
- بناء المفاهيم .. دراسة معرفية ونماذج تطبيقية
- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين
- ختان الإناث ليس من شعائر الإسلام
- المنهجية الإسلامية
- النقاب عادة وليس عبادة
- فتاوى الإمام محمد عبده
- الأموال لأبي جعفر أحمد بن نصر الداوودي
- رسائل ابن نجيم الاقتصادية المسماة الرسائل الزينية في مذهب الحنفية
- قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف
- الموسوعة الإسلامية العامة
- الموسوعة القرآنية المتخصصة
- موسوعة التشريع الإسلامي
- موسوعة أعلام الفكر الإسلامي
- موسوعة الحضارة الإسلامية

- موسوعة علوم الحديث الشريف
- الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية
- المقارنات التشريعية (تطبيق القانون المدني والجنائي على مذهب الإمام مالك)
- المقارنات التشريعية بين القوانين الوضعية المدنية والتشريع الإسلامي
- موسوعة فتاوى المعاملات المالية للمصارف والمؤسسات المالية الإسلامية
- موسوعة فتاوى الإمام ابن تيمية في المعاملات وأحكام المال
- موسوعة الاقتصاد الإسلامي في المصارف والنقود والأسواق المالية
- المساواة الإنسانية في الإسلام النظرية والتطبيق
- تأصيل شرعي لمفهوم الأمن المجتمعي
- تاريخ علم أصول الفقه
- المدخل إلى التصوف الإسلامي
- شرح كنوز الأسرار للهاروشي

- Environmentalism an Islamic perspective
- The truth of Islam and Misconceptions about Islam.
- In search For Acommon Word
- Responding from the Tradition
- The Epistemology of Excellence A Journey into the Life and Thoughts of the Grand Mufti of Egypt
- Methodology of Moral Discipline in the Prophetic Tradition
- environnement_french

الشيخ ووسائل التواصل الاجتماعي والإعلامي:

تسجيلات الشيخ:

لفضيلة مولانا أكثر من (3000) ساعة تسجيل على اليوتيوب، تشمل العديد من الدروس المنتظمة في الشريعة، والتصوف، ومنها:

* رب لترضى - ج1
* رب لترضى - ج2
* الدروس الشاذلية
* طريقنا
* نفحات
* مصر أرض الأنبياء
* مصر أرض الصالحين
* درجات المعرفة
* درس الجمعة
* من مصر
* والله أعلم
* كلمة حق

* نور الحق

* هذا ديننا

* المتشددون

وغيرها الكثير والكثير

مقالات الشيخ:

ولمولانا مقالات في جل الصحف والمجلات اليومية والأسبوعية والموسمية محليا وإقليميا وعالميا، ومنها صحف الأهرام، والأخبار، والجمهورية، والمصري اليوم، والوفد، وروز اليوسف، وعقيدتي، ومجلة الحياة، واليوم السابع، وغير ذلك الكثير، ومن أمثلتها على سبيل المثال لا الحصر:

* حروف المعاني والأثر والتعلق

* أثر التعلق والاشتقاق في فهم المعاني

* أسس الحضارة بيننا وبين الغرب

* الفلسفة اللغوية

* مصادر التشريع الإسلامي

* من آداب المجالس

* حسن المعاملة

* قواعد الأمن الاجتماعي

* السلام المجتمعي والسلام النفسي

* مراحل صناعة الفتوى

* تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان

* آداب الفتوى

* من أولويات الإفتاء التيسير

* البيئة في الحضارة الإسلامية

* رمضان مرآة حضارة الإسلام

* المرأة في الحضارة الإسلامية

* هوية الفارس النبيل وبناء إنسان الحضارة

* مفتاح السعادة وبناء إنسان الحضارة

وغير ذلك الكثير والكثير.

مواقف في حياة الإمام:

ويكفي أن نضع مجموعة من العناوين لهذه المواقف فهي أشهر من أن نحكي عنها في هذا المختصر، ونذكر منها بعض الأمثلة:

* الدكتور علي جمعة ومشروع الفوضى الخلاقة

* أحداث ثورة يناير 2011 وما بعدها

* ضَرُورَة الحِفَاظِ عَلَى الوِحدَةِ الوَطَنِيّةِ

* رِسَالَةٌ واعية ناصحة إِلَى الإِعْلَامِ

* زيارة القدس

* الحالة السائلة لمصر بعد الثورة

* حريق المجمع العلمي

* مبادرة لم شمل مصر

* ثورة يونيو 2013

* محاولة الاغتيال الفاشلة (5 أغسطس 2016)

* التنازل عن الخصومة مع الخصوم

خاتمة

من أقوال مولانا ﵁: (السِّرُّ فِي السِّيرَة)، يقصد سيرة المعصوم ﷺ، ويرى الباحث أنها مقولة تنسحب إلى كل وارث محمدي، فالسر في حب الناس لمولانا هي سيرته الطيبة المنتشرة في الآفاق، والتي شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء والحلفاء، حيث يعمل فضيلته جاهدا على إعادة صياغة العقول وترتيبها وتهذيب النفوس وإصلاحها، وصولا إلى العقلية الفارقة، والقلوب الضارعة، من أجل خير البشرية وصلاحها، مناديا بالصلاح والإصلاح والتقريب الإيجابي بين الأمم، حيث يحمل هَمَّ أمة الدعوة وأمة الإجابة، بل وأمة الاتباع.

وختاما، نسطر بعطر القلب ومسك الروح باقة مما قيل عنه من أكابر العلماء:

(استكمل كل دروب العلم والحكمة - مفتي الثقلين وصاحب البحرين - إنه حقاً رجل القرن الـ 21 - ظاهرة إنسانية مهمة في حياتنا، تستحق المتابعة - إحدى الشخصيات النادرة التي تظهر في التاريخ على فترات متباعدة، وأن مصر في مرحلة تحتاج لمثله - التاريخ يشهد له - من نجباء مصر - قلمه أفضل من قلمي (الشيخ جاد الرب رمضان) -قبلنا الإجازة منك (الشيخ عبد الفتاح أبو غدة).

الشيخ علي أمة وحده - الشيخ الوالد - عالم فاضل، كريم الخُلُق - المفتي الحكيم -لو كان الأمر بيدي لأعطيته الأستاذية من مناقشته في أثناء الدرس بالأزهر (الشيخ عبد الجليل القرنشاوي)- كرّس نفسه للصالح العام، ليس للمسلمين فحسب، ولكن لجميع الإنسانية - قيادة دينية لها قبول في العالم أجمع - يملك قدرات وإمكانيات هائلة للتواصل مع العالم - مظهرٌ لسيرة المصطفى ﷺ - وإنه لمرشد عزيزٌ في هذا العصر -

مجلس فضيلة الدكتور العلامة علي جمعة هو مجلس يشهده أهل السماء قبل أهل الأرض - الجواد المعطاء - الإداري الناجح - السياسي المحنك - الزاهد - الوطني الشجاع والقائد المقدام - المفكر الإسلامي الفذ - المؤرخ العلامة - حامل هم القدس الشريف - مجدد العلم - عالمَ الأمة الفرد ومجتهدَها الأوحدَ - مفتيَ الديار وحاميَ الذمار).

وقال ﷺ عن نفسه:

(أنا أزهري حتى النخاع - تعلمت الكثير من العلوم فقرأت على المشايخ وزاحمتهم بالركب كثير جدا - عشقت الأزهر والمشايخ واللبس وغيرهم من زمان - لا أدعي حول ولا قوه لي - عرفت كل عمود وكل شيخ من أجيالنا والأجيال السابقه والأجيال السابقه عليها إلى منتهي تاريخ الأزهر - قرأت في تاريخ الأزهر 150 كتابا - فالأزهر منهج، والأزهر عقلية، والأزهر نفسية، والأزهري شخصية معينة. ولن تكون أزهريا إلا إذا تلبست بهذه العقلية وتلك النفسية - مَنّ الله عليّ فدَرَستُ من علوم الدنيا والواقع، ثم سافرت عبر الأرض في كل الدول، وشاركت في المؤتمرات والندوات، ودَرّست علوم الشريعة والقانون والاقتصاد، وناقشت أكثر من مئة رسالة علمية، وساهمت في بناء المؤسسات والجامعات، وتوليت المناصب المتعددة. لقد درستُ في الأزهر الشريف وزاحمت المشايخ بالرّكب حتى عرفت كلّ عمود وكلّ شيخ فيه فأنا ازهريّ حتى النخاع، ومن هذه الرحلة ترسخ في نفسي احترام التراث، واحترام الزمان، وإدراك عالمية الإسلام).

وما زال فضيلته قائمًا بمهة الخلافة في الأرض، متعه الله بالصحة والعافية وأبقاه ذُخرًا للإسلام والمسلمين.

والحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد سيد الخلق وخاتم المرسلين، وآله، وصحبه أجمعين، ورضي الله عن شيخنا وإمامنا سيدي الإمام العلامة نور الدين علي جمعة شيخنا شيخ الطريقة الصديقية الشاذلية، وعالم الأمة.

سبتمبر 2021م/المحرم 1443هـ

كَتَبَهُ الْفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ خَادِمُ سُنَّةَ نَبِيِّهِ

مُوسَى بنْ مَحْمُود شُومَان الصِّدِّيقِيّ الشَّاذِلِيّ

غَرِيقُ الأَدَب

خُوَيْدِمُ طَرِيقَتِنَا الْعَلِيَّةِ الصِّدِّيقِيَّةِ الشَّاذِلِيَّةِ

فهرس

إهْـــدَاء...5
تـمـهـيـد...7
مقدمات 9
مقدمة المؤلف...10
منهج الدراسة...15
الكتاب الأول محاور من حياة الإمام 19
المحور الأول: نظرة عامة على مجموعة من محاور حياة هذا الإمام......25
المحور الثاني: مقدمة تأخذ بيد القارئ إلى مراد البحث من رحلته
في أعماق منهج الإمام 36
الكتاب الثاني ملامح المناهج العلية لأهل الصوفية..................43
الباب الأول: الإطار العام لمنهج الشيخ 45
الشَّيْخُ والمَنْهَجُ: تقديم:.......................................45
الشَّيْخُ والمَنْهَجُ: علاقةٌ عَقَدِيَّةٌ أخْلاقِيَّةٌ.............................53
الشَّيْخُ والمَنْهَجُ: تَربِيَةٌ تكامُلِيَّةٌ جَامِعَةٌ..............................62
الطريقة الصديقية الشاذلية: النشأة والأهداف........................70
عالمية منهج مولانا الإمام العلامة 93
المنهج والدعوة الربانية 102

ملامح المشروع العلي لإحياء القلب الصوفي 108
الباب الثاني: لمحات من منهج تربية المريدين 116
المناهج التربوية عند الإمام 116
من نصائح الإمام ووصاياه... 129
الكتاب الثالث الجانب الصوفي في حياة مولانا 141
الباب الأول: التجربة الوجدانية في حياة الإمام 143
النشأة الصوفية الروحية 143
الحب وأثره في حياة الإمام... 150
ما بين الإشراقات والمبشرات والكرامات.. والخرافات 162
الباب الثاني: الملامح العلمية والعملية الصوفية عند الإمام......... 183
التصوف علم وعمل.. 183
ارتباط التصوف بالتكنولوجيا ومتغيرات العصر والوعي الجمعي
وأثر ذلك على المريد وأعداد الذكر.................................. 191
التعامل مع تصوف الفتن 203
الفوائد والمجربات... 205
أثر الذكر في علاج النفس 217
الكتاب الرابع مع سيدنا رسول الله ﷺ وآل بيته الكرام 227
الباب الأول: مع سيدنا رسول الله ﷺ.................................229
السيرة في حياة مولانا الإمام 230

الكشف في رؤيته الصادقة، ورؤية الرسول ﷺ................ 231
الصلاة على سيدنا النبي ﷺ.................................. 233
كيف نحب سيدنا النبي ﷺ؟................................. 235
صيغ الصلاة على سيدنا النبي ﷺ........................... 237
دلائل محبة سيدنا النبي ﷺ.................................. 240
نماذج مصطلحية: مصطلح صخرة الكونين................... 242
الباب الثاني: مع آل البيت عليهم السلام 245
علاقة التصوف بآل البيت... 245
علاقة التصوف بالتشيع 246
دور الصوفية في التقريب بين الشيعة وأهل السنة والجماعة ... 249
خلاصة القضايا المتعلقة بآل البيت والتصوف.................. 251
الكتاب الخامس قضايا صوفية في حياة الإمام 255
قضايا صوفية في حياة الإمام...................................... 257
يقينه الراسخ بالله في حل مشاكل الأمة 257
مكونات السير في الطريق وملامحه ومعالمه.................... 262
الشَّيْخُ المُرَادُ 276
الشَّيْخُ الخَادِم (الشيخ والخدمة)............................... 283
أولا: المجال الخدمي للطريقة الصديقية الشاذلية................ 284
ثانيا: على المستوى المحلي....................................... 298

ثالثا: على المستوى الإقليمي والعالمي 304
رابعا: المشاركات الشخصية لفضيلة مولانا الإمام العلامة في العديد من المؤتمرات الخدمية في العديد من المجالات 306
خامسا: منهجه مع المؤسسات والكيانات الصوفية 309
الهِمَّةُ والْعَزِيمَةُ فِي فِكْرِ الشَّيْخ: (رؤية الشيخ في الهمة والعزيمة) 314
القلوب الضارعة في منهج مولانا 328
التصوف الفلسفي ومدارس التصوف 334
ملاحـــــق 341
تراجم لبعض مشايخ مولانا الذين اجتمع بهم في التصوف وغيره ... 343
أولا: السادة النقشبندية 344
ثانيا: السادة الشاذِلية 357
ثالثا: كوكبة من المشايخ.................................. 383
الشَّيْخُ فِي عُيُونِ أهل الله 390
أولا: كلمات بعض الأكابر والأفاضل 392
ثانيا: كلمات بعض مقدمي طريقتنا العلية الصديقية الشاذلية 395
ثالثا: كلمات بعض من كبار تلاميذ وأبناء مولانا 416
رابعا: كلمات بعض مريدي طريقتنا العلية الصديقية الشاذلية ... 420
رابعا: كلمات محبي مولانا وبعض أبناء الطرق الصوفية الأخرى...... 454
خامسا: كلمات من مشاهير العالم مسلمين وغير مسلمين........ 457

سادسا: مستخلص الكلمات الدالة مستل من الكتاب التذكاري...... 463
مواقف مختارة من حياة الإمام.................................... 474
مِنْ كَرَامَاتِ مَوْلانَا.................................... 485
خاتمة الرحلة.................................... 486
الأمانة في ترجمة مولانا الإمام العلامة.................................... 490
سيدي أبو الحسن نور الدين علي جمعة.................................... 493
من ألقابه وكناه وأوصافه.................................... 494
دراسته المدنية.................................... 494
دراساته الأزهرية والشرعية.................................... 496
الإجازات العلمية.................................... 497
ونذكر هنا بعض الأسانيد العالية في هذا الشأن.................................... 498
ثقافته الموسوعية.................................... 502
الشيخ أصوليا وفقيها.................................... 503
الحوزة الأزهرية.................................... 506
المشروع العلي لإحياء القلب الصوفي.................................... 510
الوظائف والمناصب.................................... 516
الأنشطة الأكاديمية والعلمية.................................... 518
أولًا: نبدأ ببيان مجموعة من أساتذته، نذكر منهم أكثر من ثلاثين
من كبار علماء عصرهم.................................... 518

ثانيًا: الإشراف العلمي 520

ثالثا: مناظرات ومساجلات علمية.............................. 521

رابعا: مشروعات علمية وبحثية 522

خامسا: المؤتمرات التي شارك فيها 523

سادسا: الشيخ والتأثير العالمي 523

الشيخ برلمانيًا.. 524

الشيخ رجل خدمة ومجتمع 525

الشيخ مفكرًا ومجددًا 526

الجوائز والأوسمة... 528

مؤلفاته وأبحاثه العلمية 531

الشيخ ووسائل التواصل الاجتماعي والإعلامي.................. 537

تسجيلات الشيخ.. 537

مقالات الشيخ.. 538

مواقف في حياة الإمام.. 540

خاتمة.. 541

فهرس 545

هذا الكتاب 551

هذا الكتاب

اعتاد التاريخ دوما أن يستقبل شخصيات ارتأت الأمم والحضارات ألا تمر عليها الأزمان إلا ولهم في كل شخصية منها موقفا، لِمَا أحدثته هذه الشخصيات من أثر في كل مفصل من مفاصل الزمان وكل منعطف من منعطفاته: نقلة، أو وقفه، أو عقبة، حيث تزهو الأمم وتزدهر بهذه التجارب المتجسدة في ملامح ووجوه وعقول وأفكار عصارة تجارب حياة هؤلاء الذين حفروا وصنعوا التاريخ وأثّروا فيه. ويتحدث التاريخ المنصف والمؤرخون العدول عن هؤلاء الأعلام في حياتهم، أو بعد انتقالهم، بما يستحقونه، فيُكرَم ويُكَرَّم أو يُطْعَن فيه، والكل أمام مرآة التاريخ سواء، فالتاريخ خير صادق، وصار الأعداء أكثر من يشهد لأصحاب الصفاء والنقاء وإن كانوا معهم على اختلاف.

والإمام العلامة نور الدين علي جمعة واحد من أعلام العصر الحديث في مصر والعالم الإسلامي، بل والعالم قاطبة، حيث شهد الأعداء قبل الأصدقاء، وأقر غير المسلمين قبل المسلمين، واعترف المفكرون قبل السطحيين، بما لهذه الشخصية الفريدة المتفردة من أثر إيجابي عظيم ليس فقط على المسلمين، أو الصوفيين منهم، بل على الحياة في كل عصر ومصر، فهو مفتي العصر وصاحب مصر، بل سيد مصر ونعمة العصر، عالي القدر، ومربي الجَمع والفَرْد، عالم الأمة الإسلامية، ومفجر الطاقات الروحية، الذي تحقق بالشريعة، وغاص في الحقيقة، عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف منارة الدنيا، ومفتي الديار المصرية السابق، شيخ الطريقة العلية الصديقية الشاذلية الذي تلتف حضارتنا الحالية حول شخصيته كالدوامة ويعده المفكرون واحدا من أهم مفاتيح صياغة الرؤى الجديدة التي تعيد صناعة التاريخ والحضارة، بما يتلاءم مع عظمة الأمة الإسلامية.

ويأتي هذا الكتاب كرحلة خاصة للمؤلف عاشها وعايشها في أعماق واحد من المحاور المهمة في حياة الإمام وهو المحور الصوفي، وإلقاء الضوء على ما يتيسر من منهجه الصوفي، فجاء الاسم العام تحت عنوان (**الْمَنَاهِجُ الْعَلِيَّةُ لأَهْلِ الصُّوفِيَّةِ**)، ثم خُصِّص بالإشارة إلى الغرض الدقيق منه تحت عنوان (**رِحْلَةٌ فِي أَعْمَاقِ الْمَنْهَجِ الصُّوفِيِّ للإِمَامِ الْعَلاَّمَةِ**)، فمنهج الإمام عَلِيٍّ عَلِيٌّ، يُصْلِح كل صوفي، ويَصْلُح لكل ربانِيّ، فيشمل كل محمدي، إلا أن المريد الذي يريد أن يرتقي في مدارج العبودية عند رب البرية، عليه أن يرتحل من دنياه ويتعرف إلى نفس الأمر بعمق كافٍ من أعماق الروح والسِّر، فمن ذاق عرف.

إلا أنه نظرا لصعوبة هذا الأمر أضحت الكتابة عن مولانا باستخدام كلماته هي أقصر الطرق وأيسرها في التعبير عن مراداته، وفكره وآرائه، وقواعده ونظرياته، ولم يبق إلا وضع كل كلمة في داخل إطار يناسبها وضمن موضوع يحتويها في محاولة قاسية صعبة لتقييد منهجه الصوفي الروحي تحت عناوين محددة، فالمرونة في العنوان لمثل هذه الكلمات شيء صعب المنال، إذ كيف تعبر القطرة عن بحار الإمام وفيوضاته في واحد من أدق وأصعب المجالات وهو التصوف، فهو دائم التجدد والتجديد مع الحفاظ على الأصول والتقاليد، في نسق عجيب، فعندما تراه لا تملك إلا أنك تقول رأيت رجلا من الصدر الأول بلباس عصري مُتْقِن، يُمسِك بالزمام الحديث الجديد من غير انفلات للتراث المجيد، جمعا بين الأصالة والمعاصرة، بمنهج صوفي ربانيّ مقيد بالكتاب والسنة، عسى أن يكون هذا الإصدار لبنة في تجلية بعض محاور منهج الإمام العلامة في التصوف، والذي يتطور بصورة ربانية ملحوظة، كلما عشتها تَلَمَّسْت عمقها، وعجزت عن سبر أغوارها، بل أحببتها وعشقتها.